

الكتاب: الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية

المؤلف: أحمد حسين يعقوب

الجزء:

الوفاء: معاصر

المجموعة: من مؤلفات المستبصرين

تحقيق:

الطبعة: الثانية

سنة الطبع: ١٤١٥

المطبعة:

الناشر: دار الفجر - لندن

ردمك:

ملاحظات:

الخطط السياسية
لتوحيد الأمة الإسلامية
الخطبة الإلهية خطة أهل بيت النبي خطة قادة التاريخ الإسلامي
تأليف المحامي
الأستاذ أحمد حسين يعقوب
الناشر: دار الفجر
لندن - المملكة المتحدة
الطبعة الثانية - رجب ١٤١٥

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم
أحمدك اللهم مولاي على نعمك المتوالية التي لا تحصى، وأخص نعمتك التي أنعمت علي مؤخرها والتي أضأت بها قلبي، وجنبت نفسي بنور الولاء لآل محمد، وعلمتني من فضلهم ما لم أكن أعلم، رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي، وأن أعمل صالحا ترضاه، وأصلح لي في ذريتي، واملأ القلوب بنور الولاء للآل الكرام. وأسألك يا مولاي بأسمائك الحسنى، أن تصلي وتسلم وتبارك على خاتم الأنبياء والرسل محمد، وعلى آله الكرام، سفن النجا، ونجوم الهدى، وأن تحشرنى بزميرتهم، وتجعلني من مواليهم، إنك لودود رحيم.
أما بعد،

فإن وحدة الأمة الإسلامية، أمنية غالبة على قلب كل مسلم صادق، وهدف عام مشترك يسعى لتحقيقه الذين آمنوا في مشارق الأرض ومغاربها، وفضلا عن أن هذه الوحدة فريضة ربانية أوجب الله تعالى على المؤمنين إقامتها، فقد أصبحت وحدة الأمة الإسلامية ضرورة تقتضيها مصلحة المسلمين، وتفرضها ضرورات وجودهم للوقوف أمام زحف الطامعين في أرضهم، وخيراتهم، وردتهم عن دينهم.

ثم إن وحدة الأمة الإسلامية هي الإطار الأمثل لإحساس الأفراد المسلمين بكرامتهم، وتميزهم برسالتهم العالمية.

وعلى الرغم من أن الوحدة الإسلامية أمنية غالبية، وفريضة ربانية، وهدف مشترك، وضرورة من ضرورات الحياة المعاصرة، إلا أن المسلمين مختلفون في وسائل تحقيقها، سلمياً وبدون عنف، بالحكمة والإقناع لا بالقوة والإكراه، والأحزاب الدينية الإسلامية عرضت وجربت عشرات الخطط لإقامة الوحدة الإسلامية، ففشلت خططها، وهي لا تتوقف عن اختراع خطط جديدة.

وتسهيلاً لمهمة المنادين بوحدة الأمة الإسلامية وضعت هذا الكتاب (الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية) وقسمته إلى ثلاثة أبواب:

الباب الأول: الأركان الشرعية لوحدة الأمة الإسلامية، ومن خلاله عرضت التقاطيع الأساسية والتفصيلية للخطة الإلهية لتوحيد الأمة الإسلامية، وقد قسمت هذا الباب إلى اثني عشر فصلاً، وقسمت كل فصل إلى عشرات الفقرات المترابطة، سقت فيها مختلف الأفهام للنصوص الشرعية، وعملت من مختلف الجهات لتوضيح كل خافية، وما أن ينتهي القارئ من قراءة هذا الباب حتى يقف حقيقة على الخطة الإلهية لتوحيد الأمة الإسلامية.

وفي الباب الثاني: الاختلاف بعد الوحدة والائتلاف، بينت كيف انقسمت الأمة، وبدأت الوحدة تتآكل من الداخل، ثم انهارت نهائياً وسقطت بسقوط آخر سلاطين بني عثمان، وعلل هذا الانهيار يومذاك على أنه نتيجة لتآمر دول الغرب، مع أن تآمر الأمم الكافرة على الأمة المسلمة لم يتوقف حتى في عهد النبوة، لكن السبب الجوهري لانهيار وحدة الأمة الإسلامية يكمن في التآكل الداخلي الناتج عن الصراع الصامت بين الشرعية والواقع، والتفاوت المذهل بين هذين البعدين.

أما الباب الثالث: فقد تشابكت فيه الشرعية مع الوقائع التاريخية تشابكا عجيبا، وقد حاولت أن أفك الاشتباك والتداخل بين المنظومة الحقوقية الإلهية وبين أفعال الحكام، بحيث تكون المنظومة الإلهية كيانا حقوقيا مستقلا، وأفعال الحكام كيانا حقوقيا آخر مستقلا ومتميزا.

والعملية في غاية العسر والتعقيد، فقد اختلطت الشرعية بالوقائع التاريخية، ووحدت المجموعتان معا، واستمرت هذه الوحدة ١٢٠٠ عاما تقريبا. وحتى نوضح المنظومة الحقوقية الإلهية تمهيدا لإبراز الخطة الإلهية لتوحيد الأمة الإسلامية حتى تتميز بالكامل عن غيرها.

وحتى نفهم خطة أهل بيت النبوة لتوحيد الأمة الإسلامية يتوجب الوقوف عليها من مصادرها النقية، وبالتالي تمييزها بالكامل عن غيرها.

وحتى نفهم خطة قادة التاريخ السياسي الإسلامي لتوحيد الأمة الإسلامية يجب الإحاطة بالحدوثات التاريخية وتمييزها عن غيرها.

وبذلك نضع أيدينا على ثلاثة نماذج من الخطط لتوحيد الأمة الإسلامية.

ولا بد من التنبيه إلى أن شيعة قادة التاريخ السياسي الإسلامي وهم الحزب الحاكم لم يكونوا أبدا على وفاق مع شيعة أهل بيت النبوة وهم الحزب المعارض، فكل حزب من هذين الحزبين ينظر نظرة شك وحذر وريبة للحزب الآخر، فحزب قادة التاريخ وهم أهل السنة يعتقدون أنهم الأحق بحكم الأمة، وحزب شيعة أهل البيت يعتقدون أن أهل البيت هم الأحق بحكم الأمة، ويحشر كل حزب آلاف الأدلة لإثبات صواب وجهة نظره، وبالتالي فإنه لا يمكن علميا الركون لرأي أي حزب من هذين الحزبين بالآخر، والمثير حقا أن كل حزب من هذين الحزبين يزعم أنه مسلح بالخطة الإلهية، وأنه على الحق.

والأصعب في البحث أنه لا بد من معرفة الماضي معرفة يقينية قدر الإمكان، لأن الحاضر مبني على الماضي، فالماضي هو أساس الحاضر.

والكارثة أن الحاضر هو أساس المستقبل، فلا يمكنك أن تفك الارتباط بين هذه الأبعاد الثلاثة، لأنها خلقت متشابكة أصلاً، فكل بعد هو أساس للبعد الذي يليه. وقد تبين لي أنه لا خلاف بين القوميين العرب بأن الهاشميين هم سادة العرب، ودرّة تاجهم، ولا خلاف بين الإسلاميين العرب بأن الهاشميين هم بطن النبي الأعظم، وأنهم الآل الكرام الذين لا تجوز الصلاة المفروضة على العباد بغير الصلاة عليهم، وأنهم الذين احتضنوا النبي واحتضنوا دين الإسلام، وأن العرب مجتمعة قد حاصرتهم ثلاث سنين في شعب أبي طالب، وأنهم أهل المودة في القربى، وأصحاب خمس الخمس، وأن منهم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، ومنهم نجوم الهدى بالنص الشرعي، وسفن النجا بالنص، وأنهم خير بطون بني آدم بالنص، وهم أحد الثقلين بالنص... إلخ.

والسؤال ما هو ضرر الأمة الإسلامية لو سلمت بحق أهل البيت بالإمارة، واحتفظت لنفسها بمنصب الوزارة، فأصبح الهاشميون هم الهيئة التأسيسية لوحدة الأمة الإسلامية، ونقطة تجمعها ومحور قيادتها، بوصفهم القاسم المشترك بين المسلمين؟ إذا سلمت الأحزاب الدينية والجماعات التي ترفع شعار الإسلام بهذا، فإنها تتخلى عما تسميه بمكتسباتها، خاصة وأنه ليس بينها وبين الاستيلاء على السلطة بالقوة إلا باع أو ذراع، فهل يعقل أن تسلم وتعطي تعبها لغيرها أي للهاشميين؟ فترى الأحزاب، والجماعات الدينية، تضيء هالة من القداسة على مؤسسيها، وترفع شعار (النبي جد التقي ولو كان عبدا حبشيا) وتشكك هذه الأحزاب بالبطن الهاشمي، وبأهل بيت النبوة، وتتجاهل النصوص الشرعية الآخذة بالأعناق، والتي تعطيهم حق القيادة والولاية، مما يعني أن المطلب الأساسي للأحزاب والجماعات الدينية هو الحكم، والدين ليس أكثر من حبل يتمرجحون عليه للوصول إلى غايتهم وهو الاستيلاء على السلطة بالقوة.

نحن نؤمن بالسلم، ونكره العنف، ونحترم العقل البشري الذي جعله الله حجة على خلقه، ونحترم حرية الإنسان وكرامته، ولا يضيق صدرنا بالرأي المعارض، لأن غايتنا هي إدراك الحقائق الشرعية المجردة، فقد يخطئ عمر وتصيب امرأة، ولكن لا بد من مرجعية شخصية شرعية تستمع لكل الآراء وتزنها بموازين الشرع الحكيم فتؤيد من يصيب وترد من يخطئ إلى جادة الصواب.

إلهي وسيدي ومولاي تجاوز عني إن أخطأت، واغفر زلتي إن زلت، إنك أنت الغفار، وأنت تعلم ما في نفسي، ولا أعلم ما في نفسك، إنك أنت علام الغيوب، فإن أخطأت فإن الخطأ مني، وإن أصبت فأنت ولي النعم.

إلهي اجعل عملي هذا خالصاً لوجهك لا اشتهاً فيه ولا ادعاءً، وهدية خالصة لمحمد ولآل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وصدقة تطفئ بها خطاياي وذنوبي.

مولاي إنك أنت الودود الرحيم
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على النبي وآله
المحامي
أحمد حسين يعقوب

الباب الأول
الأركان الشرعية لوحدة الأمة الإسلامية
الفصل الأول: ماهية وحدة الأمة الإسلامية
الأساس الأول: المرجعية والقيادة السياسية
الفصل الثاني: الأساس الثاني: أسس وحدة الأمة الإسلامية
الفصل الثالث: المنظومة الحقوقية الإلهية
الفصل الرابع: نقد النظرية الرسمية في جمع القرآن
الفصل الخامس: نظرية أهل البيت وشيعتهم في جمع القرآن
الفصل السادس: موقع بيان النبي من المنظومة الحقوقية
الفصل السابع: بيان النبي عند أهل البيت وشيعتهم
الفصل الثامن: قضية كتابة الحديث النبوي
الفصل التاسع: دربان مختلفان
الفصل العاشر: كتابة الحديث النبوي عند أهل البيت
الفصل الحادي عشر: الأساس الثالث للوحدة: الأمة

الفصل الأول
ماهية وحدة الأمة الإسلامية
١ - ماهية وحدة الأمة

الوحدة على العموم مطلب عام لكل أفراد، وأسر، وقبائل، وجماعات، وشعوب، وأمم، الجنس البشري، فكأن الوحدة عنصر من عناصر الحياة ذاتها، وأصل من أصول الخليقة، ولازمة من لوازم الفطرة الإنسانية، ومن هنا فإنك لن تجد إنسانا سويا على الإطلاق يجاهر بالقول بأنه ضد وحدة الأفراد، أو وحدة أسرته، أو قبيلته، أو شعبه، أو أمته، أو أنه حتى ضد وحدة الجنس البشري، دون أن يعلل هذه المجاهرة بعذر يستريح إليه ويطمئن به، وما ذلك إلا لأن الوحدة أنس جميع البشر وأمنية الجميع أو أنها ضاربة الجذور بالفطرة الإنسانية، وأنها عاكسة لوحدة الخليقة، ووحدة الجنس البشري أصلا وابتداء، ولعل هذا هو السر في كونها مطلبا عاما للبشر. وبالرغم من أن الوحدة على كل الأصعدة مطلب عام، إلا أن البشر اختلفوا في وسائل تحقيقها، شأنها شأن أي مطلب عام إنساني. فكانوا طرائق قديما، واختلافهم في وسائل تحقيق هذه الوحدة دليل قاطع على سعيهم المستمر لتحقيقها، وبرهان ساطع على عميق إدراكهم لأهمية هذه الوحدة وجزيل نفعها. وإذا تحققت وحدة الأمة الإسلامية على أساس سليم يغدو ميسورا أن تتحقق

وحدة الجنس البشري، لأنها مؤهلة - إذا اتحدت - لتأخذ بيد الجنس البشري، وترشد الحركة الإنسانية نحو الأفضل والأقوم، وذلك لما عند هذه الأمة من ثروة فكرية وعقائدية وحقوقية شاملة وقائمة على الجزم واليقين. مضافا إلى أن الأمة الإسلامية هي أكبر تجمع بشري تجمع حول فكرة التوحيد والوحدة طوال التاريخ البشري.

وفي عصرنا نرى أن الأمة الإسلامية قادتها ظروف معينة إلى مفترق طريقين فإما أن تحقق وحدتها، وإما أن تفقد ذاتها مع ما يستتبع هذا الفقدان من ضياع ودمار شامل. عبر مئات المحاورات والمناقشات التي دارت بيني وبين الكثير من الإسلاميين والقوميين العرب حول أنجح الوسائل لتحقيق الوحدة، تبين لي أنهم يؤمنون تماما أن الوحدة قرار حكومي صادر عن رؤساء الدول، وكذلك نوعية النظام. فيكفي برأي الإسلاميين العرب أن يصدر زعيم أي بلد قرارا بتبني النظام السياسي الإسلامي حتى يسود ذلك النظام فعلا، ويكفي برأي القوميين العرب أن يتفق الزعماء العرب على الوحدة وأن يعلنوا هذا الاتفاق، عندئذ تتحقق الوحدة! ذلك مبلغ الفريقيين من العلم، فكأنهم لا يعرفون الواقع، وكأنهم يجهلون أن في قواميس اللغة كلمة ومفهوما اسمه القناعة العامة، وأن القيادة السياسية ما هي في حقيقتها وجوهرها إلا مرآة تعكس كل ما في هذه القاعدة من مؤتلف ومختلف معا وبذات الوقت، فإن لم تفعل ذلك فقد خالفت الغاية من وجودها.

ليتهم يعرفون أن إكراه ألف عاقل على سلوك درب واحدة ليس معقولا ولا مقبولا، فقد تنام أعين رجال الدرك الذين أكرهوا الألف، عندئذ يفر العاقلون ويتفرقون، ولا يدري أحد ما الذي يجري نتيجة تفرقهم وفرارهم هذا.

ليتهم يعلمون أن هنالك ظروفًا موضوعية وأركانًا ولوازمًا أساسية لا بد من توفرها وتواجدها وتحقيقها أولا، وأن استعجال الشيء قبل أوانه يؤدي لحرمانه.

٢ - وحدة الأمة الإسلامية نعمة إلهية
وحدة الأمة الإسلامية من أكبر النعم الإلهية، وهي ثمرة طبيعية للاعتصام بحبل الله،
حيث تألفت القلوب وأصبح الأعداء إخوانا ونجوا من السقوط، وكانوا على شفا حفرة
من النار.

وتلك نعمة إلهية ما كان لها أن تتحقق بغير الوسائل الإلهية وبغير الانقياد التام لله
حتى لو أنفق رائد الوحدة (صلى الله عليه وآله وسلم) ما في الأرض جميعا وهذا فوق
طاقته (لو أنفقت ما في

الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) سورة الأنفال آية ٦٢.
فالوحدة مكافأة إلهية على انقياد المؤمنين لله، وقوة الوحدة وضعفها بحجم هذا
الانقياد، فإذا توقف الانقياد تتبعثر الوحدة وينفطر عقدها بصورة آلية.

وإعمالا لفرض الوحدة الإلهي، وإقامة له، وبالوسائل الإلهية وتحت الإشراف
الإلهي المباشر، ومن خلال دعوة قادها النبي بنفسه تمخضت عن دولة ترأسها النبي
بنفسه، تحققت الوحدة المثلى لكل العرب بكلفة بشرية لا تتجاوز ٣٨٩ قتيلًا من
الطرفين - دعاة الوحدة ومعارضيه - وبمدة زمنية لا تتجاوز عمليا عشر سنين وهي
مدة رئاسته المباركة للدولة الإسلامية.

وقبل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كان مجرد التفكير بتوحيد القبائل العربية ضربا
من الأوهام، أو
أشد الأحلام جنونا.

ولا بد من التذكير بأن القبائل العربية لم تتوحد مع بعضها على أساس أنها كلها عرب،
ولا توحدت تلك القبائل مع مواليها ومن ساكنها في الجزيرة على أساس الإنسانية، أو
على أي أساس آخر، إنما توحدوا بنعمة الله، وعلى أساس الإسلام الداعي لإقامة
الدولة العالمية التي تحكم العائلة البشرية كلها، وفق المنظومة الحقوقية الإلهية.
وبتحقيق وحدة العرب ومن ساكنهم ووالاهم، وباكتمال نزول القرآن الكريم وتمام
البيان المحمدي له، كمل الدين وتمت النعمة وانتهى عمليا دور النبي كنبى، فالأمة

متحدة ولها قانون نافذ وهو المنظومة الحقوقية بشقيها: القرآن الكريم والبيان
المحمدي
لهذا القرآن.

ومن نافلة القول أن نذكر بأن هذه المنظومة بينت كل شئ على الإطلاق في الماضي
والحاضر والمستقبل، بالحال والمآل، وبينت القيادة السياسية والمرجعية من بعد النبي
على اعتبار أنها أهم الأشياء، وأعلن المسلمون تمسكهم، وإصرارهم وحرصهم عليه.
في هذا الوقت بالذات أعلن النبي أنه خير فاختار ما عند الله، وأنه قد دعي للموت
فأجاب.

**

الفصل الثاني

أسس وحدة الأمة الإسلامية

الأساس الأول: المرجعية والقيادة السياسية

١ - التلازم بين المنظومة الحقوقية وبين المرجعية والقيادة

أن الأساس الأول لتحقيق وحدة الأمة الإسلامية هو وجود مرجعية وقيادة سياسية تبلغ الرسالة الإلهية، وتبينها بيانا يفهمه العامة والخاصة، بيانا قائما على الجزم واليقين، لا على الفرض والتخمين بحيث، يكون بيان هذه المرجعية هو عين المقصود الإلهي، المحدد بالمنظومة الحقوقية الإلهية، بدون زيادة ولا نقصان، وهي تقوم بدور المرجعية والقيادة السياسية معا، بحيث تكون هي المرجع لجميع أفراد الأمة الإسلامية، وهيئاتها وجماعاتها في كل ما يتعلق ببيان أحكام العقيدة، أو المنظومة الحقوقية الإلهية، وهي بنفس الوقت مرجع الراغبين بدخول الدين والانضمام إلى الأمة الإسلامية. وفوق ذلك، هي التي تسوس الأمة وفق قواعد وأحكام المنظومة الحقوقية الإلهية، وتقود مسيرة الأمة، وترشد حركتها السياسية بحيث تبقى دائما ضمن إطار الشرعية والمشروعية الإلهية.

والمرجعية والقيادة السياسية متلازمة بالضرورة مع المنظومة، و مترابطة معها ترابطا عضويا، فالمرجعية والقيادة السياسية تنهل من المنظومة الحقوقية الإلهية،

والمهمة الأساسية للمرجعية والقيادة السياسية هي بيان أحكام المنظومة الحقوقية الإلهية بيانا قائما على الجزم واليقين، فالنبي كمرجع وكقائد يبين أحكام هذه المنظومة عين البيان الذي أراده الله، فهو المسؤول عن ترجمة نصوص وقواعد وغايات هذه المنظومة من النظرية إلى التطبيق، ومن الكلمة إلى الحركة على صعيدي الدعوة والدولة معا، وهو بنفس الوقت المسؤول عن قيادة مسيرة الأمة وترشيد حركتها السياسية، فبيان النبي جزء من المنظومة الإلهية، ويحسب من جملة مضامينها لأنه نبي. ويمكنك القول بكل ارتياح: أن المنظومة الحقوقية الإلهية - وهي القانون النافذ - بمثابة السفينة، وأن المرجع والقائد السياسي بمثابة القبطان، وأن هذه المنظومة هي المخططات العامة والتفصيلية اللازمة لمشروع الإنقاذ الإلهي، والمرجع والقائد السياسي هو بمثابة المهندس الذي يتولى عملية توضيح وشرح هذه المخططات، وبيانها، وترجمتها عمليا إلى واقع مادي محسوس وملموس.

وإن شئت فقل: إن المرجع والقائد السياسي هو بمثابة معلم البناء، والمنظومة هي بمثابة المواد الأولية، إنه من الجنون حقا تحضير المواد الأولية اللازمة للبناء والشروع بالبناء دون مشورة المهندس ومعلم البناء، ولقد عالجت موضوع القيادة السياسية بمؤلف خاص، بعنوان (نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام)، وهو كتاب لا غنى عنه لمن أراد أن يقف على الحقائق المجردة في هذا المجال.

٢ - المرجعية والقيادة السياسية اختصاص وعمل فني بحت
بمعنى أن بيان المنظومة الحقوقية الإلهية وقيادة الأمة عملية فنية واختصاص تماما كالطب، والهندسة، وعلم الذرة، والفلك إلخ. فالمرجع والقائد السياسي معا هو الأعلم والأفهم بالمنظومة الحقوقية الإلهية، وهو الأفضل من بين أتباعها، وهو الأنسب لقيادة هؤلاء الأتباع، هذا هو وجه الاختصاص والفن بالمرجع والقائد السياسي، فهو أعلم أهل زمانه بالمنظومة الإلهية، وأكثر أهل زمانه إخلاصا لها،

وأكثرهم اعتصاما بالله، وأفضلهم للقيادة والمرجعية معا، لأن المرجعية والقيادة هي الحكم (بفتح الحاء) وهي الناطقة بالحكم الإلهي، وهي التي تقود مسيرة الأمة وترشد حركتها في كل مجال، ويفترض أن ما تتبناه هذه المرجعية هو عين المقصود الإلهي بدون زيادة ولا نقصان.

وكل هذه الصفات خفية لا يعلمها على وجه الجزم واليقين إلا الله تبارك وتعالى العالم بالسر وما يخفى، وأي ادعاء بالعلم بهذه الصفات هو ادعاء قائم على الفرض والتخمين بينما العلم الإلهي قائم على الجزم واليقين.

فالله سبحانه وتعالى وحده هو الذي يعرف من تتوفر فيه صفات المرجعية والقيادة السياسية معا، وهذه الصفات مفصلة تفصيلا على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى كل الأنبياء والرسل، ولا يجادل أحد من أهل الملة بذلك.

فكلهم يقرون بالعقل والشرع والضرورة أن محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الأعلم وهو الأفهم

بالمنظومة الإلهية، وهو الأفضل من بين أتباعها، وهو الأنسب والأصلح لقيادة هؤلاء الأتباع.

بل تكاد هذه الحقيقة أن تكون سنة فعلية يتعذر على الجنس البشري مجتمعا ومنفردا إنكارها، ومحاولات إنكار هذه الظاهرة، أو الالتفاف عليها لإبطال مضمونها أو تأويلها، محاولات مكشوفة دوما، بإذن الله.

٣ - المرجعية والقيادة السياسية من بعد النبي

النبي بشر، ومعروف بالعقل والشرع أنه ميت لا محالة، ولا خلاف بأن النبي هو المرجع الديني والقائد السياسي للمسلمين حال حياته لأنه الأعلم، والأفهم بالمنظومة الإلهية، والأفضل من بين أتباعها، والأصلح لقيادة هؤلاء الأتباع، ولكن بعد وفاة النبي الأعظم وشغور منصب المرجعية والقيادة السياسية، فمن الذي يقوم مقامه فيكون هو مرجع الناس في دينهم وقائدهم السياسي في دنياهم؟

ما هو حكم المنظومة الإلهية بذلك؟ وهل لا ينبغي أن يكون الأعلم والأفهم بالمنظومة الإلهية، والأفضل من بين أتباع الملة، والأصلح لقيادة المسلمين حتى يكون أهلاً لخلافة النبي، والقيام مقامه بمرجعية الدين، وقيادة المسلمين معاً؟ فإذا كان كذلك فكيف نهتدي إليه ونعرفه؟ وكيف تنتقل المرجعية والقيادة السياسية بيسر؟ وما هي القواعد الإلهية التي عالجت هذه الناحية؟ ما هو دور الأمة؟ وما هو دور القائد السياسي والمرجع القائم بكل ذلك... إلخ.؟

بعد وفاة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) شاعت مقولتان: المقولة الأولى: مقولة الإنكار والتقول بالتخلية، ومفادها أن الله ورسوله لم يعينا مرجعية للدين، ولا قيادة للمسلمين بعد وفاة النبي، وقد تركا هذه الناحية وخليا على الناس أمرهم، لأن القيادة السياسية والمرجعية - حسب رأي منطري هذه المقولة - شأن خاص بالمسلمين، فهم وحدهم الذين يهتدون للقيادة السياسية المثلى، فإذا اهتدوا إليها تصبح القيادة السياسية هي بنفسها المرجعية.

ومنظرو هذه المقولة لا ينكرون أن المرجعية والقيادة السياسية هي خلافة للنبوة، وهي ضرورة من ضرورات الحياة، وقد أدركوا في ما بعد بالعقل والشرع أن الأسرة لها مرجعية وقيادة، وكذلك القبيلة، وكذلك الشعب، وكذلك الأمة، وكل عقيدة إلهية أو وضعية لها مرجعية وقيادة بالضرورة، لأن المرجعية والقيادة عنصر أساسي لكل دعوة ولكل دولة ولكل جماعة بشرية، ولا توجد منظومة حقوقية إلهية أو وضعية إلا وقد بينت قواعدها بيانا يرفع الخلاف وفصلت تفصيلاً كيفية تنصيب القيادة السياسية وكيفية انتقالها.

ومع هذا فإن القائلين بالترك والتخلية يصرون على القول بأن الله ورسوله خليا على الناس أمرهم، وأن المنظومة الإلهية لم تعالج تنصيب وانتقال القيادة السياسية، ولما اكتشفوا أنه لا بد من سند شرعي صار فعل السابقين هو السند الشرعي لفعل اللاحقين، وزيادة باليقين قالوا بأن السند الشرعي هو الإجماع، والإجماع مصدر من

مصادر التشريع، ولقد سادت هذه المقولة طوال التاريخ السياسي الإسلامي،
ورسختها وسائل الإعلان الرسمية، حتى استقرت في الأذهان كسنة من سنن الأولين،
وجاء الإصرار على ترسيخ هذه المقولة دعماً لوقائع التاريخ السياسي الإسلامي،
وإرغاماً من الحكام لأنوف أهل البيت الكرام خاصة، وبني هاشم عامة الذين يقولون
بنظرية شرعية تعاكس تماماً مقولة الترك والتخلية.
قلت في مقال لي نشر في جريدة اللواء الأردنية العدد ٩٥٥ تاريخ ١٧ صفر ١٤١٢
ما يلي:

الأحزاب الدينية العربية لا تجهل أن الرسالات الإلهية لبني البشر لم تتوقف طوال
التاريخ البشري على الأرض، فهل تفضل هذه الأحزاب - مشكورة ومأجورة إن
شاء الله - فتبين للناس متى أرسل الله تعالى رسالة بدون رسول؟ ومتى خصهم بعقيدة
دون مرجع؟ ومتى رحمهم بهداية دون هاد؟
وهل تفضل هذه الأحزاب مشكورة، فتدلني على أي نظام إلهي أو وضعي عرف
طوال التاريخ، يغفل كيفية تنصيب القيادة السياسية أو كيفية انتقالها؟
معكم الدنيا طويلاً وعرضاً فوقاً وتحتاً من لدن آدم حتى محمد (صلى الله عليه وآله
وسلم)، فإن لم تفعلوا
ولن تفعلوا بإذن الله، فقد آن الأوان لترك التقليد الأعمى، وآن أوان الدخول إلى أفق
رحابة التكيف الإلهي للأحداث والأحكام.
يكمن سبب المصائب التي حلت بهذه الأمة ومزقت وحدتها، وبعثت صفوفها،
وجعلتها شيعاً وأحزاباً وطرائق قديداً - يكمن في الفصل بين المنظومة الإلهية وبين
المرجعية والقيادة السياسية التي عينها الله تبارك وتعالى، واستبدالها بالمرجعية
والقيادة السياسية التي فرضتها القوة والغلبة، واستكان لها الناس بحكم طاعة الغالب،
ثم بحكم التكرار والتقليد الأعمى.
فما سالت الدماء إلا من أجل رئاسة الدولة، وما اختلف المسلمون إلا بسبب هذه
الرئاسة، وما حدثت الحروب بينهم إلا طمعا بها، فهل يعقل أن يبين الشرع الحنيف

للناس كيف يدخلون إلى الخلاء ثم يتنظفون ويتطهرون ويغفل ويترك بيان من يتولى رئاسة الدولة بعد النبي، وكيفية تنصيبه، وكيفية انتقال الرئاسة؟ فكل القواعد التي عالجت ظاهرة السلطة في الإسلام والتي نقدمها للعالم على أساس أنها النظام السياسي الإسلامي وضعت بعد وفاة النبي الكريم، وهي قواعد التاريخ السياسي الإسلامي، وشتان ما بين التاريخ وما بين النظام السياسي الإسلامي الذي أنزله الله على عبده، ولكن ضغط التكرار والتقليد هونا علينا أن نضحى بدين الله لنصحح تاريخ البشر!!

المقولة الثانية: وهي مقولة تعاكس المقولة الأولى تماما، وترى بأن الله ورسوله لم يترك الأمر سدى، إنما بينا للمسلمين الأعلم والأفهم والأفضل والأنسب للقيادة والمرجعية من بعد النبي، وفي كل زمان حتى قيام الساعة، ومن المحال عقلا وشرعا أن يكمل الله القيادة والمرجعية إلى أهواء الناس، ومن المحال أن تخلو المنظومة الحقوقية

الإلهية من القواعد التي ترتب كيفية تنصيب المرجعية والقيادة، وكيفية انتقالهما بيسر وسهولة، وتلك أمور لم يغفل عنها الشارع الوضعي على قصوره. وقد نادى بهذه المقولة الثانية أئمة أهل البيت الكرام خاصة، وبنو هاشم عامة، ومن شايعهم من العرب والعجم.

٤ - المقولتان تحت أشعة البحث العلمي

فإذا قال المسلمون: أن الله ورسوله لم يعينا المرجعية والقيادة السياسية من بعد النبي، ولم يحددا من الذي سيقوم بوظائف النبي من بعده، ولا حددا من يبين للناس أحكام المنظومة الإلهية، ولا من يبقي الأمة داخل إطار الشرعية والمشروعية، ولا بينا من هو ولي الأمة بعد النبي، ولا من هو ركن مجدها القائم مقامه، ولا من هو ثقلها،

ولا من هو مثلها الأعلى الحي المتحرك بعد النبي، ولا من الذي سيقود معركة تحرير البشرية وإنقاذها... إلخ. فإذا قال المسلمون ذلك، فإن قولهم هذا يناقض قاعدة كمال

الدين وتمام النعمة الإلهية، لأن هذه الأمور من صلب الدين، ومن صميم النعمة الإلهية ومن المحال عقلا أن تغفلها المنظومة الحقوقية الإلهية التي بينت كل شئ على الإطلاق!! أرجوكم كيف يكون الذهاب إلى الخلاء شيئا فتبينه المنظومة الإلهية للناس ولا تكون المرجعية والقيادة السياسية شيئا!! ما لكم كيف تحكمون؟ بل وأين تفرون؟ فإنكم لو أصررتم على ذلك لوجدتم أن هذا الإصرار يتعارض مع العقل والمنطق، وأساسيات الحياة، فضلا عن تناقضه الصارخ مع المنظومة الحقوقية، ومخالفاته التامة لقواعدها.

٥ - الرجوع عن مقولة التخلية

بعد أن استتب الأمر للصديق (رضي الله عنه) بجهد خارق بذله بالتعاون مع الفاروق (رضي الله عنه)، وبعد

أن دنت منية الصديق اكتشفوا أن ترك أمة محمد بلا مرجعية وبلا قيادة سياسية أمر غير عملي، ويؤدي للفتنة والخلاف، ومن هنا تداعوا لتجنب ذلك فعهد الصديق الفاروق، وتعالى نداءات التأييد لفكرة العهد، ونبت التخلية والترك.
ومن هذه النداءات:

١ - نداء السيدة عائشة أم المؤمنين: قالت لعبد الله بن عمر بن الخطاب يا بني: أبلغ عمر سلامي وقل له: لا تدع أمة محمد بلا راع، استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملا، فإنني أخشى عليهم الفتنة. فأتى عبد الله، فأعلمه وهو يقاسي سكرات الموت، فقال: ومن تأمرني أن أستخلف. راجع الإمامة والسياسة الطبعة الأخيرة ١٩٦٩ م صفحة ١٢٣.

فقد أدركت أم المؤمنين وهي امرأة أن عدم الاستخلاف، وترك الأمة بدون راع يجعل المسلمين هملا، ويؤدي بهم إلى الفتنة، فهل يعقل أن تدرك هذه الأمور امرأة، وتغيب على الشارع الحكيم!!!
لست أدري كيف تحكمون!!!

٢ - نداء عبد الله بن عمر بن الخطاب: دخل عبد الله بن عمر بن الخطاب على أبيه عمر وهو يجود بنفسه، فقال له: يا أمير المؤمنين، استخلف على أمة محمد، فإنه لو جاءك راعي إبلك أو غنمك وترك إبله أو غنمه لا راعي لها للمته، وقلت له: تركت أمانتك ضائعة، فكيف يا أمير المؤمنين بأمة محمد، فاستخلف عليهم. راجع مروج الذهب مجلد ٢ صفحة ٢٤٩ للمسعودي - دار الكتب العلمية بيروت، وراجع حلية الأولياء مجلد ١ صفحة ٤٤ برواية مشابهة. فهل يعقل أن عبد الله بن عمر يدرك مخاطر هذا الأمر، ولا يدركه الشارع الحكيم!!؟ لست أدري ثانية كيف تحكمون!!؟ أن لكم لما تخيرون!!؟

٣ - نداء معاوية بن أبي سفيان: فمعاوية هو صاحب عام الجماعة، وهو الذي هندس اصطلاح التسنن (أهل السنة) وهو الذي اخترع نظرية عدالة كل الصحابة بثوبها الفضفاض. راجع الباب الأول من كتابنا: نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام. فقله لا بد أن يكون حجة على أولئك الذين قدموا التاريخ على الشرع، وفصلوا الشرع على وقائع التاريخ، فما وافق التاريخ فهو شرع، وما خالفه فليس من الشرع. قدم معاوية المدينة ليأخذ من أهل المدينة البيعة لابنه يزيد، فاجتمع مع عدة من الصحابة، إلى أن أرسل إلى ابن عمر فأتاه وخلا به، فكلمه بكلام وقال: لأكره أن أدع أمة محمد بعدي كالضأن لا راعي لها. راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري صفحة ١٦٨ مجلد ١ طبعة مصر.

٤ - من أقوال أئمة أهل البيت الكرام: قال الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة (... لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهرا مشهورا وإما خائفا مغمورا لئلا تبطل حجج الله وبيناته). راجع نهج البلاغة قصار الكلمات و صفحة ١٥١ من معالم الحكومة الإسلامية للعلامة جعفر السبحاني.

وقال الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) (إن الأرض لا تخلو إلا وفيها إمام،
كيما

إذا زاد الناس شيئاً ردهم، وإذا أنقصوا شيئاً أتمه لهم).

٦ - ما هي الغاية من تأييد نظرية التخلية والترك
غاية أولئك الذين يقولون بأن النبي قد ترك هذه الأمة هملاً لا راعي لها بعده،
ولا مرجعية ترجع إليها، وبمعنى أن الدين قد أغفل هذه الناحية، غايتهم واضحة
ومحددة

وهي: إضفاء طابع الشرعية على ما جرى في التاريخ السياسي الإسلامي بعد وفاة
الرسول، وحتى سقوط آخر الخلفاء العثمانيين، فإذا سلموا بوجود النص فيثور السؤال:
لماذا تجاهله الذين قادوا التاريخ السياسي؟ فإذا تجاهلوه حقيقة فهم الذين يتحملون
مسؤولية دمار الأمة، وفرقتها بنسب مختلفة، وهذا أمر غير معقول ولا يصدق العقل،
فهل يعقل أن شخصاً رأى الحبيب محمداً وآمن به، أن يخطأ مع سبق الإصرار؟ هذا
أمر
لا يصدق!

وأحرى بهم أن يؤولوا الدين تأويلاً يضيء الصحة والشرعية على أعمال الذين
قادوا التاريخ السياسي، بمعنى أنهم يضحون بالدين وكماله لينفذوا الرجال، لأنهم
عرفوا الحق بالرجال، مع أن الرجال يعرفون بالحق، ولا يعرف الحق بالرجال.
٧ - قادة التاريخ السياسي الإسلامي حكم ترضونه

الصديق على فراش الموت عهد بالخلافة لعمر، راجع تاريخ الطبري مجلد ٢
صفحة ٤٢٩، وسيرة عمر لابن الجوزي صفحة ٢٧، وتاريخ ابن خلدون مجلد ٢
صفحة ٥٨، وكتابتنا النظام السياسي صفحة ٢٨، وكتابتنا نظرية عدالة الصحابة،
والمرجعية السياسية في الإسلام صفحة ٢٨٧ وما فوق، والإمامة والسياسة صفحة ٥،
وكان معروفاً للخاصة والعامة أن الصديق سيعهد بالأمر من بعده للفاروق، لأن
الفاروق موضع ثقة الصديق والفاروق هو الذي دعم خلافة الصديق، وهذا معنى قول
الإمام علي (عليه السلام) لعمر: إحلب حلبي لك شطره، واشدد له اليوم أمره يردده
عليك غداً.

راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري مجلد ١ صفحة ٥ - ١١ والخلاصة أن الصديق لم يترك أمة محمد هملا، إنما استخلف عليها عمر. وعمر على فراش الموت وقد افتقد أبا عبيدة، وافتقد سالم، وافتقد معاذ بن جبل، وحتى لا يدع أمة محمد هملا وبغير راع، استخلف عليهم عمليا عثمان بن عفان، وعثمان (رضي الله عنه) هذا موضع ثقة الصديق بدليل أنه عندما كتب العهد لعمر قال له الصديق:

لو كتبت نفسك لكنت أهلا لها. راجع صفحة ٤٣٨ مجلد ٢ من تاريخ الطبري، و صفحة ٣٧ من سيرة عمر لابن الجوزي، و صفحة ٨٥ مجلد ٢ من تاريخ ابن خلدون، و صفحة ١٤٧ من كتابنا النظام السياسي في الإسلام، و باب القيادة السياسية من كتاب المرجعية السياسية في الإسلام. وكان موضع ثقة الفاروق أيضا، فكان الناس إذا أرادوا أن يسألوا عمر بشئ رموه بعثمان، وكان عثمان يدعى في إمارة عمر بالرديف، والرديف بلسان العرب الرجل الذي يأتي بعد الرجل، والعرب تقول ذلك للرجل الذي يرجونه بعد زعيمهم. راجع نظام الحكم للقاسمي صفحة ٤١٩ كما نقلها عن الطبري من ابتداء معركة القادسية.

والخلاصة أن الفاروق لم يترك أمة محمد هملا وبغير راع من بعده. فتلك أمور معروفة، فالثلاثة الذين حضروا اجتماع السقيفة قد خرجوا من السقيفة معا مثلما دخلوها معا، وترتبت حقيقة أن أبا بكر هو الخليفة الأول، وأن عمر هو الخليفة الثاني، وأن أبا عبيدة هو الخليفة الثالث، وبموت أبي عبيدة وقع اختيار الخليفين على عثمان، ومن يدقق بالشروط التي وضعها عمر لأصحاب الشورى - الخمسة

لأن طلحة كان غائبا - يكتشف أن عثمان بن عفان قد عهد إليه عمر بالنص، أو إن شئت فقل: سماه خليفة بالنص، راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام صفحة ١٤٨ و صفحة ٣٢٨

وبعد أن تولى الأمويون رئاسة الدولة لم يتركوا الأمة هملا وبغير راع، بل أصبح العهد هو الطريقة المتبعة على الأغلب في تولية الخليفة، وهكذا الحال في عهد العباسيين،

والعثمانيين، فإما يعهد الخليفة إلى ولده أو لأحد أفراد الأسرة الغالبة المالكة. راجع نظام

الحكم للقاسمي صفحة ٢٤٥ وما فوق.

ولم يصدف أن ترك أي خليفة على الإطلاق أمة محمد بغير راع، وقد جرت العادة في ما بعد أن يعين رئيس الدولة الحالي الخليفة من بعده، وقد صور هذا الأمر كأنه حق شرعي فقال ابن خلدون (إن الإمام ينظر للناس في حال حياته، وتبع ذلك أن ينظر لهم بعد وفاته، ويقيم لهم من يتولى أمرهم. راجع مقدمة ابن خلدون صفحة ١٧٧ والسند الشرعي لهذا كله، لا يكمن في وجود نص في الشريعة، سواء القرآن أو السنة، فقد خلت الشريعة - برأيهم - تماما من أي نص في هذه الناحية. والشئ الوحيد الذي جعل هذا التصرف شرعيا هو عهد أبي بكر لعمر، وعهد عمر لعثمان أو للستة.

**

الفصل الثالث

الأساس الثاني: المنظومة الحقوقية الإلهية

١ - ماهية المنظومة الحقوقية الإلهية

ما جاء في القرآن الكريم، وما قاله النبي وما فعله وما أقره، حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويقين لا مجال للشك فيه، وقد قدما تصورا يقينيا شاملا وكاملا وقائما على الجزم واليقين، وهذا التصور يغطي بالكامل ساحة الأهداف والوسائل وكافة نواحي الحياة، وهذا التصور هو بمثابة مخططات عامة وتفصيلية ودقيقة لواقع ما هو كائن على الإطلاق، ومستقبل كل كائن على الإطلاق في دائرة الواقع والممكن، وما ينبغي أن يكون عليه هذا الكائن في دائرة المنى الذي سيتحول إلى واقع، بحيث يقودك هذا التصور اليقيني وتلك المخططات درجة درجة وخطوة خطوة حتى تصل بك إلى الغاية المبرمجة شرعيا من أقصر الطرق، وبأقل التكاليف،

وفي

كل أمر من الأمور.

عندئذ تكون المنظومة هي نبع الشرعية والمشروعية، وهي القائمة والموجهة. إنها بنية حقوقية قائمة على الجزم واليقين، بعكس البنى الوضعية القائمة أصلا على الفرض والتخمين.

٢ - ركيزتا المنظومة الحقوقية الإلهية
تقوم المنظومة الحقوقية الإلهية على ركيزتين، وتتكون من شقين: ١ - كتاب الله
المنزل. ٢ - نبي الله المرسل بذاته وقوله وفعله وتقريره، ولا يمكن الفصل بين هذين
الركنين، لأن الصلة بينهما عضوية لا تقبل الانفصام.
٣ - القرآن الكريم

اقتضت حكمة الله تعالى أن ينزل القرآن مفردا على عبده، وعلى مكث وفترات
زمنية غطت عهد النبوة كاملا، ومن المتفق عليه أن مدة إقامة النبي بالمدينة المنورة
كانت عشر سنين، أما مدة إقامته بمكة المكرمة بعد البعثة ففيه ثلاثة أقوال، فقد قيل
عشر سنين وقيل ١٣ سنة، وقيل ١٥ سنة، مما يعني أن مدة تنزيل القرآن استمرت
٢٠ سنة، أو ٢٣ سنة، أو ٢٥ سنة.

قال تعالى (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) سورة الإسراء
آية ١٠٦ حيث كانت آيات القرآن الكريم تنزل حسب الحاجة، خمس آيات، وعشر
آيات، وأكثر، وأقل وضح نزول (غير أولي الضرر) وحدها وهي بعض آية، راجع
أضواء على السنة المحمدية للسيد محمود أبو ريه صفحة ٢٤٦ - ٢٤٧ مؤسسة
الأعلمي للمطبوعات. ومع كل كوكبة تنزل من القرآن الكريم توجيهات إلهية لتضع
كل آية بسورة محددة، وفي مكان محدد من هذه السورة، كما سنبين في ما بعد.
لكن كيف جمع القرآن الكريم بصورته الموجودة بين أيدينا؟

لقد انقسم المسلمون إلى فريقين تماما كما انقسموا في المرجعية والقيادة السياسية،
وسنبين الخطوط العريضة لهاتين النظريتين، ثم نزنهما بميزان الشرع الحكيم، وبميزان
العقل الراجح الذي جعله الله حجة باطنة على خلقه، وهاتان النظريتان هما:

- ١ - نظرية السلطة أو أهل السنة بوصفهم شيعة السلطة طوال التاريخ.
- ٢ - نظرية المعارضة أو أهل الشيعة الذين كانوا شيعة لأهل بيت النبوة طوال التاريخ.

٤ - ترك جديد وتخليية جديدة

لم يكتف أهل السنة بالقول بأن الرسول الأعظم خلى على الناس أمرهم وتركهم دون قيادة سياسية ومرجعية دينية، بل تجاوزوا ذلك فقالوا إنه (صلى الله عليه وآله وسلم) ترك القرآن في

صدور الرجال دون جمع، وبما أن القرآن الكريم هو قانون الدولة الإسلامية النافذ الذي لا غنى عنه، ومن غير الجائز أن يترك في صدور الرجال بدون جمع لأنه قد يضيع، لهذا كله شمر الصديق، والفاروق، وذو النورين عن سواعدهم، وقاموا بهذا العمل الجليل، واقتسموا هذا الشرف العظيم بينهم، ولولا خطواتهم المباركة لضاع القرآن، ولما وصلنا، ولفقد قانون الدولة كما فقد رئيسها.

وقد نقل المتقي الهندي في كنزه عن ابن حبان في صحيحه، وعن الدارقطني في سننه، وعن أحمد في مسنده، وعن البخاري ومسلم في صحيحيهما، وعن الترمذي في سننه... أن عمر راجع زيد بن ثابت ليجمع القرآن، وأن أبا بكر راجعه أيضا، فقال زيد لكل منهما كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله؟ فأجابه كل منهما بالقول (والله إنه

خير) ولم يزل كل واحد منهما يراجع زيدا حتى شرح الله صدر زيد لما شرح له صدر أبي بكر وعمر، وعندئذ بدأ بتتبع القرآن يجمعه من الرقاع، واللخاف، والأكتاف، وصدور الرجال، حتى وجد آخر سورة براءة مع خزيمة، ولم يجدها مع أحد من المسلمين غيره، وكانت الصحف التي جمع فيها زيد القرآن عند أبي بكر طيلة حياته حتى توفاه الله، ثم عند عمر طيلة حياته حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر.

راجع كنز العمال - طبعة مؤسسة الرسالة مجلد ٢ صفحة ٥٧١ - ٥٧٢ الحديث رقم ٤٧٥١

وراجع صحيح بخاري مجلد ٦ صفحة ٤٨ باب جمع القرآن. ولما تولى عثمان أرسل إليها

لتدفعه - القرآن المجموع - فأبت حتى عاهاها عثمان ليردنه إليها، فبعثت حفصة بصحائف القرآن، فنسخها عثمان هذه المصاحف ثم ردها، فلم تزل عندها حتى

توفيت، ولما رجعوا من دفنها أرسل مروان بن الحكم إلى عبد الله بن عمر ليرسل إليه بصحف القرآن التي كانت بحوزة أخته حفصة بنت عمر، فاستجاب عبد الله بن عمر وأرسل تلك الصحف، عندئذ أمر بها مروان فشقت حتى لا يرتاب الناس في مصحف عثمان. راجع كنز العمال مجلد ٢ صفحة ٥٧٢ - ٥٧٤ الحديث ٤٧٥١، وصحيح بخاري

مجلد ٦ صفحة ٤٨ باب جمع القرآن. وقد ربطنا هذه الرواية بالرواية السابقة لتشكيل الروايتان وجهة نظر رسمية متكاملة.

٥ - أبطال جمع القرآن الكريم وفرسانه

لقد تقاسم الخلفاء الثلاثة: الصديق، والفاروق وذو النورين مفخرة وشرف جمع القرآن الكريم، ولولاهم لضاع القرآن، بعد أن تركه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دون جمع، بحسب رأي أنصار هذه النظرية.

تعطي الروايات دور الفروسية لمجموعة من الصحابة الكرام، تفضلوا مشكورين ومأجورين بمساعدة الخلفاء الثلاثة على جمع القرآن الكريم، وهم حصراً: زيد بن ثابت الذي تكلف عناء جمعه من العسب والخفاف وصدور الرجال، وكم بحث عن أواخر سورة التوبة فوجدها مع أبي خزيمة الأنصاري، راجع كنز العمال مجلد ٢ صفحة

٥٧٢ - ٥٧٤ الحديث ٤٧٥١، وصحيح بخاري مجلد ٦ صفحة ٤٨ باب جمع القرآن.

وحذيفة بن اليمان الذي أشار على عثمان بأن يدرك الأمة، فنسخ عثمان المصاحف، راجع كنز العمال مجلد ٢ صفحة ٨١ الحديث ٤٧٧٥، ونقله عن البخاري مجلد ٦ صفحة

٢٢٦ باب جمع القرآن، وجامع الأصول مجلد ٢ صفحة ٥٠٢، والترمذي كتاب التفسير

رقم ٢١٠٢، وعن ابن حبان.

وسعيد بن العاص فهو أعرب الناس، تعاون مع أكتب الناس زيد بن ثابت ابن الأنباري في المصاحف، الحديث رقم ٤٧٦٧. ومالك بن أنس قال: كنت فيمن أملي عليهم فربما اختلفوا في الآية الحديث ٤٧٧٦ مجلد ٢ من الكنز نقله الخطيب في المتفق،

وعن ابن أبي داود والأنباري: وأبي بن كعب كان يملي وزيد بن ثابت يكتب وسعيد بن العاص يعرب. الحديث ٤٧٨٩ مجلد ٢ صفحة ٥٨٧ نقله عن ابن سعد. وأبو هريرة بارك الجمع، وروى لذي النورين حديثا عن رسول الله يبارك طريقة عثمان، فأعجب عثمان بالحديث، وأمر لأبي هريرة بعشرة آلاف درهم، وقال له: والله ما علمت أنك لتحبس علينا حديث نبينا. الحديث رقم ٤٧٩٦.

ومروان بن الحكم له دور! فقد استحضر الصحف الموجودة عند حفصة بعد موتها، وأمر بحرق هذه الصحف، حتى لا يرتاب الناس في القرآن العثماني الموجود بين أيدي الناس كما أسلفنا.

٦ - وسيلة الأبطال والفرسان لإثبات القرآن

١ - لما كلف زيد بن ثابت بجمع القرآن الكريم قال: فتتبع القرآن أجمعه من الرقاع،

واللخاف، والأكتاف، والعسب، وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة بن ثابت الأنصاري، ولم أجدها مع غيره. راجع كنز العمال مجلد ٢ صفحة ٥٧١ - ٥٧٢ حديث ٤٧٥١، وقد نقلها عن ابن سعد، وأحمد في مسنده وعن الترمذي في صحيحه، والنسائي في سننه، وابن حبان في صحيحه وعن البخاري في صحيحه، وعن مسلم في صحيحه.

٢ - خاف الصديق أن يضيع القرآن، فقال للفراروق عمر بن الخطاب، ولزيد بن ثابت: أقعدا علي باب المسجد، فمن جاء كما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه، مجلد ٢ صفحة ٥٧٢ من الكنز حديث ٤٧٥٤ ونقله عن ابن أبي داود في المصاحف.

وروي مثل هذه الرواية أيضا عن ابن سعد، وعن الحاكم، وهي مثبتة بالحديث رقم ٤٧٥٦

٣ - قام عمر بن الخطاب في الناس خطيبا فقال: من كان تلقى من رسول الله شيئا من القرآن فليأتنا به... وكان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد عليه شاهدان، مجلد ٢ صفحة ٥٧٥ الحديث ٤٧٥٩

٤ - خطب عثمان فقال: من كان عنده من كتاب الله شئ فليأتنا به، وكان لا يقبل من ذلك شيئاً حتى يشهد عليه شاهدان، فجاء خزيمة ومعه آيتان، فشهد معه عثمان. مجلد ٢ صفحة ٥٧٥ الحديث ٤٧٥٩

٥ - أرسل أبو بكر منادياً، فنأدى في الناس: من كان عنده شئ من القرآن فليجيء به... إلخ. كنز العمال مجلد ٢ صفحة ٥٧٦ الحديث ٤٧٦٤

٦ - قال خزيمة: جئت بأية (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) فقال زيد: من يشهد معك

بها؟ قلت: لا والله ما أدري، فقال عمر: أنا أشهد معه على ذلك. مجلد ٢ صفحة ٥٧٦ الحديث ٤٧٦٢ ومجلد ٢ صفحة ٥٧٨ الحديث ٤٧٦٦

٧ - كان عمر لا يقبل آية من كتاب الله حتى يشهد عليها شاهدان، فجاء رجل من الأنصار بآيتين، فقال عمر: لا أسألك عليها شاهداً غيرك... إلخ.

٧ - مسك الختام، وتسمية القرآن

ولما تم لهذا الفريق ما أراد وجمع القرآن بهذه الكيفية، لم يبق عليهم إلا التسمية فاحتاروا! فقد روى الزركشي والسيوطي وغيرهما وقالوا (لما جمع أبو بكر القرآن قال سموه، قال بعضهم سموه إنجيلاً، فكرهوه، وقال بعضهم: سموه السفر فكرهوه من يهود،

فقال ابن مسعود: رأيت للحبشة كتاباً يدعونه المصحف فسموه). راجع الإتيان للسيوطي صفحة ٦٣ ومعالم المدرستين للعلامة السيد مرتضى العسكري مجلد ٢ صفحة ١٤ - ١٥

وهكذا جمع القرآن، واختصوا بفضله جمعه من البداية إلى النهاية، ولولا هم لذهب القرآن، ولضاع تماماً، ولما قامت للدين قائمة.

ولما أنجزوا هذا العمل لم يبق عليهم إلا التسمية وإعمالاً لمبدأ الشورى اقترح البعض أن يسموا هذا المجموع إنجيلاً، واقترح البعض الآخر أن يسمونه (سفراً) وسموه مصحفاً لأن للحبشة كتاباً يدعونه بالمصحف.. ووضع هذا الإنجاز بين يدي

المسلمين!!

٨ - علي لا مع الأبطال ولا مع الفرسان ولا مع الشهود
لقد اطلعت على كل الروايات التي يرددها أهل السنة في مجال جمع القرآن الكريم،
وعرفنا أبطال هذه المفخرة الجليلة وفرسانها، وعجبت من أنه ليس بين هؤلاء الأبطال
والفرسان رجل واحد من آل محمد، ولا حتى علي (عليه السلام) الذي أعلن على
رؤوس الأشهاد

قائلاً (سلوني عن كتاب الله، فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار وفي
سهل أم جبل) أخرج بن سعد، راجع تاريخ الخلفاء صفحة ١٨٥. وهو الهادي بنص
الشرع، وهو ولي المؤمنين بنص الشرع، وهو الصديق الأكبر بنص الشرع، والفاروق
الأعظم بنص الشرع، وهو مولى أبي بكر وعمر ومولى كل مؤمن ومؤمنة بنص الشرع،
ومن ليس بمولاه فليس بمؤمن بنص الشرع، وهو باب مدينة العلم والحكمة اللدنية
بنص الشرع، ومنزلته من النبي كمنزلة هارون من موسى بنص الشرع وبإقرار معاوية بن
أبي سفيان، وهو زوج البتول، ووالد السبطين، وهو فارس الإسلام الأول، حبه إيمان
وبغضه نفاق بنص الشرع. راجع كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في
الإسلام، فقد أقيمت الحجة القاطعة. إلخ.

فإن قالوا: نسوا آل الكرام، فالصلاة على النبي وآله جزء من الصلاة المفروضة
على العباد، وآل هم الثقل الأصغر والقرآن هو الثقل الأكبر بالنص الشرعي، فإذا
نسوا آل الكرام فكيف ينسى علي (عليه السلام)؟ وهو عميد أهل البيت وعميد قريش
كلها!!!

وإنا لله وإنا إليه راجعون، حسبنا الله ونعم الوكيل.
وكم من مرة قال الإمام علي (اللهم إني أستعينك على قريش ومن أعانهم، فقد
قطعوا رحمي، وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي أمرا هو لي...) أو كما
قال أبو رية في كتابه الرائع أضواء على السنة المحمدية: لك الله يا علي!!
* *

الفصل الرابع

نقد النظرية الرسمية في جمع القرآن

١ - نقد نظرية عدم جمع القرآن في عهد النبي

أهل البيت الكرام وشيعتهم ينزهون النبي الأعظم عن ترك الأمة دون راع، كما أنهم ينزهونه عن ترك القرآن الكريم دون جمع، وكيف لا يجمعه وهو معجزته، وقانون دولته، والدليل على صحة نبوته، وكيف يصح الركون عقلا لنظرية السلطة وشيعتها في موضوع جمع القرآن!!!

في كتاب الفريد البيان في تفسير القرآن وعلى الصفحات من ٢٣٩ - ٢٥٩ عالج الإمام الخوئي موضوع جمع القرآن الكريم، فنقل روايات أهل السنة ووضع تحت تصرف عاشقي الحقيقة النص الحرفي لهذه الروايات، ثم أثبت أنها متناقضة تماما من حيث الوجوه التالية:

متى جمع القرآن؟ ظاهر الرواية الأولى أن الجمع كان في زمن عثمان، وصريح الروايات الأولى والثالثة والرابعة، وظاهر البعض الآخر أنه كان في زمن أبي بكر، وصريح الروايتين السابعة والثانية عشر أنه كان في زمن عمر. من الذي تصدى لجمع القرآن حسب هذه الروايات؟ تقول الروايات الأولى والثانية والعشرون أن المتصدي زيد بن ثابت، وتقول الرواية الرابعة أنه أبو بكر نفسه، وإنما طلب من زيد أن ينظر، وتقول الرواية الخامسة أن المتصدي هما زيد وعمر.

من الذي فوض بجمع القرآن حسب هذه الروايات؟ تفيد الرواية الأولى أن أبا بكر فوض ذلك إلى زيد، وتقول الرواية الخامسة وغيرها أن الكتابة إنما كانت بشهادة شاهدين، حتى أن عمر جاء بآية الرجم فلم تقبل منه. هل بقي من الآيات ما لم يدون إلى زمن عثمان؟ ظاهر كثير من الروايات بل صريحها أن عثمان لم ينقص مما كان مدونا قبله، وصريح الرواية الرابعة عشر أنه محاه مما دون قبله، فأمر المسلمين بمحو ما محاه. من الذي طلب جمع القرآن؟ تقول الرواية الأولى أن الذي طلب من أبي بكر جمع القرآن هو عمر، وأن أبا بكر أجابه بعد الامتناع، فأرسل إلى زيد وطلب منه ذلك، فأجابه بعد الامتناع. وتقول الرواية العاشرة أن زيدا وعمر طلبا ذلك من أبي بكر، فأجابهما بعد مشاورة المسلمين. من الذي جمع المصحف الإمام وأرسل منه نسخا إلى الأمصار؟ تقول الرواية الثانية إنه كان عثمان، وصريح الرواية الثانية عشرة أنه كان عمر! متى ألحقت الآيات بآخر سورة براءة؟ صريح الروايات الأولى والحادي عشر والثانية والعشرين أن إلحاقهما كان في زمن أبي بكر، وصريح الرواية الثامنة وغيرها أنه كان في عهد عمر. من أتى بهاتين الآيتين؟ صريح الروايتين الأولى، والثانية والعشرين أنه كان أبو خزيمة، وصريح الروايتين الثامنة والحادية عشرة أنه القرطبي. بما ثبت أنهما من القرآن؟ بشهادة الواحد على ما هو ظاهر الرواية الأولى وصريح الروايتين التاسعة والثانية والعشرين، وبشهادة عثمان معه على ما هو صريح الرواية الثامنة، وبشهادة عمر على ما هو صريح الرواية الحادية عشر. من عينه عثمان لكتابة القرآن وإملائه؟ صريح الرواية الثانية أن عثمان عين للكتابة زيدا وابن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن. وصريح الرواية الخامسة عشرة أنه عين ثقيفا للكتابة، وهذيانا للإملاء، وصريح الرواية الثامنة عشرة أن

الكاتب لم يكن من ثقيف، وأن المملي لم يكن من هذيل، وصريح الرواية التاسعة عشرة أن المملي كان أبي بن كعب، وأن سعيدا كان يعرب ما كتبه زيد، وهذا أيضا صريح الرواية العشرين بزيادة عبد الرحمن بن الحرث للإعراب.

تعارض روايات الجمع فيما بينها: أن هذه الروايات معارضة بما دل على أن القرآن كان قد جمع وكتب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد روى جماعة منهم ابن أبي شيبه،

وأحمد بن حنبل، والترمذي، والنسائي، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي، والضياء المقدسي، عن ابن عباس قال: قلت لعثمان بن عفان ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المثاني ففرقتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) ووضعتموهما في السبع الطوال، ما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان: إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يأتي عليه الزمان ينزل عليه السورة ذات العدد، وكان

إذا نزل عليه الشئ يدعو بعض من يكتب عنده فيقول: ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وتنزل عليه الآيات فيقول: ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أول ما نزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولا، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، وقبض رسول الله ولم يبين لنا أنها

منها، فمن أجل ذلك فرقت بينهما ولم أكتب سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) ووضعتها في السبع

الطوال. وقد نقل الخوئي هذه الرواية عن منتخب الكنز العمال مجلد ٢ صفحة ٤٨. وروى الطبراني، وابن عساكر عن الشعبي قال (جمع القرآن على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ستة

من الأنصار: أبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وأبو الدرداء، وسعد بن عبيد، وأبو زيد، وكان مجمع بن جارية قد أخذه إلا سورتين أو ثلاثة - منتخب الكنز مجلد ٢ صفحة ٥٢

وروى قتادة قال: سألت أنس بن مالك: من جمع القرآن على عهد النبي؟ قال: أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت وأبو زيد - صحيح البخاري باب القراء من أصحاب النبي مجلد ٦ صفحة ٢٠٢

وروى مسروق (ذكر عبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود فقال: لا أزال أحبه، سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم،

ومعاذ، وأبي بن كعب - المرجع السابق.

وأخرج النسائي بسند صحيح عن عبد الله بن عمر قال (جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة، فبلغ النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: إقرأه في شهر - الإتيان، النوع ٢٠ مجلد ١ صفحة ١٢٤.

ويضيف الإمام الخوئي قائلاً: ولعل قائلاً يقول: أن المراد من الجمع في هذه الروايات هو الجمع في الصدور لا التدوين، ولا يخفى أن هذا القول دعوى لا شاهد عليها، أضف إلى ذلك أنك ستعرف أن حفاظ القرآن الكريم على عهده (صلى الله عليه وآله وسلم) أكثر من

أن تحصى أسماؤهم، فكيف يمكن حصرهم في أربعة أو ستة؟ وأن المتصفح لأحوال الصحابة وأحوال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يحصل له اليقين بأن القرآن كان مجموعاً على عهد رسول

الله، وأن عدد الجامعين له لا يستهان به.

وأما ما روى البخاري بإسناده عن أنس قال: مات النبي (صلى الله عليه وسلم) ولم يجمع القرآن غير

أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، فمطروح لأنه معارض للروايات المتقدمة، حتى لما رواه البخاري بنفسه، ويضاف إلى ذلك أنه غير قابل للتصديق، وكيف يمكن أن يحيط الراوي بجميع أفراد المسلمين حين وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، على كثرتهم، وتفرقهم في البلاد، ويستعلم أحوالهم ليمكنه أن يحصر

الجامعين للقرآن في أربعة؟ وهذه الدعوى تخرس بغير علم.

وصفوة القول: أنه مع هذه الروايات كيف يمكن أن يصدق أن أبا بكر كان أول من جمع القرآن بعد خلافته؟ وإذا سلمنا بذلك فلماذا أمر زيداً وعمر بجمعه من اللخاف، والعسب، وصدور الرجال، ولم يأخذه من عبد الله ومعاذ وابن أبي، وقد كانوا عند الجمع أحياء، وقد أمروا بأخذ القرآن منهم ومن سالم؟ نعم إن سالماً قد قتل في حرب اليمامة فلم يمكن الأخذ منه، على أن زيداً نفسه كان أحد الجامعين للقرآن على ما يظهر من هذه الرواية، فلا حاجة إلى التفحص والسؤال من غيره، بعد أن كان شاباً عاقلاً غير متهم، كما يقول أبو بكر.

أضف إلى ذلك أن أخبار الثقلين المتضافرة تدلنا على أن القرآن كان مجموعا على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) على ما سنشير إليه.

تعارض روايات الجمع مع الكتاب: إن هذه الروايات معارضة بالكتاب، فإن كثيرا من آيات الكتاب الكريمة دالة على أن سور القرآن كانت متميزة في الخارج بعضها عن بعض، وأن السور كانت منتشرة بين الناس، حتى المشركين وأهل الكتاب، فإن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد تحدى الكفار والمشركين على الإتيان بمثل القرآن، وبعشر سور من

مثله مفتریات، وبسورة من مثله، ومعنى هذا أن سور القرآن كانت في متناول أيديهم. وقد أطلق لفظ الكتاب على القرآن في كثير من الآيات، وفي قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (إني

تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي) وفي هذا دلالة صريحة على أنه كان مكتوبا مجموعا

لأنه لا يصح إطلاق الكتاب عليه وهو في الصدور، بل ولا على ما كتب في اللخاف والعسب، والأكتاف، إلا على نحو المجاز والعناية، والمجاز لا يحمل اللفظ عليه من غير

قرينة، فإن لفظ الكتاب ظاهر في ما كان له وجود واحد جمعي، ولا يطلق على المكتوب

إذا كان مجزءا غير مجتمع، فضلا عما إذا لم يكتب وإنما كان محفوظا في الصدور فقط.

مخالفة أحاديث الجمع مع حكم العقل: إن هذه الروايات مخالفة لحكم العقل، فإن عظمة القرآن في نفسه، واهتمام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لحفظه وقراءته، واهتمام المسلمين بما

يهتم به النبي (صلى الله عليه وآله)، وما يستوجب ذلك من الثواب، كل ذلك ينافي جمع القرآن على

النحو المذكور في تلك الروايات، فإن في القرآن جهات عديدة كل واحدة منها تكفي لأن

يكون القرآن موضعا لعناية المسلمين وسببا لاشتهاره حتى بين الأطفال والنساء منهم، فضلا عن الرجال، وهذه الجهات هي:

١ - بلاغة القرآن: فقد كانت العرب تهتم بحفظ الكلام البليغ، ولذلك فهم يحفظون أشعار الجاهلية وخطبها، فكيف بالقرآن الذي تحدى ببلاغته كل بليغ، وأخرس بفصاحته كل خطيب لسن، وقد كانت العرب بأجمعهم متوجهين إليه سواء في ذلك مؤمنهم وكافرهم، فالمؤمن يحفظه لإيمانه، والكافر يتحفظ به لأنه يتمنى معارضته وإبطال حجته.



(۳۹)

٢ - إظهار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) رغبته بحفظ القرآن، والاحتفاظ به، وكانت السيطرة والسلطة

له خاصة، والعادة تقضي بأن الزعيم إذا أظهر رغبته بحفظ كتاب أو بقراءته، فإن ذلك الكتاب يكون رائجا بين جميع الرعية الذين يطلبون رضاه لدين أو دنيا.

٣ - إن حفظ القرآن سبب لارتفاع شأن الحافظ بين الناس وتعظيمه عندهم، فقد علم كل مطلع على التاريخ ما للقراء والحفاظ من المنزلة الكبيرة، والمقام الرفيع بين الناس، وهذا أقوى سبب لاهتمام الناس بحفظ القرآن جملة، أو بحفظ القدر الميسور منه.

٤ - الأجر والثواب الذي يستحقه القارئ والحافظ بقراءة القرآن وحفظه.

هذه أهم العوامل التي تبعث على حفظ القرآن والاحتفاظ به، وقد كان المسلمون يهتمون بشأن القرآن، ويحتفظون به أكثر من اهتمامهم بأنفسهم وبما يهمهم من مال وأولاد. وقد ورد أن بعض النساء جمعت القرآن كله، أخرج بن سعد في الطبقات: أنبأنا الفضل بن دكين، حدثنا الوليد بن عبد الله بن جميع قال: حدثني جدي عن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يزورها ويسميها الشهيدة،

وكانت قد جمعت القرآن - أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين غزا بدرًا قالت له: أتأذن لي

فأخرج معك، أداوي جرحاكم، وأمراض مرضاكم، لعل الله أن يهدي لي شهادة؟ قال: إن الله مهّد لك شهادة - الإتيان، النوع ٢٠ مجلد ١ صفحة ١٢٥.

وإذا كان هذا حال النساء فكيف يكون حال الرجال، وقد عد من حفاظ القرآن على عهد رسول الله جم غفير؟ قال القرطبي (قتل يوم اليمامة سبعون من القراء، وقتل في عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في بئر معونة مثل هذا العدد) الإتيان مجلد ٢٠ صفحة ١٢٢، وراجع

تفسير القرطبي مجلد ١ صفحة ٥٠، وقد تقدم في الرواية العاشرة أنه قتل من القراء يوم اليمامة ٤٠٠ رجلا، وقد كان للنبي كتاب عديدون، ولا سيما أن القرآن نزل نجوما في مدة ٢٣ سنة.

كل هذا يورث لنا القطع بأن النبي كان قد أمر بكتابة القرآن على عهده، روى زيد بن ثابت قال: كنا عند رسول الله نؤلف القرآن من الرقاع. (قال الحاكم: هذا حديث

صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وفيه الدليل الواضح على أن القرآن إنما جمع على عهد رسول الله) المستدرک للحاکم مجلد ٢ صفحة ٦١١، أما حفظ بعض سور القرآن، أو بعض السورة، فقد كان منتشرًا جدًا، وشد أن يخلو من ذلك رجل أو امرأة من المسلمين.

روى عبادة بن الصامت قال (وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يشغل، فإذا قدم رجل مهاجر

على رسول الله (صلى الله عليه وآله) دفعه إلى رجل منا يعلمه القرآن) مسند أحمد مجلد ٥ صفحة ٣٢٤

وروى كليب قال (كنت مع علي (عليه السلام) فسمع ضجتهم في المسجد يقرأون القرآن

فقال: طوبى لهؤلاء) كنز العمال مجلد ٢ صفحة ١٨٥ وعن عبادة بن الصامت قال (كان الرجل إذا هاجر دفعه النبي (صلى الله عليه وآله) إلى رجل منا

يعلمه القرآن، وكان يسمع من مسجد رسول الله ضجة بتلاوة القرآن حتى أمرهم رسول الله أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا) مناهل العرفان صفحة ٣٢٤.

نعم إن حفظ القرآن ولو بعضه كان رائجا بين الرجال والنساء من المسلمين، حتى أن المسلمة قد تجعل مهرها تعلم سورة من القرآن أو أكثر رواه الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي، التاج مجلد ٢ صفحة ٣٣٢

ومع هذا الاهتمام كله كيف يمكن أن يقال: إن جمع القرآن قد تأخر إلى زمن خلافة أبي بكر، وإن أبا بكر احتاج في جمع القرآن إلى شاهدين يشهدان أنهما سمعا ذلك من رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟

٢ - شجرة اجتثت ما لها من قرار
نكرر نحن أهل السنة بلا كلل ولا ملل، أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد انتقل إلى جوار ربه،

ولم يبين من هو الخليفة من بعده، ولا بين كيفية محددة لاختيار خليفته، ولا كيف ينتقل منصب الخليفة، ونتيجة عدم البيان هذا، ضاع الناس سياسيا، وأوشكت أن تحدث فتنة لولا أن قيض الله لهذه الأمة أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وسنا سنة ولاية

العهد، فاستقرت الأمور سياسياً، فأصبحت ولاية العهد هي الطريقة المتبعة لتنصيب الخليفة وإضفاء طابع المؤسسية على النظام السياسي الإسلامي. كذلك نكرر نحن أهل السنة بلا كلل ولا ملل بأن رسول الله أيضاً لم يجمع القرآن في كتاب واحد، بل تركه متفرقا مبعثراً في صدور الرجال، والأكتاف، والألواح المتفرقة بين المسلمين، وأدرك الصديق والفراروق رضي الله عنهما أنهما إن تركا القرآن الكريم دون جمع كما تركه رسول الله فإن الدين سيضيع تماماً وسيندرثر القرآن الكريم معجزة النبي، وقانون الدولة الإسلامية، لذلك نهذا لهذه المهمة التاريخية، وقاما بجمع القرآن! وسموه المصحف!

هذه النظرية هي في حقيقتها كشجرة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، وهي لا تثبت لا بحكم العقل، ولا بحكم الشرع، وهي في ميزان الحق والحقيقة لا تقدم

ولا تؤخر، وما هي إلا وسيلة من وسائل إبراز فضل الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم، وقد أغنى الله هؤلاء الخلفاء عن الفضل الذي سينسب إليهم على حساب القرآن الكريم، وعلى حساب النبي العظيم.

ومع أن هذه النظرية لا تستقيم بأي مقياس موضوعي، ولا تقدم ولا تؤخر إلا أنها وبسبب نسيجها الواهي فتحت على القرآن الكريم أبواب الشائعات، والشائعات لا تؤثر على الحقيقة، إلا أنها قد تلبيل أفكار العامة، وتفتح شبهة ظنون أعداء الإسلام، وتغذي ظنونهم المريضة عن الإسلام.

٣ - شائعات بنقص سور من القرآن الكريم

جاء في صحيح مسلم مجلد ٣ صفحة ١٠٠ باب لو كان لابن آدم واديين كتاب الزكاة - أن أبا موسى الأشعري بعث إلى قراء البصرة وكانوا ثلاثمائة رجل فقال من جملة

ما قال: وإن كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها غير أني حفظت

(لو كان لابن آدم واديان من مال لا بتغى ودايا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب).

وكننا نقرأ سورة فأنسيتهها غير أنني حفظت منها (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة). وجاء في الإتقان في علوم القرآن مجلد ٢ صفحة ٢٥، والدرر المنثور صفحة ١٠٥ عن أبي موسى الأشعري قوله إنها نزلت سورة شديدة نحو براءة في الشدة، ثم رفعت وحفظت منها (إن الله سيؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم) ونحوه في مجلد ٦ صفحة ٣٧٨ من الدر المنثور.

٤ - شائعات بنقص آية أو زيادة آية في القرآن الكريم وهذه الشائعات منتشرة في كتب حديث أهل السنة كلها، ولا تجد صحيحاً من صحاح أهل السنة يخلو منها، وكلها تذهب إلى الزعم بوجود نقص في القرآن، أو زيادة في القرآن الكريم، ولم نر حاجة لإيراد هذه النصوص والأحاديث، لأنها برأينا بنيت على افتراض أن رسول الله انتقل إلى جوار ربه ولم يجمع القرآن ولم يكتبه، فجاء الخلفاء فجمعوا هذا القرآن، فجاءت تلك الأحاديث ثمرة طبيعية من ثمرات هذه المقولة التي تسند جمع القرآن للخلفاء الثلاثة، وحتى لا يتصور متصور أننا نتقول القول نقولاً عليهم فسنذكر بعض كتب الحديث التي وثقت هذه الشائعات.

كتب الحديث وثقت شائعات علماء الدولة: صحيح بخاري مجلد ٤ صفحة ١٢٠ باب رجم الحبلى من كتاب الحدود، وصحيح مسلم مجلد ٥ صفحة ١١٦، وسنن أبي داود مجلد ٢ صفحة ٢٢٩ في الرجم من كتاب الحدود، والترمذي مجلد ٦ صفحة ٢٠٤

باب ما جاء في تحقيق الرجم من كتاب الحدود، وسنن ابن ماجة الحديث ٢٥٥٣، والدارمي مجلد ٢ صفحة ١٧٩ كتاب الحدود، والموطأ مجلد ٣ صفحة ٤٢ كتاب الحدود

وصحيح مسلم مجلد ٤ صفحة ١٦٧ كتاب الرضاع، وأبو داود مجلد ١ صفحة ٢٧٩،

والنسائي مجلد ٢ صفحة ٨٢ كتاب النكاح، وابن ماجة مجلد ١ صفحة ٦٢٦ كتاب النكاح الحديث ١٩٤٤، وموطأ مالك مجلد ٢ صفحة ١١٨ كتاب الرضاع، والدارمي مجلد ١ صفحة ١٥٧ كتاب النكاح، وصحيح مسلم مجلد ٣ صفحة ١٠٠ كتاب الزكاة،

الإتقان في علوم القرآن مجلد ٣ صفحة ٢٥، وروح المعاني للآلوسي مجلد ١ صفحة ٢٥،

والدر المنثور مجلد ٢ صفحة ٢٩٨ ومجلد ١ صفحة ١٠٦، وكنز العمال مجلد ٢ صفحة

٥٦٨، ومسند الإمام أحمد مجلد ٢ صفحة ٤٢، والمصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي

شيبه مجلد ٢ صفحة ٥٠٤... إلخ.

ولو أردنا أن نتبع الأحاديث التي تقول بزيادة في القرآن أو نقص فيه، لما اتسع لتلك الأحاديث هذا المجلد، ويمكن لمن أراد أن يقف على موجزها أن يقرأ كتاب آراء علماء المسلمين للسيد مرتضى الرضوي من ١٨٥ - ٢٤٨، وقد أعرضنا عن ذكر هذه الأحاديث لعدم إنتاجيتها، ولأنها مبنية على فرض أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ترك القرآن

وهو معجزته الكبرى دون جمع، مما اضطر الخلفاء لتلاشي ما تركه الرسول، وهذا غير وارد بكل المقاييس العقلية والشرعية.

لقد رأينا كيف ترنحت نظرية السنة وتداعت واعتراها الخور وانهارت أمام هذا التحليل الرائع العلمي والعقلي لأحد مراجع الشيعة وسليل شجرة النبوة المباركة السيد أبو القاسم الخوئي، وتوجب علينا بعد ذلك وحتما مقضيا أن نبسط الخطوط العريضة لنظرية المعارضة أو شيعة أهل البيت الكرام في موضوع جمع القرآن الكريم.

* *

الفصل الخامس

نظرية أهل البيت وشيعتهم في جمع القرآن

١ - تمسك الإمامية بالقرآن

إن الإمامية أشد تمسكا بالقرآن الكريم، ومحافظة عليه وتعظيما له، ومنه يستقون عقيدتهم وأحكامهم، وبه يدفعون شبهات المبطلين، وأقوال المتحذلقين، فهو عندهم المعجزة الكبرى، والمقياس الصحيح للحق والهداية، فقد رووا أن أئمتهم أمرهم أن يعرضوا ما ينقل عنهم على القرآن، فإن خالفه فهو كذب وافتراء، وزخرف وباطل، يجب ضربه في عرض الجدار. آراء علماء المسلمين للسيد مرتضى الرضوي صفحة ١٥٠،

وراجع الشيعة في الميزان صفحة ٣١٤

قال تعالى (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) المصدر السابق صفحة ١٥٠

وعلماء الشيعة الإمامية يستدلون بهذه الآيات لنفي الزيادة والنقصان. المصدر السابق صفحة ١٥٠

٢ - عقيدة جمع القرآن الكريم على عهد النبي
قال الإمام شرف الدين العاملي (وكان القرآن مجموعاً أيام النبي (صلى الله عليه وآله)
على ما هو

عليه الآن من الترتيب والتنسيق، في آياته وسوره وسائر كلماته وحروفه بلا زيادة ولا
نقصان، ولا تقديم ولا تأخير، ولا تبديل ولا تغيير، إن القرآن كان عند الشيعة
مجموعاً على عهد النبي والوحي، مؤتلفاً على ما هو عليه الآن، وقد كان القرآن زمن
النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يطلق عليه الكتاب قال تعالى (ذلك الكتاب لا ريب
فيه هدى للمتقين) وهذا

يشعر بأنه كان مجموعاً ومكتوباً، فإن ألفاظ القرآن إذا كانت محفوظة ولم تكن
مكتوبة

لا تسمى كتاباً، وإنما تسمى بذلك بعد الكتابة كما لا يخفى...
ورأي المحققين من علماء الشيعة هو أن القرآن العظيم إنما هو ما بين الدفتين
الموجود في أيدي الناس، والباحثون من أهل السنة يعلمون ذلك، والمنصفون منهم
يصرحون به. والمعروف عدم وقوع التحريف في القرآن، وأن الموجود بين أيدينا هو
جميع القرآن المنزل على النبي الأعظم، وقد صرح بذلك كثير من الأعلام منهم: العالم
الشيخ محمد جواد البلاغي في مقدمة تفسيره آلاء الرحمن، والشيخ المفيد، والشيخ
البهائي... والمشهور بين علماء الشيعة الإمامية ومحققيه، بل المتسالم عليه بينهم هو
القول بعدم التحريف (ولا يوجد في القرآن الكريم زيادة ولا نقصان). آراء علماء
المسلمين صفحة ١٥١ - ١٥٢ للسيد مرتضى العسكري صفحة ١٥٧ - ١٥٨
قال الشيخ الصدوق في كتابه (الإعتقاد) اعتقادنا أن القرآن الذي أنزله الله على نبيه
محمد (صلى الله عليه وآله) هو ما بين الدفتين وهو ما في أيدي الناس، ليس بأكثر من
ذلك، ومبلغ

سوره مائة وأربع عشرة سورة. وعندنا أن الضحى وألم نشرح لك صدرك سورة
واحدة، وإيلاف قريش وألم تر كيف سورة واحدة، ومن نسب إلينا أننا نقول أكثر
من ذلك فهو كاذب. كتاب الإعتقاد صفحة ٦٣ طبع طهران.
وقال الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان (أقول بسلامة القرآن الكريم). أوائل
المقالات في المذاهب المختارات صفحة ٩٥ طبع طهران.

وقال الشريف المرتضى (إن القرآن الكريم على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) مجموعا مؤلفا

على ما هو عليه الآن، فإن القرآن كان يحفظ ويدرس جميعه في ذلك الزمان، حتى عيب على جماعة من الصحابة في حفظهم له، وأنه كان يعرض على النبي (صلى الله عليه وآله)، وإن

جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي (صلى الله عليه وآله) عدة ختمات، وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنه كان مجموعا مرتبا غير

منثور ولا مبثوث. راجع آراء علماء المسلمين صفحة ١٦١ - ١٦٢، وقد نقله عن بحر الفوائد في شرح الفرائد صفحة ٩٩ طبع طهران.

وقال الشيخ الطوسي (اعلم أن القرآن معجزة عظيمة على صدق النبي (عليه السلام) بل هو

أكبر المعجزات وأشهرها... إلى أن قال: وأما الكلام في زيادته ونقصانه فمما لا يليق به أيضا، لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها، والنقصان فيه فالظاهر أيضا من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح... وإذا كان الموجود بيننا مجمعا على صحته ينبغي أن نتشغل بتفسيره وبيان معانيه وترك ما سواه. تفسير التبيان مجلد ١ صفحة ٣ إلى أن قال: والعلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار، والوقائع العظام، والكتب المشهورة، وأشعار العرب المسطورة، فإن العناية اشتدت، والدواعي توفرت على نقله وحراسته، وبلغت إلى حد لم يبلغه فيما ذكرناه، لأن القرآن معجزة النبوة، ومأخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية، وقد عرفوا كل شيء اختلف فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغيرا أو منقوصا مع العناية الصادقة والضبط الشديد؟ إلخ. مجمع البيان مجلد ١ صفحة ١٥ و صفحة ١٦٥ من آراء علماء المسلمين.

وقال الفيض الكاشاني (قال تعالى: وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وقال إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) فكيف يتطرق إليه التحريف والتغيير؟

وقال الشيخ العلامة جعفر الجناحي النجفي: لا زيادة فيه من سورة ولا آية من بسملة وغيرها، ولا كلمة ولا حرف، وجميع ما في الدفتين مما يتلى كلام الله تعالى

بالضرورة من المذهب، بل الدين، وإجماع المسلمين، وأخبار النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة الطاهرين (عليهم السلام).. وقال: ولا ريب في أنه محفوظ من النقصان بحفظ الملك الديان، كما

دل عليه صريح القرآن، وإجماع العلماء في جميع الأزمان، ولا عبرة بالنادر. وقال الشيخ آل كاشف الغطاء (وإن الكتاب الموجود في أيدي المسلمين هو الكتاب الذي أنزله الله للإعجاز والتحدي وتمييز الحلال من الحرام، وأنه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة، وعلى هذا إجماعهم). أصل الشيعة وأصولها صفحة ١٣٣ و صفحة ١٧٢ من آراء علماء المسلمين.

وقال السيد الشريف شرف الدين (والقرآن الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) إنما هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس لا يزيد حرفا ولا ينقص حرفا، ولا تبديل فيه لكلمة بكلمة ولا لحرف بحرف، وكل حرف من حروفه متواتر في كل جيل تواترا قطعيا إلى عهد الوحي والنبوة، وقد كان مجموعا على ذلك العهد الأقدس مؤلفا على ما هو عليه الآن، وكان جبريل (عليه السلام) يعرض على رسول الله (صلى الله عليه وآله)

بالقرآن في كل عام، وقد عارضه به عام وفاته مرتين والصحابة كانوا يعرضونه ويتلونه على النبي (صلى الله عليه وآله) حتى ختموه عليه مرارا عديدة، وهذا كله من الأمور المعلومة

الضرورية لدى المحققين من علماء الإمامية. الفصول المهمة في تأليف الأمة صفحة ١٦٢

وصفحة ١٦٩ من آراء علماء المسلمين.

وروى روح بن عبد الرحيم، عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) قال: سألته عن شراء

المصاحف وبيعها فقال: إنما كان يوضع الورق عند المنبر وكان ما بين المنبر والحائط قدر ما تمر الشاة أو رجل منحرف قال: فكان الرجل يأتي ويكتب من ذلك، ثم إنهم اشتروا قلت: فما ترى إن أعطي على كتابته أجرا؟ قال: لا بأس ولكن هكذا كانوا يصنعون.

وروى سليم بن قيس الهلالي، قال: قلت لأمير المؤمنين (عليه السلام): إني سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذر شيئا من تفسير القرآن وأحاديث عن نبي الله (صلى الله عليه وآله) غير ما في

أيدي الناس، ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنتم تخالفونهم فيها، وتزعمون أن



(٤٨)

ذلك كله باطل، أفترى الناس يكذبون على رسول الله (صلى الله عليه وآله) متعمدين، ويفسرون

القرآن بأرائهم؟ قال: فأقبل علي فقال: قد سألت فافهم الجواب، إن في أيدي الناس حقا

وباطلا، وصدقا وكذبا، وناسخا ومنسوخا، وعاما وخاصا، ومحكما ومتشابها، وحفظا ووهما، وقد كذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله) على عهده حتى قام خطيبا فقال: أيها الناس قد

كثرت علي الكذابة فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار، ثم كذب عليه من بعده، وإنما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس: رجل منافق يظهر الإيمان، متصنع

بالإسلام لا يتأثم ولا يتحرج أن يكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله) متعمدا، فلو علم الناس أنه

منافق كذاب، لم يقبلوا منه ولم يصدقوه، ولكنهم قالوا هذا قد صحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ورآه

وسمع منه فأخذوا عنه وهم لا يعرفون حاله، وقد أخبره الله عن المنافقين بما أخبره ووصفهم بما وصفهم فقال عز وجل (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم

ثم بقوا بعده فتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاة إلى النار بالزور والكذب والبهتان فولوهم الأعمال وحملوهم على رقاب الناس، وأكلوا بهم الدنيا، وإنما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله، فهذا أحد الأربعة.

ورجل سمع من رسول الله شيئا لم يحمله على وجهه ووهم فيه، ولم يتعمد كذبا فهو في يده، يقول به ويعمل به ويرويه فيقول: أنا سمعته من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلو علم

المسلمون أنه وهم لم يقبلوه، ولو علم هو أنه وهم لرفضه.

ورجل ثالث سمع من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، شيئا أمر به ثم نهى عنه هو لا يعلم، أو سمعه

ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم، فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ، ولو علم أنه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه.

وآخر الرابع لم يكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، مبغض للكذب خوفا من الله وتعظيما

لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، لم ينسه، بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به كما سمع، لم يزد فيه ولم

ينقص منه، وعلم الناسخ من المنسوخ، فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ فإن أمر

النبي (صلى الله عليه وآله) مثل القرآن ناسخ ومنسوخ (وخاص وعام) ومحكم
ومتشابه، قد كان يكون
من رسول الله (صلى الله عليه وآله) الكلام له وجهان: كلام عام، وكلام خاص، مثل
القرآن وقال الله

عز وجل في كتابه: ما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا فيشتبه على من لم يعرف ولم يدر ما عنى الله به ورسوله (صلى الله عليه وآله)، وليس كل أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان

يسأله عن الشيء فيفهم، وكان منهم من يسأله ولا يستفهمه، حتى أن كانوا ليحبون أن يجئ الأعرابي والطارى فيسأل رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى يسمعوا. وقد كنت أدخل على رسول

الله (صلى الله عليه وآله) كل يوم دخلة وكل ليلة دخلة فيدخلني فيها أدور معه حيث دار، وقد علم

أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري، فربما كان في بيتي يأتيني

رسول الله (صلى الله عليه وآله) أكثر ذلك في بيتي، وكنت إذا دخلت عليه بعض منازل أخلاقي وأقام عني

نسائه، فلا يبقى عنده غيري، وإذا أتاني للخلوة معي في منزلي لم تقم عني فاطمة ولا أحد

من بني، وكنت إذا سأله أجابني، وإذا سكت عنه وفيت مسألتي ابتدأني، فما نزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) آية من القرآن إلا قرأنيها وأملاها علي فكتبتها بخطي وعلمني تأويلها

وتفسيرها وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها، ودعا الله أن يعطيني فهمها، وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علما أملاه علي وكتبته، منذ دعا الله لي بما دعا، وما ترك شيئاً علمه الله من حلال وحرام، ولا أمر ولا نهى كان أو يكون ولا كتاب منزل على أحد قبله من طاعة أو معصية إلا علمني وحفظته، فلم أنس حرفاً واحداً، ثم وضع يده على صدري ودعا الله لي أن يملأ قلبي علماً وفهماً وحكماً ونوراً، فقلت: يا نبي الله بأبي أنت وأمي منذ دعوت الله لي بما دعوت لم أنس شيئاً ولم يفتني شيء لم أكتبه أفنتخوف على النسيان فيما بعد؟ فقال: لا لست أتخوف عليك النسيان والجهل.

٣ - تهمة الرد عليها

قال الإمام شرف الدين العاملي: نسب إلى الشيعة القول بتحريف القرآن بإسقاط كلمات وآيات... إلخ. فأقول: نعوذ بالله من هذا القول، ونبرأ إلى الله تعالى من هذا الجهل، وكل من نسب هذا الرأي إلينا جاهل بمذهبننا، أو مفتر علينا، فإن القرآن العظيم والذكر الحكيم متواتر من طرفنا بجميع آياته وكلماته وسائر حروفه وحركاته

وسكناته تواترا قطعيا، من أئمة الهدى من أهل البيت (عليهم السلام)، لا يرتاب في ذلك إلا معتوه،
وأئمة أهل البيت كلهم أجمعون رفعوه إلى جدهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن الله تعالى، وهذا أيضا مما لا ريب فيه. وظواهر القرآن الحكيم - فضلا عن نصوصه - أبلغ حجج الله تعالى، وأقوى أدلة أهل الحق بحكم الضرورة الأولية من مذهب الإمامية، وصحاحهم في ذلك متواترة من طريق العترة الطاهرة، وبذلك تراهم يضربون بظواهر الصحاح المخالفة للقرآن عرض الجدار، ولا يأنهون بها عملا بأوامر أئمتهم (عليهم السلام).
أجوبة مسائل جار
الله صفحة ٣٣ ط صيدا عام ١٣٧٢ هـ، وراجع صفحة ١٦٩ - ١٧٠ من آراء علماء المسلمين لمرتضى العسكري.

٤ - الغاية من التوسع في بسط نظرية شيعة أهل البيت
لقد أبرزت التقاطيع الأساسية لنظرية شيعة أهل البيت في موضوع جمع القرآن، ونقلت حرفيا لكثير من أقوال علمائهم في هذا المجال، بسبب أن الأكثرية الساحقة من علمائنا نحن أهل السنة يجهلون جهلا مطبقا وجهة نظر شيعة أهل البيت في مختلف الأمور.

ولهذا ما زالوا يرددون نفس المقولات التي قيلت عن الشيعة قبل ١٢٠٠ عام، ويتصورون أن هذه المقولات هي بعينها وجهة نظر أهل الشيعة، مع أن هذه المقولات قالها أعداء شيعة أهل البيت، فكان أعداء الشيعة هم الخصم، وهم الشهود، وهم الحكم بنفس الوقت، والضحية في النتيجة الشيعة والعدالة. والعدالة مقصود شرعي، حتى ولو كان أطراف القضية من أهل الكتاب أو المشركين. وقد تندهش إذا علمت أن أساتذة جامعات يدرسون الشريعة الإسلامية ومع هذا لا يفهمون معنى التشيع، ولا يفهمون معنى أهل البيت، ويعتقدون أن للشيعة قرآنا غير قرآننا نحن أهل السنة، وأنهم يقولون بوجود نبي غير نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، بل

ويشككون بإسلام الشيعة مع أن الشيعة تعلموا الإسلام عن طريق أئمة أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، والذين ورثوا علم النبوة، وواكبوا

دعوة الإسلام، ودولة النبوة، منذ اللحظة التي أشرقت فيها شمس الهداية الإلهية إلى اللحظة التي انتقل فيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الرفيق الأعلى. هؤلاء هم أساتذة شيعة أهل البيت.

أما أساتذتنا نحن أهل السنة فهم عمليا معاوية، وابنه يزيد، وخلفاء بني أمية، لأن التدوين وخاصة كتابة الحديث وروايته انتشر في عهدهم، ومن المعروف أن بني أمية طلقوا أسلموا يوم الفتح، ومعرفتهم بالدين محدودة، وأنهم حاربوا النبي والإسلام واحدا وعشرين عاما حتى أحيط بهم، فاضطروا للإسلام لأن كل الأبواب قد أغلقت في وجوههم إلا باب الإسلام!

فأئمة أهل البيت مدرسة علمية، وطلاب هذه المدرسة هم شيعة أهل البيت. وخلفاء بني أمية ومن والاهم كأبي هريرة مدرسة، وطلاب هذه المدرسة هم أهل السنة. فما الداعي للتفريق بين طلاب مدرستين إسلاميتين!! هذا إذا اعتبرنا أن أمية كهاشم، وأن المهاجر تماما كالطليق، وأن من قاتل تحت لواء الإسلام هو تماما مثل الذي قاتل الإسلام. على الأقل لنعامل طلاب المدرستين بروح المساواة والأخوة، وليكن هدف أتباع المدرستين الوقوف على الحقائق الشرعية المجردة.

**

الفصل السادس

موقع بيان النبي من المنظومة الحقوقية

١ - الركيزة الثانية من المنظومة الحقوقية الإلهية

وهي نبي الله المرسل، بذاته، وقوله، وفعله، وتقريره، ولولا (المماحكة) والتقليد الأعمى، وأحاييل السياسة ومكرها، فإن محمدا خاتم الأنبياء غني عن التعريف بذاته وقوله وفعله وتقريره، وللأسباب التي ذكرناها لا بد من أن نفرّد أبوابا أربعة، للذات، وللقول، وللفعل وللتقرير.

٢ - ذات النبي عند الحكام وشيعتهم

إنها أحسن ذات عرفتها الخليقة، فهو المؤتمن على الوحي الإلهي وهو المكلف بتبليغ آخر رسالة إلهية لبني البشر، وهي رسالة الإسلام بصيغتها النهائية، وهو خيرة الله من خلقه (شجرته خير الشجر، وعترته خير العتر) فهو الأسوة والقدوة، طاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله، واتباعه محبة لله، وطريق المغفرة، والإيمان به إيمان بالله، والكفر به كفر بالله، صادق مصدق في كل شيء، لا ينطق عن الهوى، فما يقوله حق لا ريب فيه،

(وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) سورة النجم آية ٣، (لقد كان لكم في

رسول

الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) الأحزاب آية ٢١،

(قل إن

كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) سورة آل عمران آية ٣١،

(فآمنوا

بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه) سورة الأعراف آية ١٥٨.

وجاء في سنن الدارمي مجلد ١ صفحة ١٢٥ باب من رخص في الكتابة من المقدمة،
وسنن أبي داود مجلد ٢ صفحة ١٢٦ باب كتابة العلم، ومسند أحمد مجلد ٢ صفحة
١٦٢

و ٢٠٧ و ٢١٦، ومستدرک الحاكم مجلد ١ صفحة ١٠٥ - ١٠٦، وجامع بيان العلم
وفضله

لابن عبد البر مجلد ١ صفحة ٨٥، قال عبد الله بن عمرو بن العاص (كنت أكتب كل
شيء

أسمعه من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فنهتني قريش وقالوا: أكتب كل شيء
سمعته من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ورسول
الله بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله،
فأوماً بإصبعه إلى فيه وقال (أكتب، فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق).
فكلما قاله الرسول حق، لأنه المبين للقرآن البيان القائم على الجزم واليقين، وهو
قائد الأمة إلى الصراط المستقيم بتفويض من ربه، وبرعاية وعناية إلهية تسدده في
كل خطوة من خطواته، بلغ القرآن حرفياً، فهو صادق، وكفى بالله شهيداً، وبين
القرآن بياناً كاملاً فهو صادق في بيانه وكفى بالله شهيداً، وقاد الأمة حتى وضعها على
الصراط المستقيم، وهو موفق بقيادته وكفى بالله شهيداً، فالفصل بين النبي وبين القرآن
مرفوض لأن من شك في النبي فقد شك في القرآن، ومن آمن بالقرآن ولم يؤمن بالنبي
فهو كافر، ومن آمن بالنبي ولم يؤمن بالقرآن فهو كافر، فالقرآن والنبي جملة كاملة
تساوي الإسلام، والهدى لا يطلب إلا بالاثنتين معاً، القرآن والنبي، والتمسك بأحدهما
دون الآخر ضلالة ستقود صاحبها إلى النار حتماً، فالنبي بالضرورة هو الإنسان الكامل
وكمال الإنسان ضرورة من ضرورات تبليغ رسالة الكمال الإلهية، فلو لم تتوفر
فيه (صلى الله عليه وآله وسلم) خاصية الكمال الإنساني، لما كان مؤتمناً على تبليغ
رسالة الكمال الإلهية.

ولا عجب في ذلك، فقد تنتشر الأمراض بين أفراد شعب، فتقوم دولة ذلك
الشعب باختراع مصل وتقوم بتطعيم رعاياها ضد هذا المرض، فينجو الذين تطعموا
ولا يصيبهم هذا المرض ولا يؤثر فيهم، والأطباء بشر، والأمصال من صنع البشر
فهل نستكثر على رب البشر أن يطعم أنبياءه ورسله ضد الخطأ!!

٣ - ذات النبي عند قادة التاريخ الإسلامي وشيعتهم
روى البخاري ومسلم في كتاب الدعوات باب قول النبي من آذيته، وروى مسلم
في صحيحه كتاب البر والصلة باب من لعنه النبي، فقالا - البخاري ومسلم إن رسول
الله كان يغضب، فيلعن ويسب ويؤذي من لا يستحقها، ودعى الله أن يجعلها لمن
بدرت منه إليه زكاة وطهورا! تمعن بهذا الحديث، ثم أتل قول الله تعالى في نبيه (وإنك
لعلى خلق عظيم) سورة القلم آية ٢، فالشخص العادي، الذي لا تتوفر فيه صفات النبوة
يترفع عن لعن وسب من لا يستحق اللعنة والمسبة، فكيف بالنبي ذي الخلق العظيم،
السمح، اللين، الذي لا يعرف الفضاضة إطلاقا، صاحب الصدر الواسع؟ إنا لله وإنا إليه
راجعون، إذا كانت الأمور على هذه الشاكلة، فمن مصلحة كل مسلم أن يثير غضب
النبي، حتى يسبه النبي ويشتمه، ويحصل على الزكاة والطهر!!!
إن هذا لأمر عجاب!!

٤ - وظيفة هذا الحديث
جاء في السيرة الحلبية مجلد ٢ صفحة ٢٣٤ طبعة مصر (أن رسول الله (صلى الله عليه
وسلم) صار يقول:
اللهم العن فلانا وفلانا.

وأخرج البخاري عن يحيى بن عبد الله السلمي، أخبرنا معمر، عن الزهري، حدثني
سالم، عن أبيه أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: إذا رفع رأسه من
الركوع من الركعة الأخيرة
من الفجر يقول: اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا بعد ما يقول: سمع الله لمن حمده،
فأنزل

الله (ليس لك من الأمر شيء) إلى قوله (فإنهم ظالمون).
وقال السيوطي وأخرج أحمد، والبخاري، والترمذي، والنسائي، وابن جرير،
والبيهقي في الدلائل عن ابن عمر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوم أحد:
(اللهم العن أبا سفيان،

اللهم العن الحرث بن هشام، اللهم العن سهيل بن عمرو واللهم العن صفوان بن أمية).
ثم قال السيوطي، وأخرج الترمذي، وصححه وابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن
عمر قال: كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يدعو على أربعة نفر وكان يقول في صلاة
الفجر: اللهم العن

فلانا وفلانا، راجع الدر المنثور في التفسير المأثور مجلد ٢ صفحة ٧١. وأراء علماء المسلمين للسيد مرتضى الرضوي صفحة ٧٣ - ٧٦

وأخرج نصر بن مزاحم المنقري، عن عبد الغفار بن القاسم، عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب قال: أقبل أبو سفيان ومعه معاوية فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اللهم العن التابع

والمتبوع، اللهم عليك بالأفيعس، فقال ابن البراء لأبيه، من الأفيعس؟ قال: معاوية. وأخرج نصر عن علي بن الأقرم في آخر حديثه قال: فنظر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى أبي

سفيان وهو راكب، ومعاوية وأخوه أحدهما قائد والآخر سائق، فلما نظر إليهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: اللهم العن القائد والسائق والراكب، قلنا: أنت سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟!!

قال: نعم وإلا صمت أذناي كما عميت عيناي. راجع وقعة صفين صفحة ٢١٧ تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، طبع مصر، و صفحة ٢٢٠، وراجع النهاية في غريب الحديث والأثر مجلد ٤ صفحة ٨٧ و ٨٨ و صفحة ٧٥ من آراء علماء المسلمين.

ولا يماري أحد بأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لعن الحكم بن العاص، ولعن ما في صلبه، وطرده من المدينة ونفاه إلى منطقة وج، وحرّم عليه دخول المدينة، ولما انتقل رسول

الله إلى جوار ربه راجع عثمان أبا بكر ليدخل الحكم بن العاص إلى المدينة فرفض الصديق ذلك، ولما توفي الصديق راجع عثمان الفاروق ليدخله المدينة فرفض الفاروق ذلك، ولما آلت الأمور إلى عثمان أدخل الحكم بن العاص معززا مكرما، وأعطاه مائة ألف درهم دفعة واحدة! ولا أحد من أهل الملة ينكر هذه الوقائع.

٥ - أبو سفيان

قاد الشرك في حربه مع النبي واحدا وعشرين سنة هو وأولاده وبنو أمية، واشترك في حصار بني هاشم، وحاول أن يقتل النبي، وفشلت المحاولة، وقاد الأحزاب، وبانهيار أبي سفيان وأولاده انهارت جبهة الشرك، واستمرت عداوة أبي سفيان وأولاده لرسول الله ولآله وللإسلام ٢١ عاما بلا انقطاع، فهل يستغرب عاقل أن يلعن رسول الله من كان هذا حالهم؟!!

٦ - الحكم بن العاص

لقد كثر إيذاء الحكم لرسول الله، كما هو معروف، ومن أجل هذا نفاه الرسول ورفض صاحبه إعادته، بالرغم من إلحاح عثمان. خاطبت أم المؤمنين مروان بن الحكم بن العاص قائلة: كذبت والله ما هو به، ولكن رسول الله لعن أبا مروان ومروان في صلبه فمروان فضض من لعنة الله عز وجل! والفضض القطعة. راجع تاريخ ابن الأثير مجلد ٣ صفحة ١٩٩ وراجع فتح الباري مجلد ١٠ صفحة ١٩٧ و صفحة ١٩٨، وأخرج

القصة بتفصيلها أبو الفرج في الأغاني مجلد ١ صفحة ٩٠ - ٩١، وراجع ترجمة الحكم بن

العاص من الإستيعاب لابن عبد البر، وأسد الغابة، والإصابة، ومستدرك الحاكم مجلد ١ صفحة ١٨١، وتاريخ ابن كثير مجلد ٨ صفحة ٨٩، والإجابة في ما استدركته عائشة على

الصحابة، في ترجمة عبد الرحمن بن أبي بكر، من تاريخ دمشق لابن عساكر... إلخ. ومرة أخرى فهل كثير على رسول الله أن يلعن الحكم بن العاص وما في صلبه بعد إيذاء له من جانبهم دام ٢١ عاما!!؟

٧ - أعداء الرسول تولوا الحكم وأولياؤه أصبحوا مملوكين

٢١ عاما وأبو سفيان وذريته ومن والاهم يكيدون لرسول الله ويحاربونه بكل وسائل الحرب، حتى نصر الله رسوله ودخل مكة عاصمة الشرك فاتحا، فأغلقت الأبواب أمام أبي سفيان ومن والاه ولم يبق أمامه إلا باب الإسلام مفتوحا، وعندما وجد نفسه وسط جزيرة الشرك حفيرة، وقد أحيط به أسلم، فأصبح أبو سفيان ومن والاه طلقاء ومن المؤلفة قلوبهم، فصحب الرسول سنتين، واستغل الخلاف الذي نشأ بين الصديق والفراروق من جهة وبين الإمام علي من جهة أخرى، فحسن وضعه، وولى الصديق ابنه علي الشام وألحق به معاوية، وبموت شقيق معاوية أصبح معاوية هو حاكم الشام، واستقرت الأمور لبني أمية في إمارة عثمان، وفجأة، وبدون مقدمات،

و ضد الطبيعة، ومنطق الأشياء، وبالقوة، آلت الأمور إلى معاوية، فأصبح هو سيد المسلمين يتأمر على الذين قاتلوه وأباه على الإسلام، ثم أوصى بالحكم من بعده لابنه يزيد، الذي ارتكب محزنة كربلاء. ثم آلت الأمور إلى مروان بن الحكم بن العاص، ومن سلالة الحكم وصلبه انحدر كل خلفاء بني أمية.

٨ - الحقائق الثابتة

الحقيقة الأولى: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعن الحكم بن العاص، ولعن ما في صلبه،

ولعن أبا سفيان، ولعن ابنه.

والحقيقة الثانية: أن عداء أبي سفيان ومن والاه للنبي لم يتوقف طوال ٢١ عاماً، وأن إيذاء الحكم بن العاص للنبي لم يتوقف أيضاً طوال هذه المدة.

والحقيقة الثالثة: أن أبناء أبي سفيان سادوا المسلمين بالقوة، كذلك فإن أبناء الحكم بن العاص سادوا المسلمين بالقوة. والثابت أن تدوين الحديث النبوي تم رسمياً في العهد الأموي.

هنا يثور التساؤل الميرير، كيف يحكم أمة محمد أولئك الذين لعنهم محمد؟!!

٩ - الحديث يحل الإشكال

لعنة النبي لهاتين الأسرتين، وأمثالهما كان في لحظة غضب، فقد لعنهم الرسول وسبهم وهم لا يستحقون اللعنة والمسبة، وأدرك الرسول ذلك فدعا أن تتحول لعنة هاتين الأسرتين وأمثالهما إلى زكاة وطهور لهم. وتلك قفزة بالفضل لم يشهد العقل البشري لها مثيلاً.

فأهل البيت الذين انحدروا من صلب النبي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، والذين عادوا النبي طوال سني البعثة طهرهم الله أيضاً تطهيراً!! إن هذا لأمر عجاب!!

١٠ - النبي أولى بالخدش من الحكام الغالبيين

شخصية النبي الباهرة طاهرة مطهرة، تسامى الله بها وهي بأدق الموازين العلمية لا تخدش ولا تعاب، ولكن إذا كان الناس أمام خيارين: إما أن يخدشوا النبي الراحل ويطعنوا في شخصيته، وإما أن يخدشوا الخليفة الحي ويطعنوا في شخصيته، فالحل هو الطعن في شخصية النبي! وهكذا صوروه كرجل يفقد السيطرة على نفسه في الغضب، فيلعن، ويسب، ويؤذي من لا يستحق اللعن، والسب، والإيذاء، وهكذا خدشوا نبيهم، وأضفوا الكمال والزكاة والطهر على غالبيهم، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا!

اللهم إن هذا منكر لا ترضى به، اللهم إن هذه مصيبة، فأذن لنا أن نردد ما أمرتنا بقوله: إنا لله وإنا إليه راجعون.

١١ - رسول ونبي لا يعرف أنه رسول

روى البخاري في مجلد ١ صفحة ٣ باب بدء الوحي وتفسير سورة إقرأ، وروى مسلم في كتاب الإيمان - باب بدء الوحي الحديث ٢٥٢، وروى أحمد في مسنده مجلد ٦

صفحة ٢٢٣ و ٢٣٣: أن رسول الله لما جاءه جبريل بآيات (إقرأ باسم ربك الذي خلق)

إلى قوله تعالى (علم بالقلم) رجع إلى بيته ترجف بوادره، وقال لخديجة: إني خشيت على نفسي، فقالت له خديجة: أبشر، كلا والله لا يخزيك الله أبدا، وانطلقت به إلى ورقة

بن نوفل - وكان امرءا نصرانيا - فأخبره رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خبر ما رآه، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى...

فورقة هنا أدري بالوحي وجبريل من رسول الله الذي خوطب بالوحي، ونتيجة ما قاله ورقة اطمأن الرسول لمصيره، وقبل ذلك كان النبي يريد أن يلقي بنفسه من حلق جبل كما يروي ابن سعد في طبقاته مجلد ١ صفحة ١٢٩ - ١٣٠، وكما يروي الطبري في خبر البعثة.

فأنت تلاحظ أن السيدة خديجة وهي امرأة عرفت ما لم يعرفه النبي، وأن ورقة وهو نصراني هو الذي طمأن النبي بأنه نبي، وقبل ذلك لم يكن النبي يعرف أنه نبي مرسل!!!

إن هذا لأمر عجاب، وتلك والله مصيبة، فإننا لله وإنا إليه راجعون.
يقول العلامة مرتضى العسكري: لست أدري كيف لم يكن الرسول يعرف نفسه
وعلى كتفه خاتم النبوة التي يعرفه بها كل من رآه من أهل الكتاب؟.

١٢ - خلفاء أتقى من نبي

روى البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي - باب مقدم النبي وأصحابه المدينة،
وفي كتاب العيدين - باب سنة العيدين لأهل الإسلام، وروى مسلم في صحيحه كتاب
صلاة العيدين - باب الرخصة في لعب يوم العيد: أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
استمع إلى غناء

جوار من الأنصار فنهرهن أبو بكر.

وروى مسلم في كتاب صلاة العيدين بأن الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه
في أيام العيد الحديث ١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢: أن رسول الله (صلى الله عليه
وسلم) رفع عائشة على

منكبيه لتنظر إلى الحبشة الذين يلعبون في المسجد، فنهرهم عمر. وروى الترمذي في
أبواب المناقب باب مناقب عمر: إذ اطلع عمر فانفض الناس، فقال رسول الله (صلى
الله عليه وسلم) (عليهم السلام)

إني لأنظر إلى شياطين الجن والإنس قد فروا من عمر! فشياطين الجن والإنس لا تفر
من

النبي، ولكنها ما إن ترى الخليفة عمر حتى تفر منه، وهو مجرد صحابي جليل ومسلم،
والناس يلعبون أمام النبي ولا ينكر عليهم لعبهم، ثم يأتي أبو بكر وعمر فينهر الجميع.
ومثل هذا النصوص التي رواها الترمذي، باب المناقب عن عمر، ومسند أحمد مجلد ٥
صفحة ٣٥٣ حيث يقعد الشيطان آمنًا مطمئنًا مع النبي حتى إذا دخل عمر فر
الشيطان!!

١٣ - نبي يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله

روى البخاري في كتاب بدء الخلق - باب صفة إبليس وجنوده، وفي كتاب الطب -
باب هل يستخرج السحر، وكتاب الأدب - باب أن الله يأمر بالعدل، وكتاب الدعوات
-

باب تكريم الدعاء، وروى مسلم في صحيحه - باب السحر: أن بعض اليهود سحروا
رسول الله حتى يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله!

١٤ - نبي يسقط آية من القرآن فيذكره بها قارئ
 روى البخاري في باب قول الله (وصل عليهم) وكتاب الشهادات - باب شهادة
 الأعمى ونكاحه، وروى مسلم في كتاب فضائل القرآن - باب الأمر بتعهد القرآن،
 عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي سمع رجلاً يقرأ في المسجد، فقال: رحمه الله
 اذكرني كذا وكذا آية أسقطتها من سورة كذا!
 فأنت ترى أنه لولا هذا القارئ لما تذكر النبي الآية التي أسقطها من سورة كذا!
 وتترك لك الحكم، فإننا لله وإنا إليه راجعون.
 ١٥ - ابن عم خليفة يعلم النبي ويرفض طعامه
 روى البخاري في صحيحه - كتاب الذبائح - باب ما ذبح على النصب والأزلام مجلد
 ٢
 صفحة ٢٠٧، وروى أحمد في مسنده مجلد ٢ صفحة ١٩ و ٨٦، أن رسول الله
 (صلى الله عليه وسلم) قبل أن
 ينزل عليه الوحي قدم إلى زيد بن عمرو بن نفيل سفرة فيها لحم فأبى زيد أن يأكل
 منها،
 ثم قال زيد للنبي: إني لا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه، وزيد هذا هو ابن عم الخليفة
 عمر بن الخطاب!
 فانظر كيف احتاط زيد حتى قبل أن يدخل في الإسلام، وكيف رفض أن يأكل
 من طعام النبي، النبي الذي رباه الله، وصنعه على عينه. راجع نهج البلاغة، الخطبة في
 وصف النبي (صلى الله عليه وآله) صفحة ٤٤ - شرح صبحي الصالح.
 ١٦ - نتيجة المقدمة
 بعد كل هذا فلا ينبغي أن تدهش إذا رفع مقام الخلافة على مقام النبوة، فقد
 خطب الحجاج بن يوسف الثقفي في أهل الكوفة، فذكر الذين يزورون قبر رسول
 الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمدينة، فقال: إنما يطوفون بأعواد ورمة بالية!!! هلا
 طافوا بقصر أمير
 المؤمنين عبد الملك، ألا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله! راجع شرح النهج
 لابن

أبي الحديد مجلد ٥ صفحة ٢٤٢، وراجع الكامل للمبرد صفحة ٢٢٢ طبعة النهضة بمصر، وراجع معالم المدرستين مجلد ١ صفحة ٤٥.

١٧ - النبي يتحول بقدره قادر إلى مجرد مجتهد
قال ابن أبي الحديد المعتزلي في مقام الاعتذار عن تخلف الخليفين - أبي بكر وعمر -

عن جيش أسامة: إنه (أي الرسول) كان يبعث سرايا عن اجتهاد لا عن وحي يحرم مخالفته! ثم أطل الحديث عن اجتهاد الرسول في هذه القضية، راجع شرح النهج لابن أبي الحديد مجلد ٤ صفحة ١٧٢ - ١٧٨... وسعالج الموضوع في باب الاختلاف. إن شاء الله تعالى.

١٨ - النبي حاشا له يهجر

١ - روى البخاري في صحيحه - كتاب الجهاد والسير - باب الجوائز مجلد ٤ صفحة

٢١ ط. دار الفكر وروى مسلم في صحيحه - كتاب الوصية - باب ترك الوصية مجلد ٢ صفحة ١٦ ط عيسى الحلبي، وفي مجلد ١١ صفحة ٨٩ - ٩٤ ط مصر بشرح

النووي، وروى الإمام أحمد في مسنده مجلد ١ صفحة ٢٢٢ ط اليمينية ومجلد ٣ صفحة ٢٨٦ الحديث ١٩٣٥ بسند صحيح، ومجلد ٥ صفحة ٤٥ الحديث ٣١١١ عن ابن عباس: أن النبي اشتد به وجعه يوم الخميس فقال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا، فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: هجر رسول الله، قال: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني، وأوصى عند موته بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزه، ونسيت الثالثة.

٢ - وروى مسلم في صحيحه، كتاب الوصية، باب ترك الوصية مجلد ٢ صفحة ١٦ ومجلد ١١ صفحة ٩٤ - ٩٥ بشرح النووي، وروى الإمام أحمد في مسنده مجلد ١ صفحة ٣٥٥، والطبري في تاريخه مجلد ٣ صفحة ١٩٣، وابن الأثير في الكامل

مجلد ٢ صفحة ٣٢٠ عن ابن عباس قال: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم جعل تسيل دموعه حتى رأيت على خديه كأنها نظام اللؤلؤ قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إئتوني بالكثف والدواة، أو اللوح والدواة، أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده

أبدا فقالوا: إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يهجر. ٣ - روى البخاري في صحيحه كتاب النبي إلى كسرى وقيصر - باب مرض النبي ووفاته مجلد ٥ صفحة ١٣٧، والطبري في تاريخه مجلد ٣ صفحة ١٩٢ - ١٩٣ عن ابن عباس قال: يوم الخميس وما يوم الخميس اشتد برسول الله (صلى الله عليه وسلم) وجعه فقال:

إئتوني أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا، فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا عن النبي ما شأنه أهجر؟ استفهموه، فذهبوا يرددون عليه، فقال: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه، وأوصاهم بثلاث قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم، وسكت عن الثالثة أو قال فنسيتها.

٤ - وروى البخاري في صحيحه كتاب الجزية - باب إخراج اليهود من جزيرة العرب مجلد ٤ صفحة ٦٥ - ٦٦ أنه قال (صلى الله عليه وسلم) إئتوني بكثف أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده،

فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: ما له؟! أهجر؟ استفهموه...

٥ - وذكر السبط بن الجوزي الحنفي في كتابه تذكرة الخواص صفحة ٦٢ المطبعة الحيدرية، وجاء في كتاب سر العالمين، وكشف ما في الدارين لأبي حامد الغزالي صفحة ٢١ مطبعة النعمان: أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: إن النبي ليهجر. إذا حالوا بينه، وبين كتابة ما أراد، مع أن الوصية حق لكل مسلم، ولم يكتفوا بذلك إنما صرحوا علنا، وصدموا خاطر النبي الشريف، وزعموا أنه هجر، يهجر، ليهجر، حاشا له مع أن الصديق (رضي الله عنه) اشتد به المرض أكثر مما اشتد برسول الله المرض،

وأملى جزءا من وصيته، ثم فارق وعيه، وبعد أن استرد وعيه أكمل وصيته، ولم يقل أحد عل الإطلاق أن الصديق يهجر، ولم يحل بين الصديق وبين كتابة ما أراد حائل،

ونفذت بدقة تعليمات الصديق ووصيته، ولم ينقسم الحاضرون عنده إلى قسمين، بل كانوا كتلة واحدة خلفه وفي حضرته كأنهم بنيان مرصوص، لا يعلو على صوت الصديق صوت، إمعانا باحترامه، وإجلالا له!!!

مع أن الصديق ليس أكثر من صحابي جليل، ومن حاكم عادل، ولم يصل إلى درجة النبوة، ولا قال أحد أنه قد وصل إلى هذه الدرجة!! كذلك فإن المرض قد اشتد بعمر (رضي الله عنه) أكثر مما اشتد برسول الله مرضه، وتكلم عمر

وأصغى له المسلمون بإجلال ولم ينقسموا بين يديه، ونفذوا كلامه، وأوصى، ونفذوا وصيته، وتحدث أثناء مرضه ما شاء أن يتحدث، ولم يحل بينه وبين أن يقول ما يشاء حائل، ولم يقل له أحد قط إن الفاروق (رضي الله عنه) هجر أو يهجر، مع أن الفاروق ليس

أبدا أكثر من صحابي جليل ومن حاكم عادل!!
إن هذا لشيء عجاب!!

١٩ - القرآن وحده يكفي ولا حاجة لوصية النبي وقوله

هذه التصورات المهزوزة عن ذات النبي جمحت بالمسلمين، فجنحت بهم عن الطريق، فركبوها، وأرخوا لها العنان، فأدخلتهم بليل الغموض والتيه، وآفاق الهوى، فتصوروا أن بإمكانهم أن يدركوا الرشد بدون نبي وبالقرآن وحده، وتصوروا أن بإمكانهم

أن يهتدوا، وأن لا يضلوا إذا تمسكوا بالقرآن وحده، بمعنى أن دور النبي محدود، وثانوي جدا.

كانت هذه التصورات وساوس خفية في الصدور، وأفصحت عن ذاتها في مرض النبي، وبرزت سافرة وبدون ستر، وتبين أن لهذه التصورات أنصارا وأعوانا، وأخيرا واجه أصحاب هذه التصورات النبي نفسه، وانتصروا، وانتصرت تصوراتهم. وآية ذلك وبرهانه:

١ - جاء في صحيح البخاري كتاب المرضى - باب قول المريض: قوموا عني مجلد

٧

صفحة ٩ دار الفكر، وجاء في صحيح مسلم في آخر كتاب الوصية مجلد ٥

صفحة ٧٥ مطبعة المكتبة التجارية، ومجلد ١١ صفحة ٩٥ من صحيح مسلم بشرح النووي مطبعة مصر، ومسند الإمام أحمد مجلد ٤ صفحة ٣٥٦ الحديث ٢٩٩٢ بسند صحيح دار المعارف بمصر عن ابن عباس قال: لما حضر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال النبي (صلى الله عليه وسلم) هلم أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده،

فقال عمر: إن النبي قد غلب الوجد، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت فاختصموا، منهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله كتابا لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول! القول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي، قال لهم رسول الله: قوموا عني.

وأنت تلاحظ أن الفريق الذي كان يعارض كتابة الكتاب كان بقيادة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه).

٢ - وجاء في شرح نهج البلاغة لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد مجلد ٦ صفحة ٥١ - مطبعة مصر بتحقيق محمد أبو الفضل - عن ابن عباس: لما حضرت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الوفاة، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال رسول الله: إئتوني

بدواة وصحيفة أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده، قال ابن عباس: فقال عمر كلمة معناها: أن الوجد قد غلب على رسول الله، قال: عندنا القرآن، حسبنا كتاب الله... ٣ - وجاء في صحيح البخاري كتاب العلم - باب كتابة العلم مجلد ١ صفحة ٣٧ دار الفكر، عن ابن عباس: لما اشدت بالنبي (صلى الله عليه وسلم) وجعه قال: إئتوني بكتاب أكتب

لكم كتابا لا تضلوا بعده، قال عمر: إن النبي (صلى الله عليه وسلم) غلبه الوجد وعندنا كتاب الله

حسبنا فاختلفوا، وأكثروا اللغو، قال النبي: قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع....

٤ - وجاء في صحيح البخاري - كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة - باب كراهية الخلاف مجلد ٨ صفحة ١٦١ دار الفكر عن ابن عباس قال: لما حضر النبي (صلى الله عليه وسلم)

وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال: هلم أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده، قال عمر: إن النبي (صلى الله عليه وسلم) غلبه الوجد وعندكم القرآن، فحسبنا كتاب الله، فاختلف

أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله كتابا لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر....

٥ - روى الذهبي في تذكرة الحفاظ بترجمة أبي بكر مجلد ١ صفحة ٢ - ٣ أن أبا بكر

جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال.... إلى أن قال: فلا تحدثوا عن رسول الله شيئا، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله...

٦ - وروى ابن عبد البر بثلاثة أسانيد في جامع البيان مجلد ٢ صفحة ١٤٧، والذهبي في تذكرة الحفاظ مجلد ١ صفحة ٤ و ٥ قول عمر بن الخطاب.... إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل فلا تصدوهم بالأحاديث عن رسول الله وأنا شريككم....

٢٠ - ذات الخليفة أهم من ذات النبي!

روى الزبير بن بكار في الموفقيات صفحة ٥٧٥ - ٥٧٦، وروى علامة المعتزلة بن أبي الحديد في شرح النهج مجلد ٢ صفحة ١٧٦ عن المطرف بن مغيرة بن شعبة قال: دخلت مع أبي علي معاوية، فكان أبي يأتيه ويتحدث معه، ثم ينصرف إلي فيذكر معاوية وعقله، ويعجب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، ورأيتته مغتما، فانتظرت ساعة، وظننت أنه لأمر حدث فينا، فقلت: ما لي أراك مغتما منذ الليلة، فقال: يا بني جئت من أكفر الناس وأخبثهم، قلت: وما ذاك؟ قال: قلت له وقد خلوت به: إنك قد بلغت سنا يا أمير المؤمنين فلو أظهرت عدلا، وبسطت خيرا فإنك قد

كبرت، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، وإن في ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه؟ فقال: هيهات، هيهات، أي ذكر أرجو بقاءه، ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره إلا أن يقول قائل: أبو بكر، ثم ملك أخو عدي فاجتهد وشمّر عشر سنين، فما عدا أن هلك

حتى هلك ذكره إلا أن يقول قائل: عمر، وإن ابن أبي كبشة (يعني النبي) ليصاح به كل يوم خمس مرات (أشهد أن محمدا رسول الله) فأبي عمل يبقى؟ وأي ذكر يدوم بعد هذا؟

لا والله إلا دفنا دفنا. إنتهى النص كما ورد في المرجعين السابقين، وكما نقله العلامة السيد

مرتضى العسكري في مجلد ٢ صفحة ٣٥٦ - ٣٥٧ من معالم المدرستين.

وظمعا برفع مقام الخلفاء ودوام ذكرهم، انتشر الحديث الموضوع، لرفع مقام الخلافة، فكما فرض الله طاعة رسوله (أطيعوا الله والرسول) فرضت تلك الأحاديث الموضوعية طاعة الخليفة مهما فعل، وحرمت الخروج عليه مهما فعل، فعندما أرادوا هدم الكعبة لمحاصرة أعداء الخليفة، قالوا: إن هدم الكعبة حرمة، وطاعة الخليفة واجبة، فغلبت طاعة الخليفة محارم الله، وهدموا الكعبة فعلا!

وكان شمر بن ذي الجوشن يقعد حتى يصبح، ثم يصلي ويقول في دعائه (اللهم اغفر لي) ف قيل له: كيف يغفر الله لك وقد خرجت إلى ابن بنت رسول الله فأعنت على قتله؟ قال: ويحك فكيف نصنع، إن أمراءنا هؤلاء أمرونا، فلم نخالفهم، ولو خالفناهم كنا شرا من هذه الحمر). راجع تاريخ الإسلام للذهبي مجلد ٣ صفحة ١٨ - ١٩.

وكان كعب بن جابر ممن حضر قتال الحسين في كربلاء يقول في مناجاته (يا رب إنا قد وفينا فلا تجعلنا يا رب كمن غدر) يقصد بمن غدر من خالف الخليفة وعصى أمره. ودنا عمر بن الحجاج يوم عاشوراء من أصحاب الحسين، ونادى وقال: يا أهل الكوفة الزموا طاعتكم وجماعتكم، ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين وخالف الإمام.

وقد قال مسلم بن عقبة الذي استباح المدينة، وختم أعناق الصحابة، وأذلمهم وقتل يوم الحرة أحد عشر ألف مسلم، قال عن عمله هذا: اللهم إني لم أعمل عملا قط بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله (أي بعد الإسلام) أحب إلي من قتل أهل المدينة (أي مدينة الرسول) ولا أرجى عندي في الآخرة، وإن دخلت النار بعد ذلك إني لشقي فإن هذا تدين بحب الخلفاء، وطاعتهم فريد من نوعه. وثمره لهذا كله تعاضم مقام الخليفة، حتى بلغ عند شيعة الخلفاء مرتبة لم يبلغها النبي نفسه، فقد كتب مروان بن محمد - وكان واليا على أرمينية - إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق: يبارك له خلافة الله على عباده. راجع تاريخ بن كثير مجلد ١٠ صفحة ٤، وهذا الوليد هو الذي سعى أخوه سلمان في قتله، وقال أشهد أنه كان

شروبا للخمر ماجنا فاسقا، ولقد أرادني على نفسي، وأراد الوليد أن يشرب الخمر فوق الكعبة، ولما قيل عنه في مجلس المهدي: إنه كان زنديقا، قال المهدي: خلافة الله

عنده أجل من أن يجعلها في زنديق. راجع تاريخ ابن كثير مجلد ١٠ صفحة ٧ - ٨
٢١ - التصريح يغني عن التلميح

روى أبو داود في سننه مجلد ٤ صفحة ٢١٠ الحديث ٤٦٤٥ باب في الخلفاء، عن سليمان بن الأعمش قال: جمعت مع الحجاج فخطب... قال فيها: إسمعوا وأطيعوا لخليفة

الله وصفيه عبد الملك بن مروان!

وروى أبو داود في سننه مجلد ٤ صفحة ٢٠٩ الحديث ٤٦٤٢، والمسعودي في مروجه - ذكر طرف من أخبار الحجاج مجلد ٣ صفحة ١٤٧ - وابن عبد ربه في العقد

الفريد مجلد ٥ صفحة ٥٢، واللفظ لأبي داود قال: عن الربيع بن خالد العنبي قال: سمعت الحجاج يخطب، فقال في خطبته: رسول أحدكم في حاجته أكرم عليه أم خليفته

في أهله!

وفي العقد الفريد مجلد ٥ صفحة ٥١ أنه - أي الحجاج - كتب إلى عبد الملك يعظم فيه

أمر الخلافة، ويزعم أن السماوات والأرض ما قامت إلا بها، وأن الخليفة عند الله أفضل من الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين، ذلك أن الله خلق آدم بيده وأسجد له ملائكته، وأسكنه جنته، ثم أهبطه إلى الأرض وجعله خليفته، وجعل الملائكة رسلا إليه، فأعجب عبد الملك بذلك وقال: لوددت أن بعض الخوارج عندي فأخاصمه بهذا الكتاب... إلخ!

ثم أنزل من قدر الخليفة وجعله مساويا للرسول، فقال في خطبة له - كما في سنن أبي داود والعقد الفريد: إن مثل عثمان عند الله كمثلي عيسى بن مريم، ثم قرأ الآية: إذ قال الله يا عيسى بن مريم إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة). راجع سنن أبي داود مجلد ٤ صفحة ٢٠٩، والعقد الفريد مجلد ٥ صفحة ٥١

وفي العقد الفريد كما في حوادث سنة ٨٩ مجلد ٥ صفحة ٦١ من تاريخ الطبري وابن الأثير مجلد ٤ صفحة ٢٠٥، وابن كثير مجلد ٩ صفحة ٧٦ وفي العقد الفريد بعد (من الذين كفروا) أنه أشار بيده إلى أهل الشام أي أنهم الذين اتبعوا الخليفة فجعلهم الله فوق الذين كفروا، وهم أهل العراق.

وأمر الوليد بن عبد الملك خالد بن عبد الله فحفر بئرا بمكة فجاءت عذبة الماء طيبة، وكان يستقي منها الناس، فقال خالد في خطبته على منبر مكة: أيها الناس أيها أعظم خليفة الرجل على أهله أم رسوله إليهم؟ والله لو لم تعلموا فضل الخليفة! إلا أن إبراهيم خليل الرحمن استسقى فسقاه ملحا أجاجا، واستسقاه الخليفة فسقاه عذبا فراتا!! بئرا حفرها الوليد بن عبد الملك بالثنتين ثنية طوى وثنية حجون، فكان ينقل ماؤها فيوضع في حوض من آدم إلى جنب زمزم ليعرف فضله على زمزم، قال الراوي: ثم غارت البئر، فذهبت فلا يدرى أين هي اليوم.

هكذا بلغت منزلة الخليفة خاصة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فصار من الشروط على الخليفة الجديد بعدهما أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الصديق والفاروق، كما هو ثابت بدون توثيق.

وخطب الحجاج يوما على منبر الكوفة، فذكر الذين يزورون قبر رسول الله فقال: تبا لهم يطوفون بأعواد ورمة بالية، هلا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، ألا يعلمون أن خليفة الرجل خير من رسوله!!! وهكذا ارتقت مرتبة الخلافة فوق مرتبة النبوة وبلغ الإسفاف بشيعتها حدا يخجل الإنسان من وصفه.

وفي هذا المناخ التربوي كتبت أحاديث رسول الله بعد ٩٥ سنة من منعها وحصارها!!

* *

الفصل السابع

بيان النبي عند شيعة أهل البيت وشيعتهم

١ - النبي المعصوم، ومعنى العصمة

برأي محمد بن النعمان الملقب بالشيخ المفيد، والسيد الشريف محمد بن الحسين الرضي الموسوي، كما جاء في الصفحة ١٥٠ من أوائل المقالات في المذاهب المختارات:

أن العصمة في أصل اللغة هي ما اعتصم به الإنسان من الشيء، كأنه امتنع به عن الوقوع في ما يكره. وليست جنس من أجناس الفعل، ومنه قولهم: اعتصم فلان بالجبل إذا امتنع به، ومنه سميت العصم وهي وعول الجبال لامتناعها بها. والعصمة من الله تعالى هي التوفيق الذي يسلم به الإنسان مما يكره إذا أتى بالطاعة. وذلك مثل إعطائنا رجلا غريقا جبلا ليثبت به فيسلم، فإذا هو أمسكه واعتصم به، سمي ذلك الشيء عصمة له، لما تثبت به فسلم من الغرق، وإن لم يعتصم به لم يسم عصمة، وكذلك سبيل اللطف أن الإنسان إذا أطاع سمي توفيقا وعصمة، وإن لم يطع لم يسم توفيقا ولا عصمة، وقد بين الله تعالى ذكر هذا المعنى في كتابه بقوله (واعتصموا بحبل الله جميعا) سورة آل عمران ١٠٣، وحبل الله هو دينه،
ألا

ترى أنهم بامثال أمره يسلمون من الوقوع في عقابه، فصار تمسكهم بأمره اعتصاما، وصار لطف الله لهم في الطاعة عصمة، فجميع المؤمنين من الملائكة والنبين والأئمة معصومون لأنهم متمسكون بطاعة الله.

وهذا جملة من القول في العصمة، ما أظن أحدا يخالف في حقيقتها، وإنما الخلاف في حكمها، وكيف تجب، وعلى أي وجه تقع. راجع أوائل المقالات.

يقول الطوسي صفحة ١٥٢ من النافع يوم المحشر في شرح الباب الحادي عشر، وراجع عقيدة الشيعة الإمامية في الإمام الصادق وسائر الأئمة للسيد حسين يوسف مكي العملي صفحة ١٢ و ٢٣، وفي أعيان الشيعة للمجتهد الأكبر محسن الأمين مجلد ١

صفحة ٢ و ٦ و ٧: إن من يخلف رسول الله معصوم من الله تعالى، والعصمة لا يطلع عليها

إلا الله تعالى، وعصمة الإمام ضرورية، لأنه لو كان غير ذلك لم يؤمن من اتباع الهوى، خاصة وأنه معلم الأمة ما يجهلونه من أحكام الشرع، وصدور الذنب منه يؤدي لعدم الوثوق بأقواله، وذلك ينافي الغرض المطلوب من إمامته، فالدليل الدال على عصمة الرسول دال على عصمة خليفته المنصوص عليه شرعا، لأنه القائم مقام الرسول في حفظ الشرع وتأديته إلى الأمة، وقد أمد الله الأئمة بفيض من القابليات والاستعدادات والكمالات النفسية...، راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام صفحة ٢٣ - ٢٤

٢ - النبي لا ينطق عن الهوى

قال محمد بن النعمان الملقب بالشيخ المفيد (رحمه الله) في كتابه أوائل المقالات صفحة ٦٩ ما

يلي وبالحرف: إن نبينا محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يعص الله عز وجل منذ خلقه الله عز وجل إلى أن

قبضه، ولا تعمد له خلافا، ولا أذنب ذنبا، على التعمد ولا النسيان وبذلك نطق القرآن، وتواتر الخبر عن آل محمد، وهو مذهب جمهور الإمامية، والمعتزلة بأسرها على خلافه.

وأما ما يتعلق به أهل الخلاف من قوله تعالى (ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر) وأشباه ذلك في القرآن الكريم، ويعتمدونه في الحجة على خلاف ما ذكرناه، فإنه

تأويل بظن ما توهموه، والبرهان يعضده إلى البيان، وقد نطق القرآن الكريم بما قد وصفناه فقال جل اسمه (والنجم إذا هوى، ما ضل صاحبكم وما غوى) فنفى بذلك عنه كل معصية ونسيان.

وقال في الصفحة ١٢٦ من شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد: والعصمة تفضل من الله تعالى على من علم أن يتمسك بعصمته، والاعتصام فعل المعتصم، وليست العصمة مانعة من القدرة على القبيح، ولا مضطرة للمعصوم إلى الحسن، ولا ملجئة إليه، بل هي الشئ الذي يعلم الله تعالى أنه إذا فعله بعد من عبيده لم يؤثر معه معصية له، وليس كل الخلق يعلم هذا من حاله، بل المعلوم منهم ذلك هم الصفة والأخيار، قال تعالى (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى) الأنبياء آية ١٠١ وقال سبحانه: (ولقد اخترناهم على علم على العالمين) سورة ص آية ٤٧ والأنياء والأئمة من بعده معصومون في حال نبوتهم وإمامتهم من الكبائر والصغائر، والعقل يجوز عليهم ترك مندوب إليه على غير التعمد للتقصير والعصيان، ولا يجوز عليهم ترك مفترض لأن نبينا (صلى الله عليه وآله) والأئمة: من بعده كانوا سالمين من ترك المندوب

والمفترض قبل إمامتهم وبعدها.

وفي الصفحة ٢٣٥ - ٢٣٧ من المرجع السابق قال الشيخ المفيد: فأما الوصف لهم بالكمال في كل أحوالهم، فإن المقطوع به كما لهم في جميع أحوالهم التي كانوا فيها حججا

لله على خلقه، منذ أكمل عقولهم إلى أن قبضهم، وقد جاء في الخبر أن رسول الله (صلى الله عليه وآله)

والأئمة: من ذريته كانوا حججا لله تعالى منذ أكمل عقولهم إلى أن قبضهم، ولم يكن لهم قبل أحوال التكليف أحوال نقص وجهل، فإنهم يحرون مجرى عيسى ويحيى (عليهما السلام) في

العلم والعصمة في أحوال النبوة والإمامة، ونتوقف قبل ذلك، وهل كانت أحوال نبوة وإمامة أم لا؟ ونقطع على أن العصمة لازمة منذ أكمل الله عقولهم إلى أن قبضهم....

٣ - آباء النبي كانوا موحدين

قال الشيخ المفيد: إن آباء النبي (صلى الله عليه وآله) من آدم (عليه السلام) كانوا موحدين على الإيمان بالله

حسب ما ذكره أبو جعفر (رحمه الله)، وعليه إجماع عصابة الحق، قال تعالى (الذي يراك حين

تقوم وتقلبك في الساجدين) سورة الشعراء ٢١٨ - ٢١٩، يريد به تنقله في أصلاب الطاهرين

إلى أرحام المطهرات، وقد قال نبينا (صلى الله عليه وآله): ما زلت أنتقل من أصلاب
الطاهرين إلى
أرحام المطهرات حتى أخرجني الله في عالمكم هذا، فدل على أن آباءه كلهم كانوا
مؤمنين،
إذ لو كان فيهم كافرا لما استحق الوصف بالطهارة لقوله تعالى (إنما المشركون نجس)
سورة
التوبة آية ٢٨، فحكم على الكافر بالنجاسة، فلما قضى رسول الله (صلى الله عليه وآله
وسلم) بطهارة آباءه كلهم
ووصفهم بذلك دل على أنهم كانوا مؤمنين.
**

الفصل الثامن

قضية كتابة الحديث النبوي

١ - أهمية الحديث النبوي

قلنا إن المنظومة الحقوقية الإلهية تتكون من مقطعين: كتاب الله المنزل. ونبي الله المرسل بذاته، وقوله، وفعله وتقريره، وأن الصلة عضوية بين هذين المقطعين. وقد تناولنا مواقف المسلمين من ذات النبي، وبيننا أن هذه المواقف محصورة في مجموعتين: موقف الحكام وشيعتهم وهم أهل السنة. وموقف أهل البيت الكرام وشيعتهم، وهم أهل الشيعة. وسنتناول في هذا الفصل موقف المسلمين من حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ونلاحظ أن المسلمين قد انقسموا حتى في هذه الناحية إلى قسمين:

١ - الحكام وشيعتهم، وهم أهل السنة.

٢ - أهل البيت الكرام وشيعتهم.

٢ - كتابة حديث رسول الله

يستحيل أن تفهم المقصود الشرعي من كتاب الله دون بيان رسول الله لهذا الكتاب، وهذا البيان له أربعة وجوه: ذات النبي، وقول النبي، وفعل النبي، وتقرير النبي. وهذه حلقات متصلة يتعذر منطقيا وشرعيا الفصل بينها.

٣ - حكم النبي في كتابة حديثه

جاء في صحيح البخاري - باب كتابة العلم: أن رجلا من أهل اليمن سمع حديث رسول الله فقال: اكتب لي يا رسول الله، فقال: اكتبوا لأبي فلان، راجع صحيح البخاري مجلد ١ صفحة ٢٢، والترمذي مجلد ١ صفحة ١٣٥، (وأبو فلان) هو أبو شاه.

وروى أن رجلا من الأنصار كان يجلس إلى النبي، فيسمع منه الحديث، فيعجبه، ولا يحفظه، فشكا ذلك إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال له رسول الله: إستعن بيمينك وأوماً بيده

أي خط. راجع سنن الترمذي، كتاب العلم - باب ما جاء في الرخصة فيه مجلد ١٠ صفحة ١٣٤

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: قلت: يا رسول الله أكتب ما أسمع منك؟ قال: نعم، قلت: في الرضا والغضب؟ قال: نعم، فإني لا أقول إلا حقا، وفي رواية: إني أسمع منك أشياء، فأكتبها؟ قال: نعم. راجع مسند أحمد مجلد ٢ صفحة ٢٧.

وعن عبد الله بن عمرو قال: كنت أكتب كل شيء أسمع من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أريد حفظه،

فنهتني قريش وقالوا: تكتب كل شيء سمعته من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ورسول الله بشر يتكلم

في الغضب والرضا! فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله، فأوماً بإصبعه إلى فيه وقال: أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق. راجع ترجمة عبد الله بن عمرو

في أسد الغابة مجلد ٣ صفحة ٥٦، وتهذيب التهذيب مجلد ٥ صفحة ٢٣٧، ومعالم المدرستين مجلد ٢ صفحة ٤٢

وفي رواية أخرى: أنه أتى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: إني أروي من حديثك، فأردت أن أستعين

بكتاب يدي مع قلبي إن رأيت ذلك، فقال (صلى الله عليه وسلم): إن كان حديثي، ثم استعن بيدك مع قلبك.

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قلت: يا رسول الله إنا نسمع منك أحاديث لا نحفظها أفلا نكتبها؟ قال: بلى فاكتبوها. راجع مسند الإمام أحمد

مجلد ٢ صفحة ٢١٥

قال رسول الله في حجة الوداع: نضر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها، وبلغها من لم

يسمعيها، فكم من حامل فقه إلى من هو أفقه منه. راجع سنن ابن ماجة المقدمة - باب ١٨ الحديث ٢٣، ٢٣١، ٢٣٦، وسنن أبي داود الحديث ٣٦٦٠ باب ١٠، والترمذي - كتاب العلم - باب ٧ ما جاء في الحث على تبليغ السماع، وسنن الدارمي

مجلد ١ صفحة ٧٤ - ٧٦ المقدمة باب ٢٤، ومسند أحمد مجلد ٣ صفحة ٣٢٥ ومجلد ٤

صفحة ٨٠ و ٨٢ ومجلد ٥ صفحة ١٧٣

وفي حديث آخر: فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه. راجع صحيح البخاري مجلد ١ صفحة ٢٤ كتاب العلم - باب قول النبي، وراجع كنز العمال الحديث ١١٢٦، وسنن ابن ماجة مجلد ١ صفحة ٨٥ الحديث ٢٣٣ وبحار

الأنوار مجلد ٢ صفحة ١٥٢ الحديث ٤٢

٤ - حكم النبي عين المنطق والصواب

إذا كانت أولى مهام النبي بيان القرآن الكريم، وإذا كانت أدوات البيان النبوي شرعا وعقلا هي القول والفعل والتقرير، فمن الطبيعي جدا أن يأمر النبي بتوثيق هذا البيان، وأن ينقله السامع إلى غيره، وكما سمعه، وأن يحث أتباعه على أن ينقلوا بيان القرآن حيثما نقلوا القرآن نفسه، وهذا أمر من البداهة بحيث أنه لا يحتاج إلى برهان، لولا التقليد الأعمى، وفطرة بعض المسلمين على إطاعة من غلب طاعة عمياء. فلو قلنا بغير ذلك وألقينا جميع مصادر السنة النبوية في البحر، فماذا يبقى من شرائع الإسلام!!؟

٥ - موقف قادة التاريخ السياسي من كتابة أحاديث النبي

شرع الله حكمه المبارك في السياسة، والأشخاص، والأشياء، وكانت مهمة النبي أن يبين حكم الله في كل شئ على الإطلاق، وأن ينقل قواعد التشريع الإلهي من النظر إلى التطبيق، ومن الكلمة إلى الحركة عبر دعوة، وبوسيلة من وسائل ثلاثة وهن: القول، والفعل، والتقرير، أو بهذه الوسائل مجتمعة، وقد بين رسول الله حكم الشرع في كل شئ، وأكمل الله دينه وأتم نعمته، ثم انتقل رسول الله إلى الرفيق الأعلى.

ولسوء الحظ فإن الذين أسسوا دولة الخلافة التاريخية اقتنعوا أن رسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا، وأن كلام الرسول وهو في حالة غضب قد يمس أشخاصاً معينين، أو يبين حكم الله في أمور معينة وهذا المس، وذلك البيان قد يؤذيان هؤلاء الأشخاص، فينفرون من الإسلام، ويقع الخلاف بعد ائتلاف، لذلك وكراهية من هؤلاء القادة للخلاف، وحرصاً على مصلحة الإسلام فرضوا رقابة صارمة على أحاديث الرسول، وروايتها، وكتابتها بعد وفاته، ومن هنا فقد قسموا أقواله إلى قسمين:

١ - قسم من أقواله (صلى الله عليه وآله وسلم) صدر منه وهو في حالة رضا، ولا يمس أشخاصاً معينين،

ولا يتعارض مع سياسة الدولة، فهو مقبول ونافذ ولا اعتراض عليه.

٢ - قسم من أقواله (صلى الله عليه وآله وسلم) صدر منه وهو في حالة غضب، وهذه الأقوال قد تمس

الأشخاص، أو تتعارض مع سياسة الدولة، أو تؤدي للخلاف، هذه الأقوال هي موضوع المعارضة.

٦ - الأدلة على ذلك

الدليل الأول: جاء في سنن الدارمي مجلد ١ صفحة ١٢٥ باب من رخص بالكتابة من المقدمة، وسنن أبي داود مجلد ٢ صفحة ١٢٦ باب كتابة العلم، ومسند أحمد مجلد ٢

صفحة ١٦٢ و ٢٠٧ و ٢١٦، ومستدرک الحاكم مجلد ١ صفحة ١٠٥ - ١٠٦، وجامع بيان

العلم وفضله لابن عبد البر الحديث ٢ صفحة ٨٥ عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: كنت أكتب كل شيء أسمع من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فنهتني قريش، وقالوا تكتب كل شيء سمعته

من رسول الله، ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله، فأوماً بإصبعه إلى فيه وقال: اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق.

فمن هي قريش التي نهت ابن العاص عن كتابة أحاديث الرسول؟ وما هي
مصلحتها بهذا النهي؟ ومتى اجتمعت قريش دفعة واحدة؟ وسيتبين لك أن قريش
تلك هم قادة التاريخ السياسي الإسلامي، وشيعة هؤلاء القادة الكرام!
الدليل الثاني: جاء في صحيح البخاري كتاب الدعوات - باب قول النبي: من
أذيته، وجاء في صحيح مسلم - كتاب البر والصلة - باب من لعنه النبي... وكفى
ببخاري ومسلم دليلاً عند شيعة قادة التاريخ، وجاءت الرواية فيهما كما يلي وبالحرَف:
أن رسول الله كان يغضب، فيلعن ويسب ويؤذي من لا يستحقها، ودعا الله أن يجعلها
لمن بدرت منه زكاة وطهوراً.

ومع عميق الاحترام، فإن هذه الأقوال لا تستقيم لا بمعيار العقل ولا بمعيار الشرع،
ولا بالمعيار الواقعي لصاحب الخلق العظيم، وقد حاولنا أن نحلل ذلك فيما مضى، وما
يعنينا الآن هو أن قادة التاريخ السياسي قسموا حديث رسول الله إلى قسمين: قسم
صدر منه في حالة الرضا، وقسم صدر منه في حالة الغضب.

الدليل الثالث: وهو ما سماه ابن عباس بيوم الرزية، حيث روى البخاري وقائع
هذا اليوم الأسود بست روايات في مجلد ٧ صفحة ٩ دار الفكر، ومسلم في مجلد ٥
صفحة ٧٥ المكتبة التجارية، ومجلد ١١ صفحة ٩٥ صحيح مسلم بشرح النووي،
فضلاً

عن عشرات المراجع سنذكرها في حينها.
وملخص ما جرى في هذا اليوم الأسود أن رسول الله قال لمن حوله: قربوا أكتب
لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فانقسم الحاضرون إلى قسمين: قادة التاريخ السياسي
الذين قالوا: إن الرسول قد غلبه الوجد، حسبنا كتاب الله، وأحياناً قالوا: إن
الرسول قد هجر، ما له إنه يهجر؟ استفهموه إنه يهجر؟ حاشا له.
وأما القسم الآخر فقالوا: قربوا يكتب لكم رسول الله. وتمكن القسم الأول من أن
يفرض وجهة نظره تماماً، وحال هذا القسم بين الرسول وبين كتابة ما أراد. هذا القسم

هو الذي قاد التاريخ السياسي، وبالمناسبة فإننا نتحدى أولئك الذين عبدوا التقليد أن ينفوا هذه الحادثة، أو يعتذروا عنها!!

يستحيل على قادة التاريخ السياسي أن يعرفوا سلفا مضمون الحديث النبوي، وهل قاله النبي في حالة غضب، أو في حالة رضا، فإذا فسر الحديث على أنه صدر في حالة غضب فإنه سيؤدي لمفسدة يصعب تداركها، وبنفس الوقت يكون الحديث قد قيل وانتشر، وبذرت معه بذور الخلاف، وبهذه الحالة لا بد من وضع حل جذري لتجنب الأحاديث التي صدرت من الرسول وهو في حالة غضب، والتي ستؤدي حتما إلى الخلاف وزعزعة أمن دولة الخلافة، وحيث أنه يستحيل معرفة مضمون الحديث سلفا، فلا بد من وضع حل جذري لسد هذه النافذة، وحصر رواية الحديث بشيعة القادة السياسيين، وبالقدر الذي لا يؤدي إلى الخلاف.

وهكذا منعا للخلاف والاختلاف، وطلبا للانسجام، والمحافظة على وحدة الدولة، ووحدة الأمة في ظلها، فقد ابتدع قادة التاريخ السياسي الإسلامي حلا يتمثل في:

١ - منع كتابة أحاديث الرسول.

٢ - حرق الأحاديث المكتوبة عن الرسول.

٣ - منع رواية أحاديث الرسول.

وبهذا الحل العبقري قصروا المنظومة الحقوقية الإلهية على القرآن وحده، وحذفوا بيان هذا القرآن، وتولوا بأنفسهم بيان القرآن الكريم.

جاء في طبقات ابن سعد مجلد ٥ صفحة ١٤٠ بترجمة محمد بن أبي بكر: أن الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب، فأنشد الناس أن يأتوه بها، فلما أتوه بها أمر بتحريقها! وحرقت فعلا.

روى الذهبي في تذكرة الحفاظ بترجمة أبي بكر مجلد ١ صفحة ٢ - ٣ أن أبا بكر (رضي الله عنه)

جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال: إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها،

والناس بعدكم أشد اختلافاً، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله، وحرّموا حرامه!
وأخرج بن عبد البر بثلاثة أسانيد في جامع البيان العلم - باب ذكر من ذم الإكثار من الحديث مجلد ٢ صفحة ١٤٧

روى الذهبي في تذكرة الحفاظ مجلد ١ صفحة ٤ - ٥ عن قرصة بن كعب قال: لما سيرنا عمر بن الخطاب إلى العراق مشى معنا عمر إلى حرارة ثم قال: أتدرون لم شيعتكم؟ قلنا: أردت أن تشيعنا وتكرمنا، قال: مع ذلك لحاجة، إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل، فلا تصدوهم بالأحاديث عن رسول الله وأنا شريككم، قال قرصة: فما حدثت بعده حديثاً عن رسول الله.

وفي رواية أخرى: فلما قدم قرصة بن كعب قالوا: حدثنا، فقال: نهانا عمر! وعن عبد الرحمن بن عوف قال: ما مات عمر بن الخطاب حتى بعث إلى أصحاب رسول الله، فجمعهم من الآفاق، عبد الله بن حذيفة، وأبا الدرداء، وأبا ذر، وعقبة بن عامر فقال ما هذه الأحاديث التي أفشيتم عن رسول الله في الآفاق. قالوا: أتنهانا؟ قال: لا، أقيموا عندي، لا والله لا تفارقوني ما عشت، فنحن أعلم نأخذ منكم ونرد عليكم، فما فارقه حتى مات! راجع الحديث ٤٨٦٥ من الكنز مجلد ٥ صفحة ٢٣٩ ومنتخبه مجلد ٤ صفحة ٦١

وروى الذهبي أن عمر حبس ثلاثة: ابن مسعود، وأبا الدرداء، وأبا مسعود الأنصاري، فقال: أكثرتم الحديث عن رسول الله! راجع تذكرة الحفاظ مجلد ١ صفحة ٧ ترجمة عمر.

وكان يقول للصحابة: أقلوا الرواية عن رسول الله إلا في ما يعمل به!
وجاء عثمان بن عفان فصعد المنبر ثم قال: لا يحل لأحد يروي حديثاً لم يسمع به في عهد أبي بكر، ولا في عهد عمر! راجع منتخب الكنز بهامش مسند أحمد مجلد ٤ صفحة ٦٤

وروى الدارمي: أن أبا ذر كان جالسا عند الجمرة الوسطى، وقد اجتمع الناس يستفتونه فأتاه رجل، فوقف عليه ثم قال: ألم تنته عن الفتيا؟ فرفع رأسه إليه فقال: أرقب أنت علي؟! لو وضعتم الصمصامة على هذه وأشار إلى قفاه، ثم ظننت أنني أنفذ كلمة سمعت من رسول الله قبل أن تحيزوا علي لأنفذته. راجع سنن الدارمي مجلد ١ صفحة ١٣٢، وطبقات ابن سعد مجلد ٢ صفحة ٣٥٤ بترجمة أبي ذر، واختزله البخاري، وأورده في باب العلم في صحيحه مجلد ١ صفحة ١٦١.

وروى الطبري في حوادث سنة ٥١ مجلد ٢ صفحة ١١٢ - ١١٣ ومجلد ٢ صفحة ٣٨،

وابن الأثير في مجلد ٣ صفحة ١٠٣: أن معاوية استعمل المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة ٤١، ثم دعاه وقال له: قد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة أنا تاركها اعتمادا على بصرك، ولست تاركها إيصاءك بخصلة، لا تترك شتم علي وذمه، والترحم على عثمان، والاستغفار له، والعيب لأصحاب علي، والإقصاء لهم، والإطراء لشيعه عثمان، والإدناء لهم!

وروى المدائني في كتاب الأحداث قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمة ممن روى شيئا من فضل أبي تراب وأهل بيته! برواية ابن أبي الحديد في شرح النهج، راجع معالم المدرستين صفحة ٤٨ وما قبلها. ولدعم توجه السلطة هذا، رويت أحاديث عن رسول الله رواها مسلم، والدارمي، وأحمد، مفادها أن رسول الله أمر المسلمين أن لا يكتبوا عنه، ومن كتب شيئا فليمحه، لأنه لا يريد كتابا مع كتاب الله! راجع صحيح مسلم مجلد ٤ صفحة ٩٧

وسنن الدارمي مجلد ١ صفحة ١١٩ ومسند أحمد مجلد ٣ صفحة ١٢ و ٣٩ و ٥٦ ولكن، إذا كان الرسول منع كتابة حديثه، فلماذا كتب المسلمون حديثه؟! الجواب جاهز: لا ينكر تغيير الأحكام بتغير الزمان!! ومن الذي يملك صلاحية تغيير الحكم الإلهي؟! ومن الذي أعطاه هذه الصلاحية!!؟ ومتى أعطيت؟

٧ - سريان قرار محاصرة أقوال النبي لمدة قرن من الزمان!
ظل حديث النبي لا يكتب ولا يدون طوال عهد الصحابة، وصدرا كبيرا من عهد التابعين، إلى أن حدث التدوين في آخر عهد التابعين حين خيف الدروس وأسرع في العلماء الموت! عندئذ أمر عمر بن عبد العزيز أبا بكر الحزمي... وقال مالك في الموطأ: إن

عمر بن عبد العزيز كتب إلى أبي بكر بن حزم: أن انظر ما كان من أحاديث رسول الله أو سنته، فاكتبه لي، فإني خفت دروس العلم، وذهاب العلماء... وكان عمر بن عبد العزيز على رأس المائة الأولى، فجاء يزيد بن عبد الملك فعزل أبا بكر، وتوقفت حركة التدوين إلى أن تولى هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ هـ فجد في هذا الأمر ابن شهاب الزهري، بل قالوا إنه أكرهه على تدوين الحديث، لأنهم كانوا يكرهون كتابته، ولكن لم تلبث هذه الكراهية أن صارت رضا، حيث كانوا يتخرجون من كتابة الحديث بعد أن مضت سنة من كان قبلهم من الصحابة على عدم تدوينه. راجع أضواء على السنة المحمدية صفحة ٢٥٨ - ٢٦١ بتصرف، وراجع معالم المدرستين مجلد ٢ صفحة ٤٤

السلطة هي التي منعت كتابة أحاديث رسول الله حتى مضت مدة ٩٥ سنة على وفاة الرسول، ثم بدى لهذه السلطة أن تسمح بكتابة أحاديث رسول الله، عن الزهري قال: كنا نكره كتابة العلم حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء، فرأينا أن لا نمنعه أحدا من المسلمين. راجع أضواء على السنة المحمدية صفحة ٢٦٢

٨ - لولا قادة التاريخ السياسي وشيعتهم
لو أن أبا بكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم لم يفرضوا تلك الرقابة الصارمة على كتابة أحاديث رسول الله وتداولها، كما أثبتنا ذلك، ولم يمنعوا الناس من كتابة تلك الأحاديث، كما وثقنا، ولم يمنعوا رواية تلك الأحاديث، كما أوضحنا، ولم يبالغوا برفع شعار حسبنا كتاب الله كما هو ثابت ومعلوم علم اليقين، ولولا تفريقهم بين ما صدر عن الرسول وهو في حالة غضب، وما صدر عنه وهو في حالة رضا، وتلك أمور

اعتبروها من لوازم الحفاظ على الدولة وعلى وحدة الأمة... لولا ذلك لاختلقت الصورة تماما، ولكان بيان النبي كاملا بجانب القرآن! (لو أن أحاديث الرسول كانت قد كتبت عندما كان ينطق بها، وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى على الأقل، وحفظ ما كتب على وجه الدهر منها، لتلقاها الناس كما تلقوا كتاب الله بغير بحث في صحتها، ولا تنقيب عن حقيقتها، ولكن عدم تدوينها في عهد صاحب الرسالة وأصحابه، وإثباتها من ناحية الرواية قد ألزم العلماء أن يبحثوا في أمرها، لكي يعرفوا الصحيح، والموضوع منها). راجع أضواء على السنة المحمدية صفحة ٢٧٣ لمحمود أبو رية.

طوال ٩٥ عاما وأحاديث النبي محاصرة رسميا، لا تكتب، ولا تروى ولا تداول... طوال هذه المدة، وشعار (حسبنا كتاب الله) يترسخ ويتوطد، حتى ألقى في روع الناس،

أن كتاب الله وحده يكفي، وبمعنى أن بيان النبي للقرآن أمر ثانوي، حتى تحول هذا التوجه إلى سنة ترسخت في النفوس، فصارت تأبى سواها، إلا من رحم ربي! وعندما آلت الأمور إلى الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، أدرك خطورة ما جرى وما يجري من إهمال البيان المحمدي، فكلف واليه على المدينة أبا بكر الحزمي بأن ينظر

ما كان من سنة أو حديث فيكتبه لأنه وبتعبيره (فإني خفت دروس العلم، وذهاب أهله) كما ذكر مالك في الموطأ، وعندما آلت الأمور إلى يزيد بن عبد الملك عزل الحزمي،

وفترت فكرة الكتابة، حتى جاء هشام بن عبد الملك فأحيها. فقبلوا مكرهين!

٩ - المناخ الذي جرى فيه تدوين الحديث

أحاديث مضي على محاصرتها ٨٥ عاما، وصدرت عن صاحب الرسالة من مدة ٨٥ عاما، وطوال هذه المدة وهي محظورة رسميا، وفجأة خطر ببال السلطة الإسلامية أن تدون

هذه الأحاديث تدوينا، يحفظ تلك الأحاديث ولا يمس بأولئك الذين حاصروها، ولا بشيعتهم وأوليائهم، ولا ينال من هيبة السلطة القائمة، ولا يؤثر على أمنها، ولا يقوي شوكة معارضيها، أو الطاعنين بشرعيتها.

وهنا تثور أكبر المشكلات وهي: كيف يمكن تذكر أقوال صدرت من صاحب الرسالة قبل ٩٥ عاما!!!؟ كيف يمكن نقل هذه الأقوال باللفظ والمعنى معا!!!؟ يتعذر عمليا ذلك!! بل ويستحيل، لكن حملة التذكر والتدوين تدعمها السلطة نفسها، ومن المستحيل أن تتوقف، لأن قرار السلطة بالتدوين قد صدر، وتغلب الناس على سنة المنع التي دامت ٩٥ عاما.

١٠ - كيف سد قادة التاريخ السياسي الفراغ الحقوقي من المسلمات أن المنظومة الحقوقية الإلهية تتكون من مقطعين: كتاب الله المنزل. ونبي الله المرسل بذاته وقوله وفعله وتقريره.

وهنا يثور سؤال كبيرة: كيف أمكن تطبيق الشرع الإسلامي بشقيه هذين في غياب أحاديث النبي؟ ألم يشعر الخلفاء بالفراغ القانوني؟ كيف أمكنهم وضع قواعد حقوقية بدلا من القواعد القولية النبوية؟ خاصة مع حالة الإبعاد التي فرضوها على آل محمد، فغاب الآل الكرام عن مسرح الحياة السياسية عمليا. ولكن التعجب يزول، وحدة التساؤلات تخف إذا أدركنا أن الخليفة هو القائم مقام النبي من الناحية الفعلية، فما يقوله الخليفة نافذ سياسيا وحقوقيا! إن ولاية العهد شرعت ووضعت موضوع التنفيذ رسميا وأصبحت شرعية بفعل أبي بكر وعمر، فالسلطة طوال التاريخ أنكرت أن رسول الله قد عهد لأحد، ولكن الذي جعل ولاية العهد مشروعة هو فعل أبي بكر عندما عهد لعمر، وفعل عمر عندما عهد عمليا لعثمان، ثم أصبح العهد عملا شرعيا بسبب فعل هذين الخليفين!

قال ابن خلدون في مقدمته صفحة ١٧٧: إن الإمام الخليفة ينظر للناس في حال حياته، وتبع ذلك أن ينظر لهم بعد وفاته، ويقيم لهم من يتولى أمرهم... إلخ. لكن ابن خلدون لا يبين لنا لماذا لم ينظر رسول الله للناس بعد وفاته، ولم يقم لهم من يتولى أمرهم!!!؟

ولقد أدركت السلطة وشيعتها خطورة مثل هذه التساؤلات فدعمت فعل الخلفاء بما سمي إجماعا. وعهد أبو بكر لعمر أمام الصحابة ولم يعترض عليه أحد، بمعنى أن فعل

أبي بكر يسنده الإجماع، علاوة على حقه الثابت بأن يقيم للناس من يتولى أمره، فمن يشك بهذا الحق فإن الإجماع يدخله اليقين، وقول الرسول حق: لا تجتمع أممي على ضلالة ويد الله مع الجماعة... إلخ.

وسترى أن بإمكان الخليفة أن يبين القرآن، وأن يضع هذا البيان موضع التطبيق بغض النظر عن كون هذا البيان قائما على الظن والتخمين أو الجزم واليقين، بل وبإمكانه أن يعمل عكس ما عمل الرسول، فإذا وزع الرسول بين الناس بالتساوي، فبإمكان الخليفة أن يعطي الناس حسب منازلهم لا بالتساوي، وإذا حدد القرآن وجوه صرف الصدقات فبإمكان الخليفة أن يلغي وجها من هذه الوجوه، كما فعل الفاروق حيث ألغى نهائيا سهم المؤلفه قلوبهم، بحجة أن الله أعز دينه ولا حاجة لتأليف القلوب بالمال... إلخ. فمن هذه الناحية وأمام قدرة الخليفة على التصرف والإبداع، فلن يكون هنالك فراغ حقوقي أو قانوني.

ولكن مع ذلك وبالضرورة ستحدث تصرفات، أو أفعال، أو حالات تحتاج للحكم الشرعي، فإذا عرف أولو الأمر الحكم الشرعي حكموا به، وإن لم يعرفوا فإن الأحداث لن تتوقف حتى يعرفوا الحكم الشرعي، فبالضرورة أيضا لا بد من حكم يتصدى لهذه الحادثة أو تلك، فيصبح لزاما على أولي الأمر وشيعتهم أن يجدوا حكما ما، وطالما أنهم لم يهتدوا إلى الحكم الشرعي الإلهي، فلا بديل أمامهم من خيارين:

١ - إما أن يرجعوا إلى علي بن أبي طالب بوصفه (مدينة العلم اللدني) وبوصفه (وليهم) وولي كل مؤمن ومؤمنة) ورجوعهم إليه لمعرفة الحكم الشرعي تأكيد لحقه بالولاية، وهز من الأعماق لنظام الدولة وهذا ما لا يقبله حاكم عاقل ولا يرضاه لأمره، لأنه لو فعل ذلك لسحب بساط الشرعية من تحت أقدامه!

٢ - أو أن يعملوا بالرأي حسب مبلغهم من العلم بروح الشريعة. وقد سموا العمل بالرأي تأويلاً، ثم سموه اجتهاداً، وبقدرة قادر صار العمل بالرأي مصدراً من مصادر الشريعة!

١١ - اثنان من علماء الأردن

الأستاذ فتحي الدريني عالم جليل، كتب سلسلة من المقالات انتهى فيها إلى أن الاجتهاد فرض تكافلي، فتصدت بمقال نشرته جريدة اللواء الغراء الأردنية بعددها رقم ١٠١٨ بعنوان (مداخلة في ما أسماه الدريني بفرض الاجتهاد) وانتظرت، وطال انتظاري، فأحجم فضيلته عن الرد.

وبعد طول انتظار كتب معالي الأستاذ رائف نجم مقالا عن الاجتهاد لم يخرج فيه عن ما ذكره الدريني، والأستاذ النجم وزير أوقاف أردني سابق، ومن المحسوبين على علماء الإسلام، فتصدت لمعاليه وكتبت مقالا نشرته جريدة اللواء الأردنية بعددها رقم ١٠٢٦، وطال انتظارنا ولم يرد معاليه، وفسرنا أن سكوتهم في معرض الحاجة إلى البيان، بيان وزيادة في الفائدة، وتكملة للموضوع أضع بين يدي عشاق الحقيقة النص الحرفي لمقالينا. بعد ذلك سيعرف طالبوا الحقائق أية أوهام يتمسك بها علماء شيعة السلطة، ويتضح كيف أمكن سد الفراغ القانوني بالرأي.

١٢ - المقال الأول مداخلة في ما أسماه الدريني بفرض الاجتهاد إن لم تخني الذاكرة فالأستاذ الفاضل الدكتور محمد الدريني أحد أساتذتي ومشايخي الكرام، فقد تتلمذت على يديه قبل أكثر من عشرين عاماً في جامعة دمشق، وحديثاً على صفحات جريدة اللواء الغراء قرأت له الكثير من حلقات بحوثه المتعمقة، والتي يتابعها بإصرار.

أسباب المداخلة

وأخيرا قرأت مقالة أستاذي الفاضل في عدد اللواء الغراء الصادر بتاريخ ٢٨ / ١٠ / ٩٣

والتي تناولت ما أسماه بفرض الاجتهاد، ومع عميق تقديري لمنهجية الأستاذ بالبحث، وترتيب الأفكار، مع كرم الجمل إلا أن لي ملاحظات جوهرية غالبتني فغلبتني، ولو اهتديت لعنوانه لهاتفته، ووضعت تلك الملاحظات بين يديه لعله يستفيد منها إذا ما لاح له على بصيص نورها أن يعدل من رؤيته حول هذا الموضوع. وقد جمعت - بتشديد الميم - هذه الملاحظات على عجل من مؤلفات علماء مدرسة أهل البيت الكرام، ومن علماء مدرسة الخلفاء. وها أنا أضعها بين يديك وتحت تصرف القراء الكرام لغايات محددة وهي الوقوف على المقصود الشرعي. معنى الاجتهاد لغة

قال ابن الأثير تحت مادة جهد: الإجتهد بذل الجهد في طلب لأمر، وهو افتعال من الجهد لطاقة، وقال أبو حامد الغزالي: الإجتهد هو عبارة عن بذل جهد، واستفراغ الوسع في فعل من الأفعال، ولا يستعمل إلا في ما له كلفة وجهد. راجع المستصفي من أصول الفقه مجلد ٢ صفحة ١٠١، والأحكام للآمدي مجلد ٤ صفحة ١٤١.

معنى الاجتهاد في الشرع الحنيف

معنى الاجتهاد شرعا هو عين المعنى اللغوي فقد ورد عن رسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله... (أما السجود فاجتهدوا بالدعاء الجامع) صحيح مسلم كتاب الصلاة مجلد ٢٠٧، ومسند أحمد مجلد ١ صفحة ٢١٩ وقوله (صلوا علي واجتهدوا بالدعاء). راجع سنن النسائي مجلد ١

صفحة ١٩٠ باب الأمر بالصلاة على النبي، ومسند أحمد صفحة ١٩٩ وقوله (فضل العالم

على المجتهد مائة درجة). راجع سنن الدارمي مجلد ١ صفحة ١٠٠... إلخ. خلاصة معنى الاجتهاد في اللغة والشريعة يلاحظ أستاذي الكريم أنه طوال عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بل وحتى بعد وفاته، وامتدادا حتى آخر القرن الأول الهجري كان الاجتهاد يعني بذل الجهد عموما واستفراغه، ولا

يخفى على مثلكم أن عهد النبي الزاهر هو عهد التشريع فإذا كان الأمر كذلك، فمن الذي

جعل الاجتهاد فريضة؟

ولو تركنا التقليد جانبا لوجدنا أن الاجتهاد في اصطلاح المسلمين هو الذي فرض الاجتهاد، حيث صار لفظ الاجتهاد في عرف العلماء مخصوصا ببذل المجتهد وسعة في

طلب العلم بأحكام الشريعة، كما ذكر أبو حامد الغزالي في المستصفى، والآمدي في الأحكام مجلد ٤ صفحة ١٤١، وقد شاع هذا الاصطلاح لدى علماء مدرسة أهل البيت

الكرام بعد القرن الخامس، كما ورد في كتاب مبادئ الأصول للعلامة الحلي. انعدام الحاجة إلى الاجتهاد

مثل أستاذي الكريم يعلم علم اليقين أن الله تبارك وتعالى قد أنزل القرآن تبيانا لكل شئ على الإطلاق، وإذا كنا لم نلمس ذلك فلأن تغطية القرآن بالبيان لكل شئ عملية فنية تماما، فبالرغم من تحرك في علوم معينة إلا أنك لا تستطيع أن تجري جراحة للعين، ومن هنا اقتضت حكمته تعالى وجود (عبد) ليبين للناس ما أنزل إليهم من ربهم، ولينقل الكتاب من الكلمة إلى الحركة، ومن النظر إلى التطبيق، نقلا قائما على الحزم واليقين لا على الفرض والتخمين. وبالفعل قام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذه العملية عبر دعوة قادها بنفسه، ومن خلال دولة

ترأسها بنفسه. وبعد أن تم ذلك أعلن الله كمال الدين وتمام النعمة، ولأن عملية البيان مستمرة إلى يوم القيامة عين الله مرجعية فردية، ومرجعية جماعية تساعد المرجعية الفردية، وأمر الناس باتباع المرجعية الفردية المختصة بالبيان، وأمر المرجعية الجماعية بمساعدة المرجعية الفردية، ثم انتقل إلى الرفيق الأعلى.

ومن هنا يتبين لأستاذي الفاضل أن الإسلام يتلخص شكلا ومضمونا بكلمتين كتاب الله المنزل، وبيان النبي لهذا الكتاب. والقياس الموضوعي لمعرفة المتقيدين بالإسلام هو الموالاتة، فلو زعم زاعم أنه مؤمن بالقرآن، ومتبع لبيان النبي، ولكنه لا يريد أن يوالي النبي فرعمه مردود عليه.

والخلاصة

أن عهد النبي عهد جزم و يقين، لا فرض وتخمين. وإن كتاب الله، وبيان رسوله غطيا ساحة كل شيء، والرسول نفسه لا ينطق عن الهوى، وقد عصمه الله. بينما الاجتهاد قائم على الفرض والتخمين، والمجتهد يخطئ ويصيب، وهذا غير وارد في حقه (صلى الله عليه وآله وسلم).

أسباب ظهور الاجتهاد

والنبي على فراش الموت أراد أن يلخص الموقف لأصحابه، وأن يؤمنهم ضد الضلالة تأميناً شاملاً فاجتهد بعض الصحابة، وقالوا: إن القرآن وحده يكفيهم، وأنهم ليسوا بحاجة لهذا التأمين. وهكذا فصل الكتاب عن البيان، ولو كان هذا الفصل منتجا لما كان هنالك داع لابتعاث الرسل، ولسد مسدهم نسخ من الكتب السماوية ترسل بطريقة ما إلى المكلفين، هذا الفصل استدعى وجود مؤسسة للبيان فكان الاجتهاد، والحاكم هو الذي ينظر، فيختار منها ما يريد، والحاكم على الغالب كان هو الغالب بغض النظر عن دينه، أو علمه، أو سابقته!

وحادثة الحيلولة بين النبي وبين كتابة ما أراد من الوضوح، والثبات، والتواتر بحيث لا يقوى أستاذي الفاضل على إنكارها، فضلا عن الاعتذار عنها، وقد رواها أصحاب الصحاح.

تعميق مؤسسة الاجتهاد

وتعمقت مؤسسة الاجتهاد يوم أن أعلن رسميا منع الحديث عن الرسول، وأن القرآن وحده يكفي. فقد ذكر الذهبي في تذكرة الحفاظ بترجمة أبي بكر (رضي الله عنه) مجلد ١

صفحة ٢ - ٣ أن أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيهم، فقال: إنكم تحدثون عن رسول الله

أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافا، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئا، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلوا حلاله، وحرموا حرامه!

وسار الفاروق (رضي الله عنه) على هذه السياسة، فقد روى ابن سعد في طبقاته أن الأحاديث

كثرت على عهد عمر بن الخطاب، فأنشد الناس أن يأتوه بها، فلما أتوه بها أمر بتمزيقها. راجع مجلد ٥ صفحة ١٤٠ من طبقات ابن سعد بترجمة القاسم بن محمد

بين أبي بكر، وروى الذهبي في تذكرة الحفاظ مجلد ١ صفحة ٧ ترجمة عمر أن عمر (رضي الله عنه)

حبس ثلاثة لأنهم أكثروا الحديث عن رسول الله. ويجدر بالذكر أن قريشا كانت تنهى عن كتابة أحاديث رسول الله حتى وهو حي، كما روى عبد الله بن عمرو بن العاص، وجاء عثمان (رضي الله عنه) فسلك نفس النهج حيث سعد

على المنبر وقال: لا يحل لأحد يروي حديثاً لم يسمع به في عهد أبي بكر، ولا في عهد

عمر، راجع منتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد مجلد ٤ صفحة ٦٤ ولا يخفى على أستاذي الفاضل بأن أول من دون الحديث رسمياً، هو ابن شهاب الزهري بأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز.

التأويل هو الغطاء الذي أضفى على الاجتهاد ثم اختفى التأويل، وورثه الاجتهاد

وحتى لا يطول بنا المقام أتمنى على أستاذي الكريم أن يقرأ في لسان العرب مادة أول، ومادة أول في الصحاح، ومادة أول في نهاية اللغة لابن الأثير، وأن يراجع صحيح البخاري كتاب الآداب - باب من أكفر أخاه من غير تأويل، على هامش فتح الباري مجلد ١٣ صفحة ١٢٩ - ١٣٠ وأن يطلع على شرح باب ما جاء في المتأولين من

فتح الباري، عندهما سيتقن أستاذي الكريم أن التأويل سابق بوجوده للاجتهاد، وسيلاحظ القاعدة التي وضعوها، قال العلماء: كل متأول معذور بتأويله وليس بآثم، إذا كان تأويله سائغاً في لسان العرب، وكان له وجه في العلم.

النتائج المذهلة للاجتهاد

القاتل في الجنة، والمقتول في الجنة كلاهما على حق! قال ابن حزم في الفصل مجلد

٤

صفحة ١٦١ عمار بن ياسر قتله أبو الفادية، فأبو الفادية الذي قتل عماراً متأولاً مجتهداً مأجوراً أجراً واحداً!

وقال ابن حجر في الإصابة مجلد ٤ صفحة ١٥١ في ترجمة أبي الفادية: قاتل عمار والظن بالصحابة في كل تلك الحروب أنهم كانوا متأولين، وللمجتهد المخطئ أجر! وقال ابن حزم في المحلى وابن التركماني في الجوهر النقي: ولا خلاف بين أحد من الأمة في أن عبد الرحمن بن ملجم قاتل الإمام علي لم يقتل عليا إلا متأولا مجتهدا! مع أن ابن ملجم هذا ليس من الصحابة، ووفق هذا الخريج فإن قاتل الإمام علي مأجور أجرا واحدا!

وفي هامش الصواعق المحرقة صفحة ٢٠٦ قال الشيخ عبد اللطيف: المقاتل مع علي، أو عليه، أو المعتزل لا يخرج بما وقع منه عن العدالة! وقال ابن كثير في تاريخه مجلد ٨ صفحة ٢٢٨ ما ملخصه: أن يزيد تأول فأخطأ! مع أن يزيد هذا هدم الكعبة المشرفة، وأباد الذرية المباركة! وقال ابن تيمية عن معاوية: إنه كعلي بن أبي طالب في ذلك، أي مجتهد! راجع منهاج السنة مجلد ٣ صفحة ٢٦١ و ٢٧٥ و ٣٦٦ و ٢٨٤ و ٢٨٦ و ٢٩٠ وقال ابن كثير: معاوية مجتهد مأجور إن شاء الله! راجع تاريخ ابن كثير مجلد ٧ صفحة ٢٧٩... إلخ.

وغيرها من مئات الاجتهاد التي تضيق بها المجلدات.

معالم على طريق البحث

لا يخفى على أستاذه الكريم أنه كان في تاريخ هذه لأمة حكم وحكام قد تغلبوا، وطالت أزمان غلبتهم، وأصبحت الغلبة هي السند الشرعي لوجودهم، بحكم الاجتهاد، فشايعتهم أكثرية الأمة، وابتغت مرضاتهم رغبة أو رهبة، فبررت فعلهم بحكم الغلبة والتبعية، وبحكم الاجتهاد، ونتيجة ذلك كله: تكونت رؤى وتأويلات واجتهادات استقرت بحكم التكرار، وزينة الإعلام، وضغط الحوادث التاريخية، ولاحت تلك الرؤى والتأويلات كأنها جزء من المنظومة الحقوقية الإلهية، وقد سخر الحكام ومن شايعهم كل وسائل الإعلام الرسمية لترسيخها وإثباتها، فتقبلناها بعد مئات السنين بقبول حسن، لأنها من تركة الغالب الذي قهر كل خصومة!

وواكب ذلك بالضرورة وجود معارضة لهذا التيار الهادر بغض النظر عن قلتها أو كثرتها، وكانت محجمة بالضرورة، لأن زورقها يجري ضد التيار العام والتلميح عن ذلك يغني أستاذي الفاضل عن التصريح وأخطر ما يتعرض له الباحث عن الحقيقة هو الركون التام لأحد هذين الموردين، فلا بد من أخذ وجهة نظر كل منهما بحذر، وعناية،

ودقة، وموضوعية تامة في كل مسألة من المسائل، تمهيدا لتكوين رؤية علمية عامة، ودقيقة، ومتكاملة. وبعد ذلك وزنهما بميزان الشرع الحنيف بمعناه الدقيق تمهيدا لاستجلاء كليات وتفصيل تغطية البيان الإلهي لكل شئ وعلى الإطلاق. ما لا بد منه

حتى لا نبحث عن الحلقة في صحراء، أو عن النجم في سماء، لا بد من البحث عن المرجعية لأنها توفر بتوجيهاتها عناء البحث عن هذه الحلقة، وترشد مسيرة العقل البشري، وتدلنا على أقصر الطرق للوقوف على الحقيقة المجردة، وتقدم لنا كل ذلك أجوبة قائمة على الحزم واليقين، ويكفي مؤسسة المرجعية شرفا أن محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) كان هو

المرجعية الأولى في الإسلام، وقد لا يخفى على أستاذي الكريم أن أسباب فرقة الأمة تكمن في تعدد المرجعيات، وتعدد اجتهاداتها القائمة على الفرض والتخمين. وهذا موضوع لطول غربته يتصوره العلماء العرب مع خطورته كأنه ضرب من الأوهام. استنفار

وأستاذي الكريم بحكم تعدد شهاداته العلمية، وبحكم تفرغه للبحث والدراسة والتدريس، وبحكم إصراره على ذلك، ومتابعته له مؤهل لبحث هذا الموضوع تفصيلا بسلسلة من الحلقات يحدد إطارها العام، وتأخذ شكل المداخلات مع حوار متحضر منتظم يستفيد منه العامة والخاصة، واللواء برئاستها الجليلة المتبصرة لن تضيق بذلك بل ستفتح صدرها الرحيب له، وترضعه من أثدائها الدارة، وتحشد لإنجاحه صفوة العلماء.

وبالختام أعبر عن عاطر تقديري، وأخفض جناحي لأستاذي الكريم، والحمد لله أولاً وآخراً والصلاة والسلام على النبي وآله.

١٣ - المقال الثاني الاجتهاد بين الاختلاف والائتلاف

الاجتهاد عند الدريني ونجم قبل أسابيع قرأت في جريدة اللواء الغراء مقالا للأستاذ فتحى الدريني رأى فيه أن الاجتهاد فرض وضرورة فتح أبواب الفرج والائتلاف على المسلمين، ورددت عليه بمقال قلت له فيه قولاً لينا، لعله يبين لنا كيف أصبح الاجتهاد فرضاً، ومن الذي فرضه، ومتى فرض، وقدمنا بين يديه معنى الاجتهاد لغة، ومعناه اصطلاحاً، ولمحنا له بأن المنظومة الحقوقية الإلهية غطت ببيانها مساحة كل شئ، تبياناً لكل شئ، ووثقنا المعنيين بالمراجع اللغوية التي تثبت صحة ما ذهبنا إليه. ولم أكتف بذلك، إنما سقت من النصوص الشرعية ما يؤكد وحدة المعنيين اللغوي والاصطلاحى، وأثبت أن اصطلاح الاجتهاد بالمعنى المتعارف عليه بين علماء المسلمين

لا سند له ولا أساس له في الشرع الحنيف، وبالتالي فإن الاجتهاد هو بعينه الذي فرض اصطلاح الاجتهاد.

وبعد جريدة اللواء الغراء الصادر بتاريخ ٢٣ / ١٢ / ١٩٩٢ وعلى الصفحة الرابعة منها

قرأت مقال معالي الأستاذ رائف نجم حول الاجتهاد، ومعالیه أشهر من أن يعرف، فقد استوزر أكثر من مرة، وكان في إحدى المرات وزيراً للأوقاف، تلك الوزارة التي أخذت على عاتقها - وبدون تفويض قانوني - مهمة قيادة الفكر الإسلامى وترشيده، ثم أصبحت هذه المهمة حقاً مكتسباً لها من دون الناس.

وأخلص إلى القول أن رأى الأستاذ نجم يمثل بالموازن الرسمية أعلى مراتب الفكر الإسلامى في الأردن، مما يجعل للحوار معه نكهة خاصة ذات معنى وفائدة وشمولية، وهو يدعو إلى سعة الصدر والاتساع بالرأى المخالف، ويرى أن الاجتهاد ضرورة لتقارب الحركات الإسلامىة... إلخ.

أمنية قد لا تتحقق

تمنيت على الأستاذ الدريني لو فتح لنا مغاليق علمه ينتفع الناس بهذا العلم، وليقودهم كما يفعل قادة الفكر، إلى الحقائق الشرعية المجردة، ولكن الدريني أطال الله بقاءه صمت، وطال صمته، حتى ساورتنا الظنون على صحته الغالية، وقد تأكدنا أنها بالكمال والتمام، فلاح لنا أنه يبحث ويدقق ويحقق بالمراجع التي أشرنا إليها... وأرجو أن لا يطول صمته وأن يخرج علينا، ويضع النقاط على الحروف، فيتحرك مع معالي الأستاذ النجم الذي أعلن الحاجة إلى بحث هذا الموضوع والحوار فيه... إلخ. حجة معاليه حول شرعية الاجتهاد

يقول الأستاذ النجم بالحرف: وإني أورد الحقائق التالية التي تثبت ضرورة الاجتهاد... ثم أورد الحديث عن معاذ بن جبل عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) عندما بعثه إلى اليمن...

ونسب فيه إلى النبي أنه سأله كيف تقضي قال: أقضي بما في كتاب الله، قال: فإن لم يكن في كتاب الله قال: فبسنة رسول الله، قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله؟ قال معاذ: أجتهد برأبي، قال النبي: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله... نسي الأستاذ النجم أن يكرر (رسول) مرة ثانية ثم ذكر الآية الكريمة: يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ثم أورد تأكيدات أصحاب المذاهب الأربعة بأن العبرة كتاب الله وسنة رسوله وأنهم بشر، وهذا مبلغهم من العلم، وأنهم نهوا عن التقليد... إلخ. هذه الأمور برأي معاليه تشكل مستندا شرعيا للاجتهاد، وأتمنى لو يتذكر معاليه أية مستندات شرعية أخرى حتى يكون ردي شاملا. نسف الحديث

في الإحكام لابن حزم مجلد ٥ صفحة ٧٦٣ - ٧٧٥ مطبعة العاصمة بالقاهرة ناقش ابن حزم موضوع الاجتهاد ثم قال: وأما خبر معاذ، أي الحديث الذي احتج به معالي

النجم، فإنه لا يحل الاحتجاج به لسقوطه، وذلك أنه لم يرو قط إلا من طريق الحارث بن عمرو، والحارث هذا مجهول لم يرو أحد من هو، وقال البخاري في تاريخه الأوسط:

ولا يعرف الحارث إلا بهذا الحديث ولا يصح، ثم إن الحارث هذا روى عن رجال من أهل حمص لا يدري من هم، ثم إنه لم يعرف قط في عصر الصحابة ولا ذكره أحد منهم،

ثم إنه لم يعرف في عصر التابعين حتى أدخله أبو عون وحده فيمن لا يدري من هو، فلما وجده أصحاب الرأي عند شعبة طاروا به كل مطار وأشاعوه في الدنيا وهو باطل لا أصل له.

وقال ابن حزم: وبرهان وضع هذا الخبر وبطلانه هو أن من الباطل الممتنع أن يقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فإن لم تجد في كتاب الله ولا في سنة رسوله، وهو يسمع قول ربه

تعالى (واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم) وقوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) وقوله تعالى (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) مع الثابت عنه عليه السلام من تحريم القول بالرأي في الدين... إنتهى كلام ابن حزم.

وأضيف على ما قاله ابن حزم: ومن الممتنع عقلا أن يصدر هذا عن رسول الله وهو يسمع قوله تعالى (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء) ٨٩ النحل، ويسمع قوله تعالى (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) الجاثية آية ١٨.

وبالرغم من أن رواة هذا الحديث نكرات، ولا وجود لهم على الإطلاق، وبالرغم من أن الحديث موضوع، وباطل ومخالف لكتاب الله وسنة رسوله، لكنه يدرس في المدارس والجامعات الأردنية والعربية، لأنه يخدم ما تهوى الأنفس. والآية لا تنجد معاليه

والآية الكريمة التي استشهد بها معالي الأستاذ لا علاقة لها بالاجتهاد لا من قريب ولا من بعيد، فقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر

ذلك خير وأحسن تأويلاً) هذه الآية الكريمة لا علاقة لها بالاجتهاد لا من قريب ولا من بعيد، بل وتفيد عدم ضرورته وعدم جدواه، فعندما يقع التنازع يرجع المتنازعون للحكم الشرعي المبين في كتاب الله الذي أوجد حكماً لكل شيء على الإطلاق، وتولى الرسول بيان هذا الكتاب، ونقله من النظر إلى التطبيق ومن الكلمة إلى الحركة. فالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله وهي المنهج الفرد لحل الخلافات وسيادة الشرعية أو ما يسمى بمبدأ سيادة القانون.

اشتباه على معاليه

ربما تصور الأستاذ الكريم أن أولي الأمر هم المجتهدون، وأنهم هم أهل الذكر، وهذا تصور لا يسعفه إلا الاجتهاد، فأولو الأمر هم أهل البيت الكرام وإن كنت في شك مما ذكرنا فيمكنك الرجوع إلى تفسير هذه الآية في ينابيع المودة للقندوزي الحنفي

صفحة ١٣٤ و ١٣٧ المطبعة الحيدرية و صفحة ١١٤ و ١١٧ مطبعة إسلامبول وشواهد

التنزيل للحاكم الحنفي مجلد ١ صفحة ١٤٨ حديث ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤ وتفسير الرازي

مجلد ٣ صفحة ٣٥٧ وإحقاق الحق للتستري مجلد ٢ صفحة ٤٢٤ وفرائد السمطين مجلد ١

صفحة ٣١٤ مجلد ٢٥ وهذا كله على سبيل المثال، وإن أردت الزيادة زدناك بسخاء.

أما أهل الذكر فهم أهل البيت الكرام أيضاً وليتأكد معاليكم يمكن التلطف بمراجعة شواهد التنزيل للحاكم الحنفي مجلد ١ حديث ٤٥٩ و ٤٦٠ و ٤٦٤ و ٤٦٥ و ٤٦٦ وينابيع

المودة للقندوزي الحنفي صفحة ٥١ و ١٤٠ المطبعة الحيدرية و صفحة ٤٦ و ١١٩ مطبعة

إسلامبول وتفسير القرطبي مجلد ١١ صفحة ٢٧٢ وتفسير الطبري مجلد ١٤ صفحة ١٠٩

وتفسير ابن كثير مجلد ٢ صفحة ٥٧٠ وروح المعاني للآلوسي مجلد ١٤ صفحة ١٣٤

وإحقاق الحق للتستري مجلد ٢ صفحة ٤٨٢... هذا على سبيل المثال أيضاً. وما يؤكد أنهم أولو الأمر، وأهل الذكر أن الهداية لا تدرك بعد النبي إلا بالقرآن وبهم معاً، وأن الضلالة لا يمكن تجنبها إلا بالقرآن وبهم معاً، فهم أحد الثقلين بالنص، وإن كنت في شك من ذلك فارجع مشكوراً إلى صحيح الترمذي مجلد ٥ صفحة

٣٢٨

حديث ٣٨٧٤ وجامع الأصول لابن الأثير مجلد ١ صفحة ١٨٧ حديث ٦٥ والمعجم الكبير للطبراني صفحة ١٣٧ ومشكاة المصابيح مجلد ٢ صفحة ٢٥٨ وإحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف صفحة ١١٤ والفتح الكبير للنبهاني مجلد ١ صفحة ٥٠٣ ومجلد ٣ صفحة ٣٨٥ والصواعق المحرقة لابن حجر صفحة ١٤٧ و ٢٢٦ والمعجم الصغير للطبراني مجلد ١ صفحة ١٣٥ ومقتل الحسين للخوارزمي مجلد ١ صفحة ١٠٤

والطبقات الكبرى لابن سعد مجلد ٢ صفحة ١٩٤، وخصائص النسائي صفحة ٢١ ومجمع الزوائد للهيثمي مجلد ٥ صفحة ١٩٥... ولولا الرغبة بالاختصار لذكرت لك ١٩٢ مرجعا.

لا ضرورة للاجتهاد في الإسلام
فالثابت يقينا أن الله قد أنزل الكتاب تبيانا لكل شيء بدليل قوله مخاطبا نبيه
(ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء) والمقصود بكل شيء كل شيء على الإطلاق،
والثابت يقينا أن الله قد أكمل الدين وأتم النعمة على المسلمين، والثابت يقينا أن رسول
الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة وبين القرآن كله ونقله من
النظر إلى التطبيق،

ومن الكلمة إلى الحركة بالتصوير الفني البطيء صوتا وصورة وحركة عبر دعوة قادها
بنفسه ومن خلال دولة ترأسها بنفسه، فبيان القرآن هو المهمة الأولى للنبي.
وباختصار فإنه لا خلاف بيني وبينك بأنه لا ضرورة للاجتهاد في عصر النبوة لأن
الإسلام - والله المثل الأعلى - بمثابة صيدلية كبرى، تحوي دواء لكل داء على
الإطلاق،

ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) القائم علينا، فهو بفضل الله عليه يشخص
تشخيصا يقينا كل داء
ويصف وصفا دقيقا قائما على الجزم واليقين كل دواء، أو إن شئت فقل: المنظومة
الحقوقية الإلهية، غطت بالكامل مساحة كل شيء، الأهداف العامة والخاصة،
ووسائل بلوغ هذه الأهداف وأحاطت بالماضي وتمكنت من الحاضر ورسمت صورة
يقينية للمستقبل، فهي كاملة وشاملة ولا تقصير فيها أبدا.

وآية ذلك أن مجموعة التشريعات النافذة في الأردن تغطي بالكامل حاجة الأردن كمجتمع وكدولة من الأحكام، فما من قضية على الإطلاق تعرض في محاكم الأردن إلا ولها حكم قانوني، وما من تصرف يقوم به الشخص سواء أكان طبيعياً أو اعتبارياً إلا وله حكم في القانون، وكذلك الأمر في كل الدول العربية، ودول العالم الثالث، والدول الكبرى، وأي دولة في العالم كله على الإطلاق، مع أن هذه التشريعات وضعية ومن صنع البشر، والقضاة والحكام لا يحتاجون للاجتهاد إلى ملكات خاصة وقدرة فنية معينة، فهل معنى ذلك أن التشريعات الوضعية أكثر شمولية وكمالاً من التشريع الإلهي؟

كيف نشأ الاجتهاد

كانت مهمة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) منحصرة ببيان القرآن، وتكوين قيادة سياسية مثلي وأمة

مثلي تضع تحت تصرف الجنس البشري نموذجاً أمثل للحكم الإلهي، وتسعى هذه القيادة ومن ورائها الأمة لتعميم هذا النموذج على الجنس البشري كله، وعبر دعوة دامت ١٣ عاماً قادها النبي بنفسه، تمخضت عن دولة ترأسها النبي بنفسه ودامت عشرة سنوات ونقل الإسلام من الكلمة إلى الحركة.

وانتهت مهمة النبي بعد أن بين كتاب الله، ووضع تحت تصرف الجنس المنظومة الحقوقية الإلهية كاملة غير منقوصة، وهي تتكون من مقطعين: نبي الله بذاته، وقوله، وفعله وتقريره. وكتاب الله المنزل عليه. وكل شيء على الإطلاق مبين، ومضبوط، ومحدد تحديداً دقيقاً، وهذه المنظومة هي بمثابة القوانين النافذة في المجتمع، ولأن عملية

بيان القرآن واستخراج الأحكام وتطبيقها عمليات فنية واختصاص، فقد عين النبي بأمر من ربه هذه الجهة المختصة بالبيان واستخراج الأحكام وتطبيقها، وقدمها للأمة على أنها الأفضل، والأعلم، والأفهم بالمقاصد الشرعية والأخلص لدين الله، والأرأف بخلق الله، وتلك أمور خفية لا يعلمها إلا الله، وحتى لا يساور العباد شك، فقد جعل الصلاة على هذه الفئة جزءاً من الصلاة المفروضة، فلا تقبل صلاة مسلم

على الإطلاق ما لم يصل على هذه الفئة في كل صلاة، ونعني بهم آل البيت الكرام: فبيان آل البيت، واستخراجهم للأحكام، وتطبيقهم لها قائم على الجزم واليقين. ولكن هذا الضبط والتحديد والاختصاص يتعارض بالكامل مع الصيغة السياسية الجاهلية التي سكنت واستقرت في النفس العربية قبل الإسلام، والقائمة أصلاً على اقتسام مناصب الشرف بين القبائل، فإذا كانت النبوة الهاشمية قدر لا مفر منه ولا محيد عنه، فلا ينبغي أن تكون القيادة الهاشمية والمرجعية الهاشمية للأمة بعد النبي قدراً أيضاً، ونتيجة هذا التأثير والتفكير تم استبدال هذه المرجعية الشرعية بديلة تتوفر فيها كل صفات التقوى والفلاح ولكنها باختصار غير مختصة.

وإن كان معاليكم بشك من هذا يمكنه مشكورا مراجعة الكامل في التاريخ لابن الأثير مجلد ٣ صفحة ٢٤ وشرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد مجلد ٣ صفحة ١٠٧

وقد أخرجه الإمام أحمد أبو الفضل ابن أبي الطاهر في تاريخ بغداد ومجلد ٢ صفحة ٦٧

من شرح النهج ومجلد ٢ صفحة ٢٥٣ - ٢٥٤ من مروج الذهب للمسعودي وكتابتنا المرجعية السياسية في الإسلام طبعة بيروت صفحة ٢٧٨ - ٢٧٩... إلخ. وكان هذا التبديل أول ثمرات الاجتهاد. ودار الزمان دورته وانتقل الأتقياء إلى جوار ربهم فآلت القيادة والمرجعية للغالب! فالغالب هو الذي يبين الدين ويستخرج الأحكام ويطبّقها وينظر باجتهادات المجتهدين فيعتمد ما شاء منها. فالغالب هو المرجع بغض النظر عن دينه أو علمه أو تقواه أو فسوقه. وإن كنت في شك من هذا فاقرأ - مشكورا - على سبيل المثال الأحكام السلطانية صفحة ٧ - ١١ لقاضي القضاة أبو يعلى حيث تجد فيه بالحرف: من غلب بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين، لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت، ولا يراه إماما برا كان أم فاجرا...

وقال في الإمام يخرج عليه من يطلب الملك فيكون مع هذا قوم ومع هذا قوم: تكون الجمعة مع من غلب.

وقال النووي في مجلد ١٢ صفحة ٢٢٩ في شرحه على مسلم و سنن البيهقي مجلد ٨ صفحة ١٥٨ - ١٥٩: قال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين: لا ينعزل الإمام بالفسق والظلم وتعطيل الحدود ولا يجوز الخروج عليه بذلك بل تجب طاعته،... والخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين، وإن كان فسقة ظالمين، انتهى قول النووي والبيهقي.

هذه ثمرة من ثمرات الاجتهاد مع وجود النص، لأن هذا الغالب لا يعرف النص أو لا يتلاءم النص مع ما تهوى نفسه، لذلك فإنه يلجأ إلى القول بالرأي أو الاجتهاد.

أول اجتهاد في التاريخ الإسلامي في بيت النبي والنبى الكريم في بيته مريضاً يجلس على فراش الموت، وجبريل الأمين لا ينقطع عن زيارته، والنبى على علم بمستقبل هذه الأمة، وقد أدى دوره كاملاً وبلغ رسالات ربه، وبين للمسلمين كل شىء على الإطلاق وهو على علم تام بما يجري حوله، ومدرك أنه السكون الذي يسبق العاصفة، والصمت الذي يسبق الانفجار، فإذا ثارت العاصفة، وحدث الانفجار ستنسف الشرعية السياسية، ونسفها سيجرد الإسلام من سلاحه الجبار ويتعطل المولد الأساسي للدعوة والدولة معاً، ولكن مثل النبي لا ينحني أمام العاصفة ولا يسكت حتى يحدث الانفجار، ولا يقعه شىء عن متابعة إحساسه العميق بالرأفة والرحمة لهذه الأمة، وبالرغم من كمال الدين وتمام النعمة والبيان الإلهي الشامل لكل شىء تحتاجه إلا أنه أراد أن يلخص الموقف لأمتة حتى تهتدي بعده ولا تضل، وحتى تخرج بسلام من المفاجآت التي تتربص بها وتنتظر موت النبي لتفتح أشداقها، لتعكر صفو الإسلام، وتعيق حركته وتغير مساره.

بيت النبي يغص بعواده من أكابر الصحابة، فاغتنم النبي الفرصة وأراد أن يلخص الموقف لأمتة، فقال (قربوا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً).

ما هو الخطأ بهذا العرض النبوي؟ من يرفض التأمين ضد الضلالة؟ ولماذا ولمصلحة من؟

ثم إن من حق كل مسلم أن يوصي، ومن حق كل مسلم أن يقول ما يشاء قبل موته، والذين يسمعون أقواله أحرار في ما بعد بإعمال هذا القول أو إهماله. هذا على افتراض أن النبي مجرد مسلم ومواطن عادي وليس نبيا وقائدا للأمة، وهذا افتراض مرفوض أصلا. الجواب على العرض النبوي

فاختصم الحاضرون، واختلفوا، قسم يقول قربوا يكتب لكم رسول الله، والقسم الآخر يقول: الرسول قد اشتد به الوجد حسبنا كتاب الله، فصدموا خاطره الشريف بعبارة هجر، يهجر، وقال: قوموا عني، ولا ينبغي عندي تنازع، فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه... فواجه النبي نفسه وخلص بنتيجة أن القرآن وحده يكفي، ولا حاجة لأي شيء آخر حتى من النبي نفسه! وهذا أول اجتهاد في التأريخ الإسلامي. وقد سمى ابن عباس هذا اليوم بيوم الرزية، وقد أشار لهذه الحادثة البخاري في صحيحه كتاب المرضى - باب قول المريض قوموا عني مجلد ٧ صفحة ٩ وصحيح مسلم في آخر كتاب الوصية مجلد ٥ صفحة ٧٥ الإمام أحمد مجلد ٤ صفحة ٢٥٦ وشرح

النهج لابن أبي الحديد مجلد ٦ صفحة ٥١ وصحيح بخاري مجلد ٤ صفحة ٣١ وصحيح

مسلم مجلد ٢ صفحة ١٦ ومسند أحمد مجلد ١ صفحة ٣٥٥ وتاريخ الطبري مجلد ٣

صفحة ١٩٣ والكامل لابن الأثير مجلد ٢ صفحة ٢٢٠ ومجلد ٤ صفحة ٦٥ - ٦٦ ومجلد ٨

صفحة ١٦١ وتذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي الحنفي صفحة ٦٢، وسر العالمين وكشف ما في الدارين لأبي حامد الغزالي صفحة ٢١، وشرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد مجلد ٣ صفحة ١١٤ سطر ٢٧ الطبعة الأولى مصر وبيروت ومجلد ١٢ صفحة ٧٩ سطر ٣ بتحقيق محمد أبو الفضل ومجلد ٣ صفحة ٨٠٣ دار مكتبة الحياة ومجلد ٣ صفحة ١٦٧ دار الفكر وراجع كتابنا المرجعية السياسية في الإسلام صفحة ٢٨٧، وما فوق... إلخ.

إعتذار وتحد

فهل يتفضل صاحب المعالي وكل علماء الأردن، وأساتذة الجامعات فيها، وقائدة الفئات الإسلامية فينفوا كلمة واحدة مما ذكرت، أو ينكروا مرجعا واحدا من المراجع التي إليها أشرت، أو يعتذروا بأي عذر مقبول عن هذه الحادثة، فإن لم يفعلوا ولن يفعلوا بإذن الله فأعطوا المقادة إذا لمن أعطاه الله المقادة، وتوقفوا عن التقليد الأعمى، وعن الاجتهاد بالرغم من وجود النص، وعن اختراع المرجعيات البديلة بالرغم من وجود المرجعية الشرعية.

كيف تطور الاجتهاد، وفرض سلطانه على الحياة الإسلامية بعد وفاة النبي، حتى صرح المجتهدون علنا بأن النبي نفسه مجتهد؟

هذا ما سأكشفه لمعاليتكم ولعلماء الأردن وأساتذة الجامعات في الحلقات القادمة، وأتمنى على صاحب المعالي إذا كان جادا بدعوته لنبد التقليد أن يستعين بمن شاء من علمائنا وقادة فئاتنا الدينية عند الرد علينا تركيزا للفائدة وتعميما لها.

اللهم لا نعلم إلا ما علمتنا، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين. والحمد لله أولا وآخرا والصلاة والسلام على النبي وآله.

١٤ - التأسيس الأموي لرواية الأحاديث وكتابتها

رفعت السلطة حصارها عن كتابة ورواية أحاديث رسول الله، وأذنت بالكتابة والرواية بعد حصار دام ٨٥ عاما! وبدأ الناس يروون أحاديث رسول الله ويكتبونها بعد مرور ٨٥ عاما على صدورها من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ما هو سبب محنة الحديث؟

يقول الإمام علي (عليه السلام) من خطبة له في المجلد الثالث - منشورات دار مكتبة الحياة -

من شرح النهج لابن أبي الحديد برقم ٢٠٣ صفحة ٥٩١ ما يلي وبالحرف: وإنما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس: رجل منافق يظهر الإيمان، متصنع

بالإسلام لا يتأثم ولا يتحرج أن يكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله) متعمدا، فلو علم الناس

أنه منافق كذاب، لم يقبلوا منه ولم يصدقوه، ولكنهم قالوا هذا قد صحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ورآه وسمع منه فأخذوا عنه وهم لا يعرفون حاله، وقد أخبره الله عن المنافقين

بما أخبره ووصفهم بما وصفهم فقال عز وجل (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا

تسمع لقلوبهم ثم بقوا بعده فتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاة إلى النار بالزور والكذب والبهتان فولوهم الأعمال وحملوهم على رقاب الناس، وأكلوا بهم الدنيا، وإنما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله، فهذا أحد الأربعة.

ورجل سمع من رسول الله شيئا لم يحمله على وجهه ووهم فيه، ولم يتعمد كذبا فهو في يده، يقول به ويعمل به ويرويه فيقول: أنا سمعته من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلو علم

المسلمون أنه وهم لم يقبلوه، ولو علم هو أنه وهم لرفضه. ورجل ثالث سمع من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، شيئا أمر به ثم نهى عنه هو لا يعلم، أو سمعه

ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم، فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ، ولو علم أنه منسوخ لرفضه، ولم علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه. وآخر الرابع لم يكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، مبغض للكذب خوفا من الله وتعظيما

لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، لم ينسه، بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به كما سمع، لم يزد فيه

ولم ينقص منه، وعلم الناسخ من المنسوخ، فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ فإن أمر النبي (صلى الله عليه وآله) مثل القرآن ناسخ ومنسوخ (وخاص وعام) ومحكم ومتشابه، قد كان يكون

من رسول الله (صلى الله عليه وآله) الكلام له وجهان: كلام عام، وكلام خاص، مثل القرآن وقال الله

عز وجل في كتابه: ما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا فيشتبه على من لم يعرف ولم يدر ما عنى الله به ورسوله (صلى الله عليه وآله)، وليس كل أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان

يسأله عن الشيء فيفهم، وكان منهم من يسأله ولا يستفهمه، حتى أن كانوا ليحبون أن يجئ الأعرابي والطارقي فيسأل رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى يسمعوا. وقد كنت أدخل على رسول

الله (صلى الله عليه وآله) كل يوم دخلة وكل ليلة دخلة... أدور معه حيث دار، وقد
علم أصحاب رسول

الله (صلى الله عليه وآله) أنه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري، فربما كان في بيتي يأتي رسول الله (صلى الله عليه وآله) أكثر ذلك في بيتي، وكنت إذا دخلت عليه بعض منازل أخلاقي وأقام عني نسائه، فلا يبقى عنده غيري، وإذا أتاني للخلوة معي في منزلي لم تقم عني فاطمة ولا أحد من بني، وكنت

إذا سألته أجنبي، وإذا سكت عنه وفيت مسألتي ابتدأني، فما نزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) آية من القرآن إلا قرأنيها وأملأها علي فكتبتها بخطي وعلمي تأويلها وتفسيرها

وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها، ودعا الله أن يعطيني فهمها، وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علما أملاه علي وكتبته، منذ دعا الله لي

بما دعا، وما ترك شيئاً علمه الله من حلال وحرام، ولا أمر ولا نهى كان أو يكون ولا كتاب منزل على أحد قبله من طاعة أو معصية إلا علمنيته وحفظته، فلم أنس حرفاً واحداً، ثم وضع يده على صدري ودعا الله لي أن يملأ قلبي علماً وفهماً وحكماً ونوراً، فقلت: يا نبي الله بأبي أنت وأمي منذ دعوت الله لي بما دعوت لم أنس شيئاً ولم يفتني شيء لم أكتبه أفتتخوف على النسيان فيما بعد؟ فقال: لا لست أتخوف عليك النسيان والجهل. إنتهى كلام الإمام علي.

وقد وضع الإمام النتيجة المنطقية لكل ذلك في مستهل حديثه، وبين أن الأوراق قد اختلطت تماماً، فقال: إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعاماً وخاصاً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً، ولقد كذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله) على عهده حتى قام خطيباً فقال: من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار...

وعندما شب الصراع بين الواقع الذي تسوسه السلطة، وبين الشرعية التي يدافع عنها أهل البيت الكرام ومن والاهم، واستعملت السلطة سلاح الحديث وروايته، لتثبت أنها على الحق وأن مناوئتها على الباطل، فأخذ أعوان السلطة يضعون الحديث لحسابها، وللتشجيع بمعارضتها.

١٥ - الإمام يصف الأمور

قال الإمام الباقر لبعض أصحابه كما يروي ابن أبي الحديد في شرح النهج مجلد ٢ صفحة ٥٩٥ (يا فلان ما لقينا من ظلم قريش إيانا، وتظاهرهم علينا، وما لقي شيعتنا ومحبونا من الناس؟ إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبض وقد أخبر أننا أولى الناس بالناس،

فتمالأت علينا قريش حتى أخرجت الأمر عن معدنه، واحتجت على الأنصار بحقنا وحجتنا، ثم تداولتها قريش واحدا بعد واحد، حتى رجعت إلينا فنكثت بيعتنا، ونصبت الحرب لنا، ولم يزل صاحب الأمر في صعود كؤود حتى قتل، فبويع الحسن ابنه وعوهد، ثم غدر به وأسلم، ووثب عليه أهل العراق، حتى طعن بخنجر في جنبه، ونهبت عسكره، وعولجت خلاخيل أمهات أولاده، فوادع معاوية وحقن دمه ودماء أهل بيته وهم قليل حق قليل.

ثم بايع الحسين (عليه السلام) من أهل العراق عشرون ألفا، ثم غدروا به وخرجوا عليه وبيعته في أعناقهم وقتلوه.

ثم لم نزل أهل البيت نستذل ونستضام، ونقصى ونمتهن، ونحرم ونقتل، ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا...

إلى أن قال: ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعا يتقربون به إلى أوليائهم وقضاة السوء، وعمال السوء في كل بلدة، فحدثوهم بالأحاديث الموضوعية المكذوبة، ورووا عنا ما لم نقله، وما لم نفعله، لبيغضونا إلى الناس، وكان عظم ذلك وكثره زمن معاوية بعد موت الحسن (عليه السلام)، فقتلت شيعتنا بكل بلدة، وقطعت الأيدي

والأرجل على الظنة، وكل من يذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن، أو نهب ماله، أو هدمت داره. ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد إلى زمان عبید الله بن زياد قاتل الحسين (عليه السلام).

ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلة، وأخذهم بكل ظنة وتهمة، حتى أن الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقال شيعة علي، وحتى صار الرجل الذي يذكر بالخير

ولعله يكون ورعا صدوقا يحدث بأحاديث عجيبة من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة، ولم يخلق الله تعالى شيئاً منها، ولا كانت ولا وقعت، وهو يحسب أنها حق لكثرة من قد رواها ممن لم يعرف بكذب ولا بقلة ورع. إنتهى كلام الإمام الباقر في هذا

المجال، وهو وصف دقيق لما جرى. راجع المجلد الثالث صفحة ٥٩٥ في معرض

شرح

كلام الإمام علي (عليه السلام) الوارد في الخطبة ٢٠٣ من شرح النهج لابن أبي الحديد المعتزلي.

١٦ - خليفة المسلمين معاوية يرعى الرواية والرواة

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج مجلد ٣ صفحة ٥٩٥ روى أبو الحسن علي بن محمد

بن أبي سيف المدائني في كتاب الأحداث قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد

عام الجماعة: أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب (يعني الإمام علي) وأهل بيته. (يعني أهل بيت النبوة الكرام) فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً، ويبرؤون منه، ويقعون فيه، وفي أهل بيته، وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي (عليه السلام)، فاستعمل عليهم زياد بن

سمية وضم إليه البصرة، فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام علي (عليه السلام)، فقتلهم تحت كل حجر ومدبر، وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل، وسمل

العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشردهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم.

١٧ - مرسوم آخر لخليفة المسلمين معاوية

ويضيف المدائني بالحرف: وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة! وكتب إليهم: أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان، ومحبيه وأهل ولايته، والذين يروون فضائله ومناقبه، فأدنوا مجالسهم، وقربوهم، وأكرمواهم، واكتبوا لي بكل ما يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته.

ففعّلوا ذلك حتى أكثروا من فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلوات والكساء والحباء والقطائع، ويفيضه في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كل مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجيء أحد من الناس عاملاً من عمال معاوية فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقربه وشفعه، فلبثوا بذلك حيناً.

١٨ - مرسوم ثالث لخليفة المسلمين معاوية

كتب معاوية إلى عماله: أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر، وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأوليين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فإن هذا أحب إلي وأقر لعيني، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله! فقرئت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجد الناس في رواية ما يجري هذا المجرى، حتى أشاروا بذكر ذلك على المنابر، وألقي إلى معلمي الكتاتيب، فعلموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، وحتى علموا بناتهم، ونساءهم، وخدمهم، وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله. راجع المجلد ٣ صفحة ٥٩٥ - ٥٩٦ من شرح النهج لعلامة المعتزلة، كما نقله عن المدائني.

١٩ - مرسوم رابع لخليفة المسلمين معاوية

ثم كتب معاوية نسخة واحدة إلى جميع البلدان: أنظروا من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه! وشفع ذلك بنسخة أخرى: من اتهمتموه بموالاتة هؤلاء القوم فنكلوا به، واهدموا داره، فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق ولا سيما الكوفة، حتى أن الرجل من شيعة علي ليأتيه من يثق به فيدخل بيته، فيلقي إليه سره، ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمن عليه، فظهر حديث كثير موضوع، وبهتان منتشر،

ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة، وكان أعظم الناس في ذلك بلية القراء المرءون والمستضعفون، الذين يظهرون الخشوع والنسك، فيفتعلون الأحاديث ليحفظوا بذلك عند ولااتهم، ويقربوا مجالسهم، ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل، حتى انتقلت تلك الأخبار، والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان، فقبلوها، ورووها، وهم يظنون أنها حق، ولو علموا أنها باطلة لما رووها، ولا تدينوا بها. فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن علي، فازداد البلاء والفتنة فلم يبق أحد من هذا القبيل إلا وهو خائف على دمه، أو طريد في الأرض. راجع المجلد

الثالث شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد صفحة ٥٩٦ وقد نقله عن المدائني.
٢٠ - تفاقم الأمر

ويضيف بن أبي الحديد نقلا عن المدائني: ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين وولي عبد الملك بن مروان، فاشتد البلاء على الشيعة، وولى عليهم الحجاج بن يوسف، فتقرب إليه أهل النسك والصلاح والدين يبغض علي! وموالاة أعدائه، وموالاة من يدعي من الناس أنهم أيضا من أعدائه، فأكثروا من الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبتهم، وأكثروا من الغض من علي، وعيبه، والطعن فيه، والشنآن له حتى أن إنسانا وقف للحجاج - ويقال أنه جد الأصمعي، عبد الملك بن قريش - فصاح به: أيها

الأمير إن أهلي عقوني فسموني عليا، وإني فقير بائس، وأنا إلى صلة الأمير محتاج، فتضاحك له الحجاج وقال: للطف ما توصلت به قد وليتك كذا! راجع المجلد ٣ صفحة ٥٩٦ من شرح النهج، وقد نقل ذلك عن المدائني.

وتابع ابن أبي الحديد قائلا: وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه، وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم، في تاريخه ما يناسب هذا الخبر وقال: إن أكثر الأحاديث الموضوعية في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية تقربا إليهم بما يظنون أنهم يرغبون به أنوف بني هاشم. راجع المجلد ٣ صفحة ٥٩٧ من شرح النهج.

هذا هو المناخ الذي جرت فيه رواية حديث رسول الله وكتابته.

٢١ - نتيجة تدوين السلطة لأحاديث الرسول

بعد أن حاصرت السلطة أحاديث الرسول وفرضت عليها رقابة صارمة طوال ٩٥ عاما، بدى لها أن ترفع الحصار، وقد بذلوا في هذا السبيل ما بذلوا لكنهم لم يصلوا إلى الغرض المرجو منه، ولا بلغوا مستقر اليقين الذي تسكن إليه النفس، وتطمئن القلوب إلى أنه نفس ما نطق به رسول الله بحيث لا يدنو منه شك أو يعرفه شبهة، ومن أجل ذلك جمعت كتبهم بين ما هو صحيح في نظر الرواة، وما هو موضوع لا أصل له، ولا يخلو من ذلك كتاب.

ومن أجل ذلك كثرت كتب الحديث وتنوعت في الأربعين سنة الأخيرة من عهد بني أمية وكانت موادها وأصولها كتب المتقربين إلى السلطة والوضاعين في مناقبها، مناقب قادة التاريخ السياسي. وعندما جاء العباسيون بقيت أصول الحديث ومصادره للمؤلفين نفسها مع إضافة مناقب جديدة للعباسيين، ومنها ألف أصحاب الكتب التي اشتهرت باسم الصحاح الست كتبهم وهي:

- ١ - صحيح البخاري لمؤلفه محمد بن إسماعيل المتوفى سنة ٢٥٦ هـ.
 - ٢ - صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١ هـ.
 - ٣ - سنن بن ماجه لمؤلفه محمد بن يزيد القزويني المتوفى سنة ٢٧٣ هـ.
 - ٤ - سنن أبي داود لمؤلفه سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥ هـ.
 - ٥ - سنن الترمذي لمؤلفه محمد بن عيسى الترمذي المتوفى سنة ٢٧٩ هـ.
 - ٦ - سنن النسائي لمؤلفه أحمد بن شعيب النسائي المتوفى سنة ٢٠٣ هـ.
- ومنهم من يقدم سنن الدارمي لمؤلفه عبد الله بن عبد الرحمن المتوفى سنة ٢٥٥ هـ على سنن النسائي.

وقام علماء السلطة بتقليد هؤلاء الستة في تقييم أحاديث رسول الله، وأصدوا باب البحث.

٢٢ - عمالقة علماء السلطة

وفي محاولات السلطة والعلماء الذين يعيشون في أجوائها، جرت محاولات حثيثة لسد الفراغ الحقوقي ومواجهة فقه أهل البيت الكرام، فبرز أربعة علماء وكون كل واحد

منهم لنفسه مذهباً، وانقسمت شيعة السلطة إلى أربع فرق، كل فرقة تتبع أحد هؤلاء العلماء، وأخذت شيعة السلطة تقلدهم، وتتبع على أي مذهب من مذاهبهم شاءت، وهؤلاء العلماء هم:

١ - أبو حنيفة عتيك بن زوطي المعروف بالنعمان بن ثابت المتوفى سنة ١٥٠ هـ.

٢ - مالك بن أنس المتوفى سنة ٢٧٩ هـ.

٣ - محمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ.

٤ - أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ هـ.

وتفرع عن الحنابلة أتباع أحمد بن عبد الحلیم المتوفى سنة ٧٢٦ هـ وعرفت هذه الفرقة بالسلفية.

وتفرعت عن السلفية فرقة الوهابية نسبة إلى محمد بن عبد الوهاب المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ.

٢٣ - التقليد والاجتهاد

صارت كتب الصحاح الستة هي عنوان الكمال، وهي المقياس الأمثل لمعرفة الأحاديث التي يطمئن القلب بنسبتها إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). وتوقف باب البحث العلمي

في هذه الناحية. أو إن شئت فقل إن البحث بقي ضمن الأطر التي وضعها أصحاب الصحاح.

كما دعت السلطة جميع المسلمين ليمتدحوا بأي مذهب شاءوا من المذاهب الأربعة، وبدأت شيعة السلطة تدخل في هذه المذاهب أفواجا أفواجا، ويتعبدون إلى الله وفق مناهج هذه المذاهب ويجتهدون أو يعملون بالرأي وفق نواميس هذه المذاهب.

ثم جمحت بهم الاجتهادات جموحا لم ترض به السلطة فصدر قرار عن الظاهر
بيبرس بإغلاق باب الاجتهاد، فانصاعت شيعة الدولة لهذا القرار وأغلقت باب
الاجتهاد، وانطوت على نفسها تجتر علم هؤلاء العمالقة، وتقلدهم وهم أموات،
وتسير على هدى ما كتبوا، وتقيس على اجتهاداتهم وتصوراتهم حتى الآن!!
والله غالب على أمره.
**

الفصل التاسع دربان مختلفان

١ - التصورات الخاطئة أثمرت اعتقادات خاطئة

لو أننا تركنا التقليد الأعمى جانبا، وتوقفنا عن التسلق وحب الظهور واقتناص السلطة على حساب الدين، وأنزلنا النبي الكريم بالمنزلة التي أنزله الله إياها، وأخذنا بعين الاعتبار أن دين الإسلام هو آخر الأديان، وأن رسول الله هو خاتم الرسل، ولو تيقنا حقا أن رسول الله كما وصفه ربه بالمؤمنين رؤوف رحيم، ولو نحينا جانبا الأعياب

السياسة ومكر الحكام طوال التاريخ السياسي، ولو فهمنا حقا أن الإسلام رحمة للجنس البشري كله، وأن مهمة نبي الإسلام هي إنقاذ الجنس البشري وليس إنقاذ العرب فقط.

لو عرفنا الصحيح من ذلك حق المعرفة، لأدركنا بالشرع والعقل والضرورة، أنه من المحال عقلا وشرعا أن يترك الله قرآنه دون بيان، أو أن لا يبين من هو المسؤول عن بيان هذا القرآن بعد وفاة رسول الله!

وأكثر استحالة بالعقل والشرع أن يؤتى إلى البيان النبوي المتمثل بحديث الرسول فيأمر الله أو رسوله بمحاصرة هذا الحديث، ومنع كتابته وروايته إلا بحجم حاجة الحكام لذلك، في الوقت الذي تباح فيه كتابة كل شيء، ورواية كل شيء باستثناء

حديث رسول الله، وهو المبين لما أنزل الله!
هذه التصورات الخاطئة قادت السلطة وقادت شيعتها إلى نتائج خاطئة ومدمرة،
أو شكت أن تعصف بالدين نفسه، لولا رحمة الله تعالى، ولولا أن قيض الله لهذا الدين
أهل البيت الكرام يدافعون عنه، ويوضحون أحكامه، ويرفدون الناس ببيانه رغم كل
المعوقات.

٢ - فضلان ليسا لفئة من العالمين
أجمعت العرب كلها على مقاطعة بني هاشم عندما أشرقت شمس الهداية الإلهية،
وكان هدف العرب أن يطفئوا نور الله بأفواههم، وصمد الهاشميون ثلاث سنين في
شعب

أبي طالب، وتحملوا حصار العرب.
وأجمعت العرب بعد فشل الحصار وقبيل الهجرة أن تشترك بقتل النبي حتى يضيع
دمه بين القبائل، ولا يقوى الهاشميون على المطالبة بدمه، ولم ينفذ الهاشميون من
حول النبي، ولا تخلوا عن حمايته وحماية دينه، بل وقفوا وقفة رجل واحد خلف عبد
مناف بن عبد المطلب المكنى بأبي طالب، يدافعون عن النبي وعن دين الإسلام، حتى
أظهر الله دينه.

وتلك مزية وفضيلة لم تنلها على الإطلاق فئة من العالمين إلا آل محمد.
وكما اجتمعت العرب ضد محمد وضد عشيرته، اجتمعت ثانية، أو جمعت لتقف
ضد علي وضد أهل البيت الكرام بدعوى أن الهاشميين قد أخذوا النبوة، ولا ينبغي أن
يجمعوا مع النبوة الخلافة فيذهبوا بالشرف كله. راجع الكامل في التاريخ لابن الأثير
مجلد ٢ صفحة ٢٤، وراجع شرح النهج لعلامة المعتزلة مجلد ٢ صفحة ١٠٧،
وأخرجه

الإمام أحمد بن أبي الطاهر في تاريخ بغداد، وراجع كتابنا نظرية عدالة الصحابة
والمرجعية السياسية في الإسلام صفحة ٢٧٦ وما فوق.
وفي سبيل تثبيت هذه المقولة وإضفاء الشرعية عليها، وخلق القناعة بها، ركبت

السلطة كل مركب وتجاهلت الآل الكرام تجاهلا تاما، وتجاهلت الأحاديث النبوية ولجأت إلى الاجتهاد مع وجود النص، وقلبت الأمور على هدى رأيها، وأوشكت أن تنقض الدين من أساسه، وأن تطمس أحكام الإسلام من بعد ما بان، ومرة أخرى يتصدى الهاشميون بقيادة علي بن أبي طالب لهذا الانقلاب وضمن إمكاناتهم، ويدافعون عن أحكام هذا الدين ومستقبله، ويتحملون شأن العرب، وتكاليف غضب السلطة، دفاعا عن الإسلام وأحكامه، وتلك فضيلة ثانية لم تنلها فئة من العالمين غيرهم. راجع كتابنا نظرية عدالة الصحاب والمرجعية السياسية في الإسلام - الباب الثالث.

٣ - رفعت السلطة شعار العمل بالرأي ورفع أهل البيت شعار العمل بالنص والنبوي الكريم على فراش الموت، كشر الرأي بمواجهة النبي نفسه عن أنيابه، وحال أصحابه بين الرسول وبين كتابة ما أراد، بحجة أن الرسول قد اشتد به الوجد، وأن القرآن وحده يكفي، ولا حاجة لكتابة ما أراد الرسول كتابته، وتصدى أهل البيت الكرام ودافعوا عن الشرعية، وأن الرسول لا ينطق عن الهوى، فتمادى أصحاب الرأي وقالوا: إن الرسول قد هجر! ولو استمر أهل البيت وشيعتهم في مواجهتهم لتثبت أهل الرأي بالهجر، ولتفاقت وقاحة أهل الرأي وهزوا الدين من أساسه، فأشار النبي لأهل البيت وشيعتهم بأن يقدموا الأهم على المهم، وطلب من الجميع الخروج من الحجرة النبوية المقدسة، وكان هذا أول انتصار للرأي بمواجهة مكشوفة مع الشرعية! ولا يقوى أحد على إنكار هذه الحادثة.

وعندما تأسست السلطة لأول مرة بعد وفاة النبي، كانت حصيلة الرأي أن الهاشميين قد أخذوا النبوة، ولا ينبغي أن يجمعوا مع النبوة الخلافة فيجحفوا على قومهم،

والحل الأمثل الذي اخترعه الرأي هو أن تبقى النبوة للهاشميين، وأن تختص قريش بالخلافة تتداولها في ما بينها، وعارض أهل البيت الكرام، وأوضحوا حكم الشرع،

ومضى أصحاب الرأي قدما بعد أن وطدوا الأمور لأنفسهم، ومرة ثانية قدم أهل البيت الكرام الأهم على المهم فعارضوا برفق إشفاقا على الملة.

وفي ظلال السلطة وأمام معارضة أهل البيت: وتمسكهم بالشرعية، فقدت السلطة ثقتها بهم، فقدمت اللاحق على السابق، وقدمت الطليق على المهاجر، والأبعد على الأقرب، فقويت شوكة السلطة، والتف المنتفعون بها حولها، وبنفس الحجم والمقدار ضعف أهل البيت وانفض الناس من حولهم، وساعد على ذلك أن الله تعالى قد أذهب الرجز عن أهل البيت، فهم لا يطلبون النصر بالجور، ولا يطمعون بالحكم إلا بالشرع وبوسائله.

ما حال بين رسول الله وكتابة ما أراد هو الغلبة، وما نحى أهل البيت عن حقهم بقيادة الأمة إلا الغلبة، وما قدم الأبعد على الأقرب والطييق على المهاجر إلا بحكم الغلبة، لكنها غلبة غير مكشوفة، وغلبة منظمة حتى كشرت الغلبة عن أنيابها وظهرت على حقيقتها، وأدرك معاوية بن أبي سفيان أن الأمر لمن غلب. وأدركت الأمة أو الأكثرية الساحقة من الأمة أن مصحتها تتحقق بوقوفها مع الغالب، فوقفت مع الدنيا المقبلة العاجلة، وتركت الآخرة المدبرة الآجلة. ومن ذلك التاريخ ومنذ انتصار القوة على الشرعية، أطاعت الأمة من غلب، وترسخ انتصار الرأي واندحار الشرعية، فالسلطة رفعت دائما شعار الرأي الذي سمي بالاجتهاد في ما بعد، ورفعت شعار الشرعية بالقدر الذي يزين رأيها ويضفي عليه الشرعية، أو يساهم بخلق القناعة فيه، وذلك محافظة منها على السلطة ووحدة السلطة، لاقتناعها أن وحدة السلطة هي التعبير الحقيقي عن وحدة الأمة. ومن هنا وعلى ضوئه تجد التفسير الحقيقي والمنطقي لكل تصرف قامت به السلطة السياسية طوال التاريخ. راجع كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام - الباب الثاني. أما أهل البيت الكرام فالشرعية مطلبهم، والشرعية المطلقة غايتهم.

٤ - تاريخ السلطة السياسية

من قرأ التاريخ السياسي الإسلامي من بعد وفاة النبي وحتى سقوط آخر سلاطين بني عثمان، يتبين له بكل جلاء ووضوح أن السلطة التي قادت ذلك التاريخ السياسي وصنعتة قد تأسست أصلاً وفي حقيقتها وجوهرها على أساس العمل بالرأي أو ما سمي اجتهاداً، وأن هذه السلطة ساست رعاياها بالرأي أو الاجتهاد، وأنها قد أخذت طابع المؤسسة على أساس الرأي أو الاجتهاد، وأنها نمت خارج إطار الشرعية واكتسبت قوتها ورضي الناس بها بحكم الغلبة، ونتيجة سيطرتها التامة على مقاليد الأمور، وبوصفها الممثلة الواقعية لوحدة المسلمين.

ولو تصفحت التاريخ السياسي الإسلامي، وأمعت فيه دراسة وتحليلاً فإنك لا تجد نصاً شرعياً واحداً، سواء من الكتاب أو السنة، يؤهل وجود السلطة التي قادت التاريخ السياسي، بل تجد أن كافة القواعد التي أدارت ظاهرة السلطة هي من ثمرة العمل بالرأي أو الاجتهاد.

وقد تنبه إلى ذلك أولئك الذين تشيعوا للسلطة فقالوا: إن ولاية العهد أصبحت شرعية بفعل أبي بكر لعمر، وبعهد عمر لعثمان عملياً أو للسنة نظرياً. فقبل لهم: إن الشرع يعني كتاب الله وسنة رسوله، وعمل الصديق والفاروق لا يدخل في مفهوم الشرع! عندئذ قالوا بالإجماع كسند شرعي لما جرى في التاريخ السياسي الإسلامي، فنظروا إلى الأمر على أساس أن أبا بكر عهد بالخلافة لعمر أمام الصحابة فأقروا عهده، وإقرارهم لعهدده هو بمثابة الإجماع، فأصبح الإجماع هو السند الشرعي لكل تصرفات الحكام طوال التاريخ السياسي، وهو حمال أنقاله كلها.

ولأن أهل البيت الكرام قد عارضوا ضمن إطار الإسلام ترك النصوص، والركون إلى العمل بالرأي مع وجود النص، فقد نظر الحكام لأهل البيت طوال التاريخ نظرة شك وحذر، وزادت شكوكهم عمقاً لاقتناعهم بأن أهل البيت يعتقدون بأنهم هم

القادة الشرعيون للأمة، وأن قيادة الأمة حق إلهي خالص لهم بوصفهم الأعلام والأفهم بالمنظومة الحقوقية الإلهية، والأصلح بنص الشرع من بين أتباعها، وأن الحكام غصبوا أهل البيت هذا الحق، ورد الحكام على ذلك بتحجيم أهل البيت، وتصغير عظيم منزلتهم، ومحاصرتهن، وتنفير الناس منهم، فكان مقبولاً طوال التاريخ ومفهوماً أن تعمل ما شئت، وأن تقتنع بما شئت، ولكن ليس مفهوماً على الإطلاق أن تشيع لأهل بيت محمد! لأن التشيع لهم يعني وجود جماعة تقول برئاسة أهل البيت، ووجودها يعني تعريض السلطة للخطر!

٥ - السلاح الجبار

كان سلاح السلطة طوال التاريخ هو القوة والغلبة والسيطرة على مقاليد الأمور، وعلى الصعيد القانوني كان سلاحها هو العمل بالرأي، وإعمال رأي الخليفة وإطاعته بوصفه الممثل لوحدة المسلمين.

وكان سلاح أهل البيت الكرام هو الالتزام بالشرعية التي غطت بالكامل كل شيء وبينت كل شيء.

وكانت السلطة تملك السيطرة الكاملة على وسائل الإعلام، تلك الوسائل القادرة بدعم السلطة لها أن تجعل الأبيض أسود، والأسود أبيض.

وكان أهل البيت الكرام يملكون علم النبوة، والقدرة على بيان الشرع، بيانا قائما على الجزم واليقين.

سارت السلطة في دربها تعمق العلم بالرأي، وتوطد لسلطانها، وسار أهل البيت الكرام في دربهم يعمقون الشرعية ويبينون الدين بيانا قائما على الجزم واليقين، في ظروف كانت بالكامل لمصلحة السلطة، وفي حالة انعدام تكافؤ الفرص بين السلطة وبين أهل البيت، السلطة تعالج يومها وتسوس دنياها، وأهل البيت يعالجون يومهم وغدهم ويوطدون لآخرتهم، ويبلغون الدين على الأصول المستقرة التي تعلموها من عميدهم ونبيهم وأبيهم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

٦ - لماذا ترسخ العمل بالرأي وشاع؟

الحاكم الإسلامي طوال التاريخ، من بعد وفاة النبي وحتى سقوط آخر سلاطين بني عثمان، هو من غلب، هذا الحاكم الغالب لم يعد إعدادا ربانيا ليكون خليفة للنبي، وهو بالتالي ليس مؤهلا ليقوم بوظائف النبي من بعد وفاته، وأبرز هذه الوظائف البيان (لتبين للناس ما أنزل إليهم من ربهم) أي يبين حكم الله في ما يجد من الوقائع والأحداث والتصرفات.

وبما أن الحاكم الإسلامي لا يعرف الحكم الشرعي، وبما أنه لا بد من وجود حكم لما يقع ويواجه الدولة، اضطر الحكام للعمل برأيهم، وحيث أن المحكوم مفطور على تقليد من غلبه، أصبحت آراء الحكام مع التكرار سنة يصعب مخالفتها، أو عرفا يشعر المحكومون بأنه ملزم لهم!

ومن هنا شاع العمل بالرأي وترسخ، خاصة مع المقولة التي روج لها بإحكام، وهي أن الاجتهاد أو العمل بالرأي هو العمل بروح الشريعة العامة، هذه المقولة خلعت على العمل بالرأي ثوب الشرعية.

٧ - موقف الناس

وجد المسلمون أنفسهم أمام سلطة حقيقية تملك وسائل السيطرة على الأجساد والأرزاق، تأمر فتطاع، وتنادي فتجاب، وتشرع برأيها فينفذ تشريعها، ومعها الدنيا كلها، ولا ننكر الآخرة!

ووجدوا بالمقابل أهل البيت وقد عزلوا عزلا تاما، ليس معهم إلا علم النبوة، وذكريات الكفاح المرير من أجل انتصار الإسلام، ليس معهم من الدنيا شيء ولا مطمع لهم إلا بالآخرة، وهم موضع شك الحكام، ومن يواليهم يفقد امتيازاته واعتباره، ويفقد عطاءه، ولا تقبل شهادته، وقد مر حين من الدهر، كانت فيه مسبة الإمام وردا يوميا وحتمًا مقضيا على الرعية.

فاختار المسلمون جانب الحكام، وتكونت بفعل التكرار سنة الشك بأهل بيت محمد، والتشيع على شيعتهم، والشك بكل ما يصدر منهم.
فلو نسج القصاصون قصة عن يزيد لصدقها الناس إن كانت خيرا دون مناقشة!
ولو ذكر الرواة حديثا عن علي أو الحسن أو الحسين أو زين العابدين لناقشوه ألف مرة قبل أن يأخذوا به!
ولو ذكر الكلبي رأيا، وذكر الإمام جعفر الصادق رأيا آخر، لاختار المسلمون رأي الكلبي بلا تردد!
لماذا؟ لأنها تكونت تحت ظلال السلطة بذرة الشك بأهل بيت محمد، وأصبحت مع الأيام سنة يصعب مخالفتها، لكثرة تردادها ودعم السلطة لها!
والله غالب على أمره.
**

الفصل العاشر

كتابة الحديث النبوي عند أهل البيت

١ - إعداد أهل البيت لبيان الأحكام

قبل أن ينتقل الرسول إلى جوار ربه قال لأصحابه (أنا مدينة العلم وعلي بابها ومن أراد العلم فليأت الباب) وقال لهم مرة (أنا دار الحكمة وعلي بابها) وقال لهم ثلاثة (أنا مدينة الحكمة وعلي بابها) وقال لهم مرة رابعة (علي باب علمي، ومبين من بعدي لأمتي ما أرسلت به، حبه إيمان وبغضه نفاق) وقال لعلي أمام أصحابه (أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي) وقال يوما لأصحابه (كفي وكف علي في العدل سواء) تلك حقائق لا يقوى مكابر على إنكارها، وقد وصلت إلينا بفضل الله بالرغم من أن مسبة الإمام علي كانت واجبا دينيا مفروضا على رعية الدولة الإسلامية، وقد وثقنا هذه النصوص بعشرات المراجع، ذكرناها على الصفحة ٢٣٣ - ٢٣٤ من كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام، وحرصنا كل الحرص على أن تكون مراجعنا من مؤلفات شيعة الدولة أو أهل السنة.

هذه النصوص تبين لنا أن الله ورسوله لم يتركا الأمر سدى، إنما حددا وبيننا من هو المختص ببيان الأحكام من بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) متيقنا أنه ميت لا محالة، وعميد أهل البيت النبوة متيقن ومبلغ أنه المخول بالبيان من بعد النبي، ولو قصد العميد أن ينتفع شخصا بعلمه لما كان هنالك

حاجة لأن يكتب، لأن رسول الله قد دعا له بأن يحفظ ولا ينسى شيئاً، لكن هم النبي وهم العميد هو استمرارية بيان الأحكام، وفي كل شيء، وحتى قيام الساعة، بحيث يترجم المبدأ القائل بأن (القرآن تبيان لكل شيء) لذلك شرع العميد بتوجيه خاص من رسول الله بكتابة كل ما تحتاجه الأمة على الإطلاق، بحيث لا تجد حادثة ولا تحدث حادثة، إلا ولها حكم شرعي مفصل تفصيلاً ومبين بياناً لا يختلف فيه اثنان. وهكذا تكون النقلة الطبيعية بعد وفاة النبي، ويكون بين أيدي الناس منظومة حقوقية كاملة ومتكاملة: قرآن كريم، وبيان لهذا القرآن مسجل لا يحتمل التأويل، فتستقيم الأمور، ويصلح الراعي وتصلح الرعية ويعم العدل، وتهنأ البشرية في ظلال المنظومة الحقوقية الإلهية، فتنبص غاية الجميع على حسن التطبيق.

٢ - انعدام الحاجة إلى العمل بالرأي

طالما أن الحكم الشرعي لكل شيء على الإطلاق، مبين ومفصل ومحدد بالقرآن وبالبيان، فما الداعي لإهمال الحكم الشرعي واستبعاده، وما الداعي للعمل بالرأي وترك الحكم الشرعي؟ فالمبين هو نفسه الحاكم، والمطلوب العدل، والعدل لا يتحقق إلا بالحكم الإلهي القائم على الجزم واليقين، وهو بين أيدي الناس، فما هو الداعي لترك الجزم واليقين، واللهث وراء الرأي وأحكامه القائمة على الظن والتخمين؟ لا حاجة عند عمادة أهل البيت للرأي أبداً، فقد جاء في الجزء الأول صفحة ٨٥ من أصول الكافي لمحمد بن يعقوب الرازي المتوفى ٣٢٨ هـ (أن رجلاً سأل الإمام جعفر

الصادق عن مسألة فأجابه فيها، فقال الرجل: رأيت إن كان كذا وكذا ما يكون القول فيها؟ فقال له الإمام جعفر: مه، ما أجبتك فيه من شيء فهو من رسول الله، لسنا من (أرأيت) في شيء!

إنه لا مجال إطلاقاً للرأي عند بيان الحكم الشرعي، فالأئمة الكرام يعرفون الحكم الشرعي معرفة قائمة على الجزم واليقين، فما الداعي للخوض بالرأي القائم على الفرض والتخمين!

وجاء على الصفحة ٢٠١ من بصائر الدرجات تأليف محمد بن الحسن الصفار ت
٢٩٠ هـ قول الإمام (مهما أجبته بشيء فهو من رسول الله، لسنا نقول برأينا في شيء).
وعلى الصفحة ٢٩٩ مجلد ٢ من بصائر الدرجات عن الفضيل بن يسار عن أبي
جعفر الإمام محمد الباقر (عليه السلام) أنه قال (لو أنا حدثنا برأينا ضللنا كما ضل من
كان قبلنا،
ولكننا حدثنا بينة من ربنا بينها لنبية فيينا لنا).
وفيه أيضا عن الإمام جعفر الصادق أنه قال (بينة من ربنا بينها لنبية (صلى الله عليه وآله)
فيينا
نبية لنا، فلولا ذلك كنا كهؤلاء الناس). راجع مجلد ٤ صفحة ٢٠١ من بصائر
الدرجات.
وفي مجلد ٩ صفحة ٢٠١ من البصائر عن سماعة عن أبي الحسن (عليه السلام) قال:
قلت له
كل شيء تقول به في كتاب الله وسنة نبيه أو تقولون فيه برأيكم؟ قال (بل كل شيء
نقوله في كتاب الله وسنة نبيه).
وفي البصائر الدرجات صفحة ٢٩٩ عن أبي داود بن يزيد عن الإمام الصادق قال:
سمعتة يقول (إنا لو كنا نفتي الناس برأينا وهوانا لكنا من الهالكين، ولكنها آثار من
رسول الله وأصل علم نتوارثها كابر عن كابر، نكتنرها كما يكتنر الناس ذهبهم
وفضتهم).
وفيه عن جابر صفحة ٢٩٩ مجلد ٩ من البصائر و صفحة ٣٠٠ مجلد ٤ و ٦ بثلاثة
أسانيد قال أبو جعفر الإمام الباقر (يا جابر، والله لو كنا نحدث الناس أو حدثناهم
برأينا لكنا من الهالكين، ولكننا نحدثهم بآثار عندنا من رسول الله نتوارثها كابر عن
كابر، نكتنرها كما يكتنر هؤلاء ذهبهم وفضتهم).
٣ - كيف انتقل علم النبوة إلى الأئمة
انتقل علم النبوة بواسطة علي (عليه السلام)، علي هو والد الأئمة، فذرية النبي من صلب
علي
لقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) (إن الله جعل ذرية كل نبي من صلبه وجعل ذريتي من
صلب علي). راجع
مجلد ٦ صفحة ١٥٢ الحديث ٥٢١٠ من كنز العمال، وهذا معنى قوله (صلى الله
عليه وآله وسلم) (كل بني أنثى
ينتمون إلى عصبتهم، إلا ولد فاطمة فأنا وليهم، وأنا عصبتهم، وأنا أبوهم)! أخرجه

الطبراني وهو الحديث ٢٢ من الأحاديث التي أوردها ابن حجر في النص من صواعقه صفحة ١١٢، وراجع مجلد ٣ صفحة ١٦٤ من المستدرک، وقال إنه حديث صحيح. فكان من الطبيعي جدا أن ينتقل علم الوالد لأولاده على الأقل، وأن يتوارث الأولاد علم أبيهم، خاصة وأن النبي وعليا وأولادهم كانوا يسكنون في بيت واحد طوال حياتهم المباركة، وأن الإمام علي مخول بأمر النبي أن يبين للناس ما اختلفوا فيه من بعد وفاة نبيهم، وأنه من النبي بمنزلة هارون من موسى. تلك حقائق أشرنا إليها ووثقناها توثيقا كاملا في كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام، ونتحدى أي مكابر أن ينقض توثيقنا.

٤ - طبيعة علم علي

عن سماعة بن مهران عن الإمام الصادق قال (إن الله علم رسوله الحلال والحرام والتأويل، وعلم رسول الله علمه كله عليا). راجع بصائر الدرجات صفحة ٢٩٠ باب في أمير المؤمنين أن النبي علمه العلم، وراجع الوسائل مجلد ٣ صفحة ٣٩١ ومستدرک الوسائل مجلد ٣ صفحة ١٩٢ عن تفسير العياشي. وفي بصائر الدرجات صفحة ٢٩٠ - ٢٩١ مجلد ٣ و ٩ عن يعقوب بن شعيب عن أبي

عبد الله قال (إن الله تعالى علم رسوله القرآن، وعلمه شيئا سوى ذلك، فما علم الله رسوله فقد علم رسوله عليا).

وعن سليم بن قيس أن أمير المؤمنين عليا قال (كنت إذا سألت رسول الله أجنبي، وإن فئت مسائلي ابتدأني، فما نزلت عليه آية في ليل ولا نهار، ولا سماء ولا أرض، ولا دنيا ولا آخرة، ولا جنة ولا نار، ولا سهل ولا جبل، ولا ضياء ولا ظلمة، إلا أقرأنيها وأملاها علي وكتبتها بيدي، وعلمي تأويلها وتفسيرها، ومحكمها ومتشابهها وخاصها وعامها، وكيف نزلت، وأين نزلت، وفيمن نزلت إلى يوم القيامة، ودعا الله أن يعطيني فهما وحفظا). راجع بصائر الدرجات صفحة ٢٩٢ مجلد ١٢.

٥ - الجامعة أعظم كتب البيان

يبدو واضحا أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أملى على الإمام علي كثيرا من علم النبوة،

وركز تركيزا خاصا على الأحكام الشرعية، أو بيان القرآن كما بينه رسول الله، لتكون هذه الأحكام بمثابة القانون النافذ مع القرآن الكريم، ويبدو أن هذه المجموعة هي بحق من كتب الأولين، وهي شاملة للبيان النبوي في مجال الأحكام، وقد عرفت هذه المجموعة باسم (الجامعة) وقد أملاها رسول الله وكتبها الإمام علي بخط يده، وتداولها

الأئمة الكرام، كل إمام يسلمها لمن يأتي بعده.

ويمكن الوقوف على حجم هذه المجموعة القانونية وعلى مضمونها، من الأحاديث المتواترة التي وردت عن أئمة أهل البيت الكرام، منها ما ورد في بصائر الدرجات صفحة ١٤٤ عن جابر بن يزيد قال: قال أبو جعفر الباقر (إن عندي لصحيفة فيها تسعة عشر صحيفة قد حباها رسول الله).

وجاء على الصفحة ١٤٧ من بصائر الدرجات عن الفضل بن يسار قال قال أبو جعفر (يا فضيل عندنا كتاب علي مائة وتسعة وأربعون ذراعا، ما على الأرض شيء يحتاج إليه إلا وهو فيه حتى أرش الخدش، ثم خط بيده على إبهامه) ومقصوده من أرش الخدش دية الجراحات، وخط على إبهامه ليدل على أرش الخدش ولو كان صغيرا.

وعلى الصفحة ١٤٣ من البصائر عن حمران بن أعين عن أبي جعفر أشار إلى بيت كبير وقال (يا حمران إن في هذا البيت صحيفة طولها سبعون ذراعا بخط علي وإملاء رسول الله، ولو ولينا الناس لحكمنا بما أنزل الله، لم نعد ما في هذه الصحيفة). وعلى الصفحة ١٤٣ عن محمد بن مسلم قال قال أبو جعفر (إن عندنا صحيفة من كتب علي طولها سبعون ذراعا، فنحن نتبع ما فيها لا نعدوها). وسألته عن ميراث العلم ما بلغ؟ أجوامع من العلم أم فيه تفسير كل شيء من هذه الأمور التي تتكلم فيها الناس مثل الكلاله والفرائض؟ فقال (إن عليا كتب العلم كله، القضاء والفرائض، فلو ظهر أمرنا لم يكن شيء إلا فيه، نمضيها).

وفي رواية أخرى (فلو ظهر أمرنا فلم يكن شئ إلا وفيه سنة نمضيها) البصائر ١٦٤ وعلى الصفحة ١٤٦ من البصائر عن محمد بن مسلم عن الإمام الباقر والإمام الصادق (إن عندنا لصحيفة من كتاب علي، أو مصحف علي، طولها سبعون ذراعا، فنحن نتبع ما فيها فلا نعدوها).

وعن عبد الله بن ميمون عن جعفر عن أبيه قال (في كتاب علي كل شئ يحتاج إليه، حتى الخدش والأرش والهرش) البصائر صفحة ١٦٤ و ١٤٨. والهرش بسكون الراء الاشتداد، وبكسرهما سوء الخلق، راجع صفحة ٣٠٨ مجلد ٢ من معالم المدرستين. وفي البصائر صفحة ١٤٧ عن مروان قال: سمعت أبا عبد الله يقول (عندنا كتاب علي سبعون ذراعا).

وفي رواية أخرى صفحة ١٤٨ قال (ما ترك علي شيئا إلا كتبه، حتى أرش الخدش). وفي البصائر صفحة ١٤٥ عن أبي عبد الله قال (والله إن عندنا لصحيفة طولها سبعون ذراعا، فيها جميع ما يحتاج إليه الناس حتى أرش الخدش، أملاها رسول الله وكتبها علي بيده).

وفي البصائر صفحة ١٤٣ و ١٤٧ عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله قال سمعت يقول (إن عندنا جلدا سبعون ذراعا، أملاه رسول الله وخطه علي بيده، وإن فيها جميع ما يحتاج إليه حتى أرش الخدش).

وفي صفحة ١٤٨ و ١٥٩ من البصائر عن عثمان بن زياد قال دخلت على أبي عبد الله فقال لي: إجلس، فجلست، فضرب يده بإصبعه على ظهر كفي فمسحها عليه، ثم قال: عندنا أرش هذا فما دونه.

وفي صفحة ١٤٤ من البصائر عن منصور بن حازم وعبد الله بن أبي يعقوب قال أبو عبد الله (إن عندي صحيفة طولها سبعون ذراعا، فيها ما تحتاج إليه، حتى أن فيها أرش الخدش).

وفي صحيفة ١٤٥ من البصائر عن عبد الرحمن بن أبي عبد الله عن أبي عبد الله (عليه السلام)

قال: سمعته يقول (إن في البيت صحيفة طولها سبعون ذراعا، ما خلق الله من حلال أو حرام إلا وهو فيها، حتى أرش الخدش).

وفي صفحة ١٤٤ عن محمد بن عبد الملك قال: كنا عند أبي عبد الله نحوا من ستين رجلا، قال فسمعته يقول (عندنا والله صحيفة طولها سبعون ذراعا، ما خلق الله من حلال أو حرام إلا وهو فيها، حتى أن فيها أرش الخدش).

وفي صفحة ١٤٤ عن سليمان بن خالد قال: سمعت أبا عبد الله يقول (إن عندنا لصحيفة سبعين ذراعا، أملاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخط علي بيده، ما من حلال ولا حرام

إلا وهو فيها، حتى أرش الخدش).

وفي صفحة ١٤٨ من البصائر ومجلد ١ صفحة ٥٩ من أصول الكافي و صفحة ٦١ منه عن حماد قال: سمعت أبا عبد الله يقول (ما خلق الله حلالا ولا حراما إلا وله حد كحد

الدار، وإن حلال محمد حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة، وإن عندنا صحيفة طولها سبعون ذراعا، وما خلق الله حلالا ولا حراما إلا فيها، فما كان من الطريق فمن الطريق، وما كان من الدور فمن الدور، حتى أرش الخدش والجلدة ونصف الجلدة).

وفي البصائر صفحة ١٦٦ عن عبد الله بن أيوب قال: سمعت أبا عبد الله يقول (ما ترك علي شيعته وهم يحتاجون إلى أحد في الحلال والحرام، حتى أنا وجدنا في كتابه أرش الخدش. قال ثم قال: أما إنك إن رأيت كتابه لعلمت أنه من كتب الأولين).

وعن محمد بن حكيم عن أبي الحسن قال (إنما هلك من كان قبلكم بالقياس، وإن الله تبارك وتعالى لم يقبض نبيه حتى أكمل له جميع دينه في حلاله وحرامه، فجاءكم بما

تحتاجون إليه في حياته، وتستغيثون به وبأهل بيته بعد موته، وإنها لصحيفة عند أهل بيته حتى أن فيها أرش الخدش، ثم قال: إن أبا حنيفة ممن يقول: قال علي وقلت أنا!

وفي البصائر صفحة ١٤٩ و صفحة ١٥٤ وفي الكافي مجلد ١ صفحة ٢٤١ والوافي
مجلد ٢

صفحة ١٣٥ عن بكر بن كرب الصيرفي قال سمعت أبا عبد الله يقول (ما لهم ولكم،
وما

يريدون وما يعييونكم، يقولون الرافضة! نعم والله رفضتم الكذب، واتبعتم الحق، أما
والله إن عندنا ما لا نحتاج إلى أحد، والناس يحتاجون إلينا، إن عندنا الكتاب بإملاء
رسول الله وخط علي بيده، صحيفة طولها سبعون ذراعا، فيها كل حلال وحرام).
وفي مجلد ١ صفحة ٥٧ من أصول الكافي، وبصائر الدرجات صفحة ١٤٦ و ١٤٩،
والوافي مجلد ١ صفحة ٥٨... قول الإمام أبي عبد الله (ضل علم ابن شبرمة عند
الجامعة،

إملاء رسول الله وخط علي بيده، إن الجامعة لم تدع لأحد كلاما، فيها علم الحلال
والحرام، وإن أصحاب القياس طلبوا العلم بالقياس فلم يزدادوا إلا بعدا، إن دين الله
لا يصاب بالقياس).

٦ - الجفر ومصحف فاطمة

يبدو من كثير الأحاديث أنه لدى الأئمة كتابان آخران عن أبيهم الإمام علي،
أحدهما يسمى بمصحف فاطمة فيه أنباء عن الحوادث الكائنة، وكذلك الجفر، وفيه
أيضا أنباء عن الحوادث الكائنة، راجع البصائر صفحة ١٦٠ و ١٥٦، ومعالم
المدرستين مجلد ٢ صفحة ٣٠٠ - ٣١٢

٧ - أبسط واجبات النبي

رسول الله متيقن أنه ميت لا محالة، وموقن من حاجة أمته إلى بيان قائم على
الجزم واليقين لكافة أحكام الشريعة، وهو بيانه بالذات، ولأن عليا هو المخول بالبيان
بعد وفاة الرسول، ولأنه منه بمنزلة هارون من موسى باعتراف معاوية نفسه، ولأن
عليا هو ابن عمه ووالد سبطيه، ومقيم معه بنفس البيت الذي يقيم فيه، ولأن عليا
عالم من أعظم علماء الأمة بإقرار كافة الخلفاء واعترافهم، وقارئ في أمة من الأميين
كان ينذر فيها القارئ، ولأنه باب مدينة العلم، وباب مدينة الحكمة...

لهذا قام النبي بإملاء الحكم الشرعي لكل شئ على علي، وطلب من علي أن يكتب كل ذلك في كتاب، ليكون مرجعا للأمة في بيان القرآن بعد وفاة النبي، وطلب من علي أن يحتفظ به، وأن يسلمه لأولاده الأئمة يتوارثونه، ويبينونه للأمة من بعد وفاة النبي.

وهذه أبسط واجبات النبي أن يوثق بيانه، فيترك القرآن مجموعا، ويترك بيانه لهذا القرآن مجموعا أيضا، فيكون القرآن والبيان هما القانون النافذ في مجتمع الأمة، ودولة الأمة.

فما هو وجه العجب في ذلك؟! خاصة وأن الإمام عليا هو مولى كل مؤمن ومؤمنة، ومن ليس علي مولاه فهو ليس بمؤمن، كما هو وارد بالنص الشرعي، وكما وثقنا في كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام - الباب الثالث، وفي كتابنا النظام السياسي في الإسلام.

٨ - الدنيا تقوم ولا تقعد

يجن جنون الحكام فيحتجون، وتحتج شيعتهم، ويقولون هذا غير صحيح، لماذا لم يكلف خليفة بهذا المشروع الفخم؟ لماذا كلف علي بالذات؟ يا ويحكم! لماذا اختار الله محمدا، ولم يختار أبا سفيان للنبوّة؟ أنتم تقسمون رحمة الله؟!!!

هذا البخاري جمع ما اعتقد أنها أحاديث لرسول الله وسمى مؤلفه باسمه (صحيح البخاري) ومثله فعل مسلم، وابن ماجه، والترمذي، والدارمي... إلخ. ومع هذا بقيت الدنيا على حالها، فلماذا تقيمون الدنيا ولا تقعدونها عندما سمعتم بكتاب الإمام علي؟!!!

أنتم تلاحقون أبا هريرة الذي لم تزد صحبته للنبي عن سنة وستة شهور، وتطلبون منه أن يتوضأ كما كان رسول الله يتوضأ، وأن يصلي كما كان رسول الله يصلي، وتتعامون عن أهل بيت النبوة الذين شاهدوا النبي كل يوم يتوضأ ويصلي، طوال سني البعثة ال ٢٣ عاما!!!

أنتم تطلبون من معاوية أن يبين لكم القرآن الكريم، وطوال ٢١ عاما كان معاوية في حرب مع النبي! ومع هذا تترفعون عن سؤال أهل البيت الذين وقفوا معه ٢٣ عاما، وعرفوا كل شئ عن شريعته!!!

أهذا هو المنطق في عرفنا؟ أهذا هو الحق الذي أمرنا باتباعه؟! هل هذا هو جزاء إحسان بني هاشم يوم حوصروا ثلاث سنين في شعاب أبي طالب؟!!

هل هذا هو جزأؤهم يوم حموا النبي وحموا الإسلام قبل الهجرة؟! هل هذه هي المودة في القربى؟!!

أهكذا يعامل الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا؟!!! أهكذا تفعلون بسفينة النجاء، ونجوم الهدى؟ بالنص.

والله لو كان الخلفاء أحياء يحكمونكم لما لامكم أحد!!

أما بعد موت الخلفاء، ودمار الأمة، فهنا موقع اللوم!!! والله لا نقول إلا ما أمرنا الله أن نقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.

فتلك والله أعظم المصائب!

٩ - ضربة معلم

لو أجاز الخلفاء رسميا كتابة أحاديث رسول الله وتداولها لظهرت هذه الكتب الثلاثة، ولاستطاع الإمام أن يثبت أنها بإملاء رسول الله وخط علي، ولاانتشرت هذه المجموعة الحقوقية انتشارا واسعا، وبما أنها بخط الإمام، وبما أنها ستكون جزءا من القوانين النافذة، ولا غنى عن الإمام عند تطبيقها، فهنا يتحجم الخليفة، ويبرز دور الإمام كعنصر من عناصر تطبيق الشريعة، وبهذه الحالة وضمنا يثبت حقه برئاسة الأمة وولايتها، ويسحب بساط الشرعية من تحت أقدام الخلفاء، ويفقد هم هيبتهم أمام الرعية!

ومن هنا جاءت محاصرة أحاديث الرسول، ومنع كتابتها وروايتها، والقول بأن القرآن وحده يكفي، ولا حاجة لأي شيء آخر! كانت هذه المقولات والإجراءات ضربات معلم حقيقية، حيدت الإمام عليا، وحيدت علمه، وحيدت الشرعية علميا، وفتحت كل الأبواب أمام الرأي أو العمل بالرأي، أو ما سمي في ما بعد بالاجتهاد، وهكذا عطلوا دور أهل بيت النبوة في بيان الأحكام بيانا قائما على الجزم واليقين، واستبدلوا ذلك بالحكام وآرائهم القائمة على الفرض والتخمين.

فالحكم الناتج عن الرأي أو الاجتهاد هو حكم ظني بأحسن صورته، فقد يصيب وقد يخطئ، بينما الحكم الإلهي الذي وثقه أهل البيت ودونوا بيانه، حكم قائم على الجزم واليقين. وشتان ما بين الفرض والتخمين، وما بين الجزم واليقين. إنها سنة الشك التي غرسها الحكام بآل محمد، وألهموها لرعاياهم يوما بعد يوم، حتى أصبحت سنة يصعب مقاومتها، وعرفا ملزما يتناقلها الناس بالإرث والتقليد!!

١٠ - أخبار عن الجفر والجامعة عند شيعة الدولة

أورد ابن الطقطقي - ت ٧٠٩ - في كتابه الفخري في الآداب السلطانية مجلد ٣ صفحة

١٢٣ - ١٢٤: أن المأمون اختبر أحوال البيتين العباسي والعلوي فلم ير فيهما أصلح، ولا أفضل، ولا أروع، ولا أدين، من الإمام علي بن موسى الرضا، فعهد إليه، وألزم الرضا بذلك، فامتنع الرضا ثم أجاب، ووضع خطه في ظاهر كتاب المأمون بما معناه: إنني قد أجبت امتثالا للأمر، وإن كان الجفر والجامعة يدلان على غير ذلك.

قال المير سيد علي بن محمد بن علي الحنفي الأسترآبادي (ت ٨١٦) في شرح مواقف القاضي الإيجي (ت ٧٥٦) عن الجفر والجامعة: هما كتابان للإمام علي (رضي الله عنه) قد

ذكر فيهما - على طريقة علم الحروف - الحوادث التي تحدث إلى انقراض العالم، وكانت

الأئمة من أولاده يعرفونها ويحكمون بها، وفي كتاب قبول العهد الذي كتبه علي بن موسى الرضا (رضي الله عنه) إلى المأمون (إنك قد عرفت من حقوقنا ما لم يعرفه آباؤك، فقبلت

منك عهدك، إلا أن الجفر والجامعة يدلان على أنه لا يتم...). راجع صفحة ٢٧٦ من المقصد الثاني.

١١ - وذكر الجفر والجامعة

الشيخ كمال الدين أبو سالم ابن طلحة الشافعي (ت ٦٥٢) قال في كتاب الجفر والجامعة والنور اللامع حسب نقل كشف الظنون: مجلد صغير أوله: الحمد لله الذي اطلع من اجتهابه... إلخ. وذكر فيه أن الأئمة من أولاد جعفر يعرفون الجفر. راجع مجلد ٢

صفحة ٤٢٠ - ٤٢١ من مصباح السعادة، وكشف الظنون مجلد ٣ صفحة ٥٢١.

١٢ - وذكر الجامعة ابن خلدون

في مقدمته مجلد ١ صفحة ٦٠٠ - ٦٠٢ دار الكتاب اللبناني حيث قال: ووقع لجعفر وأمثاله من أهل البيت كثير من ذلك مستندهم فيه - والله أعلم - الكشف بما كانوا عليه

من الولاية، وإذا كان مثله لا ينكر من غيرهم من الأولياء في ذويهم وأعقابهم، وقد قال (صلى الله عليه وسلم): إن فيكم محدثين، فهم أولى الناس بهذه الرتب الشريفة، والكرامات

الموهوبة (المقدمة لابن خلدون مجلد ١ صفحة ٥٦٥ - ٥٦٦ الفصل الثالث في ابتداء الدول

والأمم، وفي الكلام على الملاحم والكشف عن مسمى الجفر).

وقال بعده ما ملخصه: إن هارون بن سعيد العجلي رأس الزيدية كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق، وفيه علم ما سيقع لأهل البيت على العموم، ولبعض الأشخاص منهم على الخصوص، وقع ذلك لجعفر ولنظائره من رجالاتهم على طريق الكرامة، والكشف الذي يقع لمثلهم من الأولياء، وكان مكتوبا عند جعفر في جلد ثور صغير... إلى قوله: وكان فيه تفسير القرآن وما في باطنه من غرائب المعاني مروية عن جعفر الصادق... إلى قوله: ولو صح السند إلى جعفر الصادق لكان فيه نعم المستند من نفسه، أو من رجال قومه، فهم أهل الكرامات، وقد صح عنه أنه كان يحذر بعض قرابته بوقائع تكون لهم. وقد حذر يحيى بن عمه زيد من مصرعه، وعصاه، فخرج وقتل بالجوزجانة، كما هو معروف. وإذا كانت الكرامة تقع لغيرهم فما

ظنك بهم علما، ودينا، وآثارا من النبوة، وعناية من الله بالأصل الكريم، تشهد لفروعه الطيبة، وقد ينقل بين أهل البيت كثير من هذا الكلام غير منسوب لأحد. راجع المقدمة مجلد ١ صفحة ٦٠٠ - ٦٠١ دار الكتاب اللبناني.

١٣ - ابن خلدون يناقض نفسه

قال ابن خلدون في مقدمته في الفصل الذي عقده لعلم الفقه، بعد ذكر مذاهب أهل السنة، ما هذا نصه: وشذ أهل البيت بمذاهب ابتدعوها، وفقه تفردوا به، بنوه على مذهبهم في تناول بعض الصحابة بالقدح، وعلى قولهم بعصمة الأئمة ورفع الخلاف عن أقوالهم، وهي كلها أصول واهية...

وكان أهل البيت أهل كرامات عنده كما أسلفنا، ثم تحولوا بقدرة قادر إلى مبتدعة وشذاذ، وأصحاب أصول واهية!! لست أدري هل نصدق قوله الأول في أهل البيت، أم نصدق قوله الثاني!!؟

وإذا صدقنا قوله الثاني فهل نسخت آية التطهير!!! وهل ألغى فرض مودتهم؟ وهل زال الواجب بولايتهم!!! وهل أوجد الله سفنا للنجاة بدلا منهم، ونجوما للهداية غيرهم، وأمانا للأمة سواهم!!؟ ارجع كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام، فقد وثقنا ذلك وتحدينا كل مكابر.

ليكن... فالتناس أحرار إما أن يصدقوا النصوص الشرعية القاطعة التي لا تقبل التأويل، وإما أن يصدقوا مقولة ابن خلدون الثانية بأن أهل البيت شذاذ ومبتدعة وأصولهم واهية. راجع النص والاجتهاد صفحة ٥٤١ وما فوقه لشرف الدين الموسوي.

١٤ - أبو العلاء المعري وجفر الأئمة

يقول أبو العلاء:

لقد عجبوا لأهل البيت لما * أتاهم علمهم في مسك جفر
ومرأة المنجم وهي صغرى * أرته كل عامرة وقفر.

١٥ - رواية عن الجامعة

جاء في كتاب الكافي مجلد ٧ صفحة ٤٠، وكتاب من لا يحضره الفقيه مجلد ٤ صفحة

١٥١، ومعاني الأخبار صفحة ٢١٧، والتهذيب للشيخ الطوسي مجلد ٩ صفحة ٢١١، والوسائل مجلد ١٢ صفحة ٤٥٠: إن أول من روى عن كتاب الإمام علي مباشرة هو الإمام علي بن الحسين، وروى من بعده الإمام الباقر كما في الخصال صفحة ١٢٤، وثواب الأعمال وعقاب الأعمال صفحة ٢٦١، وكلاهما للشيخ الصدوق، والوسائل مجلد ١٦ صفحة ١١٩.... إلخ. راجع معالم المدرستين مجلد ٢ صفحة ٣٣٥ وما فوق.

١٦ - من رأى كتاب علي من أصحاب الأئمة

رأى كتاب علي جمع من أصحاب الأئمة يمتنع عقلا اجتماعهم على الكذب. راجع الإستبصار مجلد ٢ صفحة ٢٨٣، والتهذيب مجلد ٨ صفحة ٨١ - ٨٢، والوسائل مجلد ٥

صفحة ٣٧٥، وميراث الفرض الكافي مجلد ٧ صفحة ١٣٦، ومن لا يحضره الفقيه مجلد

٤ صفحة ٢٢٥، والوسائل مجلد ٩ صفحة ٨٢، وبصائر الدرجات صفحة ١٤٤ و ١٦٥

و ١٦٢ و ١٤٥، والكافي مجلد ٧ صفحة ١٤٢ والتهذيب مجلد ٩ صفحة ٣٠٨... إلخ،

ومعالم المدرستين مجلد ٢ صفحة ٣٣٥ وما فوق.

١٧ - أهل البيت عند رفع الحصار عن الحديث

بيننا أن الحكام قد فرضوا الحصار على أحاديث رسول الله، ومنعوا كتابتها وتداولها، واستمر هذا الحصار ٩٥ عاما ثم صدر قرار حكومي عن الخليفة عمر بن عبد العزيز برفع الحصار وكتابة وتداول أحاديث الرسول، فتقبل الناس القرار مكرهين، وبدأوا يستذكرون أحاديث رسول الله بعد مقاطعة دامت ٩٥ عاما، وبعد ٩٥ عاما من صدورها عن الرسول كان بإمكانهم أن يرجعوا لأهل البيت، وأن يتلقوا علما يقينيا منهم، ولكن لم يفعلوا، لأن سياسة الدولة تمنع ذلك، لأسباب أوردنا بعضها.

انطلقت الدولة وأعطت إشارة البدء بتدوين أحاديث الرسول، وكتابتها، وروايتها بعد حصار دام ٩٥ عاما، وانطلق علماء الدولة يروون أحاديث رسول الله عن كل عابر سبيل، وركزوا تركيزا خاصا على ما بقي من الصحابة الكرام، أي صحابي رأى الرسول، أو رآه الرسول، أو أي شخص مستور الحال على حد تعبيرهم، وقد أخذ العلماء من كل الناس باستثناء أئمة أهل البيت الكرام، لمجموعة من الأسباب، منها حذر الدولة منهم، ومنها سنة الشك التي أوجدها الحكام بهم. وتمخضت تلك الإنطلاقة عن الصحاح الستة التي أوردنا ذكرها. وبالرغم من الحصار المرير الذي فرضه الحكام على أهل البيت الكرام عامة، وعلى أئمة أهل البيت خاصة، فإن الأئمة الكرام لم يتوقفوا لحظة واحدة عن بيان سنة جدهم ونبيهم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولا تركوا وسيلة يتسرب منها البيان إلا وسلكوها، وعندما شرعت الدولة برفع الحصار عن كتابة أحاديث الرسول وروايتها اغتتم الأئمة الكرام هذه الفرصة، وشرعوا ببيان سنة جدهم لسببين: الأول: تثقيف شيعة أهل البيت بأحكام دينهم (القرآن وبيان هذا القرآن المتمثل بقول الرسول وفعله وتقريره). والسبب الثاني: لتكون انطلاقتهم العلمية نبعاً يستقي منه من يشاء علماء الدولة، وعلى هذا الصعيد تخرج على يد الإمام جعفر الصادق أربعة آلاف فقيه ومحدث، وتتملذ على يديه مباشرة أو بالواسطة أئمة المذاهب الرسمية المعتمدة في الدولة الإسلامية! وميزة علوم أئمة أهل البيت أنها قائمة على الجزم واليقين، إذ دونت هذه العلوم على عهد رسول الله، بخط علي وإملاء الرسول نفسه، وتناقلها الأئمة كإبراهيم عن كابر، بعيدة عن التحريف، والزيادة والنقص، بسبب وثاقة التدوين.

١٨ - ثمرة انطلاقة الأئمة الكرام
لم تصل إلينا ثمرات انطلاقة الأئمة الكرام من أهل البيت كلها، فقد استفادوا وحثوا تلاميذهم على الاستفادة من قرار الدولة برفع الحصار عن تدوين الحديث، ودون

أصحاب الأئمة كتبهم التي كانت تسمى (الأصول) وقد بلغت المآت، ولم يصل إلينا من

أصول القرن الأول والثاني إلا القليل. وأهم موسوعات الحديث عن أهل البيت الكرام هي:

١ - الكافي، للشيخ الكليني (ت ٣٢٩ هـ) أول من ألف من شيعة الأئمة موسوعة حديث عامة، جمع فيها أكثر من ١٦ ألف حديث.

٢ - مدينة العلم، للشيخ الصدوق (ت ٣٨١) ويقال إنه أضعاف كتاب الكافي، ونسخته مفقودة على أثر حرق كتب أتباع الأئمة الكرام ومكتباتهم، ومطاردتهم وتشريدهم.

٣ - بحار الأنوار، للمجلسي (ت ١١١١ هـ)، والعوالم للبحراني من تلامذة المجلسي، وهما من الموسوعات الكبيرة المتأخرة كل منهما نحو مائة مجلد.

كما اهتم أتباع الأئمة بأحاديث الأحكام، وكان الشيخ الصدوق (ت ٣٨١) أول من ألف موسوعة فقهية من الحديث سماها (من لا يحضره الفقيه) وتلاه الشيخ الطوسي (ت)

٤٦٠ هـ) وألف الإستبصار والتهذيب. ثم مجموعة وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة للشيخ الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ) ثم جامع أحاديث الشيعة للسيد حسين البروجردي (ت ١٣٨٠ هـ).

وقد نقلنا هذه الخلاصة عن معالم المدرستين مجلد ٢ صفحة ٢٧٨ للعلامة السيد مرتضى العسكري.

١٩ - قل هل أنبؤكم بخير من ذلكم؟

الأمة الإسلامية شخص اعتباري مريض حقيقة، والمريض بفطرته يبحث عن ما يشفيه من مرضه، وقد تداوت الأمة بالدكتاتورية، وبالشيوعية، وبالديمقراطية، ولكنها بقيت على حالها تعاني من أوجاعها، فما الذي يمنع أهل السنة من أن يسألوا عن

علم أهل بيت محمد؟ وعن جامعة علي!! وعن أقوال أئمة أهل البيت؟ فما يدرهم لعل العلاج موجود عند أهل بيت النبوة!!

إنكم لم تشعروا بأي حرج، ولا أبديتم أية تحفظات عندما تداويتم بالشيوعية والديمقراطية وهي بضاعة أجنبية، فلماذا تشعرون بالحرج، وتبدون التحفظات عندما نفتح أمامكم صيدلية أهل بيت محمد؟
هل الشيوعية والديمقراطية أقرب إليكم من علم أهل البيت!!!؟
لو كان معاوية حيا لما لامكم أحد، لكن معاوية ميت ولا علاقة له الآن بأرزاقكم واعتباركم!!!
ثم ما هي العداوة بيننا وبين أهل البيت الكرام؟ ما الذي فعله الهاشميون بهذه الأمة حتى تنفر منهم هذا النفور العجيب!!!؟
إننا نقبل بكليتنا على كتب ابن تيمية وعلى مذهبه، وعلى مذهب محمد بن عبد الوهاب، ولا نجد حرجا في ذلك، لماذا نتحرج عندما يطرح أمامنا قول من أقوال أئمة أهل البيت الكرام؟
هل ابن تيمية، وابن عبد الوهاب أرفع منزلة في قلوبكم من أئمة أهل البيت!!!؟
إننا نقول بصوت واحد نحن لا نكره الأئمة الكرام ولكننا نكره الشيعة، ليس فضلا لكم أن لا تكرهوا الأئمة، فنحن لا نكره حتى الحيوانات، أما كرهنا لشيعة أهل البيت ففيه العجب، لماذا نكرههم؟ لماذا لا نسمع وجهة نظرهم؟
نحن من الحضارة بحيث نسمع وجهة الإنكليز والأمريكان وحتى اليهود، فهل هؤلاء كلهم أحب إليكم من الشيعة؟ ولكم ولهم كتاب واحد، ونبي واحد، وتتوجهون لكعبة واحدة، هل هذه أخوة الإسلام!!!؟ هل هذا هو عصر الانفتاح!!!؟
إسمع وجهة نظري بتجرد، ولأسمع وجهة نظرك بصبر وتجرد، ثم نتحاكم إلى الإسلام، فهو دين الله، وهو الحكم، ولتكن غايتنا هي الوقوف على الحقائق الشرعية المجردة.
**

الفصل الحادي عشر
الركن الثالث للوحدة: الأمة
١ - موقع الأمة

القيادة السياسية والمرجعية في الأمة هي بمثابة القلب من الإنسان، والأمة هي بمثابة أعضاء البدن في الإنسان، والمنظومة الحقوقية هي بمثابة النظام، أو القانون الذي يحكم فيه القلب أعضاء الإنسان، فإذا فقد ركن من هذه الأركان تعطلت المعادلة كلها،

فيصبح القلب أو القيادة السياسية والمرجعية بمثابة ملك لا حاشية له ولا رعية، وتتحول المنظومة الحقوقية إلى مجرد كتاب قانوني لا يقدم ولا يؤخر، وتتحول الأمة إلى

مجموعات متناثرة من الأفراد كحبات السبحة التي انقطع نظامها، فأصبحت كل حبة في واد، وكل مشاهد منها في بلاد.

٢ - معنى الأمة ومكوناتها

الأمة هي عبارة عن شخص اعتباري له ذمة مالية مستقلة تماما عن ذمة القيادة والمرجعية، ولهذه الأمة وجود واقعي وقانوني مستقل تماما عن وجود القيادة والمرجعية،

فهي شئ والقيادة والمرجعية شئ آخر، صحيح أن القيادة والمرجعية هي بالضرورة جزء من الأمة، ولكن لكل واحد من هذين الكيانين ذاتية مستقلة تماما عن ذاتية الآخر، ووجود مادي مستقل عن الآخر، وحقوق قائمة بذاتها ومستقلة عن حقوق الطرف الآخر، بالرغم من التكامل والتكافل المفروض عليهما.

وتتكون الأمة الإسلامية حسب منظومة المادة الأولى من الدستور النبوي الذي وضعه

رسول الله عند قدومه للمدينة المنورة من (المؤمنين والمسلمين، ومن تبعهم من غير المؤمنين ومن غير المسلمين، ومن لحق بهم، ومن جاهد معهم) هذه الوثيقة الدستورية ذكرها ابن هشام في مجلد ١ صفحة ٥٠١، ومحمد حميد الله في مجموعة الوثائق السياسية

صفحة ١٥، وظافر القاسمي في صفحة ٢١ من كتابه نظام الحكم في الشريعة والتاريخ.

فالأمة تتكون إذا من المؤمنين الذين دخل الإيمان في قلوبهم، ومن المسلمين الذين نطقوا بالشهادتين وأعلنوا إسلامهم، ومن أبناء الملل الأخرى الذين يعيشون في ظلال الدولة الإسلامية وعلى إقليمها، ويقبلون بقيادتها، ويرتضون بمواطنتهم فيها، والملتزمين ضمنا بقبول قوانينها وتشريعاتها، وتنفيذ قراراتها القضائية، وأحكامها.

هؤلاء جميعا أمة واحدة متميزة عن الأمم الأخرى، لها قيادة ومرجعية واحدة، وهي رئاسة الدولة الإسلامية الشرعية، ولها منظومة حقوقية أو قانون نافذ، وهو المنظومة الإلهية، ويعيشون جميعا على إقليم واحد، وهو تلك البقعة التي تخضع لسلطان

الدولة الإسلامية، ويحملون جميعا جنسية هذه الدولة، ويشكلون جميعا نموذجا لإمكانية التعايش الإنساني في ظلال الحكم الإلهي.

فالمرجعية والقيادة هي بمثابة النموذج الشخصي المتحرك للمؤمنين والمسلمين معا، ولمن لحق بهم، والعلاقات المتحركة للعناصر غير المسلمة. والعلاقات بين أفراد الدولة المسلمة هي بمثابة نموذج متحرك لأبناء الأمم الأخرى، في منهج التعايش السلمي بين أبناء العائلة البشرية ككل، على مختلف مللهم ونحلهم.

٣ - دور الأمة في تنصيب إمامها وأمرائها

الأمة المؤمنة حقا، تبحث عن الأعلم والأفهم بالمنظومة الحقوقية الإلهية ليقودها، لأن هذه المنظومة هي القانون النافذ الذي سيطبق عليها.

والأمة المؤمنة حقا، تبحث عن الأتقى والأخلص ليكون إماما لها، ووفدها إلى الله الذي من عليها، ووضع تحت تصرفها منظومته الحقوقية الإلهية.

والأمة المؤمنة حقا، تبحث عن أفضل مؤمن من أفرادها ليقودها، وليكون قدوة

لها بعد وفاة نبيها، وليكون أهلا للجلوس في مقام النبوة المقدسة، وللقيام بوظائفها الملخصة، بالبيان، والقيادة، والمرجعية.

والأمة المؤمنة حقا، تبحث عن أنسب فرد من أفرادها الموجودين ليقوم بهذه المهام.

٤ - الغاية فوق الطاقة، وفوق القدرة

لا أحد في الدنيا ولا في الآخرة، لا في الأرض ولا في السماء يعرف على وجه الجزم واليقين الشخص الذي تبحث عنه الأمة ليكون إماما لها، لا أحد يعرفه يقينيا إلا الله.

لأن صفات الأعلّم، والأفهم، والأتقى، والأخلص، والأفضل، والأنسب من بين الموجودين، كلها صفات خفية لا يعلمها علما يقينيا إلا الله، العالم بالسر وأخفى.

ومن هنا، فإن محاولة الأمة لتحديد المتصف بهذه الصفات فوق طاقتها، وتتجاوز قدرتها، حتى ولو اجتمعت على قلب رجل واحد، أو انفردت واحدا واحدا، لأن الشخص طبيعيا كالإنسان، أو اعتباريا كالأمة لا يملك إلا طاقته، وتتجاوز حدود الطاقة دخول في أبواب التهلكة، ويؤدي لنتائج عكسية ومدمرة.

يحسن بمن أراد الوقوف على دقائق هذا الموضوع أن يقرأ كتابنا (نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام) فقد خصصنا هذا الكتاب كله لهذه الناحية، وأقمنا الدليل العقلي والشرعي على صحة ما قلناه.

٥ - الرحمة الإلهية والمبايعة

حبا من الله لأمة محمد، وحرصا منه على دين الإسلام وحسن نظامه، ورفعاً منه للخلاف والاختلاف، اختص الله هذه الأمة، ودلها على المتصف بهذه الصفات ليكون قائدها السياسي، ومرجعها، أو ليكون إمامها وقودتها.

وبعد أن تجلت الرحمة الإلهية، وحددت تحديدا يقينيا الشخص المتصف بصفات الإمامة، أو القيادة والمرجعية، تبادر الأمة على الفور بمبايعة هذا الشخص ليكون قائدا سياسيا ومرجعا لها معا، لأنها بعد التحديد قد عثرت على الحكم الشرعي، تماما كما يعثر القاضي على النص القانوني المفصل تفصيلا دقيقا على الواقعة المعروضة عليه،

فينطق بالحكم، كذلك فإن الأمة تبادر إلى البيعة تنفيذاً للحكم الإلهي في هذه الواقعة.

٦ - البيعتان

لأنه يتعذر على الأمة أن تجتمع على صعيد واحد وفي مكان واحد فتأخذ البيعة شكلين أو مرحلتين:

١ - المرحلة الأولى وهي البيعة الخاصة ببايعها الخواص، وهم: أهل البيت الكرام، وأفاضل الصحابة، أو وجهاء العاصمة ومن لحق بهم، ولا يتوقف دور هؤلاء الخاصة على البيعة الخاصة، بل أوجب الشرع عليهم أن يساعدوا الأمة لتبايع إمامها ولتعرف عليه.

٢ - البيعة العامة، بعد تمام البيعة الخاصة للإمام، حيث يتحرك خاصة الأمة الموجودون في العاصمة، وفي الأقاليم، ليتمكنوا الأمة كلها من مبايعة إمامها. وبمبايعة الإمام يبدأ عهد جديد، ويتكون عقد جديد طرفه الأول الإمام، وطرفه الآخر الأمة التي قبلت بالإمام كقيادة سياسية ومرجعية معاً. راجع كتابنا (النظام السياسي في الإسلام) صفحة ٧٦ وما فوق من الطبعة الخامسة، تجد أننا قد بينا بالتفصيل أولئك الخاصة الذين يبايعون الإمام البيعة الخاصة.

٧ - الإمام يعين مساعديه

بتمام البيعة يصبح الإمام هو المرجع، وهو القائد السياسي، وهو رأس الأمة الشرعي، ينظر في كافة أمور دينها ودنياها بالكيفية المفصلة بالمنظومة الإلهية، ولتحقيق المقصود الإلهي من مؤسسة الإمامة، له أن يعين من الأمة كافة مساعديه لإدارة وسياسية الأمة، وأقاليمها، وتطبيق الشريعة، وتحقيق مقاصدها. ومساعدو الإمام من الأمة يعينهم الإمام على ضوء ملكاته، وقابلياته المميزة، وعلى ضوء واقع نفسه الشريفة المميزة، وبالكيفية التي تحقق رضى العامة والخاصة

ضمن الأطر الشرعية.

مساعدو الإمام هم:

١ - هم ولي العهد، أو الشخص الذي يخلف الإمام ويحل محله إن شغل منصبه، وهو محدد بالضرورة بالمعنى اللغوي.

٢ - مجلس الوزراء، بالمعنى اللغوي، أو حكومة الإمام.

٣ - أهل الشورى.

٤ - ولاية الأقاليم، أو أمراء الأقاليم.

٥ - القاضي أو القضاة.

٦ - أية وظائف أو مناصب يرى الإمام أنها ضرورية لتحقيق المقاصد الشرعية، ولتطبيق المنظومة الحقوقية الإلهية.

راجع كتابنا (النظام السياسي في الإسلام) صفحة ١٩٧ وما فوق، و صفحة ٧٦ تجد تفصيل ذلك.

وغني عن البيان أن الذي يملك سلطة وصلاحيه التعيين، يملك سلطة وصلاحيه العزل، والضمانة لعدم التعسف هو سمو شخصية الإمام والإشراف الإلهي على اختياره. ولا حرج في اختيار الإمام، فإن الولايات المتحدة كدولة ديمقراطية تختار رئيسها، ويعطيه القانون الأمريكي نفس الصلاحيات التي يعطيها الشرع الحنيف للإمام، ولا يخشى من الرئيس الأمريكي جورا ولا تعسفا في العزل والتعيين، مع أنه لا يتصف بصفات الإمام الشرعية، ولم تبايعه الأمة الأمريكية كلها، فثلث الأمريكيين على الأقل دعم غيره، وتمنى نجاح غيره، فالثقة بالإمام أولى من الثقة بالرئيس الأمريكي من كل النواحي الموضوعية، وإعطاء الرئيس الأمريكي صلاحيه تعيين وزرائه، ومساعديه، وعزلهم، لا يחדش ديمقراطية النظام الأمريكي بكل المعايير الديمقراطية.

٨ - بين الشرعية والوقائع المادية

بمجرد تحديد الشخص المتصف شرعا بصفات الإمامة، يتوجب على الأمة خاصتها وعامتها أن تبايع الإمام فورا بعد أن دلها الله تعالى عليه، لأن مقصودها الشرعي

(العنور على الأعلم، والأفهم، والأتقى، والأخلص، والأفضل، والأنسب لقيادتها) هو عين المقصود الإلهي في هذه الناحية، وحيث أن الله تعالى قد دلهم على بغيتهم وما يحقق مقصودهم، فمن الطبيعي أن تحقق الوحدة بين المقصدين - مقصد الأمة ومقصد الله تعالى - ولا إشكال في هذه الحالة.

لكن يصدف أن بعض أفراد جماعات الأمة رغبة أو رهبة أو هوى، تكره هذا الشخص المتصف شرعا بصفات الإمامة، أو أنها لا تريده إماما لأنه صغير السن، أو به دعاية، أو لأنه من بني هاشم، أو لأنه قتل كثيرا من العرب في سبيل الإسلام، أو لأنه من أقارب النبي، وليس من العدل أن يكون النبي والإمام من قبيلة واحدة، فتذهب هذه القبيلة بالشرف كله، ولا تترك شيئا لبقية القبائل، فعندما يعلن الإمام الشرعي القائم ولي عهده يتعذر على هؤلاء الأفراد والجماعات أن يجاهروا باحتجاجاتهم، ولذا يبدؤون بالتخطيط سرا، والتكتل ويعملون بكل استطاعتهم في حياته لكي لا يسد عليهم الطريق، حتى إذا مات الإمام الشرعي القائم، وانشغلت الأمة بفجيعتها، تحرك هؤلاء الأفراد وتلك الجماعات في غفلة من الأمة، وقدمت واحدا منها على أنه إمام.

ومن الطبيعي أن الناس ليسوا ملائكة، وأنهم يبحثون عن المصالح بجهد أكبر من بحثهم عن المبادئ، وأنهم بالنص الشرعي يحبون الدنيا العاجلة، ويذرون الآخرة، فيسارع أمثال هؤلاء إلى مبايعة المتقدم، ويفاجئ الإمام الشرعي بهذه الوقائع، ويقيم الحجة على الحاكم الفعلي، ولكن الحاكم الفعلي لا يأبه بالإمام الشرعي، ويجد الإمام الشرعي نفسه بمواجهة دولة حقيقية، فيطلب النصر من فئات الأمة المختلفة، فمنهم من بايع ويعز عليه نقض البيعة، ومنهم من لا يرغب أن يدخل في صراع خاسر ومعروف النتائج حسب تحليله، فهذه دولة والإمام الشرعي فرد، فيقل ناصر الإمام فيسلم، ويصبح الغالب هو الإمام، أو الخليفة، أو أمير المؤمنين الفعلي، والإمام الشرعي لا حول بيده ولا قوة.

وحيث أن هذا الغالب هو القابض فعليا على مقاليد الأمور، فإنه يصبح الأمر والناهي، ويصبح هو الإمام بحكم الواقع والغلبة لا بحكم الشرع. ومع الأيام والتكرار ينبذ الإمام الشرعي بعد أن تعذر عليه ممارسة وظائف الإمامة، لأنه أصبح وحيدا ومجردا من السلطات الواقعية، والإمكانات التي تمكنه من ممارسة دوره كإمام شرعي، وحيث أن الأمة وقفت مع غيره، وحيث أن هذا الغير هو الغالب، يتحجم دور الإمام الشرعي وينبذ، باعتباره عدو الغالب، ومنافسه، وطريد السلطة، وتتحول هذه الآلية إلى سنة فعلية، تدعها القوة والغلبة. وتتحول الأمة إلى مجرد مطية يركبها أي غالب، وتندحر الشرعية، والمشروعية تماما، فتسود مقولة عبد الله بن عمر بن الخطاب (نحن مع من غلب) تلك المقولة التي تحولت إلى نص،

كأنه منزل من عند الله! راجع الأحكام السلطانية لأبي يعلى صفحة ٦ - ١٥، وراجع صفحة ٤٢٤ من الإرشاد في الكلام لإمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني. وبعد أن تستتب الأمور لهذا الغالب يقلد النبي، فيعهد إلى أي شخص يريده، وتستمر ولاية العهد بهذه الطريقة حتى يبرز من بين صفوف الأمة غالب جديد، فيغلب الخليفة القائم، ويستولي على الملك لنفسه، أو لأسرته، ويبدأ بسلسلة ولاية العهد، حتى يتقدم الصفوف غالب جديد! والأمة رغبة أو رهبة ملزمة بمبايعة كل غالب، وهكذا دواليك طوال التاريخ السياسي الإسلامي!

وإذا تجرأ الإمام الشرعي بمثل هذه الظروف أن يذكر الأمة بالشرعية، وبحقه الشرعي بالإمامة، قيل: إنه طالب إمارة، وطالب الإمارة لا يؤمر، وقيل: إنه يريد أن يفرق الأمة بعد اجتماعها، وأن يشق عصا الطاعة، ويفرق الجماعة، ويبيغي الفتنة. ووسائل إعلام الدولة تدق طبولها بالعشي والإبكار، وترسخ الواقع وتباعد بين الأمة وبين الشرعية السياسية الحقيقية.

ولقد عالجتنا هذا الموضوع في كتابنا (النظام السياسي في الإسلام) بإيجاز يكفي للإحاطة بهذا التوجه، فليرجع إليه من شاء الوقوف على بعض التفاصيل. وعندما يطول العهد وتتكون معالم السنة الفعلية التي رسمها الغالب، يتصور

اللاحقون أن الشرع ظن، وأن الخروج على الشرعية هو بعينه الشرعية واليقين.
وبهذه الحالة تقاوم الأمة أو الأكثرية الساحقة من الأمة بعناد، أي محاولة للعودة
إلى الشرعية، وتعتبر هذه المحاولة خروجاً على شرعية السنة التي أوجدها الغالب.
والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.
* *

الباب الثاني
الاختلاف بعد الوحدة والائتلاف
الفصل الأول: طبيعة الاختلاف ومخاطره
الفصل الثاني: فتح أبواب التمزق والاختلاف
الفصل الثالث: ثمار الترتيبات الوضعية
الفصل الرابع: تحول الترتيبات الوضعية إلى
قناعات

الفصل الأول طبيعة الاختلاف ومخاطره

١ - جريمة الفرقة

إذا كانت وحدة الأمة الإسلامية فرضاً، فإن تفريق وفرقة الأمة الإسلامية جريمة كبرى ومفسدة عظمى، تترتب عليها مئات المفسدات، فهي تعطل الأمة كشخص اعتباري عن القيام بكل أدوارها وواجباتها، وتؤدي إلى التنازع والفشل وذهاب الريح والهيبة، وتعميق كل ذلك وترسيخه، فيتفرق المسلمون بعد وحدة، ويختلفون بعد انسجام، ويتحولون إلى شيع متباعدة متباغضة، وأحزاب متنافرة، يتلهى كل حزب بما لديه، وتزعم كل فئة أنها على الحق المبين، وأن غيرها على الباطل، مع أنه لا يوجد إلا حق واحد، وباطل واحد، ولو كانوا جميعاً على الحق لاتحدوا تحت راية الحق الواحدة، ولكن لأنهم أحبوا الباطل وكرهوا ما أنزل الله، اختلفوا ودخلوا أبواب الهوى كما دخل المشركون من قبلهم قال تعالى (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)

الأنفال آية ٤٥، وقال جل جلاله (ولا تكونوا من المشركين، من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون) آية ٢١ - ٢٢ من سورة الروم، وقال أيضاً (إن)

الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء) آية ١٥٩ من سورة الأنعام، والخطاب في هذه الآية موجه للنبي.

٢ - سبب الفرقة والخلاف

يكمُن سبب خلاف المسلمين واختلافهم، وتفرق كلمتهم، وإخفاقهم في تحقيق وحدتهم في أمر واحد لا شأن له، وهو بإيجاز عدم إعمالهم للترتيبات الإلهية مجتمعة. فقد أخذوا من هذه الترتيبات الإلهية أموراً، وتركوا منها أموراً أخرى.

وهذا الذي تركوه من الترتيبات الإلهية أحدث فراغاً هائلاً وفجوة، فسدوا هذا الفراغ وتلك الفجوة بترتيبات بديلة، وضعوها على عجل وحسب رأيهم ومبلغهم من العلم، وأشيع في ما بعد أن هذه الترتيبات البديلة هي جزء لا يتجزأ من الترتيبات الإلهية، تقرأ معها، وتنفذ كما تنفذ الترتيبات الإلهية تماماً.

٣ - الربط المتكرر

تولى قادة التاريخ السياسي الإسلامي عمليات ترك بعض الترتيبات الإلهية، وعمليات وضع ترتيبات بديلة، لسد الفراغ الحاصل، ثم عمليات الربط بين ما تبقى من الترتيبات الإلهية وبين الترتيبات البديلة التي وضعوها، وكرس هؤلاء القادة كل جهودهم وإمكانيات الدولة الإسلامية لتبدو هذه العمليات وكأنها لمصلحة المسلمين، ولمصلحة الإسلام، وشايعتهم الأكثرية الساحقة من الأمة على ذلك رغبة في ما عند هؤلاء القادة، أو رهبة منهم.

٤ - الإشاعة تتحول إلى قناعة

ثم أخذت وسائل الدولة الرسمية لهؤلاء القادة تروج لشيوع هذه الإشاعة، وتشيد بفضائل وحكمة واضعيها، ومع التكرار صارت كل هذه العمليات أعرافاً ملزمة، وحالات واقعة، وسنة متمكنة في الحياة، وقناعات ضاربة الجذور، واعتقد اللاحقون أن الوحدة بين ما تبقى من الترتيبات الإلهية وبين الترتيبات البديلة التي

وضعها قادة التاريخ، اعتقدوا أنها وحدة شرعية وحقيقية، وأن كافة الترتيبات التي بين أيديهم هي من صنع الله تعالى وحده، فتقبلوها على هذا الأساس، ودافعوا عنها على هذا الأساس، وأقاموا سورا بين العقل البشري وبين الولوج إلى حرمة هذه القناعات، مع أنها في أصلها وحقيقتها شائعات. ومن هذا الاعتقاد تكون نسيج عقيدتهم، وشاعت خلاصة نظرتهم.

٥ - اختلاط الدين بالأشخاص

من المسلمات أن ذات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هي جزء من الدين، فيجب أن يتيقن المؤمن

أن محمدا بالذات - وليس غيره - هو نبي الله ورسوله، وأن طاعته هي طاعة لله، ومعصيته هي معصية لله، فالقناعة بذلك هي جزء لا يتجزأ من دين الله، وتقرأ هذه القناعة مع الدين، وهي منبثة في كل نصوصه.

ونتيجة لترك بعض الترتيبات الإلهية، ووضع ترتيبات بديلة، لتسد محلها، أشيع في ما بعد أن الذين وضعوا هذه الترتيبات البديلة هم أيضا جزء من الدين، ويقرأ هذا الجزء مع الدين نفسه، وحجتهم في ذلك أن القول بغير ذلك سوء ظن بأولئك الذين قادوا التاريخ السياسي بعد وفاة النبي، وصنعوا وحققوا الانتصارات والأمجاد، وفتحوا الممالك والبلدان بفترة زمنية قصيرة، معتقدين أن سر العظمة بهؤلاء القادة، لا بدين الإسلام وحده، وكيف لا وقد صحبوا النبي، وكانوا خلفاءه والقائمين مقامه، وقد وحدوا الأمة طوعا وكرها، ونقلوا لنا الدين نفسه، وبلغونا أحكامه، فهم عدول، لا يجوز عليهم تعمد الشر، ومن الواجب الاقتداء بهم، فعملهم سنة، ولكل واحد منهم سنة قولية وفعلية وتقريرية عند عدم وجود النص، راجع الباب الأول من كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام تجد توثيق ذلك. وهكذا اختلط الدين بالأشخاص اختلاطا كاملا، وقلت الفوارق بين ما وصفه الخالق، وما ابتدعه المخلوق، وحشر الاثنان على صعيد واحد، وقرءا معا!

وساعد على ترسيخ هذه القناعة المتولدة أصلاً عن الإشاعة رسوخ فكرة أن الغالب مهما كانت وسائل غلبته بطل، وأن البطولة والغلبة محط هوى النفس البشرية، فقبول الناس هذه الترتيبات البديلة لأنها في جانب منها من صنع الأبطال الذين غلبوا، والغالب على حق، فلو لم يكن على حق لما انتصر - حسب رأيهم - فأخذوا بظاهر من القول: إن الله يؤتي ملكه من يشاء.

٦ - تقديس الغلبة وتمجيد الغالب

في هذا المناخ تقدست الغلبة، وأصبحت سبباً شرعياً للخلافة، وتمجد الغالب وأحيط بهالة حقيقية من التقدير وفضيخ من الطاعات، كأنه خليفة وإمام شرعي معين بالنص أو العهد، فاخترع ترتيب بديل مفاده: أنه لو خرج على الخليفة أو الإمام الشرعي خارج أي خارج على الإطلاق - فوقف مع الخليفة الشرعي فريق، ومع هذا الخارج فريق، وشب الصراع بين الفريقين، ثم أسفر عن انتصار هذا الخارج وسيطرته على مقاليد الأمور، فيجب التنكر عملياً للخليفة الشرعي المغلوب، وإطاعة هذا الخارج الغالب، وتوحيجه خليفة شرعياً مكان السابق فقط لأنه غلب، فإذا غلب وجلس في مقام الخلافة، فيتوجب طاعته، والانقياد له، وتقديمه واجبات الولاء له كائناً من كان، ولماذا لا؟ فهو خليفة رسول الله وأمير المؤمنين رسمياً، وإن كنت في شك من ذلك فاقرأ مشكورا الأحكام السلطانية صفحة ٥ - ١١.

ولهذا الغالب أن يتمتع بكافة الحقوق والصلاحيات والامتيازات التي كان يتمتع بها الخليفة الشرعي المغلوب عندما كان غالباً، فهو خليفة حقيقي الآن، بل وبإمكان هذا الخليفة الغالب أن يعهد لمن يقود الأمة من بعده، فهو موضع ثقة نظر المسلمين حال حياته، وتبعاً لذلك أن ينظر لهم حال موته، وإن كنت في شك من ذلك فاقرأ صفحة

١٧٧

من مقدمة ابن خلدون تجد هذا الترتيب البديل.

وزيادة في الأمان والاطمئنان على هذا الغالب فإنه يحرم قتاله، ويحرم الخروج عليه، ويحرم عزله، وله على الأمة حق الطاعة حتى ولو كان فاسقاً ظالماً، وإن كنت

في شك من هذا فارجع مشكورا على سبيل المثال إلى صحيح مسلم مجلد ٦
صفحة ٢٠ - ٢٢ باب الأمر بلزوم الجماعة، ومجلد ٢ صفحة ٢٢٩ من شرح النووي
على

صحيح مسلم، ومجلد ٨ صفحة ١٥٨ - ١٥٩ من سنن البيهقي... إلخ.
أما لماذا هذه المبالغات بالطاعة والاحتياطات؟ ذلك لأنه خليفة رسول الله والقائم
مقامه، والمتمتع بصلاحياته في القيادة!

وقد توطد مركز الخلافة في ظلال هذه القناعات، حتى أعلن الحجاج بكل وضوح
كما أسلفنا أن الخليفة أهم من الرسول نفسه، ومقامه أعظم من مقام النبوة نفسها!
وساعد على ترسيخ مكانة الخلافة مكانة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في النفوس،
فصارت سيرتهما جزءا من المنظومة الحقوقية الإلهية تقرأ معها، فلا يكفي أن يتعهد
الخليفة الجديد بالحكم بكتاب الله وسنة رسوله، بل يجب أن يتعهد أيضا بالعمل
بسيرة الشيخين، وتلك مكانة لا مثيل لها، والشواهد على ذلك كثيرة، راجع على
سبيل المثال مجلد ٥ صفحة ١٥ من أنساب الأشراف للبلاذري، ومجلد ١ صفحة ٢٦
من

الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري.

وما قاله الشيخان، وما فعلاه، وما أقراه يقرأ مع المنظومة الحقوقية الإلهية وكأنه
جزء منها.

فولاية العهد لا سند شرعي لها من الناحية الرسمية إلا فعل أبي بكر وعمر، حيث
عهد أبو بكر لعمر، وعهد عمر للسته نظريا ولعثمان عمليا، راجع كتابنا النظام
السياسي في الإسلام الباب الأول صفحة ١٤٧، ونظام الحكم للقاسمي، ومجلد ٢
صفحة

٤٢٨ من تاريخ الطبري، و صفحة ٣٧ من سيرة عمر لابن الجوزي، و صفحة ٨٥ مجلد
٢

من تاريخ ابن خلدون، و صفحة ١١ من الإمامة والسياسة لابن قتيبة، و صفحة ١٧٧
من المقدمة لابن خلدون.

وإذا غلب غالب جديد يسري هذا القانون لصالحه.

٧ - ما هو السند الشرعي لترتيب الغلبة البديل للترتيب الإلهي؟
السند الشرعي لهذا الترتيب (نحن مع من غلب) ليس آية قرآنية، أو سنة نبوية كما
يخطر على البال، إنما هو مجرد قول صدر عن الصحابي عبد الله بن عمر بن الخطاب

يوم
فتكت جيوش الخليفة يزيد بأهل المدينة المنورة، وروعتهم، ونكلت بهم، وأذلت
أصحاب النبي، وختمت أعناق وأيدي من تبقى منهم على أنهم عبيد ليزيد، إمعانا
بإذلالهم، وقتلت ما لا يقل عن عشرة آلاف مسلم! واستقرت الأمور لصالح يزيد بن
معاوية، عندئذ قال عبد الله بن عمر (نحن مع من غلب) فتحولت مقولته إلى قاعدة
دستورية شرعية تقرأ تماما مع المنظومة الحقوقية الإلهية، وهي أشهر من نار على علم،
لأنها السند الوحيد للخلافة التاريخية، راجع مشكورا صفحة ٥ - ١١ من الأحكام
السلطانية، وتأكد من صحة ما ذكرناه، وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام،
وكتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام، تجد توثيق وتفصيل
ذلك.

٨ - طريق الخلاف ومفتاح الدمار
الضرر المدمر يأتي من أولئك الذين أعلنوا أن هذه الترتيبات إلهية، وأنهم يؤمنون
بذلك، ولكنهم يخشون من أعمال هذه الترتيبات بحجة أنها غير مناسبة، أو أنها بالمآل
ضارة بمصلحة المسلمين.

اليهود أنفسهم الذين طلبوا من نبيهم تعيين قائد لهم، فلما دلهم الله على هذا القائد
اعترضوا، وقالوا: إنه غير مناسب للقيادة بحجة أن طالوت لم يؤت سعة من المال،
وبصعوبة، وبعد أن جاءتهم البيئات اضطروا لقبول قيادة طالوت، وتجد تفاصيل ذلك
في سورة البقرة من القرآن الكريم.

وبعض الصحابة الكرام رفضوا ولاية علي بن أبي طالب بحجة أنه صغير السن،
وأن مشيخة قومه أولى بالولاية منه، وبحجة أنه هاشمي، وأن الهاشميين قد أخذوا

النبوة، فلا ينبغي أن يجمع الهاشميون النبوة والخلافة معا، فيجحفوا على قريش، ويذهبوا بالشرف كله.

نظرة الإمام علي مع أبي بكر وعمر وأبي عبيدة رضي الله عنهم على سبيل المثال في الإمامة والسياسة لابن قتيبة صفحة ٥ وما فوق من الجزء الأول، وراجع قول أبي عبيدة للإمام بأنه صغير السن صفحة ١٥، وراجع أقوال عمر (رضي الله عنه) حول عدم أحقية

الهاشميين بجمع الخلافة مع النبوة في مجلد ٢ صفحة ٢١ من الكامل في التاريخ لابن الأثير،

وراجع شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد مجلد ٢ صفحة ١٠٧، ومجلد ٢ صفحة

٨٧، وراجع كتابنا (النظام السياسي في الإسلام) باب المرجعية، وباب القيادة السياسية.

وكما اعترض الكثير من الصحابة الكرام على ولاية علي اعترضت زعامة قريش على نبوة النبي، فتمنت لو أن القرآن قد أنزل على رجل من القرشيين عظيم، وهو عين اعتراض فرعون على نبوة موسى، بحجة أن موسى مهين ولا يكاد يبين.

٩ - نقطة الاعتراض على الترتيبات الإلهية

عادة ينصب اعتراض المعترضين على شخص القائد السياسي والمرجع، فإن نجحوا باعتراضهم يستبدلونه، ويعطلون كافة النصوص الشرعية المتعلقة بشخص القائد السياسي والمرجع، أو يؤولونها تأويلا يخرجها عن الغاية من وجودها، وقد يتمادى المعترضون إذا نجحوا، فيقومون بدور المرجع الشرعي، ويتجاوزون حدودهم، فيفتكون بالمنظومة الحقوقية الإلهية، فيعطلون ما شاءوا من النصوص، ويؤولون البعض الآخر منها، ويبدلون بعضها، ويعملون ببعضها مما لا يتعارض مع ما تهوى الأنفس.

عندئذ تضيع الأمة، وتتعلل الترتيبات الإلهية ويفسد أمر الناس، ويختلط الحابل بالنابل، والحق بالباطل، وتبدأ البنية العامة للأمة بالتآكل حتى تنهار نهائيا. فإذا انهارت، يستجد سبب جديد للفرقة، ويتعذر توحيد الأمة دون تشكيكها بشرعية سنة الغالب، تمهيدا لإبطالها، ثم إبطال سحر هذه السنة. والله غالب على أمره.

١٠ - الترتيبات الإلهية معادلة رياضية

وحدة الأمة الإسلامية تتحقق عندما تطبق الشرعية الإلهية، وتنفذ الترتيبات الإلهية بأركانها الثلاثة المؤلفة من:

١ - قيادة سياسية ومرجعية تكون بالضرورة هي الأعلّم والأفهم بالمنظومة الحقوقية الإلهية، وهي الأفضل، والأتقى، من بين أتباعها، وهي الأصلح والأنسب لقيادة هؤلاء الأتباع. وتلك صفات خفية لا يعملها علم اليقين إلا الله تعالى، ومن هنا فقد اختص وحده بتحديد هذه المرجعية، وبيان الشخص المتصف يقينياً بهذه الصفات، فهو تعالى الذي أعلن أن هذه الصفات متوفرة بالرسول الكرام كل في زمانه، فقد توفرت بموسى، وفي داود، وفي سليمان. .. إلخ. وتوفرت في طالوت، وتوفرت هذه الصفات في محمد، وبختم النبوة، والرسالات الإلهية لبني البشر توفرت بعلي وبالأئمة الكرام. وقد عالجت هذا الموضوع علاجاً علمياً في كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام وأقامت الأدلة القاطعة على ذلك.

٢ - المنظومة الحقوقية الإلهية، وهي بمثابة القانون النافذ للأمة وللجماعة الإسلامية، وقد غطت هذه المنظومة من خلال فهم القائد السياسي والمرجع كل شئ يحتاجه الجنس البشري، وعلى كل صعيد.

١١ - ثمرة المعادلة

إذا عملت هذه الترتيبات الإلهية، ونفذت استقام أمر الأمة تماماً، وتحققت وحدتها، وأمكنها أن تتابع أهدافها المتمثلة: بإنقاذ الجنس البشري، وإقامة الدولة العالمية الواحدة، وتعمير الأرض، وتوزيع ثرواتها توزيعاً عادلاً على أبناء الجنس البشري، عندئذ يسود الحكم الإلهي، وتتحقق في ظلاله الحرية الحقيقية، والعدل الحقيقي، والمساواة الحقيقية أمام القانون، وفي مستوى المعيشة والتكاليف، لا فرق

بين عربي وأعجمي، ولا بين أبيض وأسود وأصفر، الكل أعضاء في جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وهكذا يتحقق الائتلاف، وتحقق وحدة الأمة الإسلامية، ومن خلالها وحدة الجنس البشري في ظلال الحكم الإلهي.

١٢ - المعادلة السلبية

أما إذا عطلت هذه الترتيبات الإلهية، أو تهدم ركن منها، أو عدلت هذه الأركان، أو عدل بعضها، أو عطلت أجزاء منها، عندئذ تنهدم الشرعية الإلهية عاجلاً أم آجلاً، وتدخل الأمة والعالم في ليل بهيم إذا أخرجت يدك لم تكد تراها، وتنمو أسباب الشقاق والاختلاف، وتنهدم وحدة الأمة، وتموت عملياً روحها العامة، ويتفوق كل فرد من أفرادها على ذاته، لأننا نكون في هذه الحالة أمام حكم وضعي وترتيبات وضعية، ونكون قد أبطلنا بأيدينا مفعول العلاج الإلهي الذي وصفه تعالى لشفائنا، وبهذه الحالة تبدأ عمليات التآكل، ومن الطبيعي أن ترافقها عمليات محاولات الإصلاح، لكن هذه المحاولات بمثابة مخدر، لأنها قاصرة، ولأنه لا يوقف الدمار في العالم ولا يضع حداً له إلا عودة الأمة الإسلامية إلى الترتيبات الإلهية، وإعمال هذه الترتيبات كاملة غير منقوصة.

١٣ - خطورة الترتيبات الإلهية

الترتيبات الإلهية من حيث الظاهر تشكل خطراً على الطبقة التي كانت تنعم وتسود على حساب السواد الأعظم قبل أن تشرق شمس تلك الترتيبات الإلهية، لذلك فإن هذه الطبقة تسعى جاهدة لإجهاض الترتيبات الإلهية، وللتشكيك بنسبة هذه الترتيبات لله سبحانه وتعالى، وتحاول ما وسعها الجهد أن تستخف أولئك المستفيدين من الترتيبات الوضعية، وأن توحد جهودها مع جهودهم، وتشكل جبهة لمواجهة لمواجهات خطر تلك الترتيبات الإلهية.

١٤ - موضع الاعتراض في الترتيبات الإلهية
الطبقة التي تنتعم علي حساب السواد الأعظم لا تجد في المنظومة الحقوقية الإلهية ما يخالف العقل، وما تأباه الفطرة السليمة، أو ما يتعارض مع مصلحة الإنسان، لذلك فإنها لا تجعل الاعتراض على المنظومة موضوعا رئيسيا في صراعها مع المشروع النهضوي الإلهي، ومن هنا فإنها تقصر موضوع الصراع على نقطتين:
١ - الحيلولة بين الناس وبين الإصغاء لصوت النبوة، حتى تقلل التابع، وتتمكن من حصر من اتبع.

٢ - الطعن بشخص القائد أو المرجع والتركيز على عدم أهليته، وعدم استحقاقه ليكون نبيا، أو رسولا، أو قائدا، أو مرجعا، لأنه مجرد فرد من الناس، أو لأنه من العامة (فهو مهين ولا يكاد يبين) كما قال فرعون عن موسى، ولأنه ليس عظيما وفق معايير المجتمع المراد تغييره (لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) كما قال مشركوا العرب عن محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أو لأنه فقير لم يؤت

سعة من المال كما قال الإسرائيليون عن طالوت، أو لأنه صغير السن، أو به دعابة، أو لأنه من بني هاشم، وقد أخذ الهاشميون النبوة فلا ينبغي أن يجمعوا الخلافة مع النبوة، كما اجتهد بعض الصحابة الكرام في عدم قبولهم لولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام)... إلخ. هذه الاعتراضات.

١٥ - نشوء الصراع وفتح أبواب الاختلاف
نتيجة لإعلان المشروع النهضوي الإلهي بأركانه الثلاثة، ولموقف الطبقة التي تقود المجتمع المراد تغييره من المشروع الإلهي ومقاومتها له، ينشأ الصراع المرير بين داعية المشروع الإلهي ومن والاه، وبين الطبقة المتحكمة في المجتمع المراد تغييره ومن والاه،

وقد تتمكن هذه الطبقة من إجهاض المشروع الإلهي، ومن هزيمة الداعية ومن والاه، عندئذ وغالبا ما تتدخل العناية الإلهية، فتسلط على هذه الطبقة عذابا، وتقطع دابرها.

وأحيانا تنجح دعوة الإيمان وتتحول إلى دولة بقيادة النبي الداعية كما حدث لسليمان، ولداود، ولمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وتستتب الأمور، ويوالي المجتمع دولة الإيمان لسببين :

- ١ - وضوح الحجة، وقيام الدليل على صدق الدعوة، ونسبتها إلى الله تعالى.
- ٢ - ولأن دولة الإيمان هي التي غلبت، فجمعت بين الاقتناع بشرعيتها وبين حماية هذا الاقتناع بقوتها.

وهنالك صراع ينشأ بين أتباع الداعية الإلهي وغالبا بعد موته، فيأخذ الصراع شكل فتنة داخلية، ومن الطبيعي أن هذا الصراع سيكون بين فريقين أحدهما على الحق بالضرورة، والآخر على الباطل بالضرورة، بغض النظر عن قلة أو كثرة ناصري كل فريق، ونفس القانون يجري على هذا الصراع، فقد يهزم المحق وينتصر المبطل بموازين النصر التي يألفها العامة، كما حدث للأكثرية الساحقة من الرسل الكرام، عندئذ تقتص العناية الإلهية من الأمة التي آزرت المبطل، وخذلت المحق، فتذيق بعضها بأس بعض، وتسلط الظالمين عليها يسومونها سوء العذاب. وأحيانا قد ينتصر المحق.

١٦ - نفس الأطر ونفس موضوع الخلاف
عندما ينشأ الصراع بين أتباع الداعية الإلهي بعد موته، ينصب اعتراض المعترضين على شخصية القائد السياسي والمرجع، لأنه برأي وحسب اجتهاد هؤلاء المعترضين ليس أهلا للقيادة والمرجعية، أو لأنه من عشيرة النبي، أو لأنه صغير السن، أو لأنه فقير، أو لأنه أثنخن في العرب... إلخ. فيغدو من المناسب حسب رأيهم واجتهادهم أن يتولى القيادة والمرجعية شخص آخر أكثر أهلية منه، فذلك أفضل لمصلحة الإسلام ولمصلحة المسلمين، وذلك أقرب لوحدة الكلمة، وأجدر بتحقيق الوفاق والائتلاف... إلخ.

١٧ - نقض الترتيبات الإلهية

قد تبدو هذه الحجج مقبولة من حيث الظاهر ويبدو الإشفاق واضحا من أصحابها، ولكنها في حقيقتها وجوهرها تشكل نقضا للترتيبات الإلهية المتعلقة بالقيادة والمرجعية وتغييرا لطبيعة هذه الترتيبات، ومبررا لإيجاد ترتيبات بديلة، وهي في الحقيقة تهز هذا عنيقا المنظومة الحقوقية الإلهية خاصة القواعد المتعلقة بالقيادة والمرجعية، وبالتالي تستبدل الترتيبات الإلهية الدائمة والواضحة بترتيبات بشرية وضعية وغامضة.

١٨ - الحرب خدعة والاجتهاد فن ووطن

إن تكافأت الفرصة بين المعترضين والقائد والمرجع الشرعي على سواء، وكانت الشرعية هي الحكم، فإن القائد والمرجع الشرعي مؤهل إلهيا ليفوز، وليقيم الحجة على المعترضين، ويسلك بهم وبالأمة جادة الصواب، ويقودهم ضمن إطار الشرعية حتى يحقق للجميع السعادة في الدارين. لكن المعترضين أذكى من أن يتحركوا في فرصة

متكافئة مع القيادة والمرجعية، وهم أعقل من أن يقبلوا بأقل من النصر على قائدهم ومرجعهم، وعلى الشرعية نفسها.

١٩ - الحل الأمثل لهزيمة القائد والشرعية معا

إن الحل الأمثل لهزيمة القائد والمرجع الشرعي والشرعية معا يتمثل في ترتيب الأمور لما

فيه مصلحة المسلمين في غياب القائد والمرجع الشرعي، بحيث يواجه القائد بأمر واقع لا قدرة له على دفعه، وإن حاول دفعه يقع المحذور، ويفرق الجماعة، بعد خروجه على

الطاعة، ويثير الفتنة بعد أن نعمت العامة بالعافية، ولا يكون أمام العاقل من سبيل إلا طلب السلامة، وابتغاء رضى الغالب الذي دانت له الأمور، واستقامت لسلطته!! وسترى أن هذا هو الذي حدث في مواجهة الترتيبات الإلهية لقيادة الأمة في مواجهة النبي وعند وفاته.

* *

الفصل الثاني فتح أبواب التمزيق والاختلاف ١ - الائتلاف

لقد نجح النبي الأعظم نجاحا ساحقا بتحويل الدعوة إلى دولة، وحدث في ظلال حكمه الأرشد للعرب لأول مرة في التاريخ، وبكلفة بشرية لم تتجاوز ٣٨٩ قتيلًا من أعوانه ومن أعدائه معا، وأرسى قواعد الائتلاف والشرعية، فكانت ولايته المباركة هي الرمز الأول لوحدة العرب المسلمين، وكانت معجزته القرآن، وبيانه اليقيني لهذا القرآن هو القانون النافذ لدولة الإيمان، وكان تمسك المخلصين بالقيادة المباركة، وبالقانون اليقيني هو الضمانة المؤكدة لسيادة الشرعية، ودوام هذا الائتلاف.

وكان بديهيا أن أي خلل أو تقاعس بتفهم هذه الأركان وفعاليتها سيؤدي حتما إلى نتائج مدمرة، قد يفرط عقد المعادلة كلها، وقد تقوض الشرعية من أركانها، خاصة وأن هذه الائتلاف قد قام بفترة زمنية محدودة لا تتجاوز العشر سنوات، وهي مدة رئاسته (صلى الله عليه وآله وسلم) لدولة الإسلام، ومن جهة ثانية فإن الذين انضوا تحت راية هذه الدولة

تفاوتوا تفاوتًا كبيرا بفهمهم للشرعية، وقناعاتهم بأركانها، وتنوعت أسباب دخولهم في هذه الائتلاف، فبعضهم - كأبي سفيان وولده معاوية وشيعتهما من بني أمية ومن والاهم - حاربوا هذه الشرعية بكل وسائل الحرب وطوال مدة ٢١ عاما، ثم أحيط بهم وهزموا هزيمة ساحقة، ولم يبق أمامهم إلا أحد طريقين:

١ - إما أن يستمروا بمقاومة الشرعية الإسلامية وحربها، وهذا انتحار بكل الموازين العقلية.

٢ - وإما أن يدخلوا في ائتلاف شرعية الإسلام، فينجون، وقد يحدث لهم هذا الدخول ذكرا، خاصة وأن النبي المبارك لا يفرض نفسه على بواطنهم، إنما يكل هذه البواطن إلى الله.

٢ - نذر العاصفة

النبي مدرك أنه هو النظام المتين (الخيطة) الذي يربط حبات سبحة هذا الائتلاف، وأنه إذا ترك الساحة ستميد الأرض من تحت أقدام المؤمنين حقا، وسيهتز الائتلاف كله هزة قد تلقي به خارج دائرة الشرعية.

صحيح أن قانون الدولة بقرانه، وبيان النبي لهذا القرآن، لكن ما قيمة البيان إذا لم يتم الالتزام به؟ وكيف يتسنى هذا الالتزام بغير قيادة وولاية شرعية تقوم بغيابه بدور النظام الذي يربط حبات هذا الائتلاف؟

ومن هنا فقد تركز اهتمامه (صلى الله عليه وآله وسلم) في آخر أيامه المباركة - خاصة في حجة الوداع -

على تلخيص الشرعية بنقطتين لا ثالث لهما كطريق فرد لمواجهة مرحلة ما بعد وفاة النبي، ولمواجهة العاصفة، فأكد أن طريق الهداية لا يمكن أن تدرك إلا بالتمسك بالثقلين وهما:

١ - القرآن الكريم كقانون نافذ.

٢ - العترة المباركة أو أهل بيته، كقيادة تعلم بيقين بيان النبي لهذا القرآن. هذا ملخص الدين كله، وهذا هو المصل المبارك الذي إذا تطعمت به تبقى في دائرة الهداية، وتبتعد عن ولوج أبواب الضلالة، فتمر العاصفة من جانبها بسلام فتنجو الأمة، وتنجو الشرعية، وينجح الائتلاف.

ولقد ركز على هذين الركنين في مناسبات متعددة، فكلم الأنصار بذلك، وكلم المهاجرين، وكلم الأعراب، وتحدث للخاصة والعامة، وأعلن ذلك في حجة الوداع وفي غدير خم أمام تجمع يزيد عن مائة ألف مسلم، وتوج الولي من بعده أمام هذا

التجمع، وقد فصلت هذا الموضوع تفصيلا كاملا في كتابي نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام - باب القيادة السياسية، فليرجع إليه من شاء، يجد التوثيق.

وقد عرفت الأمة حديث الثقلين هذا وتناقلته نصا ومعنى، تناقلا متواترا لا يشك به عاقل.

٣ - إثبات حديث الثقلين كطريق فرد لتجنب العاصفة توفيرا لجهدي ووقتي، وخدمة لطالبي الحقيقة وتحقيقا للسياق المنهجي أثبت بأدناه عشر صيغ لحديث الثقلين أوردتها في مقال نشرته جريدة اللواء الأردنية بعددها رقم ١٠٤٣ الصادرة بتاريخ ٢٨ - ٤ - ١٩٩٣ ميلادية في معرض حوار المؤلف مع وزير الأوقاف الأردني السابق الشيخ عبد العزيز الخياط.

حديث مع الشيخ عبد العزيز الخياط حول حديث الثقلين
.... (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله، فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما).

فكيف نصدق يا صاحب السماحة أن الله آتى آل إبراهيم الكتاب والحكمة والملك العظيم، ونتعجب - لا أراك الله عجبا - من أن يؤتى آل محمد مثلما أوتي آل إبراهيم مع

أن آل محمد قطعاً أفضل من آل إبراهيم، ومع أن محمداً بالنص الشرعي أفضل من إبراهيم، عليهم جميعاً الصلاة وأتم التسليم.

إنني أسألك هل حاصرت العرب مجتمعة آل إبراهيم في شعاب أبي طالب ثلاث سنين، واضطرتهم أن يأكلوا أوراق الشجر من الجوع؟ هل نكل بآل إبراهيم وعلقوا على أعواد المشانق، أو قتلوا بالسم طوال التاريخ كما نكل بآل محمد، وكما علقوا وقتلوا؟ وهل فرض الحكام مسبة آل إبراهيم، وحاصروهم وجوعوهم وعروهم وروعوهم، كما فعلوا بآل محمد؟

عفووا يا صاحب السماحة لقد روى حديث الثقلين ٣٥ صحابيا وصحابة، ويمكنك أن تتلطف بملاحظة الرواة ورواياتهم في عبقات الأنوار حديث الثقلين مجلد ١ ومجلد ٢،

وهؤلاء الرواة هم:

١ - أمير المؤمنين علي بن

أبي طالب

٣ - سلمان الفارسي

٤ - أبو ذر الغفاري

٥ - ابن عباس

٦ - أبو سعيد الخدري

٧ - جابر بن عبد الله الأنصاري

٨ - أبو الهيثم بن التيهان

٩ - أبو رافع

١٠ - حذيفة بن اليمان

١١ - خزيمة بن ثابت ذو

الشهادتين

١٢ - زيد بن ثابت

١٣ - زيد بن أرقم

١٤ - أبو هريرة

١٥ - عبد الله بن حنطب

١٦ - جبير بن مطعم

١٧ - البراء بن عازب

١٨ - أنس بن مالك

١٩ - طلحة بن عبد الله التيمي

٢٠ - عبد الرحمن بن عوف

٢١ - سعد بن أبي وقاص

٢٢ - عمرو بن العاص

٢٣ - سهيل بن سعد الأنصاري

٢٤ - عدي بن حاتم

٢٥ - أبو أيوب الأنصاري

٢٦ - أبو شريح الخزاعي

٢٧ - عقبة بن عامر

٢٨ - أبو قدامة الأنصاري

- ٢٩ - أبو ليلي الأنصاري
٣٠ - ضمرة الأسلمي
٣١ - عامر بن ليلي بن ضمرة
٣٢ - أم سلمة زوج الرسول
٣٣ - أم هاني أخت أمير
المؤمنين علي (عليه السلام)
٣٤ - فاطمة الزهراء التي شهد
النبي بأنها سيدة نساء العالمين.

صبيغ ومراجع حديث الثقلين

الصبيغة الأولى ومراجعها

قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) (يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله،

وعترتي أهل بيتي). راجع هذا الحديث في صحيح الترمذي مجلد ٥ صفحة ٣٢٨ مجلد ٤

صفحة ٣٨٧ مطبعة دار الفكر، وراجع درر السمطين للزرندي الحنفي صفحة ٢٣٢ مطبعة

القضاء في النجف، وينايع المودة للقندوزي الحنفي ٣٣ و ٤٥ و ٤٤٥ المطبعة الحيدرية،

وكنز العمال صفحة ١٣٥ مجلد ٢ وتفسير ابن كثير مجلد ٤ صفحة ١١٣ مطبعة دار إحياء

الكتب، ومصاييح السنة للبغوي صفحة ٢٠٦ مطبعة القاهرة، وجامع الأصول لابن الأثير مجلد ١ صفحة ١٨٧ مجلد ٦٥ مطبعة مصر، والمعجم الكبير للطبراني صفحة ١٣٧

ومشكاة المصابيح مجلد ٣ صفحة ٢٥٨ طبعة دمشق، وإحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف صفحة ١١٤ مطبعة الحلبي، والفتح الكبير للنبهاني مجلد ١ صفحة ٥٠٣ ومجلد ٣

صفحة ٣٨٥ مطبعة دار الكتب مصر، والشرق المؤيد للنبهاني صفحة ١٨ طبعة مصر، وعبقات الأنوار، قسم حديث الثقلين مجلد ١ صفحة ٩٤ و ١١٢ و ١١٤ و ١٥١ و ١٨٢

و ٢١٧ و ٢٣٧، ورفع الشبهات للإدرسي صفحة ١١ و صفحة ١٥ طبعة مصر... إلخ.

وإن طلبت المزيد يا صاحب السماحة زدناك.

الصبيغة الثانية ومراجعها

قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من

الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما). راجع صحيح الترمذي مجلد ٥ صفحة ٣٢٩ حديث ٣٨٧٦ طبعة دار الفكر، وراجع درر السمطين للزرندي الحنفي صفحة ٢٣١، وراجع الدر المنثور للسيوطي مجلد ٦ صفحة ٧ و ٣٠٦، وذخائر

العقبى للطبري صفحة ١٦، والصواعق المحرقة صفحة ١٤٧ و ٢٢٦ المطبعة

المحمدية،
وراجع ينايع المودة للقندوزي الحنفي صفحة ٣٣ و ٤٠ و ٢٢٦ و ٣٥٥ المطبعة
الحيدرية،

وراجع المعجم الصغير للطبراني مجلد ١ صفحة ١٣٥، وراجع أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير مجلد ٢ صفحة ١٢، وراجع تفسير ابن الأثير مجلد ٤ صفحة ١١٣،
وعبقات الأنوار من حديث الثقلين صفحة ٢٥ ومجلد ١ صفحة ٣٦ و ٩٣ و ١١٣ و ١٣٥
و ١٧٣ و ١٩٣ و ٢١٥ و ٢٣٧ و ٢٤١ و ٢٥٣ و ٢٧١ طبعة قم، وراجع كنز العمال مجلد ١
صفحة ١٥٤، وراجع الفتح الكبير للنبهاني مجلد ١ صفحة ٤٥١، وراجع تفسير الخازن
مجلد ١ صفحة ٤، ومصايح السنة للبغوي صفحة ٢٠٦، والجمع بين الصحاح للعبدري،
وجامع الأصول لابن الأثير مجلد ١ صفحة ١٨٧، وعلم الكتاب للسيد خواجه الحنفي صفحة ٢٦٤،
وراجع منتخب تاريخ ابن عساكر مجلد ٥ صفحة ٤٣٦، ومشكاة المصابيح
للعمرى مجلد ٣ صفحة ٢٥٨، وتيسير الوصول لابن الربيع مجلد ١ صفحة ١٦، والتاج
الجامع للأصول مجلد ٣ صفحة ٢٠٨، وأرجح المطالب للشيخ عبد الله الحنفي صفحة ٣٣٦... إلخ. وإن طلبت المزيد زدناك يا سيدي.
الصيغة الثالثة ومراجعتها
قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) (إني تارك فيكم خليفتين، كتاب الله جبل ممدود ما بين السماء
والأرض، أو ما بين السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض).
راجع الدر المنثور للسيوطي مجلد ٢ صفحة ٦٠، وإحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف بحب الأشراف صفحة ١١٦، وينايع المودة للقندوزي الحنفي
صفحة ٣٨ و ١٨٣، ومجمع الزوائد للهيتمي مجلد ٩ صفحة ١٦٢، وعبقات الأنوار
مجلد ١ من حديث الثقلين صفحة ١٦، وكنز العمال للمتقي الهندي مجلد ١ صفحة ١٥٤
حديث ٨٧٣ و ٩٤٨ والجامع الصغير للسيوطي مجلد ١ صفحة ٣٥٣، والفتح الكبير مجلد
١ صفحة ٤٥١... إلخ. وطالبنا بالمزيد إن شئت.
الصيغة الرابعة ومراجعتها
قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله، وأهل بيتي، وإنهما

لن يفترقا حتى
يردا علي الحوض). راجع مناقب علي لابن المغازلي الشافعي صفحة ٢٣٤ حديث
٢٨١

وراجع المناقب للخوارزمي الحنفي صفحة ٢٢٣، وفرائد السمطين للحموي الشافعي
مجلد ٢ صفحة ١٤٣ باب ٣٣، وفيه بعد عترتي أهل بيتي: ألا وهما الخليفتان من
بعدي)، وراجع عبقات الأنوار قسم حديث الثقلين مجلد ١ صفحة ١٣١... إلخ.
الصيغة الخامسة ومراجعتها
قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) (إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين
كتاب الله
عز وجل، وعترتي، كتاب الله جبل ممدود... إلخ). راجع كنز العمال مجلد ١
صفحة ١٦٥ حديث ٩٤٥، ومناقب علي لابن المغازلي الشافعي صفحة ٢٣٥ حديث
٢٨٣، والصواعق المحرقة صفحة ١٤٨ وفيها: لم يفترقا، والصحيح لن يفترقا كما في
الطبعة الأولى صفحة ٨٩، وراجع إسعاف الراغبين للصبان الشافعي بهامش نور
الأبصار صفحة ١٠٨، وراجع ينابيع المودة للقندوزي الحنفي صفحة ٣٥ و ٤٠ و
٢٢٦
و ٣٥٥، وراجع السيرة النبوية لزين دحلان بهامش السيرة الحلبية مجلد ٣ صفحة
٢٣١، والمعجم الصغير للطبراني مجلد ١ صفحة ١٣١، ومقتل الحسين للخوارزمي
مجلد ١
صفحة ١٠٤، ومجمع الزوائد مجلد ٩ صفحة ١٦٣، وإحياء الميت بهامش الإتحاف
صفحة ١١١، والطبقات الكبرى لابن سعد مجلد ٢ صفحة ١٩٤، وجامع الأصول
لابن
الأثير مجلد ١ صفحة ١٨٧، والأنوار المحمدية للنبهاني صفحة ٤٣٥... إلخ. وطالبنا
بالمزيد إن شئت.
الصيغة السادسة ومراجعتها
قوله (صلى الله عليه وآله وسلم)، من خطبة له في غدیر خم (كأنني دعيت، فأجبت،
إني قد تركت
فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله، وعترتي)... راجع خصائص أمير
المؤمنين للنسائي الشافعي صفحة ٢١، والمناقب للخوارزمي الحنفي صفحة ٩٣،
والصواعق المحرقة صفحة ١٣٦ ذكر صدر الحديث، وضححه، وينايع المودة
للقندوزي
الحنفي صفحة ٣٢، وكنز العمال مجلد ١ صفحة ١٦٧.

الصيغة السابعة ومراجعتها
قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأصحابه (ألست أولى بكم من أنفسكم؟) قالوا: بلى يا رسول الله،

قال: فإني سائلكم عن اثنين القرآن وعترتي). راجع مجمع الزوائد مجلد ٥ صفحة ١٩٥ وأسد الغابة لابن الأثير مجلد ٣ صفحة ١٤٧، وإحياء الميت صفحة ١١٥... إلخ.

الصيغة الثامنة ومراجعتها
قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) (يا أيها الناس يوشك أن أقبض قبضا سريعا، فينطلق بي، وقد قدمت

إليكم القول معذرة إليكم. ألا إني مخلف فيكم كتاب الله ربي عز وجل، وعترتي أهل بيتي - ثم أخذ بيد علي، فرفعها - فقال: هذا علي مع القرآن، والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يرثي علي الحوض)... إلخ. راجع الصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي صفحة ١٢٤ المطبعة المحمدية بمصر و صفحة ٧٥ المطبعة الميمنية، وراجع ينابيع المودة

للقدوزي الحنفي صفحة ٢٨٥، وعبقات الأنوار حديث الثقلين مجلد ١ صفحة ٢٧٧ قال بن حجر الشافعي: أعلم أن لحديث الثقلين طرقا كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابيا - صفحة ١٤٨

الصيغة التاسعة ومراجعتها
عن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الله فينا خطيبا بماء يدعى حما بين مكة

والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ، وذكر، ثم قال (أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم الثقلين أو لهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به - فحث على كتاب الله ورغب فيه - ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي). راجع صحيح مسلم كتاب الفضائل، فضائل علي مجلد ٢ صفحة ٣٦٢ ومجلد ١٥ صفحة ١٧٩ - ١٨٠، صحيح مسلم بشرح النووي.

يوجد لدينا ٢٣ مرجعا لهذا الحديث لم نذكرها، وسنذكرها عند الطلب.

الصيغة العاشرة ومراجعتها

عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (ألا وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله

عز وجل إلى أن قال الراوي عن زيد، فقلنا: من أهل بيته نساؤه؟ قال: لا وأيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها)... إلخ. راجع صحيح مسلم كتاب الفضائل مجلد ٢ صفحة ٣٦٢، ومجلد ١٥ صفحة ١٨١ من

صحيح مسلم بشرح النووي، والصواعق المحرقة لابن حجر صفحة ١٤٨، وفرائد السمطين مجلد ٢ صفحة ٢٥٠ حديث ٥٢٠، وعبقات الأنوار حديث الثقلين مجلد ١ صفحة ٢٦ و ١٠٤ و ٢٤٢ و ٢٦١ و ٢٦٧.

٤ - آخر محاولات النبي لتجنيب الأمة العاصفة: على فراش الموت
موته (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن مفاجأة، فقد تضمنت المنظومة الحقوقية الإلهية - بقرآنها وبيان

النبي لهذا - عشرات التلميحات والتصريحات بأن النبي ميت لا محاله، وأنه قد خير فاختار، كما تجمع الأمة على ذلك، وصرح مرارا أمام الجموع بأنه يوشك أن يدعى فيجيب داعي الله، وكلما اقترب أجله (صلى الله عليه وآله وسلم) كلما ازداد إشفاقا على هذه الأمة وحرصا

على تجنيبها العاصفة التي ستغشاها بعد موته، ومرض مرضه الذي مات منه، وتيقن بالوحي أنه ميت لا محالة، فازدادت رغبته بتلخيص الموقف لأمتة حبا لها، وإشفاقا عليها، ومن هنا فقد أراد أن يوصي وصيته الأخيرة، ويودع هذه الوصية جوامع الحكمة ومواقع الهداية، ويحذر من منابت الضلالة.

٥ - هل يجوز للنبي أن يوصي؟

الوصية حق لكل مسلم، ولكل مسلم الحق بأن يقول ما يشاء أثناء صحته وأثناء مرضه، ولا يملك أحد في الدنيا أن يسلبه هذين الحقين، أو أن يمنعه من ممارستهما، فلم

يصدف في تاريخ المسلمين على الإطلاق أن أهل أو أصدقاء أو أعوان أي مريض حالوا بينه وبين أن يكتب وصيته، أو أن يقول ما يشاء أثناء مرضه، هذا على مستوى الفرد

العادي، فكيف عندما يكون المريض نبيا ورئيس دولة؟!؟!
فمحمد نبي من أول يوم أعلنت فيه نبوته وحتى جاد بآخر نفس طاهر، ودخل قائمة
الخالدين كنبى، وهو رئيس دولة الإسلام، وولي أمر المسلمين، من تاريخ إعلان دولته
المباركة حتى فارق هذه الدنيا الفانية بموته، بمعنى أنه لم يرفع اسمه من قائمة الأنبياء،
ولم يعزل من رئاسة الدولة، ولم يقل أحد أنه ليس مسلما! فما الذي يمنعه من أن
يوصي،

أو أن يقول ما يريد؟!?!

ثم ما هي مصلحة المسلمين بالحيلولة بين هذا المسلم، وهذا النبي، وهذا الإمام، وبين
كتابة وصيته، أو أن يقول ما يشاء! سوى شئ واحد هو أن هذه الحيلولة بينه وبين
كتابة

ما أراد ليست إلا نذر العاصفة، ونذر الشؤم على هذه الأمة، وانفراط عقد الائتلاف؟
لو أن مريضا عاديا أراد أن يتكلم قبل موته، فجاء أحد أولاده أو أصدقائه
فشوش عليه، وحال بينه وبين ما أراد قوله لأثار استنكار جميع الحاضرين، وجر
على نفسه مقتهم، ولما رضي بفعلة أحد، هذا لو كان المريض شخصا عاديا، فكيف
عندما يكون المريض نبيا وإمام دولة؟!!

الإنسان - أي إنسان - بطبعه لا يميل إلى تصديق ذلك، ولا يعتقد نفسيا بإمكانية
حدوث ذلك، ولكن ذلك حدث وللأسف، والذين حالوا بين النبي وبين كتابة ما أراد
هم الذين سادوا، ففارقوا النبي واختلفوا معه، وأخذوا بالقرآن وحده، فاهترت
الشرعية من أركانها!!!

٦ - التناقض وتهدم أساس الشرعية

بهذا هدموا الشرعية من أساسها، بغض النظر عن حسن النية أو سوءها، لأن
القاتل قد يقتل خطأ وقد يقتل عمدا، وانتفاء العمد لا ينفي وقوع حادثة إزهاق الروح.
الذين حالوا بين النبي وبين كتابة ما أراد بحجة أنه - حاشا له - هجر، أو بحجة أنه
اشتد به الوجد بأقل الأقوال وأخفها وطأ على النفس، كيف يحكمون على قول النبي
وهم لم يسمعوه؟

وما هو وجه الهجر في كلام ما زال في صدر صاحبه!!؟
وإذا كانت كلمات النبي وهو مريض هجرا، فلماذا أصبحت كلمات أبي بكر في مرضه شرعا وقاعدة دستورية، فهو الذي سن ولاية العهد، وهو الذي عهد لعمر بالخلافة بكلمات صدرت منه أثناء مرضه؟
ولماذا أصبحت كلمات عمر شرعا، حيث أوصى للستة وهو مريض مرض الموت!
ومن فعل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وجدت واستقرت مؤسسة ولاية العهد، وأصبحت هي السنة المتبعة طوال التاريخ السياسي الإسلامي!!!؟
ثم كيف نوحّد بين القول بأن النبي هجر يهجر - حاشا له - وبين التمسك بالقرآن الكريم؟ لقد مرض النبي مرات عديدة، فكيف نميز بين ما قاله بهجره وصحوه - حاشا له -؟!

ثم إذا كان دور النبي ثانويا إلى هذا الحد، فلماذا لم توزع العناية الإلهية نسخا من هذا القرآن على المكلفين؟ وما الداعي لابتعاث النبي أو كل الأنبياء، إذا فسخ الكتب السماوية تغني إن صدقت المقولة (حسبنا كتاب الله)؟
ثم من الذي يفهم المقصود من كتاب الله غير النبي؟ وما هي أبرز مهمات النبي غير بيان ما أنزل للناس من ربهم؟
ثم ماذا يعني الإيمان بالقرآن وحده، وعدم الإصغاء لما يقوله النبي الذي نزل هذا القرآن على قلبه وبلغه إلى الناس!!؟
يمكنك القول إن الشرعية قد تهدمت فعلا في حجرة النبي، ولم تجد محاولات الترميم طوال التاريخ، ونتيجة محاولات الترميم نشأت الشرعية الرسمية، وهي التي حاولت تطويع الدين لخدمة الواقع وإضفاء الشرعية الحقيقية عليه، وقد حكمت وفرضت فهمها على العامة، وتصور العامة أن هذه الشرعية الرسمية هي عينها الشرعية الحقيقية الإلهية، وتحول هذا التصور إلى قناعة راسخة في الأذهان.
وقد فصلت هذه الرزية في كتابي نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام صفحة ١٨٠ وما فوق.

٧ - الحزب الأول

القسم الذي قال: هجر رسول الله، أو الرسول يهجر - حاشا له - أو أن النبي قد غلبه الوجد، أو أن النبي قد اشتد به الوجد حسبنا كتاب الله، وتحت هذا الشعار العجيب تمكن من الحيلولة بين النبي وبين كتابة ما أراد كتابته، هذا القسم كان نواة حزب، أو جزءا من حزب قائم ولكنه مستتر، وبموت النبي أعلن عمليا عن وجود هذا الحزب، والمؤسس الأعظم لهذا الحزب هو عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وكبار أعضاء

الحزب هم كبار المهاجرين وسادات قريش الذين أسلموا بعد الفتح وقبله، ومن والاهم من الأنصار رغبة أو رهبة، وقد علا شأن هذا الحزب، وعظم أمره حتى تفرد أعضاؤه برئاسة الدولة الإسلامية طوال التاريخ السياسي الإسلامي، وحتى تمكن هذا الحزب من فرض قناعاته رسميا على العامة والخاصة من المسلمين، وقد أخذ هذا الحزب أسماء مختلفة إلى أن سمي أعضاؤه نهائيا بأهل السنة مع أن مقولتهم الأولى للنبي

كانت: (حسبنا كتاب الله)! ويبدو واضحا أن قناعات هذا الحزب كانت تتكون والنبي على قيد الحياة، وأن هذه القناعات كانت تربط أعضاء الحزب، وتوحد بينهم والنبي على قيد الحياة. ولكن بدون إعلام ولا إعلان لغايته الأساسية.

٨ - مفارقة النبي، وإعلان التمسك بالقرآن وحده بنفس الوقت والنبي الكريم على فراش الموت حدث الاختلاف الأعظم بين كبار المهاجرين، وتفصيل ذلك: أن النبي الكريم أراد أن يلخص الموقف لأُمَّته أمام كبار عواده، وأن يؤمن

الأمة تأمينا شاملا ضد الضلالة التي تتربص وتنتظر موت النبي حتى تفتح أشداقها، فقال لمن حضر (قربوا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا) فاختلف الحاضرون، وتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي تنازع، وأكثروا اللغظ، وانقسموا إلى قسمين:

١ - قسم يقول قربوا يكتب لكم رسول الله كتابا لن تضلوا بعده أبدا، حتى أن النسوة أطلت من وراء الستر، وقالت: قربوا يكتب لكم رسول الله.

٢ - وقسم آخر يقول: استفهموه إنه يهجر، هجر رسول الله - حاشا له - وبأخف الألفاظ وأهونها قالوا: إن المرض قد اشتد برسول الله، حسبنا كتاب الله، إن النبي قد غلب عليه الوجع، حسبنا كتاب الله!!!
فصدموا خاطره الشريف بهذه الكلمات النابية، هجر، يهجر، وقال لهم (قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع، ذروني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه، ذروني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه)!!
وانتصر الفريق الثاني، ولم يكتب النبي كتابه.
لقد فصلنا هذه الرزية في كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام صفحة ٢٨٧ وما فوق، ووثقناها بالمراجع التي تجعل إنكار هذه الحادثة أو الاعتذار عنها ضربا من الهوس الغافل. راجع على سبيل المثال: صحيح البخاري مجلد ٧

صفحة ٩ باب قول المريض قوموا عني ومجلد ٤ صفحة ٣١ ومجلد ١ صفحة ٣٧ ومجلد ٥
صفحة ١٣٧ ومجلد ٢ صفحة ١٣٢ ومجلد ٤ صفحة ٦٥ - ٦٦ ومجلد ٨ صفحة ١٦١،
وراجع صحيح مسلم في آخر كتاب الوصية مجلد ٥ صفحة ٧٥ ومجلد ٢ صفحة ١٦،
وصحيح مسلم بشرح النووي مجلد ١١ صفحة ٩٥. ومجلد ١١ صفحة ٩٤ - ٩٥،
ومسند الإمام أحمد مجلد ١ صفحة ٢ ومجلد ٣ صفحة ٢٨٦ ومجلد ٤ صفحة ٢٥٦ حديث
٢٩٩٢، وتاريخ الطبري مجلد ٢ صفحة ١٩٣ ومجلد ٢ صفحة ١٩٢ - ١٩٣،
والكامل في
التاريخ لابن الأثير مجلد ٢ صفحة ٣٢٠، وتذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي الحنفي
وسر العاملين وكشف ما في الدارين لأبي حامد الغزالي صفحة ٢١، وشرح النهج لابن
أبي الحديد مجلد ٦ صفحة ٥١ ومجلد ٣ صفحة ١١٤ مطر ٢٧ الطبعة الأولى مصر
بيروت بتحقيق محمد أبو الفضل ومجلد ٣ صفحة ٨٠٣ ومجلد ٢ صفحة ١٦٧....
إلخ.

٩ - الإعلان عن نشوء الأحزاب ووجودها
والنبي الأعظم يرقد على فراش مرض الموت، مودعا الدنيا، ومتأهبا للقاء الله
تعالى أراد أن يلخص الموقف لعواده الذين اجتمعوا في حجرته المباركة، وما أن أفصح

عن رغبته، وقال لمن حضر: قربوا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا، وقبل أن يبين مضمون هذا الكتاب، وقفت الأكثرية الساحقة الموجودة في الحجرة المباركة وقفة

رجل واحد خلف عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وقالت: حسبنا كتاب الله هجر النبي، يهجر

النبي - حاشا له - فصدمت هذه الأكثرية خاطره الشريف بتلك الكلمات النابية، وذهل الذين لم يروا رأي الأكثرية.

١٠ - الحزب القائد

لقد علا شأن هذا الحزب، وعظم أمره، حتى تفرد أعضاؤه برئاسة الدولة الإسلامية طوال التاريخ السياسي الإسلامي، فما جلس على سدة رئاسة الدولة الإسلامية خليفة إلا وهو يدين بالولاء لمؤسس الحزب وصاحبه رضي الله عنهما، وقد فرض هذا الحزب قواعده رسميا على العامة والخاصة، بحكم التكرار، وبضغط وسائل السلطة.

ومع الأيام تكونت لقيادة الحزب ومن والاه، حالة من التقدير والانبهار فاقت كثيرا مرتبة النبوة والولاية، فإذا وجد نص شرعي واضح ولا يحتمل التأويل كتشريع الخمس، ووجد عمل لقيادة الحزب يتعارض معه، أهمل النص نفسه، واتبعت سنة قادة الحزب على اعتبار أن عملها أولى بالاعتداء والإعمال من النص، لأنها هي أفهم الخلق بضرورات إهمال النص أو إعماله، وهي أدري من غيرها بمصلحة الإسلام، وبمصلحة المسلمين، وتلك مكانة لم تعط حتى للأنبياء!!

ولقد تمكن هذا الحزب من إيجاد ترتيبات وضعية حلت بالتدرج سياسيا محل الترتيبات الإلهية، ولكثرة الممارسة، والترداد، وبحكم القدم والتقليد، صار العامة يعتقدون أن الترتيبات الوضعية هي عينها الترتيبات الإلهية، ولم يكن ميسورا على أي شخص أن يجتهد برأي يعارض ذلك، فتعطل العقل البشري، وتعطلت الشرعية معا، وبضربة فنية واحدة!

١١ - تسمية هذا الحزب

لقد أخذ هذا الحزب أسماء مختلفة، إلى أن سمي نهائياً بحزب أهل السنة في العهد الأموي، وبالذات في زمن معاوية، حيث سمي العام الذي انتصرت فيه القوة على الشرعية بعام الجماعة، فمن والى معاوية القوي المنتصر فهو من أهل السنة، ومن أهل الجماعة، ومن عارض معاوية القوي المنتصر فهو خارج على السنة، وخارج على جماعة المسلمين، وهو أهل لحمل كل نقيصة، فهو مارق وخارج، وشاق لعصا الطاعة،

ورافضي، ومفرق لجماعة المسلمين، وهو قمين بكل عقوبة بما فيها القتل والصلب والدفن حياً، وهدم الدار، والإسقاط من ديوان العطاء... إلخ.

١٢ - قناعات هذا الحزب

باستقراء التاريخ السياسي الإسلامي يبدو واضحاً، أن قناعات هذا الحزب تكونت والنبي على قيد الحياة، وأنها وليدة مشاعر بشرية متناقضة، وأن هذه القناعات كانت تربط أعضاء الحزب، وتوحد بينهم والنبي على قيد الحياة، ولكن بدون إعلام، ولا إعلان، والغاية الأساسية لتكون هذا الحزب وتكتله كانت:

١ - الاستئثار بالقيادة من بعد النبي بحيث تكون خالصة لبطون قريش

كلها باستثناء البطن الهاشمي الذي اختص بالنبوة، والنبوة تكفيه. وبعد أن قبضت قيادة الحزب على رئاسة الدولة، لم تر حرجاً ولا غضاظة بأن تكون الرئاسة للأَنْصار، أو للموالي أو لأي شخص يلتزم بالمبدأ الأساسي للحزب.

٢ - الحيلولة بين أهل البيت وبين رئاسة الدولة، فأهل البيت لهم المحبة، والاحترام، والعطاء الذي يقدره الحاكم، ولكن لا يجوز لهم أن يقودوا الأمة سياسياً.

١٣ - أما لماذا؟

فالأمر مختلف، فقائد الحزب عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قد آمن بأنه الإجحاف بعينه أن

يجمع الهاشميون النبوة والخلافة معاً، ويذهبوا بالشرف كله، ويحرموا بطون قريش من

هذا الشرف، فحرصا على العدالة ومنعا للإجحاف نذر حياته لتحقيق هذا الهدف، ومنع الهاشميين من أن يجمعوا الخلافة مع النبوة، وقد شاركته بهذا التصور كافة بطون قريش باستثناء بني عبد المطلب، وبني هاشم، ومن عصم الله من تلك البطون. وبعض أعضاء الحزب كالأمويين يحقدون بطبعهم وبواقعهم على أهل بيت محمد على الأقل، فمحمد وأهل بيته هم الذين (سلبوا) القيادة من بني أمية بعد أن كانت حقا لهم من دون الناس في الجاهلية، وعميد أهل البيت علي بن أبي طالب، وأقاربه هم الذين قتلوا على الإسلام سادات بني أمية، بل وسادات قريش بما فيهم خال عمر بن الخطاب.

ومن جهة ثالثة فقد اعتقد قائد الحزب ومن والاه أن إعلان النبي لولاية علي أمام مائة ألف مسلم، وتركيز النبي على هذه الولاية، وعلى ضرورة التمسك بأهل البيت كقيادة، وكجهة مختصة ببيان القرآن - اعتقد أن فعل النبي هذا من قبيل العواطف الشخصية التي جاء بها من تلقاء نفسه، وليست من الله تعالى، فاندفع ليصحح ما يعتقد أنه غير صحيح.

١٤ - الحزب الثاني حزب أهل الشيعة حزب المعارضة
القسم الذي أيد النبي في الحجرة المباركة، وقالوا: قربوا يكتب لكم رسول الله كتابا لن تضلوا بعده أبدا، ثم غلبوا على أمرهم بسبب تماسك الحزب الأول، ومعرفته لما يريد، وإصراره العنيد والمسبق على تحقيق ما يريد.

هذا القسم أيضا تحول إلى حزب عبر عن وجوده بصور وأشكال مختلفة، حتى في زمن النبي نفسه، وحمل أسماء متعددة، ثم سماهم النبي بالشيعة. لقد أسس النبي نفسه هذا (الحزب) بصورة علنية ومكشوفة، وكان هو بنفسه أول داعية لهذا (الحزب) بأمر من ربه، وهو الرئيس الأعظم لهذا الحزب، فكان يوطد لرئاسة الإمام علي ولولايته من بعده، وبموته (صلى الله عليه وآله وسلم) آلت رئاسة الحزب للولي من بعده علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ومن بعد علي آلت للحسن، ومن بعد الحسن للحسين... إلخ.

تسمية هذا الحزب
وجد هذا الحزب أصلا علنا لغاية محددة وهي استمرار مؤسسية القيادة الشرعية،
وحراسة الشرعية، والبقاء دائما في ظل الشرعية، وتبني كل شئ لهذه الشرعية بحيث:
١ - تتكون أمة إسلامية متحدة بقيادة ومرجعية الإمام المفترض الطاعة، عميد
أهل بيت النبوة في كل زمان.
٢ - أن تتحاكم هذه الأمة إلى قانون نافذ يتكون من: القرآن الكريم، ومن بيان
النبي لهذا القرآن. وبما أن البيان في كل زمان عملية فنية من كل الوجوه،
والبحث عن المقصود الإلهي من النص الشرعي اختصاص، ومن المحال عقلا
أن يتركه الله للاجتهادات، فلذلك ارتبطت عملية بيان النبي للنص القرآني
بالقيادة والمرجعية التي اختارها تعالى، وهي قيادة أهل بيت محمد (صلى الله عليه وآله
وسلم).

٣ - مساعدة الأمة المسلمة على إدراك الغايات الشرعية، والمقاصد الإلهية، وقيادتها
على هذا الأساس، بحيث تبقى الأمة دائما داخل إطار الشرعية والمشروعية.
٤ - مساعدة الجنس البشري بتقديم الخطة المثلى لدولة عالمية تحكم الكرة الأرضية،
في ظلال الخطة الإلهية التي تنظر إلى الجنس البشري كله على أساس أنهم عائلة
واحدة، وتهدف إلى نشر العدل والمساواة، وتحقيق الحرية، والانتقال من
فرضيات الظن والتخمين في المعرفة إلى واقع الجزم واليقين.
نعم لقد تكون (حزب الشيعة) في عهد النبي، فعندما نزل قوله تعالى (إن الذين
آمنوا، وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) قال الرسول (صلى الله عليه وآله
وسلم) لعلي (يا علي هم
أنت وشيعتك). راجع شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني مجلد ٢ صفحة ٣٥٦ -
٣٦٦

وكفاية الطالب للكنجي الشافعي صفحة ٢٤٤ - ٢٤٦، والفصول المهمة لابن الصباغ
المالكي صفحة ١٠٧، ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي صفحة ٩٢، وتاريخ
دمشق
لابن عساكر ٢٢٥ ترجمة الإمام علي مجلد ٢ صفحة ٤٤٢، وينايع المودة للقندوزي
الحنفي صفحة ٦٢، والصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي صفحة ٩٦، والدر المنثور

للسيوطي مجلد ٦ صفحة ٢٧٩، وتفسير الطبري مجلد ٢٠ صفحة ١٤٦، وتذكرة الخواص
للسبط ابن الجوزي الحنفي صفحة ١٨، وفتح القدير للشوكاني مجلد ٥ صفحة ٤٧٧،
وروح المعاني للألوسي مجلد ٣٠ صفحة ٢٠٧، وفضائل الخمسة مجلد ١ صفحة
٢٧٨،

وغاية المرام باب ٢٨ من المقصد الثاني صفحة ٣٢٨... إلخ.
ثم إعلانه لولايته أمام أكثر من مائة ألف، ولا أحد ينكر هذا الإعلان بما فيهم أبو
بكر وعمر رضي الله عنهما فقد أقرأ أنه وليهما، وولي كل مؤمن ومؤمنة، ولكن نحن
أهل السنة نؤول هذه الولاية تأويلا يخرجها تماما من معناها السياسي، فلو قلنا بغير
ذلك لتداعى كل شئ وسقط! ولكن هنالك من النصوص القاطعة ما تلوي عنق كل
مكابرة، وقد سقنا الكثير منها في كتابنا نظرية عدالة الصحابة، والمرجعية السياسية في
الإسلام باب القيادة السياسية.

١٦ - حزب الشيعة يحمل لواء المعارضة طوال التاريخ
لقد آمنت الشيعة أن الشرعية لن تتحقق إلا بتوافر أمرين:
١ - قيادة سياسية ومرجعية محصورة بأهل بيت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).
٢ - قانون نافذ يتكون من القرآن الكريم، ومن بيان النبي لهذا القرآن، وهذا البيان
لا يفهمه ولا يعرفه على وجه الجزم واليقين إلا المختصون من أهل بيت محمد.
وحيث أن هذا لم يتحقق طوال التاريخ، لذلك عارضت الشيعة الواقع التاريخي،
وكنتم لهذه المعارضة طورد أعضاء هذا الحزب ونكل بقياداته وأعضائه، وعلقوا على
أعواد المشانق، وقتلوا على الشبهة، ورفعت أسماؤهم من دواوين العطاء، وهدمت
بيوتهم، بسبب إيمانهم بهذين الأمرين، بالوقت الذي كانت تمارس فيه السماحة حتى
مع الكفار. ومع هذا لم يستسلم هذا الحزب، لاعتقاده أنه يمثل صوت الحق، وروح
الشرعية ونصوصها، ومضت الشيعة قدما وهم يتكاثرون يوما بعد يوم، ويتفهم وجهة
نظرهم كل أولئك الذين يستعملون عقولهم، ويزداد المتعاطفون مع الشيعة يوما بعد
يوم.
**

الفصل الثالث

ثمار الترتيبات الوضعية

١ - النبوة والرسالة مشروع إنقاذ وإصلاح
بعث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) - كما بعث غيره من الرسل لغاية محددة وهي إنقاذ مجتمع مشرف على الهلاك، أو نقله من حالة الفساد إلى حالة الصلاح، ولو كان المجتمع معافى

أو صالحا، لما كان هنالك حاجة لرسول، ولا لعملية إنقاذ وإصلاح إلهي. بمعنى أن العناية الإلهية تدخلت بعد فشل وسائل الإنقاذ والإصلاح البشري، فكانت النبوة والرسالة بمثابة مشروع إنقاذ إلهي لإنقاذ هذا المجتمع أو ذلك، أو حملة طيبة إلهية لمقاومة

وباء يهدد التجمع البشري المريض.

جرثومة هذا المرض يمكن أن نسميها بالترتيبات الوضعية، هذه الترتيبات التي فرضت سلطانها على حياة هذا المجتمع أو ذلك حتى أوردته إلى تلك الحالة المرضية العامة، لأنها غير مناسبة له، وغير مؤهلة لترشيد حركة هذا المجتمع وقيادته. فإذا أمكن القضاء على هذه الترتيبات نكون قد خلصنا المجتمع المريض من مرضه ، وأصلحنا آثار فساد هذا المرض، والمجتمع بطبعه متحرك على الدوام، والحركة لا بد لها من ترتيبات معينة لتبقيها دائما ضمن إطار مصلحة هذا المجتمع، والترتيبات بالضرورة تنبع من مصدرين:

فإما أن تكون ترتيبات وضعية من صنع الهوى البشري، فتفقد المجتمع عاجلا أو

آجلا إلى الدمار والهلاك. أو أن تكون هذه الترتيبات إلهية من صنع الله تعالى الذي خلق المجتمع، وخلق أفرادها، ولوازم بقاءه، فإذا أخذ المجتمع بهذه الترتيبات نجا بحجم

التزامه بها، وإن تركها ووضع لنفسه ترتيبات بديلة، فقد سار على طريق الهلاك والمرض، وهو هالك لا محالة بمدة تتناسب بمقدار بعد ترتيباته الوضعية، أو قربها من الترتيبات الإلهية.

٢ - الرسول الأعظم يبين ماهية نوعي الترتيبات

عبر دعوة قادها النبي بنفسه، تمخضت عن دولة ترأسها النبي بنفسه، أثبت بالدليل القاطع فساد الترتيبات الوضعية التي كانت تحكم حركة المجتمعات البشرية قبل بعثته المباركة، ووضع بين يدي الجنس البشري خلاصة تلك الترتيبات، وأبرز النتائج المدمرة لتلك الترتيبات طوال التاريخ البشري، ثم سلط الأضواء على الترتيبات الإلهية، من خلال الدعوة، ومن خلال الدولة، وأثبت بالكلمة والحركة وبالتصوير الفني البطيء أن الترتيبات الإلهية وحدها هي المؤهلة، وهي المناسبة لترشيد حركة المجتمع البشري.

وقد جذر هذه الترتيبات ووضحها وفصلها وبينها، ثم أجملها كيلا تضيع، ولخصها بثلاثة أمور يمكن لأي شخص من العامة أن يحفظها، وأن يستوعبها إن كان حقا يريد الشفاء، ويريد السعادة وهي:

١ - أهل بيت النبوة أو أئمة أهل بيت النبوة كقيادة سياسية، ومرجعية للذين آمنوا طوال عمر الحياة الدنيا.

٢ - القرآن الكريم وبيان النبي لهذا القرآن، ولا يعلم أسرار هذا القرآن، وبيانه علم الجزم واليقين إلا الإمام المعين من الله تعالى، لأن عملية البيان اليقيني اختصاص كعلم الطب، وهي أكثر خصوصية منه، فكل إنسان يستطيع أن يفهم القرآن بحجم علمه، لكن هذا الفهم ليس هو عين المقصود الإلهي من النص، وليس هو الفهم القائم على الجزم واليقين، لأن الفهم القائم على الجزم واليقين لا

يعلمه إلا الله والإمام المعصوم عميد أهل البيت، تماما كالحقيقة القانونية الوضعية لا يعلمها علم اليقين إلا غرفة محكمة التمييز، فقرار محكمة التمييز هو عين الحقيقة القانونية، ولا قرار يعلو على قرارها.

٣ - فئة أو مجتمع مؤمن بكل هذه الترتيبات الإلهية، يتعاون مع القيادة السياسية والمرجعية لتطبيق نصوص القانون الإلهي المتكون بالضرورة من القرآن، ومن بيان النبي لهذا القرآن، ومن فهم الإمام لهذا القرآن وهذا البيان.

٣ - نجاح المشروع الإلهي
نجح النبي الأعظم نجاحا ساحقا في نقض الترتيبات الوضعية التي كانت ترشد حركة المجتمع قبل بعثته، ونجح في إثبات فسادها، كما نجح في إثبات فاعلية وقدرة الترتيبات الإلهية على مستوى الدعوة والدولة معا، وانتهت مهمته كبشر، وكنبي، وكرسول، فقد أكمل الله الدين، وأتم النعمة، وبين كل شئ على الإطلاق، إجمالا، وتفصيلا ثم إجمالا، فمن الطبيعي جدا، أن يختار ما عند الله، فإن التزم الذين آمنوا بالترتيبات الإلهية فسيقطفون الثمرة: سعادة الدارين، وإن حادوا عن أعمال الترتيبات الإلهية، فليس بإمكان الطبيب أن يجبر مريضه الذي تعافى على يديه أن يتناول العلاج ليتعافى من مرضه! فما على الطبيب إلا أن يشخص المرض، ويصف العلاج.

فقد شخص النبي علة المجتمعات الجاهلية، وأكد أن العلة تكمن في الترتيبات الوضعية، ووصف العلاج وهو إلغاء الترتيبات الوضعية وإحلال الترتيبات الإلهية محلها. ثم لخص الترتيبات الإلهية بكلمتين: كتاب الله كقانون نافذ، وعترته كقيادة سياسية، ومرجعية معا، فإذا تخلف أحد هذين الركنين انهارت تماما الترتيبات الإلهية، ودخلت الأمة المسلمة في ليل مظلم طويل. وبعد أن أحيطت الأمة علما بذلك، أسلم روجه الطاهرة لله، وترك الدنيا.

٤ - الاعتراض وإيجاد ترتيبات بديلة تحولت إلى قناعات دينية خاصة من المعروف أن أهل البيت الكرام هم من بني هاشم، والرسول محمد من بني هاشم أيضا، فمعنى ذلك أن القيادة السياسية والمرجعية ستبقى لمحمد وآل محمد، وقد

أثارت هذه الترتيبات حفيظة البعض واعتبروها إجحافا بحق بقية بطون قريش، واعتقدوا أن من العدل والحكمة أن تعدل هذه الترتيبات الإلهية تعديلا جذريا، فطالما أن النبوة كانت في بني هاشم، فما الداعي لإعطاء الهاشميين القيادة والمرجعية من بعد النبي؟ وما الداعي لحصر النبوة والخلافة والفخر والشرف والرئاسة، في محمد وفي آل محمد، وحرمان بقية بطون قريش من هذا كله؟

تستطيع قريش أن تستوعب نبوة محمد، وقيادته مع أنه من بني هاشم! أما قيادة آل محمد من بعده، والقول بأنها ترتيب إلهي، فهذا أمر لا تقبله رجالات قريش، ولا يمكن أن تصدق بأنه ترتيب إلهي، وأن الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء، لأن هذا على حد تعبير عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إجحاف، والله يكره الإجحاف.

٥ - الحل الذي ارتضته رجالات قريش

بزعامه عمر بن الخطاب وأبي بكر رضي الله عنهما، اقتنعت قريش بأن الحل الأمثل والترتيب الأصوب هو أن تكون النبوة في بني هاشم، وقد كانت، وأن تكون الخلافة في بطون قريش تتداولها من بعد وفاة النبي، ولا حرج من أن تؤول الخلافة لأي مسلم شريطة أن لا يكون من بني هاشم لأن النبوة وحدها كفتهم، ولم يشركوا معهم فيها أحدا! فلذلك لا ينبغي إطلاقا أن يشرك الهاشميون في الخلافة أبدا. وقد وثقت هذا الأمر الخطير في كتابي نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام - باب المرجعية.

وليس معنى ذلك أن رجالات قريش تشك بنبوة النبي، فهو نبي، أولا تتيقن بأن القرآن من عند الله، فالقرآن من عند الله، لكنها تعتقد أن ترتيب القيادة السياسية من بعد النبي هو من عند محمد كبشر، وبما أنه غير معصوم، وبما أن هذا الترتيب

مصحف بحق بطون قريش، وبما أن العناية الإلهية ساقطت رجالات قريش لحماية الإسلام والمسلمين، فإنهم أجروا تعديلات على ترتيبات النبي لتكون متفقة مع الحق والعدل ومصصلحة البطون ومصصلحة المسلمين.

ويعني إجراء تعديلات على ترتيبات النبي بالضرورة: إيجاد ترتيبات بديلة. هذه الترتيبات الوضعية تحولت إلى قناعات ترسخت بفعل العادة، والغلبة، والتكرار، وأصبحت لها قوة القناعات الدينية، ولكن من نوع خاص. وساعد على ذلك أن حزب أهل السنة هو الذي حكم طوال التاريخ السياسي الإسلامي، وفرض هذه القناعات في بادئ الأمر، ثم أخذ الناس يكررونها وينسجون على منوالها، ثم أصبحت عادة، ثم أصبحت ديناً حقيقياً آمن به العامة، ونبذوا كلما يتعارض معه، وصبوا جام غضبهم وسخطهم وحقدهم على من يعارض هذه العادات، وتأولوا الدين بكافة أحكامه ليتفق مع هذه العادات التي تحولت إلى قناعات، وأعملوا خيالاتهم وأوهامهم حتى اختلط بالحق الباطل، وبالْحَقِيقَةُ الوهم، فظهرها معاً، وتعذر ظهور الحق والحقيقة على غير هذه الشاكلة، وكان ذلك ثمرة تطور استمر ١٢٠٠ عام حتى وصل إلى صورته الراهنة.

وإيضاحاً للحق والحقيقة سنتناول هذه العادات التي تحولت إلى قناعات واحداً بعد الآخر، ونترك الحكم على هذه القناعات ومحاولات نقضها للذين يحترمون العقل البشري، لأن من يدقق النظر، ويترك التقليد الأعمى سيكتشف أن هذه العادات التي تحولت إلى قناعات هي وحدها التي فرقت كلمة المسلمين، وعطلت الدور التاريخي

لدينهم، وحرمت البشرية من الانتفاع بهذا الدين الحنيف، أو إن شئت فقل: إنها هي التي جذرت الخلاف والاختلاف، وجعلتهما لازمتين من لوازم وجود هذه الأمة. ويحمي هذا القناعات حزب ورث اسمه وقناعات بالوارثة، وسجن نفسه ضمن هذه القناعات، وهو غير متعجل على تبديلها أو تحويلها أو تعديلها، بالرغم من مرور ١٤٠٠ عام على وجودها، ونقصد بهذا الحزب حزبنا نحن أهل السنة.

* *

الفصل الرابع

تحول الترتيبات الوضعية إلى قناعات

١ - محاولة جعل هذه الترتيبات من صميم الدين

تم إيجاد مجموعة من الترتيبات الوضعية، وبفضل العادة، والتكرار، وبالضغط التي مارستها سلطة دولة الخلافة التاريخية، تحولت هذه الترتيبات الوضعية إلى قناعات سياسية رشدت حركة المجتمع الإسلامي رسمياً طوال فترة التاريخ السياسي الإسلامي، من بعد وفاة النبي حتى سقوط آخر سلاطين بني عثمان، وما زالت الأكثرية الساحقة من المسلمين تنظر إلى هذه القناعات وكأنها من صميم الدين، مع أنها في حقيقتها وجوهرها مجرد ترتيبات وضعية، كان القصد من إيجادها إضفاء الشرعية على مشروع تعديل الترتيبات الإلهية. وسنتناول هذه القناعات واحدة بعد الأخرى.

٢ - القناعة الأولى: حسبنا كتاب الله

بمعنى أن القرآن الكريم وحده يكفي، ولا حاجة لأي شيء آخر من أي كان، حتى ولو كان النبي نفسه، فالقرآن الكريم يغني عن أي شيء! وأول مسلم على الإطلاق رفع شعار (حسبنا كتاب الله) هو عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)،

فهو الذي أوجد هذا الترتيب الوضعي ورعاه، وحوله إلى قناعة سياسية، تركت طابعها على الحياة السياسية من بعد وفاة النبي، وما زالت للآن.

ويبدو أن أبا بكر (رضي الله عنه) كان يؤمن بهذا الترتيب تماما، ويدلنا على ذلك ما رواه
الذهبي في تذكرة الحفاظ ترجمة أبي بكر مجلد ١ صفحة ٢ - ٣ أن أبا بكر (رضي
الله عنه) جمع
الناس بعد وفاة نبيهم فقال: ... فلا تحدثوا عن رسول الله شيئا، فمن سألكم فقولوا:
بيننا وبينكم كتاب الله!!
وما يؤكد ذلك أن أبا بكر (رضي الله عنه) كان في الحجرة المباركة عندما رفع هذا
الشعار، وكان
مع فريق عمر الذي حال بين النبي وبين كتابة ما أراد تحت شعار (حسبنا كتاب الله).
٣ - بمواجهة من طرح شعار: حسبنا كتاب الله
أعلن عمر بن الخطاب عن ولادة هذا الترتيب أمام النبي نفسه، وتفصيل ذلك:
أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أراد أن يلخص الموقف لأُمَّته تلخيصا نهائيا، فقال لمن
حوله - وفيهم عمر بن
الخطاب - : قربوا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا.
فتصدى عمر للنبي، وقال موجهها كلامه لمن حضر (حسبنا كتاب الله) أي يكفينا
كتاب الله، إن النبي قد غلبه الوجد، أو اشتد به الوجد، أو هجر، أو أن النبي يهجر
- حاشا له -
وفجأة انقسم الحاضرون في الحجرة المباركة إلى قسمين: قسم يؤيد عمر وهم
الأغلبية، وقسم يؤيد النبي وهم الأقلية، وأكثر الفريقان لغطا واختلافا، فقال لهم
النبي: قوموا عني، ما أنا فيه خير مما تدعونني إليه.
وهكذا فاز فريق عمر فوزا ساحقا، وتمكنوا من أن يحولوا بين النبي وبين كتابة ما
أراد! وولد لأول مرة في تاريخ الإسلام ترتيب (حسبنا كتاب الله)، وتحول هذا
الترتيب إلى قناعة سياسية آمنت بها الأكثرية الساحقة من الأمة.
وقد وثقت هذه الحادثة المؤلمة في كتابي نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية
في الإسلام، وحتى لا يكون في صدر الباحث عن الحقيقة حرج فيمكنه مراجعة:
صحيح البخاري مجلد ٧ صفحة ٩ باب قول المريض قوموا عني، ومجلد ٤ صفحة
٢١

ومجلد ١ صفحة ٣٧ ومجلد ٥ صفحة ١٣٧، ومجلد ٢ صفحة ١٣٢، ومجلد ٤
صفحة ٦٥ - ٦٦
ومجلد ٨ صفحة ١٦١، وراجع صحيح مسلم في آخر كتاب الوصية مجلد ٥ صفحة
٧٥
ومجلد ٢ صفحة ١٦، وصحيح مسلم بشرح النووي مجلد ١١ صفحة ٩٥، ومجلد
١١
صفحة ٩٤ - ٩٥، ومسند الإمام أحمد مجلد ١ صفحة ٢ ومجلد ٣ صفحة ٢٨٦،
ومجلد ٤
صفحة ٢٥٦، ومجلد ٢ صفحة ٢٩٩، وتاريخ الطبري مجلد ٢ صفحة ١٩٣، ومجلد
٣
صفحة ١٩٢ - ١٩٣، والكامل في التاريخ لابن الأثير مجلد ٢ صفحة ٣٢٠، وتذكرة
الخواص للسبط الجوزي الحنفي، وسر العالمين وكشف ما في الدارين لأبي حامد
الغزالي
صفحة ٢١، وشرح النهج لعلامة المعتزلة بن أبي الحديد مجلد ٦ صفحة ٥١ ومجلد
٣
صفحة ١١٤ سطر ٢٧ الطبعة الأولى مصر بيروت بتحقيق محمد أبو الفضل، ومجلد ٢
صفحة ٨٠٢، ومجلد ٢ صفحة ١٩٧... إلخ.

٤ - التكليف الشرعي لهذه القناعة
قول (حسبنا كتاب الله) أي يكفينا كتاب الله عن سواه، غير معقول، وغير منطقي،
فكتاب الله يحتاج إلى بيان، فهو كتاب، والكتاب يحتاج إلى مبين، ومهمة النبي أن
يبين هذا الكتاب، وأن يوضح المقاصد الإلهية للعامة والخاصة، ولو كان كتاب الله
وحده يحل مشكلة البشرية، لما كان هنالك داع لابتعاث الرسل والأنبياء، ولكن
بإمكان الله سبحانه وتعالى أن يرسل نسخا من الكتب السماوية، بطريقة ما إلى كافة
المكلفين، ولكن ما صدف على الإطلاق أن أنزل كتابا إلا على عبد، وذلك ليبين للناس
ما أنزل إليهم من ربهم، بيانا قائما على الجزم واليقين لا على الفرض والتخمين.
ومن هنا كان بيان النبي - أي نبي - جزء لا يتجزأ من المنظومة الحقوقية التي جاء
بها هذا النبي، ويقرأ هذا البيان مع المنظومة الحقوقية الإلهية، على اعتبار أن هذا النبي
أو ذاك هو الأعم والأفهم بقواعد تلك المنظومة، وعلى اعتبار أن بيانه لتلك المنظومة
هو بالضبط عين المقصود الإلهي.

فالكتاب لا يغني عن النبي، والنبي لا يغني عن الكتاب، فكلاهما متمم للآخر، فطاعة النبي هي طاعة الله، ومعصية النبي هي معصية لله تعالى، ولله المثل الأعلى، فهما وجهان لعملة واحدة، فوضع قطعة العملة رسميا بين أيدي المتداولين، والاشتراط عليهم أن لا ينظروا إلا لوجهة واحدة من العملة أمر غير منطقي وغير معقول، تماما كما ترهب بضيفك وتدعوه ليدخل نصفه في بيتك ويبقى النصف الآخر خارج البيت، هذه الدعوة لا يقبلها عقل ولا يستسيغها منطق!

فعندما تتمسك بكتاب الله وحده، وتبذ الرسول الذي بلغك هذا الكتاب، وتدعي أن الكتاب يغنيك عن الرسول وعن بيان الرسول، فأنت تماما كواضع قطعة العملة في التداول شريطة أن لا ينظر إلا لوجه واحد منها، وأنت تماما كمن يأذن لنصف الضيف بالدخول ويحرم ذلك على نصفه الآخر، وهذا تفريق بين الله ورسوله، وتفريق بين الرسول وبين معجزته، وبين القانون وبين واضعه وبين الجهة المخولة رسميا بتفسير هذا القانون وتطبيقه.

فمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الذي قاد الدعوة ١٣ عاما وبعد أن تمخضت الدعوة عن دولة

ترأس الدولة لمدة عشرة أعوام، ومن خلال الدعوة والدولة نقل الدين من الكلمة إلى الحركة، ومن النظرية إلى التطبيق.

وطالما أن الدين هو: ١ - كتاب منزل ٢ - نبي مرسل، فبأي منطق نجعل الدين فقط كتابا منزلا، ونترك النبي المرسل الذي قاد الدعوة والدولة مع مدة ٢٣ عاما؟ فلو أن أعرابيا جاء النبي وقال له: إنني أقبل كتاب الله، وألتزم بكل ما جاء في هذا الكتاب، ولكنني أكتفي به، ولا أرغب بأن آخذ منك أي شيء لأن القرآن وحده يكفيني! فمن الطبيعي أن النبي سيقول له مشفقا: يا أخا العرب يتعذر عليك أن تفهم القرآن ومقاصده الحقيقية دون بيان النبي لهذا القرآن ومقاصده.

فإذا أصر الأعرابي على ذلك، واكتفى بإيمانه المزعوم بالقرآن وحده، فإن النبي لن يقبل ذلك منه!! لأن القرآن، وبيان النبي لهذا القرآن متكاملان تماما، فالصلاة وهي

عماد الدين جاءت إجمالاً في القرآن، وتولى النبي بيانها وكيفيةها وصيغتها وأركانها وشروطها... وهكذا الكثير من الأحكام والقواعد.
فالقول (حسبنا كتاب الله) قول غير معقول من كل الوجوه، وهو مقدمة لإيجاد ترتيب وضعي، يهدف إلى كف يد الشرع عن التدخل في رئاسة الدولة بعد النبي واستبدال الحكم الشرعي القائم على الجزم واليقين بالحكم الظني القائم على الفرض والتخمين.

٥ - سبب هذه القناعة وتجزيرها بقوة الدولة
آلت رئاسة الدولة لأبي بكر (رضي الله عنه) - بالطريقة التي وضحتها في كتابنا نظرية عدالة

الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام - باب القيادة السياسية في الإسلام - ومن أول المشاريع التي عملها أبو بكر (رضي الله عنه) أنه جمع الناس، كما روى الذهبي في تذكرة الحفاظ

مجلد ١ صفحة ٢ - ٣، وقال بالحرف (إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون

فيها، والناس بعدكم أشد اختلافاً، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً! فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلوا حلاله وحرّموا حرامه) انتهى النص حرفياً، كما أورده الذهبي!

فأبو بكر (رضي الله عنه) بوصفه أول خليفة للنبي، أو أول رئيس دولة بعد النبي يأمر أمراً

واضحاً بمنع تحديث أي شيء عن رسول الله! بمعنى أن الحديث عن رسول الله يؤدي إلى الاختلاف!

وغني عن البيان أن رسول الله، وحديثه هما ركن الوفاق والائتلاف، ولكن طالما أن رئيس الدولة وهو أعلى سلطة قد أمر بمنع الحديث عن رسول الله، فمن واجب الرعية أن تطيعه، فهو الأمر الحاكم.

وأمر أبي بكر (رضي الله عنه) محاولة صادقة لتثبيت قناعة (حسبنا كتاب الله) أي أن كتاب الله

يكفي، بدليل قول أبي بكر في النص السابق (فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله).

٦ - الخليفة الثاني يتبع نفس السياسية ويعمقها
والصديق يعاني سكرات الموت، وقد اشتد به الوجع، حتى أنه قال: إني قد
وليت... وذهب في غيبوبة من شدة الوجع، فكتب عثمان بقية الوصية (عليكم عمر)
ولما أفاق (رضي الله عنه)، وسمع بما كتبه عثمان استحسنته، وقال لعثمان: لو كتبت
نفسك لكنت أهلاً

لها. بهذا الجو الحزين استخلف أبو بكر عمر ليقود سفينة الإسلام من بعده.
وعمر (رضي الله عنه) رأس الذين حالوا بين الرسول وبين كتابة ما أراد كتابته، بحجة
أن

الرسول قد اشتد به الوجع، فلا يجوز أن يسمح له بكتابة وصيته، وحرصاً على
مصلحة المسلمين رفع شعار (حسبنا كتاب الله) وبمواجهة النبي نفسه، فمن الطبيعي
جداً

بعد أن آلت إليه الأمور أن يسعى وبكل قوته المعهودة لتثبيت وتجدير هذا الشعار،
وتحويله إلى قناعة تؤمن بها العامة والخاصة، وجبراً عند اللزوم.
يبدو أن الأمر الذي أصدره أبو بكر (رضي الله عنه) لم يتم احترامه تماماً، إذ بقي الناس
يتداولون أحاديث الرسول، ويكتبون بعضها، فلما آلت الخلافة أو رئاسة الدولة إلى
عمر (رضي الله عنه) ناشد الناس أن يأتوه بكل ما كتبوا من أحاديث رسول الله، فلما
أتاه الناس
بهذه الأحاديث... أمر بتحريقها.

قال ابن سعد في طبقاته مجلد ٥ صفحة ١٤٠ بترجمة القاسم بن محمد بن أبي بكر:
إن الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب، فأنشد الناس أن يأتوه بها، فلما أتوه
بها أمر بتحريقها.

وأخرج ابن عبد البر ثلاثة أسانيد في جامع بيان العلم - باب ذكر من ذم الإكثار من
الحديث دون التفهم له مجلد ٢ صفحة ١٤٧ والذهبي في تذكرة الحفاظ مجلد ١
صفحة ٤ - ٥ ما يلي:

وروي عن قرظة بن كعب أنه قال: لما سيرنا عمر إلى العراق مشى معنا إلى صرار،
ثم قال: أتدرون لم شيعتكم؟ قلنا: أردت أن تشيعنا وتكرمننا، قال: إن مع ذلك

لحاجة، إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل، فلا تصدوهم بالأحاديث عن رسول الله، وأنا شريككم. قال قرظة: فما حدثت بعده حديثا عن رسول الله. انتهى النص، وفي رواية أخرى فلما قدم قرظة بن كعب قالوا: حدثنا، فقال: نهانا عمر.

٧ - الإقامة الجبرية والحبس!

أخرج المتقي الهندي في مجلد ٥ صفحة ٢٣٩ الحديث رقم ٤٨٦٥ عن عبد الرحمن بن

عوف أنه قال: ما مات عمر بن الخطاب حتى بعث إلى أصحاب رسول الله، فجمعهم من الآفاق: عبد الله بن حذيفة، وأبا الدرداء، وأبا ذر، وعقبة بن عامر، فقال: ما هذه الأحاديث التي أفشيتم عن رسول الله في الآفاق؟ قالوا: أتنهانا؟ قال: لا، أقيموا عندي، والله لا تفارقوني ما عشت، فنحن أعلم نأخذ منكم، ونرد عليكم، فما فارقه حتى مات!!

وروى الذهبي في تذكرة الحفاظ مجلد ١ صفحة ٧ ترجمة عمر: أن عمر حبس ثلاثة: ابن مسعود، وأبا الدرداء، وأبا مسعود الأنصاري، فقال: أكثرتم الحديث عن رسول الله.

ويقول ابن الأثير في تاريخه مجلد ٨ صفحة ١٠٨ إن عمر كان يقول للصحابة: أقلوا الرواية عن رسول الله، إلا في ما يعمل به.

٨ - المنع ليس جديدا!

حتى والرسول الكريم حيا، حاولت مشيخة قريش أن تمنع كتابة حديث رسول الله، فقد روى الدارمي في سننه مجلد ١ صفحة ١٢٥ - باب من رخص في الكتابة، من المقدمة، وفي سنن أبي داود مجلد ٢ صفحة ١٢٦ - باب كتابة العلم، وفي مسند الإمام

أحمد مجلد ٢ صفحة ١٦٢ و ٢٠٧ و ٢١٦، ومستدرك الحاكم مجلد ١ صفحة ١٠٥ - ١٠٦،

وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر مجلد ١ صفحة ٨٥ أن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: كنت أكتب كل شئ أسمع من رسول الله، فنهتني قريش، وقالوا:

تكتب كل شئ سمعته من رسول الله ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا؟
فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله، فأوماً بإصبعه إلى فيه وقال (أكتب
فوالذي

نفسي بيده ما خرج منه إلا حق).

والسؤال: فمن من قريش يجرؤ على نهى صحابي من أن يكتب قول نبي ورسول
ورئيس دولة بنفس الوقت؟

من يجرؤ على ذلك سوى عمر وأبي بكر رضي الله عنهما.

ويبدو أنهما خشيا أن يروى عن رسول الله حديث في حق أناس قال فيهم في حال
الرضا أو الغضب قولاً ما ينبغي أن يقال، فحرصا منهما على مصلحة الإسلام، اعتقدا
أنه ليس من الحكمة كتابة أحاديث الرسول!

هذا والرسول حي يمارس النبوة والرسالة ورئاسة الدولة!

ويبدو أنه لهذه الغاية حالوا بينه وبين كتابة وصيته، بحجة أن المرض قد اشتد به،
مع أن المرض قد اشتد بهما أكثر مما اشتد برسول الله، ومع هذا كتبا وصيتهما،
ونفذت،

وبقيت وصيتهما أسس نظام الخلافة، ولم يقولوا أو لم يقل أحد إن المرض قد اشتد
بهما،

(وحسبنا كتاب الله)!!!

ولما انتقل النبي إلى جوار ربه، وآلت رئاسة الدولة إلى أبي بكر ثم عمر (رضي الله
عنه)، بذلا

جهدهما بالاستغناء عن حديث رسول الله، وبالاكتفاء بكتاب الله، تجسيدا لهذا
الشعار (حسبنا كتاب الله) هذا الشعار الذي تحول بفعل أبي بكر وعمر رضي الله
عنهما

إلى قناعة ضربت جذورها لأعماق الحياة السياسية الإسلامية بعد وفاة النبي!!

٩ - عثمان ينهج نهج صاحبيه

عثمان (رضي الله عنه) كان موضع ثقة أبي بكر، وموضع ثقة عمر رضي الله عنهما،
انظر إلى قول

أبي بكر لعثمان عندما كتب عهد عمر (والله لو كتبت نفسك لكنت أهلا لها) أي
للخلافة.

راجع سيرة عمر لابن الجوزي ١ صفحة ٣٧، وتاريخ ابن خلدون مجلد ٢ صفحة ٥٨
على سبيل المثال.

فقد ترك عثمان أبناء عمومته الهاشميين، وانحاز إلى جانب أبي بكر، فقد كان أول زعيم من زعماء المهاجرين يبائع أبا بكر بعد خروجه من السقيفة. راجع الإمامة والسياسة صفحة ١١

وكان موضع ثقة عمر أيضا، فقد كان أبو بكر يقاسي سكرات الموت، فقال لعثمان: أكتب إنني قد وليت... فأغمي على أبي بكر قبل أن يكمل الجملة، فأكملها عثمان من عنده حيث كتب (عليكم عمر) وعمر غائب، فمعنى ذلك أن عثمان على علم مسبق بأن عمر هو الخليفة التي سيعهد له أبو بكر.

والحقيقة أنه بعد وفاة أبي عبيدة الذي حضر اجتماع سقيفة بني ساعدة، وقع اختيار أبي بكر وعمر على عثمان ليكون الخليفة الثالث بدلا من أبي عبيدة الذي انتقل إلى رحمة الله، ومن هنا كان عثمان يدعي في إمارة عمر بالرديف، والرديف بلسان العرب الرجل الذي يأتي بعد الرجل، والعرب تقول ذلك للرجل الذي يرجونه بعد زعيمهم. ومن يدقق في وصية عمر يكتشف بأقل جهد ممكن أنه قد عهد له بالخلافة. راجع صفحة ٣٦٤ مجلد ٣ من الطبقات لابن سعد، وراجع تولية عثمان في الإمامة والسياسة

لابن قتيبة. فعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص في شقة واحدة بالضرورة، وعلي والزبير في جانب آخر بالضرورة، وطلحة غائب، وعمر صريح جدا فقد أوصى: إذا كانوا ثلاثة ثلاثة، فاختاروا الذي في صف عبد الرحمن بن عوف. وهذا ما لم يحدث، لأن طلحة كان غائبا، فمحكوم حكما أن يكون ثلاثة ضد اثنين، ولنفترض جدلا أن طلحة كان موجودا، فشكل مع علي ومع الزبير ثلاثة، فإن عثمان سينجح قطعا... راجع الإمامة والسياسة صفحة ٢٧

وبالإيجاز فإن عثمان في حياة الشيخين أبي بكر وعمر كان كظلهما، وكان من شيعتهما، ومن هنا فإنهم من مدرسة واحدة، ويبدو واضحا أن عثمان (رضي الله عنه) كان مع

الفريق الذي أيد عمر بمواجهة لرسول الله عندما قال (حسبنا كتاب الله) بدليل أنه حتى بعد أن آلت الرئاسة إليه قد بقي على نفس الخط المتعلق بهذه الناحية.

فقد اعتلى المنبر يوما وقال (لا يحل لأحد يروي حديثا لم يسمع به في عهد أبي بكر، ولا في عهد عمر). راجع منتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد مجلد ٤ صفحة ٦٤ فمن الواضح أن عثمان (رضي الله عنه) قد حضر حظرا كاملا رواية أي حديث عن رسول الله لم

يرو في زمن صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. وفعل الخليفة الثالث يصب في النتيجة في غاية صاحبيه، وهي أن القرآن وحده يكفي (حسبنا كتاب الله).

وجاء معاوية فاستعمل المغيرة بن شعبة على الكوفة وقال له... ولست تاركا إيصاءك بنخلة: لا تترك شتم علي وذمه، والترحم على عثمان والاستغفار له، والعيب لأصحاب علي والإقصاء لهم، والإطراء لشعبة عثمان والإدناء لهم. فقال له المغيرة: قد جربت وجربت، وعملت قبلك لغيرك فلم يذممني، وستبلو فتحمد أو تدم، فقال: بل نحمد إنشاء الله! راجع تاريخ الطبري مجلد ٢ صفحة ١١٢ - ١١٣ ومجلد ٢ صفحة ٢٨،

وراجع تاريخ ابن الأثير مجلد ٣ صفحة ١٠٢، وروى المدائني في كتاب الأحداث. وقال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمة ممن روى شيئا من فضل أبي تراب وأهل بيته. ١٠ - رفع الحظر

بقي الحظر مفروضا رسميا على رواية أحاديث الرسول، وكتابتها حتى زمن عمر بن العبد العزيز، فرفع الحظر، وكتب إلى أهل المدينة: أن انظروا حديث رسول الله فاكتبوه، فإني قد خفت دروس العلم وذهاب أهله. راجع فتح الباري باب كتابة العلم مجلد ١ صفحة ٢١٨.

وقد قاومه العلماء الذين تربوا على محاصرة أحاديث رسول الله، ثم لانت عريكتهم، وأخذوا يروون أحاديث الرسول، ويكتبونها، ولكن بعد حظر رسمي على روايتها، وكتابتها استمر ٩٥ عاما.

١١ - حرية رواية وكتابة كل شئ إلا حديث رسول الله في عهد أبي بكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم، كان بإمكان أي شخص أن يروي، أو يكتب أي شئ، وفي أي موضوع، بغض النظر عن دين الراوي، أو دين المروي عنه، فيمكنه أن يروي أو يكتب الشعر الجاهلي، أو الأنساب، أو أيام العرب، أو التاريخ، أو المفاخرة، أو القصص، بل ويمكن أن يروي الأحاديث والأساطير الإسرائيلية، كما كان يفعل كعب الأخبار، وتميم الداري، ولا حرج، فهذا كله مباح، ولا لوم ولا تثريب لا على راو ولا على مروى عنه، ولا على كاتب.

أما باب التحديث عن رسول الله فقد كان مغلقا تماما، وباب كتابة حديث الرسول كان مغلقا أيضا. وذلك لتثبيت قناعة (حسبنا كتاب الله) حتى تصبح هذه القناعة عامة وشاملة وعميقة، فيتعود المسلمون على العيش بدون نبي معتمدين على القرآن وحده. فالأسباب الحقيقية لمنع رواية حديث الرسول ومنع كتابته هي:

١ - السبب الأول: تجسيد وتعميق وترسيخ الترتيب الوضعي القائل (حسبنا كتاب الله) أي أن كتاب الله يغني عن أي شئ آخر، ويغني عن قول الرسول نفسه، لأن هذا الشعار رفع لتبرير الحيلولة بين الرسول وبين كتابة ما أراد. وفي ذلك ترويض من السلطة للرعية حتى تتعود على فراق الرسول، والاعتماد على كتاب الله وحده.

٢ - إغلاق كل الأبواب بوجه الذين يعارضون السلطة، ويقولون إنهم أولى بالحكم من غيرهم، لأن رسول الله نص عليهم بأنهم قادة الأمة ومرجعيتها، فترك أبواب التحديث عن رسول مفتوحة أمر يحرر السلطة، وقد تتمكن المعارضة من إثبات حجتها وحقها بالحكم استنادا لأحاديث رسول الله، وفي ذلك زعزعة للاستقرار، وهز لكيان الدولة التي يتربص بها أعداؤها الدوائر، وبالتالي تفتتت لوحة الأمة بذلك الظرف العصيب، فكان إغلاق باب التحديث عن رسول ضربة معلم!

وزيادة بالأمان والاطمئنان، فقد حظرت السلطة كتابة أحاديث رسول الله، حتى تبقى هي المتحكمة بمفاتيح الشرعية!

٣ - حماية المتعاونين مع السلطة من طعن المعارضة، فيمكن لعلماء المعارضة أن يكشفوا حقيقة بعض المؤلفة قلوبهم ممن جعلوا الولاء للسلطة ستارا للطعن بالمعارضة. فمن الثابت أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعن الحكم بن العاص، ولعن ما في

صلبه، ولعن نفرا من قريش، وشاءت الظروف أن يكون مروان هو صهر عثمان وابن عمه، ورئيس وزرائه وحامل أختامه، فإذا كانت هنالك حرية بالتحديث عن رسول الله وبنقل أحاديثه، وكتابتها، فيسهل على عشرات الصحابة الكرام أن يرووا حديث اللعن هذا أمام مروان، وأمام الخليفة، وفي ذلك إخراج ما بعده إخراج للسلطة، ولمقام الخلافة، فيغدو من الأسلم إغلاق باب التحديث وكتابة الحديث عن رسول الله!

١٢ - أسباب أخرى لمنع رواية حديث الرسول ومنع كتابته انتشرت إشاعة مفادها أن رسول الله لم يجمع القرآن، بل تركه مفرقا في صدور الرجال، وانتقل إلى رحمة الله والقرآن على هذه الحالة، حتى نهض الخلفاء الثلاثة بتفصيل خاص لجمع القرآن، حتى لا يضيع بقتل حفظته، وتحولت هذه الإشاعة إلى نظرية متكاملة، فصلناها في الباب الأول، ونقضناها، وقد تحولت النظرية إلى قناعة راسخة الآن!

وفي ظلال هذه الإشاعة التي تحولت إلى نظرية، ثم إلى قناعة، قيل أن القصد من منع رواية الحديث وكتابته هو أن حتى لا يختلط القرآن وهو كلام الله بالحديث وهو كلام رسول الله. وهذا السبب لا يستقيم ولا يثبت لعلتين:

١ - العلة الأولى: مع أن النبي هو أفصح العرب، إلا أن الحديث يختلف عن كلام الله، فمحمد مخلوق والله خالقه.

٢ - العلة الثانية: حسب نظرية أن الخلفاء هم الذين جمعوا القرآن الكريم ، فالمفترض أن يرفع الحظر عن رواية أحاديث الرسول، وكتابتها بعد الجمع، ولكن الثابت أن الحظر بقي قائما حتى زمن عمر بن عبد العزيز، الذي استطاع بصعوبة أن يقنع علماء دولته بضرورة كتابة حديث رسول الله!

١٣ - مستثنيات من حظر رواية وكتابة أحاديث الرسول
بيننا أن السلطة فرضت حظرا على رواية وكتابة أحاديث رسول الله بعد وفاته مباشرة، واستمر الحظر ٩٥ عاما حتى زمن عمر بن عبد العزيز الذي أصدر مرسوما برفع الحظر.

إلا أن السلطة طوال مدة الحظر استثنت أمورا معينة أجازت فيها رواية حديث رسول الله وكتابته، ومن أبرز هذه الأمور:

١ - إذا عملت السلطة عملا ما استنادا إلى اجتهادها وروى راو حديثا عن رسول الله يشيد بهذا العمل، أو يضيفي الشرعية عليه، فلا ترى السلطة غضاضة ولا حرجا من رواية هكذا أحاديث أو تداولها.

٢ - إذا تمكن خليفة من تحقيق الغلبة والظفر، واستقامت له الأمور، وجاء راو أو رواية فرووا أحاديث في فضله، في هذه الحالة فإن السلطة ترحب بالرواة، وبما رووا، ولا ترى ما يمنع من كتابة هذه المرويات، وتداولها، بل تشجعها، وتقرب الرواة، وتغدق عطاياها عليهم.

٣ - إذا سبق الكتاب على أحد أنه من أهل النار، وانتشر ذلك انتشارا واسعا، وتأكد هذا الانتشار بحيث يتعذر إنكاره، كقضية أبي لهب، تبت يدا أبي لهب وتب، فالكل يعلم أن أبا لهب من أهل النار، والشاهد على ذلك سورة من سور القرآن الكريم. أو كقضية الحكم بن العاص، وولده مروان، فالثابت ثبوتا قطعيا بالسنة المطهرة أن رسول الله قد لعن الحكم بن العاص، ولعن مروان وهو في صلبه، بحيث لا يمكن تغطية واقعة دخول أبي لهب في النار، ولا واقعة

لعن الحكم بن العاص وابنه. ومن المعروف أن مروان بن الحكم ملعون كأبيه، لكن خدمه الحظ، وزوجة الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ابنته، واتخذه رئيسا لوزرائه، وحاملا لختمه، ولكن كل المسلمين يعلمون علم اليقين أن رسول الله لعن الحكم، ولعن مروان وهو في صلبه، وبالتالي يستحيل تكذيب واقعة لعن الرسول للحكم وابنه، فهي واقعة ثابتة ثبوتا يقينيا، وترويتها أمة يمتنع عقلا اجتماعها على الكذب، وبالرغم من ذلك اصطفاه الخليفة عثمان، لأنه رأى أن أمر المسلمين لا يستقيم تماما إلا إذا استعان بهذا الذي لعنه رسول الله ولعن أباه، ثم إن عثمان خليفة ومروان هو ابن عمه، وبالتالي فهو برأيه يصل أرحامه! فما هو المخرج الذي يضيف الشرعية على قرار الخليفة بتعيين مروان رئيسا لوزرائه؟ وكيف يمكن تجنب سخط العامة، وضمان الاستقرار، وضرب المعارضة، والتشكيك بسلامة موقفها، وتسليط الأضواء على سوء نيتها الطامعة بالانقضاض على السلطة، وسلب الأمر من أهله، وزعزعة وحدة المسلمين؟

فإذا جاء راو وشكك برسول الله نفسه، بما يخدم هدف السلطة، فإن رواية هذا الراوي تقبل، ولا مانع من تداولها وكتابتها وانتشارها، وهذا الراوي أو الرواة تفتح أمامهم أبواب الحياة، وينادي منادي السلطة أنهم من المقربين، وبهذه الحالة فالرواية والكتابة مباحة ولا يشملها الحظر.

جاء في صحيح البخاري كتاب الدعوات - باب قول النبي: من آذيته، وجاء في صحيح مسلم كتاب البر والصلة - باب من لعنه النبي (صلى الله عليه وسلم) وليس لها أهلا ما يلي:

(أن رسول الله كان يغضب، فيلعن، ويسب، ويؤذي من لا يستحقها، ودعا الله أن يجعلها لمن بدرت منه زكاة وطهورا).

ورويا أيضا في صحيح البخاري - كتاب بدء الخلق - باب صفة إبليس وجنوده، وكتاب الطب - باب هل يستخرج السحر، وباب السحر، وكتاب الأدب - باب أن الله يأمر بالعدل، وكتاب الدعوات، وفي صحيح مسلم - باب السحر ما يلي:

(أن بعض اليهود سحر رسول الله، حتى يخيل إليه أنه يفعل الشيء، وما فعله).
بهذه الضربة الفنية تحول مروان بن الحكم رئيس الوزراء، وتحول والده - الذي
لعنه رسول الله - من ملعونين مطرودين من رحمة الله إلى رجلين زاكيين مطهرين،
ولكن بعد أن ضحوا بخلق النبي (وإنك لعلى خلق عظيم) وضحوا بحلمه، لينجو مروان
ووالد مروان، وقد وثقنا في كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في
الإسلام حقيقة لعن النبي للحكم وما في صلبه.

نعم، مثل هذه الأحاديث لم يشملها الحظر، سواء على صعيد الرواية، أو على
صعيد الكتابة، بل إن روايتها وكتابتها تقرب الرواة إلى السلطة زلفى.
وما عدا هذه الاستثناءات، فإن رواية وكتابة أحاديث رسول الله بقيت محظورة
وممنوعة رسمياً، حتى زمن عمر بن عبد العزيز.

وغني عن البيان أن عهد علي عهد تنفست فيه الشرعية، ورعى بنفسه حملة كتابة
ورواية أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

١٤ - الفراغ الحقوقي ومحاولات سده

يستحيل استحالة مطلقة فهم القرآن الكريم، والمقاصد الإلهية من آياته فهما قائما
على الجزم واليقين دون بيان النبي لهذا القرآن، فبيان النبي ضرورة من ضرورات فهم
القرآن، وعندما رفعت السلطة شعار (حسبنا كتاب الله) وقررت منع رواية وتداول
وكتابة أحاديث رسول الله فإنها بعملها هذا أوجدت فراغا حقوقيا مدمرا، ترك بصماته
على مختلف قطاعات الحياة، واستدعى البحث عن بديل لملء هذا الفراغ، فابتدع
العمل بالرأي وسمي أولا بالتأويل، ثم سمي نهائيا بالاجتهاد، وامتألت الساحة
الإسلامية بالقواعد الحقوقية القائمة على الظن والتخمين، والنتيجة عن العمل بالرأي
بمختلف صورته، فالمنظومة الحقوقية الإلهية التي أنزلت على محمد، والتي كانت تتميز
بأنها بيان لكل شيء، فإن كل حكم من أحكامها قائم على الجزم واليقين، ونتيجة منع

رواية وكتابة أحاديث رسول الله اختلط من الناحية العملية ما أنزله الخالق، بما وضعه الحاكم وشيعته وطلاب الدنيا من حوله.

صحيح أن هنالك ضمانات إلهية بحفظ القرآن من التحريف والتبديل والتغيير، لكنه عطل عن أداء دوره الكامل في غياب البيان النبوي الموثوق لآياته وأحكامه. التأويل والاجتهاد: السلطة التاريخية هي التي ابتدعت مصطلح التأويل بمعناه الواقعي، وهي التي ابتدعت الاجتهاد بمعناه الذي استقر نهائياً عليه، وأعوان السلطة هم الذين وضعوا قواعده وأحكامه، ثم ربطوه بالمنظومة الحقوقية الإلهية، أو على حد تعبيرهم ربطوه (بروح ومقاصد هذه المنظومة) فليس في الدنيا أمر من الأمور إلا وله حكم في الاجتهاد والتأويل، فإذا تبين أن الحاكم عمل عملاً يخالف ويختلف مع عمل رسول الله نفسه قالوا: إن الحاكم مجتهد، والرسول الكريم نفسه مجتهد، ولا يلزم المجتهد باتباع رأي المجتهد الآخر. راجع شرح نهج البلاغة مجلد ٤ صفحة ١٧٨ مطبوعة

مصطفى البابي بمصر سنة ١٣٩٩ هـ، وراجع شرح النهج مجلد ٢ صفحة ١٥٣ ومجلد

٢

صفحة ١٨٠، وراجع شرح التجريد للقوشجي صفحة ٤٠٨، وقد بينا الحكم الشرعي في الاجتهاد، وأثبتنا نصوص بعض المقالات التي كتبناها رداً على وزير الأوقاف الأردني، فليرجع إليها من شاء في الباب الأول من هذا البحث. وضع الأحاديث: ونتيجة الإحساس بالفراغ، قام بعض الصالحين من المسلمين بوضع أحاديث على رسول الله اختلقوها، وجعلوها حسبة لله بزعمهم! فإذا سألهم سائل كيف تكذبون على رسول الله؟ قالوا: نحن نكذب له لا عليه، كما روى ذلك مسلم، ونقله عنه محمود أبو ريه في كتابه الرائع أضواء على السنة المحمدية صفحة ١٣٨ ونقل عن ابن حجر قوله (وقد اغتر قوم من الجهلة، فوضعوا أحاديث الترغيب والترهيب، وقالوا: نحن لم نكذب على النبي، بل فعلنا ذلك لتأييد شريعته) راجع صفحة ١٣٨ من المرجع السابق، ونقل أبو ريه قال: قال عبد الله النهاوندي قلت لغلام أحمد: من أين لك هذه الأحاديث التي تحدث بها في الرقائق؟ فقال: وضعناها لترقق

بها قلوب العامة، قال ابن الجوزي عن غلام أحمد هذا: إنه كان يتزهد، ويهجر شهوات الدنيا، ويتقوت بالاقلاء، وغلقت أسواق بغداد بعد موته! وكان أحمد بن محمد الفقيه المروزي من أصلب أهل زمانه في السنة، وأكثرهم مدافعة عنها، ويحقر كل من خالفها، وكان مع ذلك يضع الحديث ويقبله! وأخرج البخاري في التاريخ الأوسط عن عمر بن صبيح أنه قال: أنا وضعت خطبة النبي، وأخرج الحاكم في المدخل بسنده إلى أبي عمار المروزي أنه قيل لأبي عصمة: من

أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة، وليس عند أصحاب عكرمة هذا؟ فقال: إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن، واشتغلوا بفقهِ أبي حنيفة، ومغازي ابن إسحاق، فوضعت هذه الأحاديث حسبة! راجع أضواء على السنة المحمدية صفحة ١٣٨ - ١٣٩.

واغتتم أعداء الدين هذا الفراغ، وأخذوا يضعون الأحاديث المكذوبة ليهدموا الدين، ولم تكن شيعة الحكام في عزلة من هذا، فكل شيعة من هذه الشيع كانت تضع من الأحاديث ما تحتاجه لتثبيت أوضاعها، أو لدحر أعدائها. ويمكن لمن أراد الوقوف على تفاصيل الوضع أن يقرأ أضواء على السنة المحمدية للسيد محمود أبو ريه، وخاصة الصفحات ١١٨ وما فوق.

١٥ - أبو هريرة يمهد المناخ للوضع
قال الشيخ أبو ريه: أخرج الطحاوي في المشكل عن أبي هريرة مرفوعاً عن النبي أنه قال: إذا حدثتم عني حديثاً تعرفونه، ولا تنكرونه فصدقوا به قلته أم لم أفله! فإنني أقول ما يعرف ولا ينكر، وإذا حدثتم عني حديثاً تنكرونه، ولا تعرفونه فكذبوا به، فإنني لا أقول ما ينكر ولا يعرف!
ويشبه هذا الحديث حديثاً آخر رواه أحمد أن رسول الله قال: إذا سمعتم الحديث عني، تعرفه قلوبكم، وتلين له ألسنتكم، وترون أنه منكم قريب، فأنا أولاكم به،

وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم، وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم، وترون أنه منكم بعيد، فأنا أبعدهم منه.

وقال خالد بن يزيد، سمعت محمد بن سعيد الدمشقي يقول: إذا كان كلام حسن لم أر بأساً من أن أجعل له إسناداً!

قال الحافظ ابن حجر: هذه والله قاصمة الظهر للمحتجين بالرسول، إذ بدعة الخوارج كانت في مبدأ الإسلام والصحابة متوافرون، ثم في عصر التابعين فمن بعدهم، وهؤلاء استحسنا أمراً جعلوه حديثاً، فربما سمع الرجل الشيء فحدث به الذي يحتج بالمنقطعات، فيحتج به مع كون أصله ما ذكرت! راجع أضواء على السنة المحمدية صفحة ١٣٧

١٦ - لولا شعار، (حسبنا كتاب الله)

لولا شعار (حسبنا كتاب الله) وإيمان دولة الخلافة الأولى بضرورة ترسيخ وتعميق هذا الشعار، وما اقتضاه ذلك من المنع الرسمي لرواية وكتابة أحاديث رسول الله، ومن فرض الحصار التام على الرواية والكتابة، حتى بلغ الأمر حداً أن طلب من الناس أن يأتوا الخليفة بالأحاديث المكتوبة والمروية عن رسول الله، فلما جاء الناس بتلك الأحاديث وجمعت، أمر الخليفة بحرقها! وكفى بذلك تنفيراً من كتابة تلك الأحاديث وروايتها، راجع طبقات ابن سعد مجلد ٥ صفحة ١٤٠ بترجمة القاسم بن محمد بن أبي بكر تجد واقعة التحريق، وراجع تذكرة الحفاظ للذهبي بترجمة أبي بكر مجلد ١ صفحة

٢ - ٣ تجد واقعة الربط بين منع كتابة الحديث وروايته وبين شعار (حسبنا كتاب الله) وراجع تذكرة الحفاظ للذهبي مجلد ١ صفحة ٤ - ٥، وراجع جامع بيان العلم - باب ذم

الإكثار من الحديث مجلد ٢ صفحة ١٤٧، وراجع الحديث رقم ٤٨٦٥ من الكنز. لولا هذا الشعار لأحصيت أحاديث رسول الله، وكتبت، فحفظت من الزيادة والنقصان والتبديل والتغيير بعد وفاة الرسول مباشرة، ولما حرم الناس من بيان النبي

لهذا القرآن، وبالتالي لما حدث ذلك الفراغ الرهيب الذي أفسح المجال للعمل بالرأي مع وجود النص، وأغرق المسلمين في بحار من الظن والتخمين، ولأمكن توصيل حديث رسول لفظاً ومعنى لكل أبناء الجنس البشري!!
ولكن كيف تسمح قريش بكتابة أحاديث رسول الله بعد وفاته، وهي التي كانت تعارض كتابة تلك الأحاديث حالة حياته (صلى الله عليه وآله وسلم). راجع سنن الدارمي مجلد ١

صفحة ١٢٥ باب من رخص في الكتابة من المقدمة، وراجع سنن أبي داود مجلد ٢
صفحة ١٢٦ باب كتابة العلم، وراجع مسند أحمد مجلد ٢ صفحة ٦٢ و ٢٠٧ و ٢١٦،

وراجع مستدرك الحاكم مجلد ١ صفحة ١٠٥ - ١٠٦، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر مجلد ١ صفحة ٨٥. تجد أن قريشا حال حياة النبي كانت تحرض على عدم كتابة أحاديث رسول الله، بل وتمنعها بدعوى أنه بشر يتكلم في الرضا والغضب، وتريد قريش أن تتأكد أن كلام الرسول مناسب أو غير مناسب، وهل صدر في الرضا أم في الغضب!

ونتيجة قرار الحظر الذي فرضته السلطة، والذي استمر ٩٥ عاما ضاع حديث رسول الله تحت الأنقاض، وبعد ٩٥ عاما بدأت السلطة تبحث عن حديث الرسول بين الأنقاض، فذهب الناس في ذلك طرائق قديدا!
وبعد ذلك قل أن تجد حديثا واحدا لرسول الله مرويا بلفظه ومعناه، وقل أن تجد حديثا دون أن تجد نقيضا له.

وليس هذا فحسب بل إن السلطة طاردت الذين كتبوا بخط أيديهم ويأملوا رسول الله، وشككت بهم ونفرت الناس منهم، واتهمتهم بالكذب، وأمرت بلعنهم على المنابر، وهدمت دور الذين يحبونهم، وأسقطت أسماءهم من ديوان العطاء! كما ذكر ابن أبي الحديد نقلا عن المدائني في كتابه الأحداث، وكما وثقنا سابقا.
وهكذا بدلت السلطة نعمة الله بالرأي، فجرت هذه الأمة إلى مزلق الدمار تحت شعار (حسبنا كتاب الله)

صحيح أن الذين وضعوا هذا الشعر قصدوا خيرا ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي
السنن، فنتيجة الشعر فتحت أبواب التأويلات لكل نص، ووجدت مئات المعاني
لكل نص، وكل صاحب معنى مجتهد ومأجور، وألقى الظن والتخمين أجرانه، وضاع
الجزم واليقين، وللسلطة أن تختار ما تشاء وأن تركز لمن تشاء، ولها رأيها أيضا، وما
يدريك أن الحق معها في غياب البيان النبوي وتغييبه بعد وفاة النبي، وفي غياب الولي
المخول بالبيان بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)! والمجتهد مأجور قتل أم
قتل، أصاب أم أخطأ،
وكل صاحب رأي مجتهد بما فيه الخليفة!
**

الباب الثالث

تخريب المنظومة الحقوقية الإلهية

وإبطال مفعولها بعد وفاة النبي

الفصل الأول: المنظومة الحقوقية الإلهية في عهد النبوة الأرشد

الفصل الثاني: تخريب النظام السياسي الإسلامي

الفصل الثالث: تعديل وإلغاء الترتيبات الإلهية

الفصل الرابع: نشأة النظام البديل

الفصل الخامس: إقامة النظام البديل وتكون أركانه

الفصل السادس: الإمام الشرعي يطلب النصر

الفصل السابع: الآثار السياسية لانتصار النظام البديل

الأثر الأول: إقصاء الرسول عن التأثير على الأحداث

الأثر الثاني: عزل أهل بيت النبوة الكرام

الأثر الثالث: تقديس الخليفة الغالب

الفصل الثامن: تفكيك النظام الإلهي وتعطيل مسيرته المباركة

الفصل التاسع: فك الارتباط بين المنظومة الإلهية وبين أهل البيت

الفصل العاشر: رد فعل القوة المتغلبة

الفصل الأول

المنظومة الحقوقية الإلهية في عهد النبوة الأرشد

١ - تبرير دراسة هذا الفصل

لكي نحكم على موقف العهود اللاحقة بعهد النبوة من المنظومة الحقوقية الإلهية، ولكي نعرف حجم التخريب والتدمير الذي ألحقته تلك العهود بالمنظومة الحقوقية الإلهية، لا بد من دراسة سريعة لحالة المنظومة الحقوقية الإلهية في عهد النبوة المحمدية

الأرشد، لأن عهده (صلى الله عليه وآله وسلم) هو المثال الأرفع، وهو عهد الكمال المطلق، ففي عهده بدأت،

وفي عهده اكتملت وطبقت تطبيقاً كاملاً ودقيقاً، وتم نقلها من النص إلى التطبيق، ومن الكلمة إلى الحركة، سواء على صعيد الدعوة، أو على صعيد الدولة، أو على صعيد المرحلة التي توسطت تحول الدعوة إلى دولة.

وبدراسة عهده المبارك واستيعابه يحصل الباحث على الميزان الحق الذي يزن به كل عهد من العهود اللاحقة بعهد النبوة، وعلى المقياس القويم الذي يقيس به تلك العهود قرباً وبعداً، إصلاحاً وخراباً.

٢ - جناحاً المنظومة الحقوقية في عهد النبوة الأرشد

في عهده المبارك (صلى الله عليه وآله وسلم) حصرت المنظومة الحقوقية الإلهية باثنين لا ثالث لهما هما

بمثابة جناحي طير السعد وهما:

١ - قرآن كريم منزل من عند الله.

٢ - بيان الرسول لهذا القرآن.

تلك ببساطة مجموعة القواعد الحقوقية المعتمدة أثناء الدعوة المحمدية، وحال قيام دولته الإيمانية المباركة، بعد أن تحولت الدعوة إلى دولة. وغني عن البيان أن بيان الرسول لهذا القرآن يأخذ شكل: القول أو شكل الفعل أو شكل التقرير على وجه الحصر، ومهما كان شكل هذا البيان النبوي فهو جزء لا يتجزأ من المنظومة الحقوقية الإلهية، وهو بمثابة جناحها الأيسر، والقرآن الكريم هو جناحها الأيمن، ويتعذر على الطائر أن يطير إلا بجناحيه.

٣ - يقينية المنظومة الحقوقية الإلهية

القرآن الكريم هو كلام الله الذي أوحاه إلى نبيه لفظاً ومعنى، تلك حقيقة إيمانية مطلقة قائمة على الجزم واليقين، وهي أساس العقيدة الأول. والنبي الأعظم هو رسول الله المكلف ببيان القرآن بيانا قائما على الجزم واليقين، بحيث يكون هو نفس المقصود الإلهي حسب أحوال المكلفين وقدرة الواقع على التحمل والحركة، وتلك حقيقة مطلقة وهي أساس العقيدة الثاني.

والرسول الكريم بالضرورة هو أفهم خلق الله بهذا القرآن، وأعلمهم به، وأكثرهم قدرة على بيانه، وهو معد ومهيأ إلهياً ليكون الأفهم والأعلم بالقرآن، والأقدر على بيانه، وهو الأفضل لقيادة المؤمنين بالله تعالى على هدى هذا القرآن، وترشيد حركة المجتمع على هداه، تلك حقيقة ثالثة قائمة على الجزم واليقين، وهي أيضاً الأسس الثالث للعقيدة.

وقد فصلت هذه الحقائق في كتابي نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام، فليرجع إليه من أراد التفصيل.

٤ - الوحدة العضوية بين القرآن والبيان

كما أنه لا غنى للطير عن أحد جناحيه، كذلك لا غنى للمنظومة الحقوقية الإلهية عن أحد جناحيها، فلا غنى للقرآن عن النبي لأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) هو المبين لهذا القرآن، ولا غنى

للنبي عن هذا القرآن لأنه دليل نبوته، وعنوان الرسالة الإلهية إلى بني البشر، والقرآن حافل بآلاف المعاني والمقاصد بوصفه القانون النهائي للجنس البشري، والنبي وحده هو

القادر على معرفة المعنى المحدد للنص المحدد، الذي ينطبق على هذه الواقعة أو تلك. وباستعراضنا لتاريخ الهدايات الإلهية لم نجد أن الله تعالى قد أرسل رسالة بدون رسول، أو أنزل كتابا إلا على عبد، وهذا يؤكد أن النبوة فن واختصاص بأمور البيان، تماما كاختصاص الطبيب بالطب والمهندس بالهندسة... إلخ. وتلك أمور لم يغفلها المشرع الوضعي على قصوره، فما من منظومة حقوقية سائدة، إلا وخصص لها فرد أو جهاز يتولى بيانها للمكلفين.

٥ - الجزم واليقين والظن والتخمين

قد يقول قائل إن القرآن الكريم قد نزل بلسان عربي مبين، وأن بإمكان أي قارئ للعربية أن يفهم القرآن، وأن يستوعب الكثير من معانيه، هذا صحيح ولكن الآية الواحدة مشحونة بالمعاني والمفاهيم والمقاصد، وليس المطلوب أي معنى، أو أي فهم، أو أي مقصد، إنما المطلوب عين المعنى والمفهوم والمقصد الذي عناه الله تعالى بهذه الآية، وخصه بالذات ليحكم هذه الحادثة، أو تلك، في هذا الزمن، أو ذلك.

ففهم أي شخص للنص القرآني هو فهم قائم على الظن والتخمين، فهو يتصور حسب مبلغه من العلم أن هذا الفهم هو المطلوب وهو الحاكم لتلك الحادثة، ولكنه لا يجزم أن هذا هو المقصود الإلهي، وإذا جزم فلا برهان على جزمه.

أما فهم الرسول أو المكلف إلهيا ليقوم مقامه، فهو فهم قائم على الجزم واليقين بأن هذا المعنى أو ذلك هو عين المقصود الإلهي المخصص لحكم هذه الحادثة، أو تلك، في

هذا الزمن، أو ذلك.

والدليل القاطع على صحة الجزم واليقين أن الله اختاره وهياًه وكلفه بالبيان مباشرة، ثم اختار من بعده الإمام، وهو مكلف بأن يكون مرجع الأمة الأوحيد في زمانه، والكاشف الأوحيد عن المقاصد الإلهية الواردة في أحكام المنظومة الحقوقية الإلهية.

٦ - مخاطر الظن والتخمين

يستقيم أمر العباد ما دام المرجع الذي يبين أحكام المنظومة الحقوقية الإلهية بيانا قائما على الجزم واليقين موجودا، ومتاحة أمامه الفرصة لممارسة مهام البيان والقيادة معا، فإذا حيل بين هذا المرجع وبين ممارسة مهامه في البيان والقيادة، فإن حبل المنظومة الحقوقية الإلهية يهتز، ويتعذر عليها أن تقوم بدورها على الوجه الأكمل، لسبب بسيط أنها لا تستطيع أن تحلق بجناح واحد، ولأن استبعاد الإمام المختص ببيان الأحكام بيانا قائما على الجزم واليقين، يعني كسر جناح المنظومة الحقوقية الإلهية، وإجبارها على التحليق بجناح واحد.

عملية استبعاد الإمام المختص إلهيا ببيان الأحكام جريمة، وعملية تعطيل الشريعة الإلهية جريمة أيضا، فإذا جمعوا الجريمتين معا فإن سعيهم سيكشف، ولا يمكن الدفاع عنه، فاستبعاد الإمام المختص إلهيا عملية يمكن تغطيتها بالقول بأن المصلحة اقتضت ذلك، والمصلحة العامة كلمة مطاطة، ويمكن تمريرها على العامة، وقوة الغالب قادرة على قمع الخاصة، أما تعطيل الشريعة فعملية مكشوفة تماما.

ولمعالجة هذه الحالة صار الغالب هو المرجع، وهو المختص ببيان الأحكام، وبما أن الحاكم الغالب غير مؤهل، فإنه يجمع حوله طائفة من العلماء، ويخولهم صلاحية بيان الأحكام، فيخرج كل واحد منهم برأي وفهم، ومعنى، ومقصد، فيختار الحاكم الغالب، الفهم، والمعنى، والمقصد الذي يريد، ويتوغل أصحاب الأفهام في صفوف العامة، ويزعم كل صاحب فهم أن فهمه هو الأصوب، ويستقطب كل صاحب فهم طائفة، ثم تتحول الطوائف إلى أحزاب وشيع، كل حزب بما لديهم فرحون، وتتفرق الأمة داخليا، وتشتت، ويذهب ريحها، وتتحول إلى حقل تجارب لعنعات الأحزاب، ومكر قاداتها، وتخرج طائفة من يسر الجزم واليقين إلى عسر الفرض والتخمين، ومن سعة اليقين إلى ضيق الشك، وتعطل عمليا أحكام المنظومة الحقوقية الإلهية، وتتصور

الأمم الأخرى أن البيان الذي أشاعته المرجعيات البديلة هو عين البيان الإلهي، وبما أن بيان المرجعيات البديلة قائم على الظن والتخمين، تكف الأمم عن بحث الإسلام وعن دراسته.

٧ - الإلحاق والتقول

قلنا إن المنظومة الحقوقية الإلهية جناحا طير واحد، أحد جناحيه القرآن الكريم، وجناحه الآخر بيان النبي لهذا القرآن، بأشكاله الثلاثة: القول، والفعل، والتقدير. وقبل أن ينتقل النبي إلى جوار ربه أعلن للملأ الجهة المخولة بالبيان، وهم عترته أهل بيته، وبالتحديد الأئمة المعصومون من هذه العترة، فعميد أهل البيت المهيا إلهيا هو المخول بالبيان، والقيادة السياسية معا.

وبسبب نظام التغلب أقصيت عمادة البيت الطاهر رسميا عن الحكم، والمرجعية، والبيان، وأسندت هذه المهام إلى الغالب ومن والاه، فألحقوا العرف، والإجماع، والقياس، والمصالح المرسلة، بالمنظومة الحقوقية الإلهية، وتقولوا على الله، بأنها جزء من منظومته، مع أن هذه المنظومة إذا أقرت عرفا من الأعراف بعد تهذيبه، فإن العرف لا يستمد شرعيته من ذاته، بل يستمد الشرعية والانتماء من المنظومة الحقوقية الإلهية، والإجماع بجوهره عندهم هو إيجاد حكم لحادثة لا حكم لها، وغير وارد أن يكون الإجماع ضد حكم، فكيف نوفق بين هذه التصورات وبين التأكيدات الإلهية بأن الله تعالى قد نزل القرآن تبيانا لكل شيء؟ (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء) آية ٨٩ النمل (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) آية ٤٤ النمل (وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه) آية ٦٤ النمل، بل كيف نوفق بين هذه التصورات،

وبين الإعلان عن كمال الدين، وتمام النعمة الإلهية؟ (اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي) آية ٣ المائدة.

السبب في هذه الإلحاقات والتقوليات يكمن في إصرار الحاكم الغالب في كل زمان على استبعاد الإمام المخول إلهيا بالبيان، القائم على الجزم واليقين، وإصرار هذا الغالب

بأنه القائم مقام النبي بالبيان مع أنه غير مخول بذلك، ولا هو معد إلهيا ليقوم مقام النبي بمهمة بيان القرآن!!

ولو أتاحت الفرصة للإمام الشرعي المعد إلهيا والمخصص لبيان القرآن، لوجد العباد حكم كل شئ في القرآن الكريم، ولكشف لهم هذا الإمام عن الأحكام الشرعية كشفا قائما على الجزم واليقين، ولكن الغالب نحى الإمام عن مهمته، وحاول أن يقوم مقام الإمام فعجز، ولكنه يخفي عجزه.

٨ - تفعيل المنظومة الحقوقية الإلهية في عهد النبوة

بمعنى كيف تعمل المنظومة الحقوقية الإلهية في عهده النبوة؟ كيف تقوم بترشيد حركة المجتمع السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والعقائدية، والدولية، وفق أحكامها؟ كيف تنقلها من عالم النص إلى عالم التطبيق سواء في عهد النبوة، أو بعد عهد النبوة؟ هذا عين ما قصدناه بمصطلح التفعيل.

إن المطلوب هو إحلال الترتيبات الإلهية لإدارة وترشيد حركة المجتمع محل الترتيبات الوضعية، بمعنى أن عقيدة وضعية فاسدة تحكم هذا المجتمع أو ذلك، ونتيجة تحكم هذه العقيدة، ونتيجة لترتيباتها تردت حالة هذا المجتمع أو ذلك، وتعذر تغييرها، وإنقاذ المجتمع بدون إلغاء هذه العقيدة الوضعية الفاسدة وإحلال العقيدة الإلهية محلها،

على اعتبار أن العقيدة الإلهية هي خطة الإنقاذ الإلهي للمجتمع.

٩ - الترتيبات الإلهية والترتيبات الوضعية

الترتيبات الإلهية خطوط عريضة، وتفصيلية يضعها الله نفسه لإدارة وترشيد حركة مجتمع الإيمان، وهي ترتيبات قائمة على الجزم واليقين، يشرف على توضيحها وبيانها وتنفيذها رجل مرتبط ارتباطا وثيقا بالله تعالى، بحيث يكون بيانه وتوضيحه للترتيبات الإلهية هو عين المقصود الإلهي لا زيادة ولا نقصان، ويكون تنفيذه للخطة الإلهية على العموم وبالتفصيل هو عين المشيئة الإلهية بالتنفيذ لا زيادة ولا نقصان،

وهذا يستدعي أن يكون هذا الرجل هو الأفهم والأعلم بالترتيبات الإلهية، وأفضل الموجودين، وأصلحهم للقيادة والمرجعية معا، وتلك صفات موضوعية خفية لا يعلمها إلا الله تعالى، ومن هنا اختص جلت قدرته بتحديد هذا الرجل، وتكليفه بقيادة خطة الإنقاذ الإلهي، أو وضع الترتيبات الإلهية موضع التنفيذ. بينما الترتيبات الوضعية هي مجرد تصورات ظنية يضعها فرد، أو شلة، أو فئة، ويقدمونها للناس على أساس أنها خطة إنقاذ، أو منهج إدارة وترشيد لحركة المجتمع، ويفرضونها على المجتمع بالحديد وبالنار، ويشرف على تنفيذها رجل لا برهان معه، ولا سند له من الشرعية، سوى أنه الغالب. فهو الذي يبين التصورات الظنية، وهو الذي ينفذها، تدعمه فئة تتقاسم وإياه المنفعة، ويتنعمون معا، بينما يشقى السواد الأعظم.

١٠ - أركان الترتيبات الإلهية

خطة الإصلاح الإلهي، أو المنظومة الحقوقية الإلهية، أو الترتيبات الإلهية لإنقاذ هذا المجتمع أو ذاك، تتكون من ثلاثة أركان:

الركن الأول: قيادة سياسية ومرجعية معا: وهي تتكون من نبي مرسل يتولى بيان الخطة الإلهية، أو توضيح التعليمات الإلهية توضيحا قائما على الجزم واليقين، ونقل هذه التعليمات الإلهية إلى واقع حي، وحركات ملموسة، فهو المرجع اليقيني الأوحد لكل ما يتعلق بالخطة الإلهية، أو مجموعة قواعد المنظومة الحقوقية الإلهية، فلا مرجع سواه، وإن تعددت المراجع بأمره فقوله هو الفصل، فهو المهيمن عليها، وهو الموجه لها، تصدر نهائيا عن حكمه، وتسلم بيقينية هذا الحكم، وبنفس الوقت هو القيادة السياسية، يقود بنفسه، ويستعين بغيره. وقوله وفعله وتقريره هو جزء من المنظومة الحقوقية، يقرأ معها، وتفهم به.

الركن الثاني: منظومة حقوقية إلهية: وهي كتاب الله المنزل من عند الله باللفظ والمعنى، مع ما يستتبعه من تفضل إلهي بالتوضيح، وهذا الكتاب هو بمثابة خطة إلهية

لإنقاذ وإصلاح المجتمع، أو بمثابة تعليمات إلهية لنقل المجتمع من حالته الراهنة إلى الحالة

التي يريدّها الله، أو إن شئت فقل: إنها مجموعة القواعد الحقوقية الإلهية التي ترشد حركة الانتقال من المجتمع المتخلف إلى المجتمع المتطور، وهي بذاتها القواعد التي ستحكم حركة المجتمع بعد نقله إلى مستوى التصور اليقيني الوارد في نصوص وروح المنظومة الإلهية، ويمكنك القول: إنها مجموعة القوانين الإلهية الجاهزة للتنفيذ.

الركن الثالث: أمة من الناس: تقبل بالقيادة والمرجعية معا، وتواليها، وبنفس الوقت تقبل بالمنظومة الحقوقية الإلهية كقانون نافذ يحكم الحوادث، والعلاقات والحقوق. فإذا قبلت هذه الأمة بالمنظومة الحقوقية وحدها، ورفضت القيادة والمرجعية، فإنها تكون قد رفضت الترتيبات الإلهية ضمنا، وإذا قبلت الأمة المرجعية والقيادة السياسية ورفضت المنظومة الحقوقية الإلهية، فإنها تكون ضمنا قد رفضت الترتيبات الإلهية.

١١ - القبول المقبول

القبول الوحيد المقبول والمنتج هو أن تأخذ الأمة بالاثنتين معا:

- ١ - توالي المرجعية والقيادة السياسية، ولا تتولى غيرهما.
- ٢ - تقبل بالمنظومة الحقوقية الإلهية، كما تفسرها المرجعية والقيادة السياسية المعنية من الله تعالى، والمختصة بالبيان والقيادة.

وبغير ذلك فإن الترتيبات الإلهية ستزول عاجلا أم آجلا، وترتفع البركة والألفة، وينقسم الناس إلى شيع يذوق بعضهم بأس بعض، ويعود المجتمع إلى الوراء، ثم يحل به الدمار!

وقبل أن ينتقل (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى جوار ربه بلغ العامة والخاصة: أن علي بن أبي طالب هو

بعينه ولي المؤمنين من بعده، وبين اثني عشر إماما يتولون الإمامة من بعده إماما بعد إمام، كل إمام يعين بنص من سبقه عليه. ويلاحظ أن عميد أهل البيت الكرام في كل

زمان هو إمام الأمة، وهذا يفسر ربط القرآن وأهل البيت معا، فهما الثقلان، والهداية لا تدرك إلا بهما معا، والضلالة لا يمكن تجنبها إلا بهما معا.

١٢ - الترتيبات الوضعية

لا تختلف من حيث الشكل عن الترتيبات الإلهية فهي تتكون أيضا من ثلاثة أركان:
١ - قائد سياسي ومرجع، وهو الغالب، يعين نفسه، أو تعينه الفئة المستفيدة من وجوده.

٢ - منظومة حقوقية من صنع الغالب وبطانته.

٣ - أمة مغلوبة على أمرها، أو مدلس عليها، تقبل بالقائد السياسي، والمرجع الغالب وبالمنظومة الحقوقية الوضعية التي يضعها هذا الغالب، بنفسه أو بواسطة غيره، ويبينها ويفسرهما وينفذها على الوجه الذي يريد، بنفسه أو بواسطة غيره.

١٣ - الترتيبات المركبة وأركانها

وهي ثمرة الخلط الجبري بين الترتيبات الإلهية والترتيبات الوضعية، وتتم عملية الخلط جبريا بواسطة قوة متغلبة يتعذر عليها أن تتجاهل كل الترتيبات الإلهية، وبنفس الوقت لا تتحقق أهدافها بإعمال كامل الترتيبات الإلهية، أو أنها ترى أن الترتيبات الإلهية لم تعد مناسبة، وأن الأفضل إجراء تعديل جوهري عليها. ومن هنا ابتدعت فكرة الترتيبات المعدلة، أو المركبة، فصارت الترتيبات الجديدة، لا هي إلهية، ولا هي وضعية، إنما هي ترتيبات مركبة.

الركن الأول في الترتيبات المركبة: حسبنا كتاب الله: بمعنى أن التمسك بكتاب الله وحده كمنظومة حقوقية وكقانون نافذ يجزي وحده، ويغني عن سواه، وقد سادت هذه المقولة والنبي على فراش الموت، ثم كتبت لها الغلبة بعد أن انتقل (صلى الله عليه وآله وسلم)

إلى جوار ربه، وهذه واقعة ثابتة وقد سقنا الأدلة القاطعة على وقوعها في هذا البحث، وفي كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام.

الركن الثاني: الأمة هي وحدها المختصة بتعيين القيادة السياسية والمرجعية، وليس الله: بمعنى أن الأمة هي وحدها المخولة باختيار الشخص الذي يتولى المرجعية، أي بيان القرآن والقيادة السياسية معا.

ويقول رواد هذه النظرية إن الله تعالى خلق على الناس أمرهم، وترك هذه الأمور للأمة لتختار وفق مشيئتها، وحسب قواعد الشورى، من تراه، ولئن سألتهم أين هي قواعد الشورى التي تحكم عملية الاختيار؟ لأجابوك على الفور: تلك قواعد جاءت من إجماع الأمة، ومن فعل الحكام الصالحين.

والخلاصة: أن عملية اختيار المرجعية والقيادة شأن خاص بالأمة ولا علاقة لأي كان به، بمعنى أن القواعد التي تحكم اختيار الشخص الذي يتولى البيان والمرجعية والقيادة السياسية، هي في أصلها وجوهرها قواعد وضعية، وضعتها الأمة بالاستناد إلى مبدأ الإجماع، وتحت مظلة مبدأ الشورى، وسأقوم بتوثيق ذلك، ويمكن لمن أراد الوقوف على تفصيل ذلك مراجعة مباحث هذا الكتاب، ومراجعة كتابنا النظام السياسي في الإسلام، ونظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام، وكتابنا مرتكزات الفكر السياسي.

الركن الثالث: الغلبة والتغلب والغالب: المنظومة الحقوقية الإلهية لا يمكن تطبيقها بدون مرجعية تتولى مهمة البيان، وبدون قيادة سياسية تعمل على ترشيد حركة المجتمع وفق قواعد هذه المنظومة، وقد تعثرت فكرة الشورى حتى في سقيفة بني ساعدة، وتعذر تطبيقها عمليا وسياسيا، فالحل الأمثل بنظر رواد التاريخ هو إفساح المجال أمام فارس قوي مسلم، يقهر كل خصومه، ويغلبهم، ويجمع الأمة تحت إمرته، ويأخذ باللين، أو بمنتهى الشدة، كل خارج على حكمة، وكل مشكك بشرعية وجوده، باعتبار أن هذا الفارس هو رمز وحدة الأمة، وباعتبار أن الخارج على هذا الفارس والمشكك بشرعية حكمه، خارج على وحدة الأمة، متمرد على القضاء الإلهي، على حد تعبير معاوية بن أبي سفيان. ومن هنا صارت الغلبة سببا شرعيا مكسبا للحكم، وسنوثق ذلك.

الركن الرابع: العهد: اكتشف الخلفاء الحكام أن موت الحاكم، وترك الأمة دون بيان من يخلفه، مفسدة حقيقية، وليس من مصلحة الأمة أن يتركوها هملاً لا راعي لها، فضلاً عن ذلك فإن المصارعة بين الفرسان الأقوياء عمل يؤدي لعدم الاستقرار، وإلى إراقة الدماء، فمن هنا نشأت فكرة ولاية العهد، فالخليفة الحاكم يعهد لمن يليه، وتستمر عملية العهد حتى يأتي فارس فيغلب الغالب ويحل محله، ثم يعهد لابنه أو أخيه أو صديقه.

والجدير بالذكر أن هنالك إجماعاً بين رواد هذه النظرية بأن الرسول لم يعهد لأحد، وأنه ترك أمته ولا راعي لها! فجاء الخلفاء وتداركوا هذه الناحية، وسدوا هذا الفراغ! الركن الخامس: الغالب كائناً من كان: فهو القائم مقام النبي والمتمتع بكامل صلاحياته، إلا أنه لا يوحى إليه. فالغالب هو الذي يبين القرآن، أو يعين من بينه، وهو مرجع الأمة، أو يعين لها المرجع الذي يمارس أعمال المرجعية تحت إشرافه، وهو قائدها السياسي، ورمز وحدتها، وهو ينظر في أمورها حال حياته، وتبع ذلك أن ينظر لها حال وفاته، فيعين لها من يقوم مقامه بعد وفاته، على حد تعبير ابن خلدون. وقد هيمنت هذه الترتيبات المركبة، وسادت الحياة السياسية من بعيد وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى سقوط آخر سلاطين بني عثمان، باستثناء فترة محددة لا تتجاوز سنينها عدد أصابع اليدين. **

الفصل الثاني

تخريب النظام السياسي الإسلامي

يتميز النظام السياسي الإسلامي عن غيره من الأنظمة بخمسة عناصر يختص بها:

- ١ - وجود الإمام أو رئيس الدولة وهو القدوة.
 - ٢ - طريقة تعيين وتنصيب هذا الإمام أو الرئيس.
 - ٣ - طبيعة فهم الإمام للمنظومة الحقوقية الإلهية.
 - ٤ - قيادة الإمام للدولة المدعومة بدعوة.
 - ٥ - استمرارية الدعوة والدولة بعمر الحياة الإنسانية.
- ١ - الإمام الأمثل ورئيس الدولة الأعظم
الإمام الأمثل والرئيس الأعظم هو خاتم النبيين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهو المؤمن الأول،
والإمام الأول، والرئيس الأول، وهو القدوة، والنموذج، وهو رائد عملية إصلاح العالم ،
وانقاذ الجنس البشري، وهو قائد الدعوة الإسلامية الأولى، ورئيس أول دولة إسلامية، وقد أعلن على رؤوس الأشهاد أنه خاتم الأنبياء، فلا نبي بعده، وأنه آخر الرسل، وأن دينه هو آخر الأديان السماوية.
- ٢ - طبيعة الدين الإسلامي خطة
الدين الإسلامي بمجمله: ما هو إلا منظومة حقوقية كاملة، تنظم الحياتين الدنيا والآخرة. وترشد وتدير حركة الأفراد، والأسر، والمجتمعات، والدول، والعالم، والكون المسخر لخدمة العالم الإنساني.

وتقريباً للذهن نقول: إن الدين الإسلامي بجوهره وحقيقته ما هو إلا خطة إلهية، لإنقاذ العالم، وانسجام متناقضاته، وهو خطة نهائية، بمعنى أنه لن تأتي خطة إلهية سواها، وهي من صنع الله، بمعنى أنها خطة كاملة ومنزهة تماماً عن النقص، وهي بنفس الوقت بسيطة يفهمها العقل البشري، وتستسيغها الفطرة الإنسانية.

٣ - لوازم نجاح الخطة

إنجاح الخطة الإلهية وفق نواميس الابتلاء الإلهي يحتاج إلى: منظر ومنفذ لهذه الخطة من جنس المكلفين (بشر).

إلى دعوة للتبشير بالخطة.

إلى دولة لتحمي الدعوة، وتكون النموذج الأمثل لنجاح الخطة.

٤ - من يختار المنظر والمنفذ

لو أن الله تعالى استفتانا وهو الغني، وسألنا: من تقترحون منظراً ومنفذاً وقائداً للدعوة وللدولة؟ لأجبناه بتجرد: يا إلهنا عين لنا الأفهم والأعلم بالمنظومة الحقوقية الإلهية، أو بخطة الإنقاذ الإلهي، وأصلحنا وأفضلنا.

لو أن العناية الإلهية سألت على سبيل المساواة، وإمعانا بإقامة الحججة: فمن تعتقدون أنه الأعلم والأفهم بالمنظومة الحقوقية الإلهية، ومن هو أصلحكم وأفضلكم يا عبادي؟

إذا لم نلتزم بقواعد الأدب وبالموضوعية، فسنتقترح عليه آلاف الأشخاص، وننقسم إلى فرق، وكل فريق يقدم صاحبه على أساس أنه الأفضل والأصلح من بيننا، والأفهم والأعلم بالمنظومة الحقوقية، مع أن المطلوب شخص واحد وليس آلاف.

أما إذا التزمنا بالموضوعية وبالأدب والحق والحقيقة فسنجيبه بصوت واحد: يا ربنا يا أيها اللطيف، أنت خالقنا، وأنت علام الغيوب، الخطة خطتك، والمنظومة منظومتك، ونحن عبادك، خلقتنا وتعلم حقيقة كل واحد منا، فقدم أنت لنا الأفهم والأعلم والأصلح والأفضل.

٥ - رئاسة الدولة في الإسلام قدر مشترك
بمعنى أن الله وحده هو الذي يعلم علما يقينيا من هو الأعلم والأفهم بالمنظومة
الحقوقية الإلهية المراد تبليغها للناس وتطبيقها عليهم، وهو وحده الذي يعلم علما
يقينيا من هو الأفضل والأفضل بين هؤلاء الناس، ليكون قائدا لهم، وطالما أن الله
وحده هو الذي يعلم ذلك علم اليقين، وحيث أن غاية الأعلم والأفهم والأفضل
والأصلح هو غاية المحكومين ومقصدهم، فيعني ذلك أن مقصد المخلوق والخالق قد
اتحدا

. عندئذ يعلن الله تعالى هذا الشخص الذي توفرت فيه تلك الشروط، ويكلفه بتنفيذ
الخطة الإلهية، ووضع المنظومة الحقوقية موضع التطبيق. فالله سبحانه وتعالى هو الذي
دلنا على هذا الشخص، وقدمه لنا، وشهد بأن الصفات المطلوبة متوفرة به، وأنه هو
وحده المؤهل بهذه الفترة الزمنية أو تلك لتنفيذ الخطة الإلهية، أو وضع المنظومة
الحقوقية الإلهية موضع التطبيق.

الله سبحانه وتعالى دل الأمة وأرشدنا إلى الأعلم والأفهم بالمنظومة الحقوقية
الإلهية، وإلى الأفضل والأصلح، وتلك هي غاية الأمة، عندئذ تقبل الأمة بالتكليف
الإلهي، وتصدق، وتباشر بمبايعة هذا الشخص، والتعاقد معه، على أن يعمل
الفريقان - الإمام والأمة - لتنفيذ الخطة الإلهية، وتطبيق المنظومة الحقوقية الإلهية
تحت

إشراف، وقيادة، وتوجيه الإمام المعين إلهيا، والمصادق على تعيينه شعبيا.
والإمام إمام لأن الله تعالى كلفه بالإمامة، وخوله تنفيذ الخطة الإلهية، وتطبيق
المنظومة الحقوقية، لكن الخطة لا تنفذ وفق قواعد الابتلاء الإلهي إلا ببشر، ولا تطبق
المنظومة الإلهية إلا ببشر وعلى بشر، فعندما تمت البيعة تحققت إمكانية التطبيق
والتنفيذ، فالإمام وحده بدون فئة بشرية مؤمنة يتعذر عليه تنفيذ الخطة وتطبيق
المنظومة، الإمام يد والأمة يد آخر. الأمة المؤمنة جند الله، والإمام هو القائد العام
لجند الله في هذه المنطقة أو تلك، لنفترض أن الإمام لم يجد أمة تبايعه، وتتعاون معه،

وتسير تحت إمرته، أو أنه لم يتمكن من إقناع أمة بذلك، فمعنى ذلك أن مشروع الإنقاذ الإلهي قد أجهض!

والخلاصة أن الإمامة أو رئاسة الدولة هي قدر مشترك بين الله تعالى وبين الأمة، فالله تعالى يعين الأعلم والأفهم، والأصلح والأفضل، ويعلن ذلك للأمة، والتعيين والاختيار قد يكون من الله تعالى مباشرة كتعيينه واختياره للنبي، أو غير مباشرة، فيكلف النبي بأن يعين هذا أو ذاك إماما من بعده، ودور الأمة هو القبول والمبايعة كحالة من التعاقد على تنفيذ الخطة الإلهية للإنقاذ، وتطبيق المنظومة الحقوقية الإلهية.

٦ - الثمرة والنتيجة

إذا أطاعت الأمة ربها ونبيها، وقبلت بالتعيين الإلهي، وأقبلت على البيعة تؤجر في الآخرة، وتسود في الدنيا وتسعد، وإن امتنعت الأمة وبايعت غيره تؤثم في الآخرة، وتشقى في الدنيا، وتتحول إلى حقل تجارب للغالبيين، ويتحكم بها الغالب كائنا من كان، وتنقسم إلى شيع وأحزاب يذوق بعضها بأس بعض، وتبقى في شقاء دائم حتى تعود للترتيبات الإلهية.

٧ - من هو الإمام بعد النبي

لقد قاد النبي الأعظم الدعوة الإسلامية وسط ظروف محلية وعالمية بالغة العسر والشدة، ونجح بعد عذاب نجاحا ساحقا، ثم حول الدعوة إلى دولة، ونفذ خطة الإنقاذ الإلهي، وطبق المنظومة الحقوقية الإلهية، وبلغها للناس كاملة غير منقوصة، وأعلن الله جلته قدرته كمال الدين وتمام النعمة، وأعلن النبي أنه خير فاختار ما عند الله، وأنه سيمرض، وأنه سيقبض في مرضه، ولخص الموقف لمن حوله بصيغ في غاية الإيجاز حتى لا ينسوا، وبلغها لهم فرادى ومجتمعين في الإقامة والسفر، وفي الليل وفي النهار، لأنه مشفق وناصح، وعلى علم بما يتربص بهذه الأمة، لهذا حرص أن يبين لهم كل شيء على الإطلاق، عسى أن تنتقل الأمور انتقالا سلميا بعد وفاته، وأن تأخذ طابع الدوام والمؤسسية، فلا يختلف اثنان.

لقد تقلب على كرسي الخلافة المئات، ولم يدع أي واحد منهم قبل الجلوس على هذا الكرسي أن الله أو رسوله قد عهدا إليه بالخلافة أو الإمامة أو الوصاية أو الولاية على المؤمنين من بعده، كان المتغلب على هذا الكرسي يدافع عن شرعية جلوسه على الكرسي بأدلة عقلية أهمها أنه الغالب، وأن هذا قضاء الله على حد تعبير معاوية. الوحيد الذي ادعى أنه ولي المؤمنين من بعد النبي، وإمام المسلمين، ووصي سيد المرسلين، وخليفة الرسول، ووصيه، والمؤهل الوحيد لقيادة مسيرة الإيمان كان هو علي بن طالب (عليه السلام) بصفته الشخصية، وبصفته عميد أهل بيت النبوة. روى الترمذي، ومسلم، والدارمي، وهم من أصحاب الصحاح الستة عند أهل السنة، وأحمد في مسنده، والبيهقي في سننه، والحاكم في مستدركه، والنسائي في خصائصه، وابن سعد في طبقاته، والخطيب في تاريخه، وأبو نعيم في حليته، والهيثمي في مجمعه... إلخ. أن رسول الله قد أبلغ المسلمين قبل رحيله (إني تارك فيكم اثنين ما إن تمسكنم بهما لن تضلوا بعدي أبدا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي) وعلي (عليه السلام) هو عميد

أهل البيت الكرام بلا منازع، وباعتراف القريب والبعيد، وحديث الثقلين من أصحاب الأحاديث وأكثرها تواترا، نقلته الأمة جيلا بعد جيل.

وفي حوار لي مع وزير الأوقاف الأردني على صفحة جريدة اللواء الأردنية سقت ١٨٥ مرجعا من عيون مراجع أهل السنة روت هذا الحديث، وخرجت بصحته وتواتره، منها: الترمذي مجلد ٣ صفحة ١٩٩، وكنز العمال مجلد ١ صفحة ٤٨، وصحيح مسلم - باب فضائل علي، وسنن الدارمي مجلد ٢ صفحة ٤٣١، وسنن البيهقي

مجلد ٢ صفحة ١٤٨، ومجلد ٧ صفحة ٣٠ من مشكل الآثار للطحاوي، وخصائص النسائي مجلد ٣ صفحة ١٠٩، وتاريخ بغداد للخطيب مجلد ٨ صفحة ٤٤٢، وحلية الأولياء مجلد ١ صفحة ٣٥٥، ومجمع الزوائد مجلد ٩ صفحة ١٦٣ - ١٦٤... إلخ. وادعاء الإمام لا ينافي العقل، فهو عميد أهل بيت النبوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وهو فارس الإسلام بغير منازع، وهو زوج البتول الطاهرة،

ووالد السبطين، وهو ابن عم النبي، ومن تربى في كنفه وعلى يديه، وهو ابن أبي طالب حامي دعوة الإسلام ونبي الإسلام، وهو ابن عميد الهاشميين الذين حاصرتهم العرب في شعب أبي طالب ثلاث سنين حتى أكلوا ورق الشجر من الجوع، وهو رباني هذه الأمة من بعد النبي، فكل علم بعد النبي دون علمه. وهو الصديق الأكبر، والفاروق الأعظم، فما هو العيب في ادعائه أنه الولي والوصي والإمام وأمير المؤمنين والخليفة من بعد النبي؟!

نقول: إن الصحابة كلهم عدول لا يجوز عليهم تعمد الكذب، فإن عليا هو سيد الصحابة فلماذا لا نصدقه؟!

لم يدع أحد ما ادعاه الإمام علي!! المانع الوحيد من تصديق ما قاله الإمام هو معارضة الواقع، فالواقع دائما هو الشرعية في نظر البعض، وما يعارض هذا باطل صراح!!!

٨ - النبي يخلع ألقاب الخليفة على علي

الخليفة هو ولي المؤمنين، وقد أعلن النبي وقال لعلي (أنت ولي كل مؤمن بعدي) مسند الطيالسي مجلد ١١ صفحة ٣٦٠، والرياض النضرة مجلد ٢ صفحة ٢٠٣،

وتاريخ

بغداد للخطيب مجلد ٤ صفحة ٢٣٩، وكنز العمال مجلد ١٥ صفحة ١١٤، ومجلد ١٢

صفحة ٢٢١، وصحيح الترمذي مجلد ١٣ صفحة ١٦٥ ومسند أحمد مجلد ٤ صفحة ٤٣٧

، ومستدرک الحاكم مجلد ٣ صفحة ١١٠، وخصائص النسائي صفحة ١٦ و ٢٩، وولية

الأولياء مجلد ٦ صفحة ٢٩٤

وأعلن النبي ولاية علي لأفراد ومجموعات، ثم لجمع يزيد على مائة ألف نسمة يوم غدیر خم، وهنأه الأصحاب بالولاية وعلى رأسهم عمر بن الخطاب (رضي الله عنه).

راجع

شواهد التنزيل مجلد ١ صفحة ١٥٧، ومسند أحمد مجلد ٢ صفحة ٢٨١، وسنن ابن ماجة - باب فضائل علي، والرياض النضرة مجلد ٢ صفحة ١٦٩

وقد صرح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن عليا هو الخليفة من بعد النبي،
وفي كتابينا: النظام

السياسي في الإسلام، ونظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام وثقنا
ذلك، فليرجع إليهما من شاء، وحديث الدار من أصح الآثار.

وقد أعلن الرسول: أن الإمام وأمير المؤمنين من بعده هو علي بن أبي طالب، وقد
وثقنا ذلك في كتابينا آنفي الذكر، ويمكنك مراجعة تلك التوثيقات أيضا في معالم
المدرستين، للعلامة العسكري، والنص والاجتهاد للعلامة شرف الدين العاملي.

وكل الصحابة كانوا يعرفون أن عليا هو وصي النبي. راجع مجمع الزوائد للهيثمي
مجلد ٩ صفحة ١١٣، ومجلد ٨ صفحة ٢٥٣، وكنز العمال حديث ١١٦٣ و
١١٩٢،

وحلية الأولياء مجلد ١ صفحة ٦٣، وتاريخ ابن عساكر مجلد ٢ صفحة ٤٨٦، وشرح
النهج مجلد ١ صفحة ٤٥٠، وتاريخ ابن عساكر مجلد ٣ صفحة ٥، والرياض النضرة
مجلد ٢ صفحة ١٧٨، ووقعة صفين صفحة ١٢٧ - ١٢٨، وتاريخ اليعقوبي مجلد ٢
صفحة ١٧٨، وصفين صفحة ١١٨ - ١١٩، ومروج الذهب للمسعودي مجلد ٣
صفحة

١١، ومناقب الخوارزمي صفحة ١٢٥ و ١٢٣، وشرح النهج مجلد ٢ صفحة ٢٨،
وتاريخ
اليعقوبي مجلد ٢ صفحة ١٩٢، والمستدرک للحاكم مجلد ٣ صفحة ١٧٢، وذخائر
العقبى

صفحة ١٣٨، والتنبيه والإشراف للمسعودي صفحة ٢٩٣، وتاريخ ابن الأثير مجلد ٥
صفحة ١٣٩، والموفقيات للزبير بن بكار صفحة ٥٩١ - ٥٩٨ و صفحة ٥٧٥، وشرح
النهج مجلد ١ صفحة ١٣... إلخ.

قال (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى
إلا أنه ليس بعدي

نبي). راجع صحيح البخاري مجلد ٣ صفحة ٥٨، وصحيح مسلم الحديث ٣٢،
ومسند

الطيالسي مجلد ١ صفحة ٢٩، وحلية الأولياء مجلد ٧ صفحة ١٩٥، ومسند أحمد
مجلد ١

صفحة ١٧٣، وتاريخ بغداد للخطيب مجلد ١١ صفحة ٤٣٢، وخصائص النسائي ٨٥
و ١٦، وطبقات ابن سعد مجلد ٣ / ١٠ / ١٥

والخلاصة: أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يترك أمته ولا راعي لها كما أشيع، إنما أعلنه خليفة من بعده، وناداه بالخلافة، وأعلنه إماماً وناداه بالإمامة، وأعلنه ولياً وناداه بالولاية، وأعلنه أميراً للمؤمنين وناداه بالإمارة، وأعلنه سيداً للعرب وناداه بالسيادة. تلك حقائق وثقتها في كتابي نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام، وأشرت لها في كتابي: النظام السياسي في الإسلام، ومرتكزات الفكر السياسي، فليرجع إليها من أراد التفصيل.

٩ - النبي يعين اثني عشر إماماً

لم يكتب الرسول بذلك، بل بين اثني عشر إماماً، وسماهم، وبين أن كل إمام يعلن عنه بنص ممن سبقه، وإلى هذا العدد أشار البخاري في صحيحه مجلد ٩ صفحة ٧٢٩ الحديث ٢٠٣٤، ومسلم في صحيحه مجلد ٣ صفحة ١٤٥٢ كتاب الإمارة، والترمذي

في صحيحه مجلد ٤ صفحة ٥٠١، وأبو داود في صحيحه مجلد ٢ صفحة ٢٠٧ كتاب

المهدي، وأحمد في مسنده مجلد ١ صفحة ٣٩٨، والمتقي الهندي في كنزه مجلد ٦ صفحة ٢٠١

ولا خلاف بين أئمة أهل البيت حول هذا العدد أو حقيقته، والخلاف منحصر في تأويل أهل السنة لهذا العدد، ومحاولتهم غير المجدية لتفصيله على الواقع، بعد أن حاولت بطون قريش منع النبي من إعلانه في حياته وشوشت عليه في خطبته في حجة الوداع وقالوا إنه قال اثني عشر إماماً من قريش، ولم يقل من أهل بيتي!

١٠ - أخذ الرسول البيعة بعدم منازعة الأمر أهله

لأن للأمر والولاية أهلها، فقد روى البخاري في كتاب الأحكام، ومسلم في كتاب الإمارة، والنسائي في سننه في كتاب البيعة، وابن ماجه في كتاب الجهاد، وموطأ مالك في كتاب الجهاد، ومسند أحمد مجلد ٥ صفحة ٣١٤ قول بعض الصحابة أنهم بايعوا رسول

الله على السمع والطاعة والعسر واليسر والمنشط والمكره وأن لا ننازع الأمر أهله.

١١ - أهل الأمر مثل نفسه

قال تعالى... (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) آية ٦١ من سورة آل عمران. لما نزلت هذه الآية

دعا رسول الله عليا، وفاطمة، وحسنا، وحسينا، فقال: اللهم هؤلاء أهلي. راجع صحيح مسلم مجلد ٤ صفحة ١٨٧١، وصحيح الترمذي مجلد ٥ صفحة ٢٢٥، ومسند

أحمد مجلد ١ صفحة ١٨٥ والمستدرک للحاكم مجلد ٣ صفحة ١٥، وتلخيص المستدرک

مجلد ٣ صفحة ١٥٠، والكشاف للزمخشري مجلد ١ صفحة ١٩٣، والرازي في تفسيره

مجلد ٨ صفحة ٨٠

١٢ - شهادة عمر بن الخطاب

قال عمر بن الخطاب في سقيفة بني ساعدة مخاطبا الأنصار: إنه والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم، ولكن العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم، وأولي الأمر منهم، لنا بذلك على من خالفنا من العرب الحجة الظاهرة، والسلطان المبين، من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل، أو متجانف لإثم، أو متورط في هلكة. راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة صفحة ٦

لقد صدق الفاروق، فأهل محمد أولى بمحمد، وأهل محمد الذين هم مثل نفسه علي، وفاطمة، وحسن، وحسين (عليهم السلام)، ولا يوجد في الدنيا من هو أقرب لمحمد منهم.

١٣ - أصحاب المذاهب الأربعة تتلمذوا على يد إمام من أئمة أهل البيت

فقد انقطع أبو حنيفة إلى مجلس الإمام الصادق طوال عامين وهو يقول: لولا الستنان لهلك النعمان. ويقول ابن طلحة الشافعي في مطالب السؤل صفحة ٢١٨: واستفاد من الإمام الصادق جماعة من أعيان الأئمة وأعلامهم مثل مالك بن أنس، وأبو

حنيفة. وقال ابن حجر المكي في الصواعق المحرقة صفحة ٣٠٩: وروى عنه الأئمة الكبار كيحيى بن سعيد، وابن جريح، ومالك، والسفياني، وأبي حنيفة، وقد لقب الإمام بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط.

كذلك فإن سفيان الثوري حضر مجلس الإمام، واستفاد منه. وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن الشافعي من تلاميذ مالك بن أنس، وأحمد بن حنبل من تلاميذ الشافعي، فمعنى ذلك أن الإمام الصادق هو أستاذ أصحاب المذاهب الأربعة التي يتعبد بها أهل السنة.

١٤ - خصوصية من يخلف الرسول

الخلافة من بعد النبي هي عملية فنية من جميع الوجوه، فالإمام هو المبين للقرآن من بعد النبي، ومن المفترض أن يكون الأعلم، والأفهم، والأصلح، والأفضل، والأقدر على بيان القرآن بيانا قائما على الجزم واليقين. ومعرفة من تتوفر فيه هذه الصفات أمر يفوق طاقة المجتمع، وهو اختصاص إلهي، والإمامة بهذا المفهوم الذي لا غنى عنه ركن من أركان سلامة الدين.

قال الإمام الرضا (عليه السلام) (إن الله عز وجل لم يقبض نبيه حتى أكمل الدين، وأنزل القرآن فيه تبيان كل شيء، بين فيه الحلال والحرام، والحدود والأحكام، وجميع ما يحتاج إليه الناس كملا، فقال عز وجل (ما فرطنا في الكتاب من شيء) وأنزل في حجة الوداع (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً). وأمر الإمامة من تمام الدين، ولم يمض رسول الله حتى بين لأمتة معالم دينهم، وأوضح لهم سبلهم، وتركهم على قصد سبيل الحق، وأقام لهم عليا (عليه السلام) علما وإماما،

ما ترك لهم شيئا تحتاج إليه الأمة إلا بينه، فمن زعم أن الله عز وجل لم يكمل دينه فقد رد كتاب الله، ومن رد كتاب الله فهو كافر.

وقال أيضا (هل يعرفون قدر الإمامة، ومحلها من الأمة فيجوز فيها اختيارهم؟ إن الإمامة أجل قدرا، وأعظم شأنا، وأعلى مكانا، وأمنع جانبا، وأبعد غورا من أن

يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بأرائهم، أو يقيموا إماما باختيارهم!)
(إن الإمامة هي منزلة الأنبياء، وإرث الأوصياء، إن الإمامة خلافة الله وخلافة
الرسول (صلى الله عليه وآله)، ومقام أمير المؤمنين، وميراث الحسن والحسين (عليهما
السلام).

إن الإمامة زين الدين ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، وعز المؤمنين.
إن الإمامة أس الإسلام النامي، وفرعه السامي.
بالإمام تمام الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، وتوفير الفئ
والصدقات، وإمضاء الحدود، والأحكام، ومنع الثغور والأطراف.
والإمام يحل حلال الله، ويحرم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويذب عن دين الله،
ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة البالغة.
وقال (عليه السلام) (الإمام أمين الله في خلقه، وحقته على عباده، وخليفته في بلاده،
الداعي إلى الله، والذاب عن حرم الله) فمن الذي يبلغ معرفة الإمام أو يمكنه اختياره؟
إلى أن قال: رغبوا عن اختيار الله، واختيار رسوله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته إلى
اختيارهم

والقرآن يناديهم. (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة) وقال عز وجل
(وما

كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم)
فكيف

لهم باختيار الإمام؟

والإمام عامل لا يجهل، وراع لا ينكل، معدن القدس والطهارة، والنسك
والزهادة، والعلم والعبادة، مخصوص بدعوة الرسول، ونسل المطهرة البتول، لا
مغمز فيه بنسب، ولا يدانيه ذو حسب، في البيت من قریش، والذروة من هاشم،
والعترة من الرسول (صلى الله عليه وآله)، والرضا من الله عز وجل، شرف الأشراف،
والفرع من عبد

مناف، نامي العلم، كامل الحلم، مضطلع بالإمامة، عالم بالسياسة، مفروض الطاعة،
قائم بأمر الله عز وجل، ناصح لعباد الله، حافظ لدين الله...). راجع كتاب التشيع
صفحة ٢٤٨ - ٢٥٠ للسيد عبد الله الغريفي.

فهل يعقل من كانت هذه صفاته، وأثره في الدين أن يوكل أمر تعيينه لأهواء
الناس، أو أن يهمل، فلا يشار إليه، ولا يستخلفه النبي، مع عظيم أثره في الدين!!؟

١٥ - والخلاصة

إذا لم يصدق البعض بأن رسول الله قد استخلف شخصا بعينه، وأنه يترك أمته هملا بغير إمام، لأنهم أولوا النصوص تأويلا أخرجها عن معانيها الحقيقية لتتلاءم مع الواقع التاريخي المفروض، إذا لم يصدقوا ذلك فكيف يكذبون حديث الثقلين، وقد رواه جمع يمتنع عقلا اجتماعهم على الكذب؟ وأي أعمال لحديث الثقلين يجعل أهل بيت

النبوة بمثابة هيئة تأسيسية محايدة مهمتها تقديم الإمام الشرعي الذي تتوافر فيه الصفات الموضوعية؟

فإذا ارتاحوا لهذا التأويل المنطقي فليفضل هذا البعض وليدلنا لماذا طورد أهل البيت؟ ولماذا نكل بهم؟ ولماذا أبعادوا عن مسرح الحياة السياسية، وخلت الساحة لأعدائهم؟! ربما كان هذا تطبيق حديث الثقلين حتى تهتدي الأمة ولا تضل!!!
**

الفصل الثالث

تعديل وإلغاء الترتيبات الإلهية

١ - أعمدة الدين وأركانها

قام الدين الإسلامي عقائديا على ثلاثة أعمدة أو أركان:

١ - نبي مرسل لا ينطق عن الهوى، مهمته أن يبين القرآن بيانا قائما على الجزم واليقين، وأن ينفذ الخطة الإلهية للإنقاذ، وأن يتولى تطبيق المنظومة الحقوقية الإلهية، وهو مرجع الأمة وقائدها السياسي، من لحظة إعلان النبوة إلى اللحظة التي تفارق روحه الطاهرة جسده المبارك.

٢ - كتاب الله المنزل من عند الله بلفظه ومعناه، وهو بمثابة الخطة الإلهية للإنقاذ، والمنظومة الحقوقية المراد تطبيقها وتعميمها على الجنس البشري.

٣ - علاقة (عضوية) بين النبي المرسل والكتاب المنزل، وهي علاقة لا تقبل التجزئة أو التقسيم، فالإيمان بأن الكتاب من عند الله، وأن النبي ليس رسول الله كافر، والقول بأن محمدا رسول الله ولكن القرآن ليس من عند الله كافر، ولا يتم الإيمان إلا بالاثنتين معا، ولا يفهم أحدهما إلا بالآخر، فالصلاة وهي عماد الدين جاءت مجملة في القرآن وتولى النبي بيان عددها ومضامين ركعاتها.

٢ - هدم العلاقة العضوية بين النبي المرسل والكتاب المنزل مرض النبي الأعظم، ولا عجب فهو بشر، ولا مفاجأة بمرضه لأنه قد أعلن أمام مائة ألف حاج أو يزيدون أنه يوشك أن يدعى ويوشك أن يجيب، وأن حجته في ذلك العام هي حجة الوداع، ولكنه بالرغم من مرضه ما زال نبيا وما زال رسولا وما زال مرجعا وما زال إماما، وحقه الثابت أن يستمر بممارسة واجبات النبوة والرسالة والمرجعية والإمامة، ولا يملك أحد على الإطلاق أن يحول بينه وبين ممارسة هذه الصلاحيات.

٣ - أبسط حقوق المريض

إن من أبسط حقوق المريض في كل الشرائع البشرية أن يوصي، أن يقول ما يريد قوله، وأن أبسط واجبات عواده أو الجالسين في بيته أن يسمحووا بهذا للمريض وأن يسمعوا أقواله ووصيته، وبعد ذلك لهم الحرية، فإما أن يعملوا بقول هذا المريض أو يهملوه، وينفذوا وصيته أو يتجاهلوه.

٤ - سابقة لا مثل لها في التاريخ البشري

أما أن يتصدى العواد والجالسون في بيت المريض للمريض، ويحولوا بينه وبين أن يقول ما يشاء، ويشوشوا عليه حتى لا يكتب وصيته، ويحولوا بينه وبين الانتفاع ببيته وممارسة حرите ببيته الخاص، فتلك والله سابقة لا مثل لها في التاريخ البشري، وهذه الحادثة فريدة من نوعها!

٥ - هل تعلمون من هو المريض الذي سلب أبسط حقوقه؟

إنه نبي الله ورسوله ومرجع الأمة وقائدها السياسي محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم)،

وتفصيل ذلك أنه أراد أن يلخص الموقف فقال لعواده ومن حضر في مجلسه: قربوا

أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا، فتصدى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) للرسول وقال لا

حاجة لنا بكتابة الكتاب، حسبنا كتاب الله، إن المرض قد اشتد برسول!!! وانقسم الحاضرون إلى قسمين: قسم يقول قربوا يكتب لكم رسول الله، والقسم الآخر يقول حسبنا كتاب الله، إن رسول الله قد اشتد به الوجع، أو إن رسول الله - حاشا له - قد هجر أو يهجر، فاختلفوا وتنازعوا، ولا ينبغي عند النبي تنازع، فغضب النبي بعد أن صدموا خاطره الشريف بقولهم هجر أو يهجر، وقال لهم: قوموا عني ما أنا فيه خير مما أنتم فيه.

٦ - ثبوت هذه الحادثة

تلك واقعة ثابتة تناقلتها الأمة جيلا بعد جيل، ورواها أصحاب الصحاح في صحاحهم، ولا ينكرها أحد، وقد رواها البخاري في سبع صيغ، راجع صحيح بخاري في كتاب المرض في باب قول المريض: قوموا عني مجلد ٧ صفحة ٩ ومجلد ٤ صفحة ٣١

ومجلد ١ صفحة ٣٧ وراجع صحيح مسلم في آخر كتاب الوصية مجلد ٥ صفحة ٧٥ وصحيح مسلم بشرح النووي مجلد ١ صفحة ٩٥ وصحيح مسلم مجلد ٢ صفحة ١٦ ومجلد ٢ صفحة ١٦ ومجلد ١١ صفحة ٩٤ - ٩٥ ومسند الإمام أحمد مجلد ١ صفحة ٣٥٥

ومجلد ٤ صفحة ٣٥٦ حديث ٢٩٩٢ وشرح النهج لابن أبي الحديد مجلد ٦ مجلد ٥١

وتاريخ الطبري مجلد ٢ صفحة ١٩٣ والكامل لابن الأثير مجلد ٢ صفحة ٣٢٠ وراجع

كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام صفحة ٢٨٧ وكتابنا النظام السياسي في الإسلام... إلخ.

٧ - تساؤل

لست أدري كيف يمكن الاعتذار عن هذه الحادثة؟ وكيف يمكن تبريرها؟ وهل أن لهذه الحادثة شبيها في التاريخ البشري كله! إنه لا بديل أمام عشاق التاريخ سوى الإنكار!! ولكن كيف ينكرون الواضحات؟

وما هي مصلحتهم بأن لا يصدقوا، وأن لا يعيدوا النظر في فهمهم للأمور التي أوردت هذه الأمة موارد الردى؟

٨ - ما هي دواعي هذه الحادثة؟

مبررات الذين حالوا بين الرسول وبين قول ما يريد، حالوا بينه وبين كتابة الكتاب الذي أراد: أن المرض قد اشتد برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهم مشفقون أن يجهدوه،

ولكنهم أجهدوه بالجدال والمنازعة بين يديه، والاختلاف بحضرتة أضعاف أضعاف إجهاده في كتابة الكتاب لو قبلوا!

والداعي الظاهري الثاني: أن الرسول قد هجر - حاشا له - ولا ينبغي أن تتاح له الفرصة لتدوين هجره - حاشا له - تلك هي الدواعي الظاهرية للحيلولة بين الرسول وبين كتابة ما أراد، وهذه دواعي ظاهرية لا تستقيم أمام خطورة الحادثة!

ثم كيف نوفق بين مزاعم القوم بأن رسول الله - حاشا له - هجر أو يهجر، وبين التأكيدات الإلهية بأن الرسول لا ينطق عن الهوى؟!!

بل كيف نوفق هذه المزاعم وبين تأكيدات الرسول نفسه أن أكثر ما كان يأتيه جبريل كان يأتيه وهو مريض، كما أكد ذلك ابن سعد في طبقاته!!!

٩ - حادثة مشابهة مرض أبي بكر

جاء في تاريخ الطبري مجلد ٣ صفحة ٤٢٩، وفي صفحة ١٧٦ - ١٧٧ من نظام الحكم

لظافر القاسمي، و صفحة ٣٧ من سيرة عمر لابن الجوزي، ومجلد ٢ صفحة ٨٥ من تاريخ ابن خلدون (أن أبا بكر دعا عثمان خاليا، فقال: أكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين، قال ثم أغمي عليه، فذهب عنه، فكتب عثمان أما بعد: فإني أستخلف عليكم عمر بن الخطاب، ولم آلكم خيرا، ثم أفاق

أبو بكر فقال: إقرأ علي، فقرأ عليه، فكبر أبو بكر وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن أسلمت نفسي في غشيتي، قال: نعم. قال: جزاك الله خيرا عن الإسلام وأهله. وأقرأها أبو بكر (رضي الله عنه)!!

وذكر الطبري قبل ذلك عن عمر، أنه كان جالسا والناس معه، ومعه شديد مولى لأبي بكر، معه الصحيفة التي فيها استخلاف عمر، وعمر يقول: أيها الناس إسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله، إنه يقول: إني لم آلكم نصحا. راجع تاريخ الطبري ط أورا مجلد ١ صفحة ٢١٣٨

١٠ - تحليل مبسط لهذه الحادثة

رسول الله مرض، وأبو بكر مرض، ورسول الله تكلم وهو مريض، وأبو بكر تكلم وهو مريض أيضا، وقد اشتد المرض بأبي بكر حتى أغمي عليه وغشي من شدة المرض، وقد اشتد المرض برسول الله ولم يغم عليه ولم يغش عليه من شدة الوجع، وعمر حضر مرض الاثنين، ولكن عندما أراد رسول الله أن يكتب وأن يتكلم قال عمر: حسبنا كتاب الله، إن الوجع قد اشتد برسول الله أو قال: كما قال أبو حامد الغزالي، استفهموه إن رسول الله يهجر!!!

وعندما أراد أبو بكر أن يتكلم وأن يكتب قال عمر: أيها الناس إسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله إنه يقول: إني لم آلكم نصحا!

هذا رسول الله نبي، وهذا أبو بكر صحابي، رسول الله هو الإمام وهو رئيس الدولة وأبو بكر أيضا هو الإمام ورئيس الدولة من بعد النبي!!

كيف يؤذن (بضم الياء) لأبي بكر (رضي الله عنه) بأن يكتب ما يريد وأن يقول ما يريد وهو

مريض، ويحال بين النبي وبين كتابة ما أراد أو قول ما أراد من ذات الشخص؟! إن هذا لشئ عجاب!!!

أبو بكر (رضي الله عنه) يكتب ويقابل ما كتبه بكل التقدير والاحترام، وينفذ حرفيا ولا يكسر

أحد بنخاطره، وتقوم الاعتراضات على رسول الله إذا أراد أن يكتب، مع أن الذي أراد أن يكتبه رسول الله هو تأمين ضد الضلالة!! إن ذلك من كوارث التاريخ!!!

١١ - حادثة أخرى مشابهة مرض عمر نفسه
طعن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وقال طبيبه: لا أرى أن تمسي فما كنت فاعلا
فافعل،

قال لابنه عبد الله: ناولني الكتف فمحاها، وقال من شدة الوجع: والله لو كان لي ما
طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلاع، وكان رأسه في حجر ابنه عبد الله،
فقال لابنه: ضع خدي بالأرض. فلم يفعل، فلطمه، وقال له: ضع خدي بالأرض لا
أم لك، الويل لعمر ولأم عمر إن لم يغفر الله لعمر. راجع الإمامة والسياسية لابن قتيبة
صفحة ٢١ و ٢٢ والطبقات مجلد ٢ صفحة ٣٦٤، وكتابنا النظام السياسي صفحة
١١٩

وما فوق.

وبالرغم من هذا الوجع الشديد الذي كان يعانيه (رضي الله عنه) فقد أوصى وصيته،
ورتب

أمر الشورى، واطمأن إلى أن عثمان هو الخليفة من بعده، واطمأن أن لا يتسلط هاشمي
على رقاب الناس، وأمر بضرب عنق من خالف هذه التعليمات كما روى البلاذري في
مجلد ٥ صفحة ١٨، وكما جاء في مجلد ٣ صفحة ٢٤٧ من الطبقات لابن سعد.
تلك

حقيقة مسلم بها.

والسؤال: كيف يجوز لعمر (رضي الله عنه) أن يكتب ما يريد، وأن يقول ما يريد، وأن
يوصي بما يريد، وهو على فراش الموت، وقد اشتد به الوجع، وينفذ قوله حرفياً،
ولا يعترض عليه أحد، ولا يحول بينه وبين كتابة ما أراد أحد، ويحال بين الرسول
وبين كتابة ما أراد بحجة أن المرض قد اشتد به، وبحجة أن القرآن وحده يكفي!!
كيف يكفي القرآن والنبى موجود، ولا يكفي القرآن والنبى غائب!!
إن هذا لشيء عجاب، يتعذر فهمه!!

ولقد عالجت هذا الأمر بصور متعددة في كتابي نظرية عدالة الصحابة والمرجعية
السياسية في الإسلام - باب القيادة السياسية، وكذلك في كتاب النظام السياسي
في الإسلام.

١٢ - إخراج النبي من دائرة التأثير على الأحداث
بنجاح الذين حالوا بين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين كتابة الكتاب الذي أراد،

خرج النبي

عمليا من دائرة التأثير على الأحداث تماما، فلو أصر النبي على كتابة الكتاب الذي
أراد لأصر الذين حالوا بينه وبين كتابة ما أراد على أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) -
حاشا له - هجر أو

يهجر، وفي ذلك تهمة تهز العقيدة نفسها من الأعماق، لأن النبي تلقى القرآن من ربه
وتلقى المسلمون القرآن منه، لهذا السبب عدل الرسول عن كتابة الكتاب الذي أراد،
واكتفى بالنصوص الشرعية التي أعلنها للأمة منفردة ومجتمعة.

كانت لحظات حاسمة، حرمت الأمة من تلخيصه للموقف، وصدموها خاطره
الشريف، وواجهوه بكلمة هجر، يهجر - حاشا له - وبمعصيته انهار أكبر ركن من
أركان الشرعية، وعلى أثر هذا الانهيار تهاوت واقعا الترتيبات الإلهية، وفقد تأثيره
على الأحداث المتلاحقة، ودنت منيته، وفارقت الروح الطاهرة الجسد المبارك،
وغرق أهل البيت في أساهم، وانشغلوا في مصابهم، وانطفأت النجوم، وأظلمت الدنيا!
بهذا المناخ تحرك عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وقاد زمام المبادرة، وقام بدور
المؤسس

لعهده ما بعد النبوة بعد أن خرج ظافرا ومنتصرا في مواجهته مع النبي نفسه، حيث
تمكن ومن والاه من أن يحولوا بين النبي وبين كتابة ما أراد!!!
وقد فصلت هذه المأساة في كتابي نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في

الإسلام صفحة ٢٨١

١٣ - لم العجلة يا ابن الخطاب

ها هو النبي يموت حقا، ها هي الملائكة في صعود وهبوط، لتودع الرجل الذي
خلع على الحياة إهابا جديدا، وكشف عن معانيها الإلهية، ولتلقى نظرة الوداع الأخيرة
على الجثمان المقدس، خبر الوفاة ينتشر سريعا في طول البلاد وعرضها، النبأ يصعق

أهل المدينة ويتركهم في ذهول مطبق، الآل الكرام والعترة الطاهرة مشغولة بمصيبتها ذاهلة عن نفسها.

كل شئ رتبته العناية الإلهية، الدين مكتمل، والنعمة تامة، لم العجلة يا سيدي يا بن الخطاب؟ قف بجانب الجثمان الطاهر، وقدم معذرة أي معذرة، قل بملء فيك: استغفر لي يا نبي الله، ها هو الكتف، كلنا آذان صاغية، أكتب لنا الكتاب الذي أردت، الكتاب الذي لن نضل بعده أبدا!!

لم العجلة!!! نودع حبيبنا ونبينا ومولانا، ثم نجلس سوية ومعنا الثقلان كتاب الله وعترة نبيه، ولقد سبقت كلمة الله للذين آمنوا أنهم لن يضلوا إن تمسكوا بالثقلين!!! كل شئ حزين وساكن، لقد ركع الألم كل مسلم، وجمدت كل حركة، إلا ابن الخطاب (رضي الله عنه)، فقد حمل حزنه، واتبعه من والاه، وبدأوا بوضع الترتيبات الجديدة

لعهد ما بعد النبوة.

١٤ - الإشاعة التي تحولت إلى قناعة

في لحظات الألم الماحق تكثر الشائعات، وتروج التقولات، وقد أشيع أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

ترك أمته ولا راعي لها من بعده، وترك دينه، وترك كتاب الله دون مبين، ثم توسعت الإشاعة في ما بعد، فزعمت أن رسول الله لم يجمع حتى القرآن وتركه متفرقا في صدور

الرجال!!

وأمام سرعة انتشار شائعة أن رسول الله ترك أمته بغير راع، نهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وقاد زمام المبادرة، وقام بدور الهيئة التأسيسية لترتيب عهد ما بعد

النبوة، حتى يتدارك إشاعة أن رسول الله ترك أمته بغير راع في هذا الظرف الدقيق، فكان همه منصبا بالدرجة الأولى والأخيرة على تنصيب الراعي الذي يرعى الأمة بعد موت النبي، ومع أن القول بأن رسول الله ترك أمته بدون راع، وترك القرآن بدون جمع وبدون مبين، هذا القول مجرد إشاعة، إلا أنه تحول بفعل وسائل إعلام الدولة إلى قناعة آمنت بها عامة الشعب، وحملت بخيلها ورجلها على من يقول بغيرها.

١٥ - إثبات الإشاعة التي تحولت إلى قناعة
أخرج ابن قتيبة الدينوري في الإمامة والسياسة مجلد ١ صفحة ١٥ قول أبي بكر
(رضي الله عنه)
(إن الله بعث محمدا نبيا وللمؤمنين وليا، فمن الله تعالى بمقامه بين أظهرنا حتى اختار
له

الله ما عنده، فخلى على الناس أمرهم ليختاروا لأنفسهم في مصلحتهم متفقين لا
مختلفين، فاختاروني وليا ولأمورهم راعيا... إلخ.
فأبو بكر يؤكد أن الرسول خلى على الناس أمرهم، أي ترك أمته من بعده بغير
راع، وترك لهم حرية اختيار هذا الراعي في ما بعد.
أخرج أبو نعيم في حلية الأولياء مجلد ١ صفحة ٤٤، ومسلم في صحيحه،
والبخاري في صحيحه، والبيهقي في سننه مجلد ٨ صفحة ١٤٩، وابن الجوزي في
سيرة

عمر، أن ابن عمر قال لأبيه عمر: إن الناس يتحدثون أنك غير مستخلف، ولو كان
لك راعي إبل أو راعي غنم ثم جاء وترك رعيته رأيت أن قد فرط. ورعية الناس أشد
من رعية الإبل والغنم!! ماذا تقول لله عز وجل إذا لقيته ولم تستخلف على عباده؟
قال ابن عمر: فأصابته كآبة، ثم نكس رأسه طويلا، ثم رفع رأسه وقال - أي عمر - :
وأي ذلك أفعل فقد سن لي، إن لم أستخلف فإن رسول الله لم يستخلف، وإن
أستخلف

فقد استخلف أبو بكر.

وأخرج أبو زرعة في كتاب العلل عن ابن عمر كما في الرياض النظرة مجلد ٢ صفحة
٧٤، أن ابن عمر قال: لما طعن عمر قلت: يا أمير المؤمنين لو أجهدت نفسك وأمرت
عليهم رجلا... إلخ. فقال عمر: والذي نفسي بيده لأردنها للذي دفعها إلي أول مرة.
روى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة صفحة ٢٢: إن عمر لما أحس بالموت قال
لابنه عبد الله: إذهب إلى عائشة واقراها السلام، واستأذنها أن أقبر في بيتها مع رسول
الله ومع أبي بكر، فأتاها عبد الله، فأعلمها، فقالت: حبا وكرامة، ثم قالت: يا بني
أبلغ عمر سلامي، وقل له: لا تدع أمة محمد بلا راع، استخلف عليهم، ولا تدعهم

بعدك هملاً، فإنني أخشى عليهم الفتنة، فأتى عبد الله، فأعلمه، فقال عمر ومن تأمرني أن أستخلف؟ لو أدركت... إلخ. راجع أيضا أعلام النساء مجلد ٢ صفحة ٧٨٦ وروى المسعودي في مروج الذهب مجلد ٢ صفحة ٢٥٣، أن عبد الله بن عمر دخل على عمر بن الخطاب وهو يجود بأنفاسه فقال: يا أمير المؤمنين استخلف على أمة محمد،

فإنه لو جاءك راعي إبلك أو غنمك وترك إبله أو غنمه لا راعي لها للمته وقلت له: كيف تركتك أمانتك ضائعة؟ فكيف يا أمير المؤمنين بأمة محمد؟ فأجابه عمر: إن أدع فقد ودع من هو خير مني، وإن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني. جاء في تاريخ الطبري مجلد ٤ صفحة ٥٣، وفي العقد الفريد مجلد ٢ صفحة ٢٥٤ أن أبا بكر قال في مرضه الذي توفي منه: وددت أني سألت رسول الله لمن هذا الأمر فلا ينازعه أحد؟ ووددت أني كنت سألته هل للأنصار في هذا الأمر نصيب؟ وأخرج البلاذري في أنساب الأشراف مجلد ٥ صفحة ١٦ عن ابن عباس قال: قال عمر: لا أدري ما أصنع بأمة محمد - وذلك قبل أن يطعن - فقلت ولم تهتم وأنت تجد

من تستخلفه؟... إلخ.

١٦ - تكييف إشاعة أن النبي ترك أمته ولم يستخلف

راجت إشاعة أن النبي قد مات ولم يستخلف، إنما خلى على الناس أمرهم، ومع الأيام وبفضل وسائل الإعلام التي كانت تحت سيطرة السلطة الغالبة طوال التاريخ، تحولت هذه الإشاعة إلى قناعة آمنت بها الأكثرية الساحقة من الأمة. وقد رأينا أن ابن عمر بن الخطاب وصف هذه الإشاعة - أي ترك الأمة دون راع - بأنها تضييع للأمانة، وأنها تفريط، وأنها محل لوم يترفع عن الوقوع بها راعي الإبل أو راعي الغنم على حد تعبيره، وأن ترك الأمة بدون راع يعني تركها هملاً على حد تعبير أم المؤمنين عائشة، وبالتالي فإن هذا الترك يؤدي للفتنة، كما توقعت أم المؤمنين. تلك هي خلاصة التكييفات التي خلعتها ابن عمر وخلعتها أم المؤمنين على فكرة ترك عمر لأمة محمد دون أن يستخلف عليها من بعده. فهل يعقل أن يكون راعي

الإبل أو الغنم أو عبد الله بن عمر أو أم المؤمنين أبعده نظرا من رسول الله، وأدرك لعواقب الأمور منه، وهو صفوة الجنس البشري؟ وهل يعقل أن يكون ابن عمر وأم المؤمنين أكثر رأفة ورحمة من النبي بأمته؟ ثم إن فكرة موت النبي دون أن يبين لأمته من يخلفه من بعده، أو يبين على الأقل الطريقة لتعيين خليفته من بعده، فكرة تتعارض تماما مع كمال الدين وتمام النعمة، وتتعارض مع العقل، ومع طبيعة الدين الإسلامي، ومع قدرة المجتمع الإسلامي الذي لم يمض على تكوينه أكثر من عشر سنوات، وهي فكرة ليست عملية وليست معقولة. ثم إن الفكرة منافية تماما لما تعارف عليه البشر طوال التاريخ، فليس الدولة هو مركز التدبير والتخطيط في الأمة، وهو رمز وحدتها، فإذا اختفى مركز التدبير والتخطيط، ولم يتوفر المركز البديل فورا، فإن عقد الأمة سينفطر، وسيركب كل واحد رأسه، وتسير كل جماعة مع هواها.

وقد ترفع الشارع الوضعي عن السقوط بمثل هذا الفخ، فلا يوجد في الدساتير المعاصرة، ولا حتى في الأنظمة السياسية البائدة، ما يؤيد فكرة أن يموت الرئيس دون بيان شخص من يخلفه، حتى أن التجمعات القبلية أو الأسرية تستهجن مثل هذا العمل وتستغربه، ولها أعراف تنظمه، بحيث تكون النقلة طبيعية بين شيخ القبيلة السابق واللاحق.

فدستور الدولة أو رئيسها عادة هو الذي يعين سلفا الشخص الذي يتولى الرئاسة في حالة خلو منصب الرئيس لأي سبب، أو عند اللزوم يصف هذا الشخص، سواء أكان شخصا طبيعيا كولي عهده، أو شخصا اعتباريا كمجلس أو هيئة تتكون من عدة أشخاص، لتقوم بإدارة دفة الدولة وتصريف أمورها ريثما ينسب أو يعين رئيس جديد. تلك حقيقة لا يملك عاقل أن يجادل بها، لأن البديل الآخر هو الشر، وتعريض وحدة الأمة للخطر، ووضع مستقبل الدولة في مهب الريح. والأهم من ذلك أن المنظومة الحقوقية الإلهية منظومة سماوية، وقد بينت كل شيء، أجمله القرآن أو فصله وبينه الرسول وطبقه، وخلو الدين من هذا الأمر الرئيسي والخطير

يناقض - كما قلنا - كمال الدين وتمام النعمة خاصة، وأن الرسول قد خير فاختار الموت، ومرض قبل الموت، وأوحى إليه أنه ميت في مرضه ذلك، وأن الله قد قذف في قلبه محبة هذه الأمة، وجعله (بالمؤمنين رؤوف رحيم) وأطلععه على مستقبل هذه الأمة، فهل من الممكن عقلا أن يموت الرسول دون أن يبين للناس من يخلفه من بعده؟! هذا أمر غير وارد قطعا تدحضه النصوص الشرعية القاطعة، وتكذبه!! راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام صفحة ٣٥ وما فوق.

وفي الشرائع الوضعية لا علم لي أن دستوراً مكتوباً أو عرفياً لم ينص على من يتولى السلطات في حالة غياب رئيس الدولة أو موته، ولا علم لي على الإطلاق أن رئيساً قد مات دون أن يكون معروفاً من سيخلفه!! راجع صفحة ٤٢ من كتابنا النظام السياسي، وراجع باب القيادة السياسية من كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام.

١٧ - إذا كانت إشاعة الترك صحيحة فهي سنة إذا كانت إشاعة أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ترك أمته بدون راع، وترك القرآن الذي أنزل

الله عليه دون جمع ودون مبين، أو بتعبير آخر (إذا كان الرسول قد خلى على الناس أمرهم) كما يقال فمعنى ذلك أن فعل الرسول هذا سنة فعلية واجبة الاتباع، لماذا؟ لأن الرسول قدوة بالنص الشرعي، ولأن طاعته هي طاعة الله، ومعصيته هي معصية الله، ولأنه من جهة أخرى هو الأعلم إطلاقاً والأفهم بالمقاصد الإلهية من تنزيل الرسالة! ١٨ - من هو الذي اتبع هذه السنة الفعلية؟

لو استعرضنا التاريخ السياسي الإسلامي لعهد ما بعد النبوة، ومن اليوم الذي تولى فيه أبو بكر (رضي الله عنه) ولاية المسلمين إلى اليوم الذي سقط فيه آخر سلاطين بني عثمان، لم نجد على الإطلاق أن أي واحد من الخلفاء قد اتبع هذه السنة فترك الأمة بدون راع أو خلى على الناس أمرهم!

كان الخليفة طوال التاريخ يعين من سيخلفه، وتستمر دورة العهد والتعيين حتى يأتي الفارس الغالب ويجلس على كرسي الخلافة، فما أن يستتب أمره حتى يعلن للناس أن فلانا هو ولي عهده والقائم بالأمر من بعده، وهكذا... حتى يأتي فارس غالب جديدا!

بمعنى أن سنة الترك والتخلية هذه لم يتبعها أحد على الإطلاق، وأن الأمة قد أجمعت طوعا وكرها على تجاهل سنة الترك هذه أو التخلية - كما يسمونها - إن كانت هذه الإشاعة صحيحة، وإن كان الترك أو التخلية سنة.

١٩ - الحاكم الوحيد الذي ترك أمته ولا راعي لها من بعده باستعراض ادعاءات القوم التي تجمع على أن رسول الله ترك أمته دون أن يعين لها راعيا من بعده، وترك دينه دون أن يحدد من هو المخول بالبيان من بعده، وباستعراض وقائع التاريخ السياسي الإسلامي لعهد ما بعد النبوة، بدءا من خلافه أبي بكر وحتى سقوط آخر سلاطين بني عثمان، لم نجد على الإطلاق أن خليفة من الخلفاء أو حاكما من

حكام الأمة قد مات دون أن يعين خليفته من بعده، بمعنى أن كل خليفة كان يعين قبل موته الحاكم الذي سيحكم الأمة بعده، والوحيد الذي لم يعين - حسب ادعاءات القوم - هو رسول الله!!

٢٠ - إثبات هذه الواقعة

١ - أول خليفة لرسول الله كان أبو بكر، قبل أن تدنو منيته دعا عثمان فقال له: أكتب بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين، أما بعد: ثم أغمي عليه، فكتب عثمان: إني أستخلف عليكم عمر بن الخطاب، ولم آلكم خيرا، ثم أفاق أبو بكر، فقال: اقرأ علي، فقرأ عليه، فكبر أبو بكر وقال: أراك خفت أن يختلف الناس. راجع تاريخ الطبري ط أوربا مجلد ١

صفحة ٢١٣٨، وراجع سيرة عمر لابن الجوزي صفحة ٣٧، وراجع تاريخ ابن خلدون مجلد ٢ صفحة ٨٥. وأخرج الإمام مالك عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: لما احتضر أبو بكر (رضي الله عنه) دعا عمر فقال: إني مستخلفك على أصحاب رسول الله

يا عمر، وكتب إلى أمراء الأجناد: وليت عليكم ولم آل نفسي ولا المسلمين إلا خيرا. راجع تيسير الوصول مجلد ٢ صفحة ٤٨ للحافظ ابن الربيع. وقال مرة لعبد الرحمن بن عوف معاتبا: إني وليت أموركم خيركم في نفسي، فكلكم ورم أنفه أن يكون له الأمر من دونه. إقرأ ذلك في تاريخ الطبري مجلد ٤ صفحة ٥٢، والعقد الفريد مجلد ٢ صفحة ٢٥٤. بمعنى أن أول خليفة بعد النبي لم يمت

حتى استخلف، ولم يؤمن بسنة الترك أو التولية.

٢ - لما طعن عمر بن الخطاب دعا ستة كما يروي البلاذري في مجلد ٥ صفحة ١٦ من أنساب الأشراف، ثم دعا صهيبا، فقال: صل بالناس ثلاثا، فليخل هؤلاء النفر في بيت، فإذا اجتمعوا على رجل منهم فمن خالفهم فاضربوا عنقه. وروى في صفحة ١٩ أن عمر أمر أصحاب الشورى أن يتشاوروا في أمرهم ثلاثا، فإذا اجتمع اثنان على رجل واثنان على رجل رجعوا في الشورى، فإذا اجتمع أربعة على واحد وأبا واحد، كانوا مع الأربعة، وإن كانوا ثلاثة وثلاثة كان مع الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف. راجع العقد الفريد مجلد ٣ صفحة ٧٤ لابن عبد ربه، وراجع طبقات ابن سعد مجلد ٣

ويلاحظ أن طلحة كان غائبا في الطائف عند ماله.

ويلاحظ أنه حسب الترتيبات العمرية فإن عثمان هو الفائز، وهو المعين من قبل عمر فعلا، فعثمان هو أول من بايع أبا بكر من زعماء المهاجرين خارج السقيفة، كما ذكر ابن قتيبة في الإمامة والسياسة، وهو أول من شق إجماع بني عبد مناف وبايع أبا بكر، ومن هنا ارتفعت أسهمه عند أبي بكر وعمر، وكان الناس يسمونه في عهد عمر بالرديف - والرديف بلسان العرب هو الرجل الذي بعد الرجل، والعرب تقول ذلك

للرجل الذي يرجونه بعد زعيمهم. راجع نظام الحكم لظافر القاسمي وقد نقلها عن تاريخ الطبري صفحة ١٩٧ - ١٩٨ ومجلد ٥ صفحة ٢٣٧، وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام صفحة ٣٢ - ٣٥
بمعنى أن عمر (رضي الله عنه) رتب الأمور بحيث يكون الخليفة من بعده هو عثمان بن عفان،

وهو يعلم أن عثمان هو الذي سيكون الخليفة من بعده.
وما يؤكد ذلك ما رواه المتقي الهندي في كنز العمال مجلد ٣ صفحة ١٦٠ أن عمر قال:

بايعوا لمن يبايع له عبد الرحمن بن عوف، فمن أبي فاضربوا عنقه. ومن الواضح أن عبد الرحمن سيختار عثمان، لأن هذه رغبة الخليفة وتوصيته، أنظر إلى قول أبي بكر لعثمان عندما كتب العهد لعمر: والله لو كتبت نفسك لكنت أهلاً لها.
وجاء في طبقات بن سعد - طبعة أوربا مجلد ٥ صفحة ٣٠ - ٣١ بترجمة سعيد بن العاص ما خلاصته: أن سعيداً طلب من عمر أرضاً ليوسع داره، فذهب معه عمر فزاده، قال سعيد: فقلت: زدني يا أمير المؤمنين، فقال عمر: حسبك، فسيلي الأمر من بعدي من يصل رحمك، ويقضي حاجتك: فآلت الأمور إلى عثمان فوصلني، وقضى حاجتي، وأشركني في أمانته.

بمعنى أن عمر بن الخطاب لم يخل على الناس أمرهم، ولم يترك أمة محمد هملاً لا راعي لها من بعده، بل عين عملياً عثمان، لأنه يخشى الفتنة، ويكره أن يترك أمة محمد لا راعي لها، فرضي الله عن عمر.

٢١ - عثمان بن عفان

قتل عثمان (رحمه الله)، ولو أمد الله في عمره لاستخلف مروان بن الحكم، أو معاوية بن أبي

سفيان، أو عبد الله بن سرح، أو غيرهم من وزرائه الناصحين له. ولو أسعفه العمر ما ترك أمة محمد بعده هملاً لا راعي لها، على حد تعبير أم المؤمنين.

٢٢ - علي بن أبي طالب

آلت الأمور إلى الإمام بعد مقتل عثمان وبايعه أهل المدينة، وجاءته البيعة من جميع الولايات باستثناء ولاية الشام التي رفضت بيعته تبعا لرفض واليها معاوية. وقد قتل (عليه السلام) وأوصى بالخلافة من بعده إلى ابنه الحسن، ثم تخلى الناس عن الحسن، وهزمت الشرعية، وانتصرت القوة، بمعنى أن الإمام عليا لم يترك أمة رسول الله بلا راع.

٢٣ - معاوية بن أبي سفيان والدولة الأموية

ومعاوية في عنفوان صحته استخلف من بعده ابنه يزيد بن معاوية، وهكذا كل ملوك بني أمية... فما من ملك من ملوكهم إلا وقد عين الخليفة الذي سيحكم الأمة من بعده، لأنه من غير المعقول أن يترك الحاكم أمته هملا ولا راعي لها من بعده. واستمرت

هذه السنة حتى زال الملك الأموي.

بمعنى أن الأمويين خالفوا سنة الترك والتخيلية المزعومة.

٢٤ - ملك بني العباس

تمكن العباسيون من هزيمة الأمويين وإنهاء ملكهم، وشيدوا على أنقاض الملك الأموي ملكا خاصا ببني العباس ومن شايعهم. ولم يصدف أن مات من بني العباس ملك - وكانت له فرصة للوصية - إلا بعد أن قام بتحديد الملك الذي يأتي من بعده، بل عين أكثرهم وليا للعهد من أول أيام ملكه، وكان يقال: ولي العهد فلان، وولي عهد فلان، واستمرت الأمور على هذه القاعدة حتى سقط ملك بني العباس.

بمعنى أن العباسيين أيضا خالفوا سنة الترك والتخيلية المزعومة.

٢٥ - ملك بني عثمان

تمكن العثمانيون من فرض سيطرتهم على العالم الإسلامي، وأقاموا لهم ملكا عظيما على أنقاض ملك بني العباس، ولم يشذ العثمانيون عن قاعدة الاستخلاف، فكل سلطان من سلاطينهم كان يعين قبل موته السلطان الذي يليه، واستمر الأمر على هذه الحال حتى سقط آخر سلاطين بني عثمان، وتهاوى نظام الخلافة، وزالت دولة الخلافة التاريخية. فقد خالفوا سنة الترك والتخلية أيضا.

٢٦ - في محراب التقليد وغفوة العقل

بالرغم من هذه الوقائع التاريخية والحقائق العقلية، فما زال الذين سجنوا أنفسهم في محراب التقليد يرددون - دون إعمال للعقل - إشاعة أن رسول الله ترك أمته دون راع لها من بعده، وأنه لم يستخلف، ولم يبين للناس من يكون الخليفة من بعده! ويتمادى بهم التقليد، فيرددون إشاعة أخرى مفادها: أن رسول الله ترك القرآن الكريم نفسه دون جمع، فجمعه الخلفاء من بعده!! وقد عمموا هاتين الشائعتين، وأجمعوا على صحة وقوعهما!! لست أدري ما هي فائدتهم عندما يرددون رسول الله من فضل جمع القرآن، ويعطون هذا الفضل للخلفاء؟ فهل الخلفاء أحب إليهم من رسول الله؟ إن هذا لشئ عجاب!!!

٢٧ - توضيح وتساؤل

بمعنى أن كل خليفة - وطوال عهد ما بعد النبوة بدءا من خلافة أبي بكر (رضي الله عنه) وحتى

سقوط آخر سلاطين بني عثمان - كان يعهد لمن يليه، ويبين الخليفة من بعده، وذلك لغايات نبيلة ومعقولة تدل على بعد نظر، ومن أبرز هذه الغايات:

١ - حتى لا تترك أمة محمد هملا ولا راعي لها، وحتى لا يؤدي الترك إلى الفتنة، كما ذكرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. راجع الإمامة والسياسة صفحة ٢٢

٢ - حتى يتجنب الخليفة التفريط والتضييع، على حد تعبير ابن عمر لأبيه رضي الله عنهما، كما ذكر مسلم في صحيحه، والبخاري في صحيحه، والبيهقي في سننه.
٣ - حتى يسد الخليفة باب الاختلاف من بعده، على حد تعبير أبي بكر (رضي الله عنه)، كما

ذكر الطبري في تاريخه، وابن الجوزي في سيرة عمر، وابن خلدون في تاريخه.
٤ - من باب الرأفة والرحمة بأمة محمد، حتى لا يتفرقوا من بعد الخليفة، فيختلفوا ويصيروا شيعا بسبب الخلافة.

هذه الأسباب التي استندت إليها كل الخلفاء أسباب وجيهة، ومعقولة جدا ومن كل الوجوه، وشرعية، لكن غابت عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، كيف لحظها كل الخلفاء

بالإجماع فاستخلفوا لتجنب محاذيرها ولم يلحظها الرسول!!!
الرسول رسول وهو قمة الوعي البشري، ومدعوم إلهيا، والخلفاء ليسوا رسلا ومع هذا وصلوا دونه إلى هذه النتائج الباهرة!؟

إن هذا لشيء عجاب!! وهو على الأقل يشكك بصحة إشاعة أن رسول الله لم يستخلف، أو خلى على الناس أمرهم حسب صيغة الشائعة!!

٢٨ - ابن خلدون يخترع سندا جديدا ومبررا للاستخلاف
في مقدمة ابن خلدون صفحة ١٧٧ قال (رحمه الله): إن الإمام (الخليفة) ينظر للناس في

حال حياته، وتبع ذلك أن ينظر لهم بعد وفاته، ويقيم لهم من يتولى أمرهم.

٢٩ - معاوية بن أبي سفيان يبتدع سندا جديدا ومبررا لم يسبق إليه

سألت أم المؤمنين عائشة معاوية عن سبب تعيينه لابنه يزيد خليفة من بعده؟

فأجابها معاوية: إن أمر يزيد قضاء من القضاء، وليس للعباد الخيرة من أمرهم.

راجع مجلد ١ صفحة ١٦٧ من الإمامة والسياسية لابن قتيبة. وهذا ما أجاب به معاوية

عبد الله بن عمر عندما استفسر منه عن سبب استخلافه لابنه يزيد فقال معاوية: إني

أحذر أن تشق عصا المسلمين، وتسعى في تفريق ملتهم، وأن تسفك دماءهم، وإن

أمر يزيد قد كان قضاء من القضاء، وليس للعباد الخيرة من أمره. راجع الإمامة والسياسية لابن قتيبة مجلد ١ صفحة ١٧١ طبعة مصر.

٣٠ - امتيازات الخليفة وامتيازات النبي

أجمعوا أن النبي قد مات وترك أمته ولا راعي لها، وأجمعوا أنه ما من خليفة إلا وقد بين للناس من يخلفه، لأن الخليفة مخول من الناس أن ينظر لهم بعد وفاته كما كان ينظر لهم حال حياته - علي حد تنظير ابن خلدون - بينما كان الرسول ينظر للناس حال حياته، ولكنه منع من أن ينظر لهم بعد وفاته، بمعنى أن الخليفة كان يتمتع بامتيازات تفوق امتيازات النبي!!!

٣١ - الإعلان رسمياً بأن الخليفة أعظم من النبي

وقد فصلنا ذلك في الفصل السابع من الباب الأول، وبيننا أن مقام الخليفة تعاضم حتى بلغ عند شيعة الخلفاء مرتبة لم يبلغها النبي نفسه! فقد بارك مروان بن محمد للوليد

بن يزيد خلافة الله علي عباده. راجع تاريخ ابن كثير مجلد ١٠ صفحة ٧ - ٨، ووصف

الحجاج عبد الملك بأنه خليفة الله وصفيه، كما جاء في سنن أبي داود مجلد ٤ صفحة ٢١٠،

وروى أبو داود في سننه مجلد ٤ صفحة ٢٠٩ الحديث ٤٦٤٢، والمسعودي في مروج

مجلد ٣ صفحة ١٤٧، وابن عبد ربه في العقد الفريد مجلد ٥ صفحة ٥٢، قول الحجاج في

خطبة له: رسول أحدكم في حاجته أكرم عليه أم خليفته في أهله؟! وفي العقد الفريد مجلد ٥ صفحة ٥١ أنه كتب إلى عبد الملك يعظم أمر الخلافة ويزعم

أن السماوات والأرض ما قامتا إلا بها، وأن الخليفة أفضل من الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين.... إلخ!!!

ثم تطفوا وأنزلوا من قدر الخليفة فجعلوه مساويا للنبي، فقال الحجاج في خطبة له، كما في سنن أبي داود، والعقد الفريد: إن مثل عثمان عند الله كمثلي عيسى... إلخ. راجع مجلد ٤ صفحة ٢٠٩ من سنن أبي داود، والعقد الفريد مجلد ٥ صفحة ٥١، فمن

اتبع عثمان فهو مؤمن، ومن خرج عليه فهو كافر. راجع تاريخ الطبري مجلد ٥ صفحة

٦١

حوادث سنة ٨٩، وتاريخ ابن الأثير مجلد ١ صفحة ٢٠٥، وابن كثير مجلد ٩ صفحة

٧٦

وأمر الوليد بن عبد الملك خالد بن عبد الله فحفر بئرا فقال خالد في خطبته على منبر مكة المكرمة: أيها الناس أيها أعظم خليفة الرجل على أهله أم رسوله إليهم، والله لا تعلمون فضل الخلفاء، ألا إن إبراهيم خليل الرحمن استسقى فسقاه الله ملحا أجاجا، واستسقاه الخليفة فسقاه الله عذبا فراتا... إلخ!!

وخطب الحجاج يوما على منبر الكوفة، فذكر الذين يزورون قبر رسول الله فقال: تبا لهم يطوفون بأعواد ورمة بالية!! هلا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، ألا يعلمون أن خليفة الرجل خير من رسوله!!...!

٣٢ - دور الأمة في تعيين الخليفة

الخليفة الغالب القائم هو الذي يعين من يخلفه، لأنه مخول من الناس بذلك، كما يرى ابن خلدون في مقدمته صفحة ١٧٧، فما هي حقيقة قول ابن خلدون هذا؟ عمليا لا علاقة للأمة بما يفعله الخليفة، لأن فعل الخليفة قضاء - على حد تعبير معاوية - وليس للعباد الخيرة من أمرهم!

ملك مستتب، ودولة تفرض سلطانها على رعاياها، والكل يتظاهر بالطاعة أو مطيع فعلا، فإذا شعر الخليفة بدنو أجله، أو تبين له أنه لا ولي لعهد، يدعو كبراء دولته إلى وليمة أو جلسة، ويعلن أمامهم أنه قد قرر اختيار فلان وليا لعهد و خليفة من بعده، ويتقبل الكبراء هذا الإعلان ويباركونه، لأنه صادر من الخليفة الغالب الذي دانت له مقاليد الأمور.

ويعلن الكبراء هذا المرسوم على الأمة، ودور الأمة مقتصر على القبول والمبايعة، ومن يعارض هذا القرار فإنما يعارض سلطان الدولة المستقر، وأي فرد له القدرة على معارضة سلطان الدولة؟!!

ولنفترض أن هذا الفرد أو ذاك أو هذه الجماعة أو تلك عارضت قرار التعيين هذا، فإن الدولة ستسحق معارضيتها بغير رحمة، لأنهم شقوا عصا الطاعة، وخرجوا على الجماعة.

أنظر إلى قول معاوية لابن عمر عندما استوضح عن تعيين معاوية لابنه يزيد خليفة من بعد معاوية: إنني أحذرك أن تشق عصا المسلمين، وتسعى في تفريق ملتهم، وأن تسفك دماءهم.

هذا الكلام يوجهه معاوية لابن عمر المعروف بكرهيته لأمير المؤمنين علي وموالاته لمعاوية، يوجهه لابن الخليفة، عمر الذي عين معاوية واليا على الشام، فكيف بالشخص العادي الذي يعارض؟

ومن هو أعظم من ولي الله علي؟ فقد هدد بالقتل إن لم يبايع!!
ومن هي أعظم من فاطمة الزهراء؟ فقد هددت بحرق بيتها ولطمت، وأجهضت!!
فالبديل الأسلم بالنسبة للأمة هو قبول قرار الخليفة الغالب، فقراره قضاء، ولا خيرة للعباد من أمرهم، فالخليفة هو الذي يعين، ودور الأمة هو مبايعة من يعينه هذا الخليفة الغالب!!!

٣٣ - الخليفة يعين خليفته

قال قاضي القضاة الماوردي في الأحكام السلطانية صفحة ٦ وما فوق وأبو يعلى (الفرا) في الأحكام السلطانية صفحة ٧ - ١١: الإمامة تنعقد من وجهين بعهد الإمام من قبل... إلى أن يقول: وأما انعقاد الإمامة بعهد من قبله فهو ما انعقد الإجماع على جوازه، ووقع الاتفاق على صحته، لأمرين عمل المسلمون بهما ولم يناكروهما وهما: أن أبا بكر (رض) عهد بها إلى عمر، فأثبت المسلمون إمامته بعهد، والثاني أن عمر عهد بها إلى أهل الشورى... إلى قوله لم يتوقف على رضا الصحابة، ولأن الإمام أحق بها. الأحكام السلطانية ٦ - ٧

وقال إمام الحرمين الجويني: إعلموا أنه لا يشترط في عقد الإمامة الجماعة، والدليل عليه أن الإمامة لما عقدت لأبي بكر ابتدر لإمضاء أحكام المسلمين، ولم يتأن في نشر الخبر لمن نأى من الصحابة. راجع الإرشاد في الكلام لإمام الحرمين الجويني صفحة ٤٢٤ ط القاهرة.

وقال ابن العربي في شرحه سنن الترمذي مجلد ١٣ صفحة ٢٢٩: لا يلزم في عقد البيعة للإمام أن تكون من جميع الأنام بل يكفي لعقد ذلك اثنان أو واحد!!
وقال القرطبي في تفسير (إني جاعلك في الأرض خليفة) فإن عقدها واحد من أهل الحل والعقد فذلك ثابت ويلزم الغير فعله، وذلك خلافا لبعض الناس حيث قال: لا تنعقد إلا بجماعة، ودليلنا أن عمر عقد البيعة لأبي بكر... إلخ.
قال الإمام أبو المعالي: متى انعقدت له الإمامة بعقد واحد فقد لزمتم، ولا يجوز خلعه... وإذا انعقدت الإمامة باتفاق أهل الحل والعقد أو بواحد، وجب على الناس كافة مبايعته!

وقال عضد الدين الإيجي في المواقف - المقصد الثالث: إنها تثبت بالنص من الرسول، ومن الإمام السابق بالإجماع... دليلنا ثبوت إمامة أبي بكر... وقال: إذا ثبت حصول الإمامة بالاختيار والبيعة، فإن ذلك لا يفتقر إلى الإجماع، إذ لم يقم عليه دليل من العقل أو السمع، بل الواحد والاثنان من أهل الحل والعقد كاف.... كعقد عمر

لأبي بكر، وعقد عبد الرحمن بن عوف لعثمان. راجع المواقف في علم الكلام مجلد ٨ صفحة ٢٥١ - ٢٥٣

٣٤ - الخلافة تثبت بالقهر والغلبة

وقال قاضي القضاة الماوردي: إن الخلافة تثبت بالقهر والغلبة، ولا تفتقر إلى العقد، من غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماما، برا كان أو فاجرا، فهو أمير المؤمنين!!!

وقال في الإمام يخرج عليه من يطلب الملك، فيكون مع هذا قوم، ومع هذا قوم: تكون الجمعة مع من غلب، والدليل على ذلك أن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال يوم الحرة، نحن مع من غلب. راجع الأحكام السلطانية صفحة ٧ - ٨
ومن الطبيعي أن هذا الغالب يتمتع بحق تعيين خليفته من بعده، لأنه ينظر للناس حال حياته، وتبع ذلك أن ينظر لهم بعد وفاته، ويقيم لهم من يتولى أمورهم، كما بين ذلك ابن خلدون في مقدمته صفحة ١٧٧
وقد قام تاريخ الخلافة على هذا الأساس، فإذا أخذنا بعين الاعتبار شائعة أن رسول الله ترك أمته ولا راعي لها، أو خلى على الناس أمرهم، نجد أن فعل الخلفاء هو السند الشرعي الوحيد في هذه الناحية، وسند الإجماع ما هو إلا للتقوية، فمن يجرؤ على مخالفة الغالب؟ وهل يتحقق الإجماع بالإكراه؟!
إن الحقيقة الثابتة هو أن الخليفة القائم هو وحده المختص بتعيين الذي يليه، وأنه لا بديل أمام الأمة، فإما الموافقة أو الفتنة، والموافقة أسلم!
وأنت تلاحظ أن هذه القواعد وضعية من جميع الوجوه، بمعنى أن الحكام قد وضعوها ولا علاقة للشرع بها. لأن التشريع منحصر بالله وبرسوله. ولا يملك أي كان أن يشترك مع الله والرسول بهذه المهمة!
**

الفصل الرابع

نشأة النظام البديل

- ١ - مميزات النظام السياسي الإسلامي لا يختلف اثنان بأن نظام دولة النبي هو النظام السياسي الإسلامي الأمثل والمثال، وما يميزه عن غيره من الأنظمة هو:
 - ١ - أن رئيس الدولة معين من الله تعالى، وأنه هو وحده المخول ببيان المنظومة الحقوقية، بيانا قائما على الجزم واليقين.
 - ٢ - أن التشريع في هذه الدولة اختصاص إلهي، بمعنى أن كافة القوانين النافذة في الدولة هي من صنع الله.
 - ٣ - أن مهمة النبي ومن آمن معه هي إقناع الناس بقبول القيادة المعينة من الله، وقبول القوانين التي سنها الله، والتعاون لتطبيق شرع الله تعالى، بدون زيادة ولا نقصان.
- ٢ - النجاح الساحق
نجح النبي بتكوين شعب الدولة، وإقناعه بقبول الشرع الإلهي والقيادة الإلهية للدولة، وتم نزول الشرع كله، وأعلن الله تعالى كمال الدين وتمام النعمة الإلهية، وتكونت الدولة الإسلامية المثلى، وقادها النبي عشر سنين، وألقت بسلطانها على كامل شبه الجزيرة العربية، ووحدتها ولأول مرة في تاريخ العرب وبلادهم.

وبعد ذلك أعلن النبي أنه ميت لا حالة، وأن حجته هي حجة الوداع، وأنه سيمرض، وسيموت في مرضه، وبنفس المقام أعلن أمام ألف حاج أو يزيدون أنه مولى وولي كل مؤمن، وصدقته الجموع الإسلامية على أنه المولى والولي والأولى من كل مؤمن بنفسه. بعد هذا التصديق أعلن بأمر من ربه (من كنت مولاه فهذا علي بن أبي طالب مولاه، فهو ولي المؤمنين من بعدي، وهو ولي كل مؤمن ومؤمنة من بعدي، وهو وليكم من بعدي).

وتزاحم الحاضرون بعد هذا الإعلان، وقدموا التهاني لعلي بن أبي طالب، وكان على رأس المهنئين عمر بن الخطاب، وأبو بكر رضي الله عنهما، حيث قدموا له التهنية بولايته على المؤمنين من بعد النبي، عندئذ نزل قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي).

ومن قبل هذا الموقف المشهود سماه النبي خليفة، وأعلنه خليفة من بعده، وسماه أمير المؤمنين وأعلنه أمير المؤمنين، وسماه سيد العرب وأعلنه سيدا للعرب، وسماه إماما وأعلنه إماما للمجتمع المؤمن.

٣ - الترتيبات الإلهية

إعلان خلافة علي، وإمارته للمؤمنين، وإمامته للمسلمين، وولايته عليهم، وسيادته على العرب، لم تكن رأيا شخصيا من النبي، إنما هي ترتيبات إلهية لقيادة موكب الإيمان بعد موت النبي. فعلي بما وهبه الله من ملكات خاصة، وبما زقه النبي من

علم خاص، هو المؤهل الوحيد لبيان المنظومة الحقوقية بيانا قائما على الجزم واليقين، فقد تربى في كنف النبي، وعاش وإياه تحت سقف واحد طوال حياة النبي، وصاحبه قبل النبوة وبعدها، وتزوج البتول الطاهرة ورزق منها الحسن والحسين وهما ذرية النبي، وهو ابن عبد مناف المكنى بأبي طالب، الذي حمى النبي وحمى دعوته، وربى النبي واحتضن دينه الحنيف، وهو فوق كل ذلك فارس الإسلام الأوحى، فكل شجاعة

دون شجاعته، وكل قوة دون قوته، وكل دفاع دون دفاعه، وكل بلاء دون بلائه، وموقعه من النبي كموقع هارون من موسى إلا أن عليا ليس نبيا. كل هذه الإمكانيات ما هي إلا من قبيل الإعدادات الإلهية لمرحلة ما بعد النبوة. وقد وثقت كل ذلك في باب القيادة السياسية من كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية

السياسية في الإسلام، فليرجع إليها من أراد الوقوف على الأدلة.
٤ - الإجمال والتفصيل

بنفس الموقف وبنفس المكان دل رسول الله الأمة على: ما إن تمسكت به لن تضل، كتاب الله وعترته أهل بيته، وبين للحاضرين أن العزيز الحميد أنبأه: بأنهما لن يفترقا، فالهداية لا تدرك إلا بالاثنين معا، والضلالة لا يمكن تجنبها إلا بالتمسك بالاثنين معا، وبالإجماع فإن علي بن أبي طالب هو عميد أهل البيت، ولا خلاف بين أحد من أهل الملة بأن هذا الحديث الذي يسمى حديث الثقلين، من أصح الآثار، وأثبت السنن المحمدية، وأنه ضارب الجذور بمعناه بنفوس المسلمين، فالصلاة لا تصح دون أن تصلي

على النبي وآله، ويتكرر التذكير بذلك خمس أوقات في اليوم فرضا مقضيا.
٥ - البساطة والأحكام

الأمة مقتنعة بصواب الترتيبات الإلهية، فعندما ينتقل النبي إلى الرفيق الأعلى تشيعه الأمة مجتمعة بما يليق بجنابه المقدس، ثم تلتفت إلى إمام أهل البيت، فتقدم له التعزية، وتبايعه خليفة للنبي، وإماما للمسلمين، وأميرا للمؤمنين، ومبينا للدين، فتستقيم الأمور ولا يختلف اثنان عليه، فهو عميد أهل البيت، وابن عم النبي وزوج ابنته وهو الفارس الأوحى، وهو رباني هذه الأمة.

وهو بما أوتي من علم، قادر أن يتابع مسيرتي الدعوة والدولة من بعد النبي، فيحل ركن مقام ركن، ويحل الهادي محل النبي، ويقود الأمة إلى شاطئ الأمان، ويفتح أمام الجنس البشري أبواب الأمل والعدالة، ويستقر النظام، ويأخذ طابعا مؤسسيا

يمكن الدفاع عنه وفق كل المعايير الشرعية والعقلية.

٦ - ترك الترتيبات الإلهية وإيجاد ترتيبات وضعية

لم ترق الترتيبات الإلهية لبطون قريش، وكيفتها على أنها ترتيبات مححفة، لم تأخذ بعين الاعتبار حقوق بطون قريش، وتؤدي بالنتيجة إلى الإجحاف. والسبب بهذا التكييف أن تلك البطون مسكونة بالصيغة السياسية الجاهلية التي سادت مكة المكرمة قبل شروق شمس الإسلام، تلك الصيغة القائمة أصلا على اقتسام مناصب الشرف السياسية، بحيث يختص كل بطن بمنصب من هذه المناصب، وبالكيفية التي تم الاتفاق

عليها في حينه، وهي كيفية لا غالب فيها ولا مغلوب. ومع الأيام استقرت هذه الكيفية في الأذهان والقلوب، وأصبحت جزءا لا يتجزأ من المعتقدات السياسية الجاهلية، بل إنها تحولت إلى قناعة مطلقة مستقرة تماما في العقل الباطني لبطون قريش، ومن هنا فلا ينبغي أن تعجب إذا قلنا أن هذه القناعة هي التي تفسر عناد بطون قريش بمقاومتها للدعوة المحمدية طوال ١٣ سنة، وهي وحدها التي تقف وراء حروب بطون قريش العدوانية ضد الإسلام ونبي الإسلام، ولم تستسلم تلك البطون إلا بعد ٢١ عاما من المقاومة الضارية لدعوة الإسلام ولدولة الإسلام، وبعد أن استفرغت جهدها بالكيد، وأحيط بها، وحوصرت في جزيرة من الشرك، وأغلقت بوجهها كل الأبواب، ولم يبق أمام هذه البطون إلا بابان: باب الدخول بالإسلام، أو باب الموت، فاختارت الدخول في الإسلام.

٧ - تعليل موقف رواد الترتيبات الوضعية

منذ اللحظة الأولى التي بزغت فيها شمس الهداية الإلهية، وقفت بطون قريش وقفة رجل واحد ضد نبوة ورسالة محمد بن عبد الله، لا حبا بالأصنام، فليس في الأصنام ما يحب، ولا كراهية بتعاليم الإسلام، لأنه ليس في هذه التعاليم ما تنفر منه الفطرة البشرية، أو يعافه العقل السليم، ولكنها كرهت كرها شديدا أن تكون النبوة في بني

هاشم، فليس مقبولاً أن يكون النبي من بني هاشم، لأن هذا ترجيح للهاشميين على بقية البطون، ونسف للصيغة السياسية الجاهلية، تلك الصيغة التي أشاعت الأمن والاستقرار بين البطون، وأكسبت كل البطون احترام العرب، وعندما فوجئت تلك البطون بإعلان نبوة محمد الهاشمي صعقت وحن جنونها، لأن هذا الإعلان هو نسف للصيغة، أو تعديل لصالح الهاشميين بدون موافقة البطون المشتركة بهذه الصيغة.

٨ - المطلب الأساسي، ورفضه، وعاقبة الرفض
اجتمعت بطون قريش وطلبت من الهاشميين أن يسلموها محمداً لتقتله، أو يخلوا بين هذه البطون وبين محمد حتى تقتله، لأن ما يقوله محمد يمس مصالح هذه البطون الحيوية،

كان هذا مطلب قريش عندما فشلت وسائلها الأخرى، وعندما أدركت تصميم النبي على مواصلة الدعوة الإسلامية!

ولأن الهاشميين تاج العرب، وخير بطن بالنص الشرعي، رفضوا بإباء وكبرياء هذا المطلب، وأعلنوا أنهم مع محمد، ولن يسمحوا لأحد من هذه البطون أن يمس شعرة واحدة منه.

عندئذ أجمعت البطون على حصر الهاشميين في شعب أبي طالب، وحاصرتهم ثلاث سنين، وضائق الدنيا بما رحبت على الهاشميين، حتى اضطروا أن يأكلوا ورق الشجر من الجوع، واضطر أطفالهم أن يمصوا الرمال من العطش، ولكنهم لم يستسلموا! وفشل الحصار، واستمرت الدعوة رغم مقاومة هذه البطون الضارية، ثم أجمعت تلك البطون على أن تشترك بقتل النبي، وأن يرميه رجالها بقوس واحدة، حتى لا يقوى الهاشميون على المطالبة بدمه، فيضيع بين تلك البطون!

وعندما حزمت أمرها ترك النبي مكة وهاجر إلى المدينة، ونجاه الله من شر تلك البطون ومكرها.

٩ - الهاشميون تجاوزوا الحدود بميزان البطون

عندما استقر النبي في يثرب ورتب أموره بدأت الحرب المسلحة بين بطون قريش من جهة، وبين محمد والهاشميين ومن والاهم من جهة أخرى، وتآلق نجم علي بن أبي طالب كفارس النبي الأوحى، وتآلق نجم حمزة عم النبي، وخلال المعارك التي نشبت بين الطرفين قتل علي بن أبي طالب سادات هذه البطون، ونسب قتل هؤلاء السادات للهاشميين، فنمت بذور الحقد على بني هاشم، لأنهم قتلوا الأحباب، ومن قبل نمت وترعرعت بذور الحسد على بني هاشم، لأنهم اختصوا بالنبوة، وتفوقوا على تلك البطون بالأمجاد، فأجمعت البطون على الحسد لبني هاشم وأضمرت الحقد لهم.

١٠ - موقف البطون بعد انتصار النبوة

كل الأبواب قد أغلقت أمام بطون قريش إلا باب الإسلام، وكل وسائلها بالكيد والحرب قد تحطمت، ولم يبق إلا الموت أو الدخول في دين الله، فاختارت الدخول في

دين الله، ولكن وهي مسكونة بقناعة الصيغة السياسية الجاهلية، ومقتنعة بأن اختيار النبي من بني هاشم وحدهم فيه إجحاف على البطون الأخرى، ولكن لا حيلة لهذه البطون بمقاومة النبوة الهاشمية أو إلغائها، كأن هذه النبوة قدر، فسلمت تلك البطون بنبوة محمد ورسالته، وأقبلت لتتفهم الدين الجديد وهي تحمل حسدا لبني هاشم، وحقدا عليهم، لأنهم قتلوا الأحبة، وعلى الأخص علي بن أبي طالب! وما فعلته هند بحمزة دليل قاطع على عمق هذا الحقد!!

وقد انصب هدف هذه البطون بالدرجة الأولى على تحجيم الدور الهاشمي، وإيجاد صيغة جديدة للتعايش مع الهاشميين في ظلال الدين الجديد.

هذا تفكير الأغلبية الساحقة من منتسبي بطون قريش.

وباختصار، فالذين أسلموا من بطون قريش أسلموا ونفوسهم مسكونة بهذه القناعة، ولئن استطاع الإسلام أن يوهن أركانها في نفوسهم، إلا أنهم لم يمكنوه من أن

يجتث جذورها! ومع شيوع نبأ النبوة وصعودها واستقرارها نبتت فكرة الحسد لبني هاشم في نفوس تلك البطون، ونشأت كراهية تفضيل الله تعالى لهم على كل البطون، وتصورت البطون القريشية أنه ليس لهذا التفضيل ما يبرره.

لقد كانت هذه التصورات تنمو في قلوب بعض المسلمين في الخفاء، وتربص الفرص للتعبير العلني والتواجد الواقعي كتوجه سياسي.

١١ - خطة بطون قريش لمواجهة عصر ما بعد النبوة

١ - بطون قريش تحلل الواقع في أواخر عهد النبوة، وتكتشف أن الإسلام قد انتشر انتشارا واسعا، وأن العرب قد توحدوا في ظلال دولة لأول مرة في التاريخ، وأن الجزيرة العربية قد دانت تماما لدولة النبي، وأن النبي قد بدأ يعد العدة ليواجه المسلمون عصر ما بعد النبوة، وكل الدلائل تشير بأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) سيسلم قيادة هذا العصر لابن عمه،

وزوج ابنته، وفارس الإسلام الأعظم، علي بن أبي طالب، فهذا هو يعلنه وليا للمؤمنين مجتمعين في غدير خم، ويعلنه وليا لكل مؤمن ومؤمنة، وها هو النبي يعلنه أميراً للمؤمنين، وخليفة من بعده، ويتوجه بتاج الولاية والإمامة والخلافة أمام جمع يزيد على مائة ألف، ولم يكتف النبي بذلك بل أعلن ابنه الحسن إماما، وأعلن ابنه الحسين إماما، وأعلن أنهما ابناه، وأنهما سيديا شباب أهل الجنة، وريحانتاه من هذه الأمة، وأن الله جعل نسل كل نبي من صلبه وجعل نسل وذرية محمد من صلب علي.

ومن المثير للانتباه حسب تحليل هذه البطون أن آية المباهلة الواردة في القرآن الكريم، وتطبيقها العملي أمام الصحابة، حصرت الأبناء والنساء والأنفس بمحمد وعلي وفاطمة وحسن وحسين فقط، وتلك إشارة ضوء صارخة تعكس نوايا النبي، وتعكس توجه الترتيبات الإلهية.

والأخطر من ذلك إعلان النبي أن من والاهم فقد والى الله، ومن عاداهم فقد عادى الله!

ليس هذا فحسب، بل إن النبي يعلن بأن البطن الهاشمي هو خير بطون الأرض، وأن بيت عبد المطلب هو خير بيوت بني البشر، ثم يضع الكساء على الأبناء والنساء والأنفس، ويتلو قول الله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا) ثم يعلن النبي بعد ذلك أن هؤلاء هم أهل بيته. والأشد خطورة من الجميع أن النبي قد أعلن بأن الصدقات لا تجوز على آل محمد، وأن لهم حقا معلوما في موارد الدولة، وهو خمس الخمس. ثم إن القرآن طلب من النبي أن يعلن بأنه لا يسأل الناس أجرا على هدايته لهم وإنقاذهم، إلا المودة في القربى... إلخ. والأنكى من الجميع أن الصلاة عليهم جزء من الصلاة المفروضة!

١٢ - الكارثة

أدرت بطون قريش ما يرمي له محمد، وفهمت توجه الترتيبات الإلهية، وأنه صار بحكم المؤكد أن قيادة عصر ما بعد النبوة ستكون في بني هاشم، وبالتحديد في علي الذي قتل الأحبة والسادات، ومن بعد علي ستكون في بنيه، فمن يتقدم عليهم وهم أبناء الرسول، ومن يحاربهم وهم ناصية بني هاشم، ومن يرفض الانقياد لهم وهم أبناء النبي، وإذا تحققت هذه النوايا والتوجهات، فمعنى ذلك أن الهاشميين قد أخذوا النبوة، وأخذوا الخلافة معا، أو جمعوا ما بين النبوة والخلافة، وبين الدين والملك معا، وهذا يعني أنهم قد أخذوا الشرف كله، واحتصوا بالفخر كله، وحرموا منهما بطون قريش، وتلك والله كارثة برأيهم، الموت خير من مواجهتها أو العيش في ظلالها!!!

١٣ - وسائل مواجهة الكارثة

أي مواجهة بين بطون قريش وبين محمد مكتوب عليها الفشل الذريع، فقد هزمها على صعيد الدولة مجتمعة، واستقطب حوله العرب، ودانت له الجزيرة، فالمواجهة بين البطون وبين محمد بهذه المرحلة كارثة محققة للبطون، فمحمد هو حبيب الجماهير، وهو

بطلها، وهو نبيها، وهو حاكمها، وهو الرجل المدعوم بالعناية الإلهية، ورجالات البطون يستمدون فخرهم وشرفهم من موالاته، فتركوا فكرة المواجهة لأنها فاشلة في هذه المرحلة، وأن طريق المجد والملك الحقيقي هي في موالاته محمد وليس في معاداته.

وإذا كانت معاداة محمد قدرا، فلتكن معاداة منظمة لا تثير حفيظة الجموع الموالية لمحمد، والتي تراه بطلها الأوحى.

١٤ - الخطة المثلى لمواجهة عصر ما بعد النبوة
تفتقت عقلية بطون قريش عن خطة قبلية سياسية مثلي، تجمع بين الصيغة السياسية الجاهلية وبين نظام الإسلام السياسي، وتقوم على خلط الأوراق، وإعادة ترتيبها من جديد تحت إشراف رجالات البطون المسكونة أنفسهم بمرض الصيغة السياسية الجاهلية، لذلك وضعوا مجموعة من الأوراق لمواجهة الترتيبات الإلهية لعصر ما بعد النبوة والانتفاف عليها.

١٥ - الورقة الأولى للخلاف العائلي
توصلت رجالات قريش إلى معادلة واقعية مفادها: أن كل البطون القريشية بما فيها البطن الهاشمي ينتمون لقريش، وبما أن محمدا من بني هاشم، وبما أن بني هاشم من

قريش فمعنى ذلك أن محمدا من قريش، وأن قبيلة قريش هي عشيرته الوحيدة، والخلاف بين بطون قريش هو خلاف عائلي تماما.
فالهاشميون أولا وأخيرا هم بطن قريشي، وطالما أن محمدا من قريش، وطالما أن قريشا هم أهله وعشيرته، فهم أولى بميراثه وبسلطانه (الله أكبر من ينازعنا سلطان محمد ونحن أهله وعشيرته، إن العرب تأبى أن تولي الخلافة إلا من كانت النبوة فيهم) هذه هي عين الجملة التي استعملها عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في سقيفة بني ساعدة. ومن هنا

نشأت قاعدة أن الأئمة من قريش، لأن قريش عشيرة النبي، وتوطدت هذه القاعدة حتى نقلتها الأمة بالإجماع.

١٦ - الورقة الثانية حل الخلاف العائلي

الخلاف بين بطون قريش وبين بني هاشم هو خلاف عائلي، فالرسول محمد (منا ومنكم) على حد تعبير أبي بكر (رضي الله عنه) للعباس بن عبد المطلب، فالرسول من قريش

والبطون كلها قريشية، والهاشميون هم أعدل الناس، وأكثرهم بعدا عن الظلم، فيجب حل الخلاف العائلي بين بني هاشم والبطون حلا عادلا. فالهاشميون اختصوا بالنبوة من دون بطون قريش، وبالنتيجة فالبطون لا تعترض إطلاقا على النبوة الهاشمية ولا تطالب بها، وتبارك بالإجماع لبني هاشم هذه النبوة، ولا ترغب تلك البطون بالإجماع بأي مشاركة في نبوة بني هاشم، وهذا حق وعدل. لكن أن البطون مثل بني هاشم ينتمون لقريش عشيرة النبي، فيجب أن ينالهم نصيب من تركة النبي، وتركة النبي تتلخص بكلمتين: النبوة والخلافة.

وحيث إن الهاشميين قد أخذوا النبوة وحدهم فيجب أن تتوزع بقية التركة وهي الخلافة على البطون، تتداولها في ما بينها وحدها، بدون مشاركة أي هاشمي. بمعنى أن النبوة لبني هاشم على وجه التفرد والاختصاص، لا يشاركهم فيها أحد من البطون. وهي خالصة لهم. وأن الخلافة لبطون قريش تتداولها على وجه التفرد والاختصاص، لا يشاركهم فيها أحد من بني هاشم، وهي خالصة لهم.

١٧ - محاسن حل الخلاف العائلي

حل الخلاف بهذه الطريقة هو الحل الأمثل، لتجنب إجحاف بني هاشم، لأن جمع الهاشميين للخلافة مع النبوة يؤدي للإجحاف كما أكد ذلك عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وهذه

القسمة هي الهدى والصواب، كما أكد ذلك عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، أما الترتيبات الإلهية

التي تعطي الهاشميين النبوة والخلافة فقد كرهتها قريش، وهي تؤدي لفرقة بطون قريش، كما أكد ذلك سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وقد وثقنا ذلك في الفصول السابقة، وسنعيد التوثيق.

١٨ - الورقة الثالث عصب دم البطون

أرواح سادات بطون قريش التي أزهرت أثناء حرب النبي مع البطون، والتي سببت أكبر المعاناة لذوي القتلى، وتركت في قلوبهم جراحا لا تندمل، وأحقادا لا تزول، هي أرواح لم يقتلها النبي، إنما يتحمل مسؤوليتها علي بن أبي طالب، فهو الذي قتلهم فعلا بوصفه حامل رايات الرسول في كل المواقع، وبوصفه أقوى فرسان الإسلام على الإطلاق، فقد حصد سادات قريش حصدا، ومن ينسى حمزة ومن ينسى عبيد الله بن الحارث فقد قصم الثلاثة معا ظهر بني أمية، وهؤلاء الثلاثة هم من بني هاشم! فإذا قبلت بطون قريش بزعامة بني هاشم، عندئذ يصبح الخصم وقاتل الأهل والأحبة هو الحكم والحاكم، وفي ذلك إثارة للأحقاد! والحل الأمثل هو إبعاد الهاشميين عن مسرح الحدث السياسي، وعزلهم عزلا كاملا لغايات عصب دم البطون التي أريقت في الحروب الإيمانية، ولغايات فتح صفحة جديدة. برأي هذه البطون!!

١٩ - الورقة الرابعة اختراق المنظومة الحقوقية الإلهية

المشكلة الحقيقية أن مكانة أهل البيت الكرام، وقيادتهم للأمة، ومرجعيتهم موثقة وثابتة بالمنظومة الحقوقية الإلهية - القرآن الكريم والسنة، وإلغاء قيادة أهل البيت من بعد النبي ومكانتهم ومرجعيتهم ليس ميسورا، وهذا يستدعي تعديل نصوص المنظومة الحقوقية الإلهية، وهذا خارج عن طاقة البطون، خاصة القرآن الكريم! والحل الأمثل بالنسبة لهذه البطون هو اختراق المنظومة الحقوقية الإلهية اختراقا لا يثير حفيظة!!!!

٢٠ - اختراق القرآن الكريم

إذا كانت النصوص الشرعية التي تؤكّد قيادة ومرجعية ومكانة أهل البيت الكرام واردة في القرآن الكريم، فلا يمكن اختراقها بالتبديل أو التغيير، لكن اختراق

النصوص يتم عن طريق التأويل والتفسير، وحمل النص على عدة معان، وتضييع المقصود الشرعي من خلال التأويل والتفسير والحمل، ويمكن اعتبار هذه النصوص من قبيل المدح الذي لا يكسب الممدوح حقاً، ولا يرتب له على الأمة التزاماً. وعند اللزوم يمكن التشكيك بمقاصد النصوص الشرعية، أو تصور عدة مقاصد لها! فإذا ذكر ذاكر أن الله تعالى قد أذهب الرجس عن أهل البيت وطهرهم تطهيراً، جاءك الجواب سريعاً، إن أهل البيت هم نساء النبي وحدهن، ومنهم من يتبرع بالمباهلة إذا كان أهل البيت غير نساء النبي!

وإذا قيل إن النبي لا يسأل أجراً إلا المودة في القربى، قيل: كل قريش قرابة النبي، بل كل العالم أقارب النبي، وهو جد التقي ولو كان عبدا حبشياً! وإذا قيل: هم أهل الذكر، قيل لك: إن العلماء هم أهل الذكر، وهم ورثة الأنبياء! وباختصار فلا تجد نصاً في القرآن الكريم يتعلق بأهل البيت الكرام أو ببني هاشم، إلا وقد حضرت له البطون ومن والاهما عشرات التفسيرات والتأويلات لإخراجه عن معناه الخاص بأهل البيت الكرام، ولا تجد فضلاً اختص به أهل البيت الكرام إلا وقد أوجدت بطون قريش لرجالها فضلاً يعادله عن طريق التفسير والتأويل! ومع سيطرة البطون وإشرافها على وسائل الإعلام، وهيمنتها على الدولة الإسلامية خلطت كافة الأوراق حتى إذا أخرجت يدك لم تكذ تراها. ولكن الله الذي حفظ كتابه وتعهد بحفظه، جعل برزخاً بين تأويلاتهم وبين النص، فالنص القرآني محتفظ بخصوصيته المطلقة، وهو يحفز بصورة مستمرة العقل البشري للعمل والتفكير.

٢١ - اختراق السنة

القرآن الكريم لا يمكن فهمه فهماً قائماً على الجزم واليقين إلا بواسطة مبين، فعدد الصلوات وكيفيةها مثلاً بينها النبي، ومن هنا فإن قول النبي وفعله وتقريره نصوص لا بد منها لفهم القرآن وبيانه بياناً قائماً على الجزم واليقين، ولا غنى إطلاقاً للمسلمين

عن سنة النبي بفروعها الثلاثة: القول والفعل والتقرير.
ولكن حتى يتم اختراق السنة النبوية والالتفاف على النصوص الشرعية المتعلقة
بقيادة الدولة ومرجعية الأمة، وحتى تستقيم أمور الحاكم وتتوطد مرجعيته الواقعية
على الأمة، رفع شعار (حسبنا كتاب الله) بمعنى أن القرآن وحده يكفي، ولا حاجة
حتى لسنة النبي!!!!

والجدير بالذكر أن هذا الشعار رفع بمواجهة النبي نفسه عندما أراد أن يكتب
وصيته للأمة، والذي رفع هذا في وجه النبي هو عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)!
وعندما توج أبو بكر (رضي الله عنه) رفع هذا الشعار رسمياً، وتم حصر ما يمكن
حصره من

الأحاديث النبوية المكتوبة، وأمر أبو بكر بإحراقها! كما ذكر المتقي الهندي في كنز
العمال
مجلد ٥ صفحة ٢٣٧، وابن كثير في البداية والنهاية، والذهبي في تذكرة الحفاظ مجلد
١

صفحة ٥، ومنعت رسمياً رواية السنة أو كتابتها، لأن كتاب الله وحده يكفي!!
ولم يختلف الأمر عندما تولى الخلافة عمر (رضي الله عنه)، فقد خطب يوماً، وطلب
من الناس
أن يأتوه بالكتب التي فيها أحاديث رسول الله، ولما جاء الناس بهذه الكتب أمر
بإحراقها،

كما ذكر ابن سعد في مجلد ٥ صفحة ١٨٨ من طبقاته، والخطيب في باب تقييد
العلم!

وكتب إلى الأمصار يأمرهم بمحو أي شيء من أحاديث النبي! كما ذكر ابن عبد البر
في جامع بيان العلم.

وأمر بإتلاف كتب الفرس ومحوها، ومحو كتب مكتبة الإسكندرية الشهيرة. راجع
تاريخ ابن خلدون مجلد ١ صفحة ٣٢، وكشف الظنون مجلد ١ صفحة ٤٤٦،
وفهرست

ابن النديم في صفحة ٣٣٤، لأن هدف الخلفاء نجاح شعار (حسبنا كتاب الله) نجاحاً
تاماً.

وقد فصلنا هذه الناحية تفصيلاً كاملاً، ووثقناها توثيقاً مقبولاً في الفصل الرابع من
هذا الباب، فليرجع إليه من أراد التفصيل.

أما ما خرج عن دائرة المنع من السنة النبوية فيمكن تأويله رسمياً تأويلاً يخدم
توجهات رجالات بطون قريش، فإذا روى راو قول رسول الله: تركت فيكم ما إن
تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي، روى راو آخر: تركت فيكم ما

(۲۶۷)

إن تمسكتم به لن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتي، وإذا قيل: إن عليا مولى كل مؤمن ومؤمنة. قيل: إن هذا من قبيل المدح، والله تعالى مولى الجميع. وباختصار فمن الناحية الرسمية خرجت سنة النبي عمليا من دائرة الحكم والتأثير والنبي على فراش الموت، عندما رفعوا بوجهه وبمواجهته شعار (حسبنا كتاب الله) وهذه المواجهة من الثبوت بحيث لا يجادل فيها أحد، وقد رواها أصحاب الصحاح، وتناقلتها جموع من المسلمين يمتنع عقلا اجتماعهم على الكذب، ولم ينكرها أحد. وهذا دليل قاطع على نجاح البطون باختراق السنة النبوية بفروعها الثلاثة، وتحييد هذه السنة، وقصر الصراع على البطون من جهة، وعلى الهاشميين من جهة أخرى.

٢٢ - الورقة الخامسة: تدمير القاعدة الاقتصادية لبني هاشم وتبييعهم للدولة لقد حرم الله الصدقة على أهل البيت، وخصص لهم جزءا ثابتا من موارد الدولة، وهو خمس الخمس ليضمن لهم الاستقلال الاقتصادي وعدم التبعية الاقتصادية لأحد، لأنهم قيادة الأمة، وفرض هذا الحق في آية محكمة، ولما آلت الأمور إلى بطون قريش ألغوا هذا الحق تماما، وصار أهل البيت يسألون الحاكم عطاءه كما يسأله عامة الناس، ولم تكتف البطون بذلك، إنما أوجدت قاعدة (الأنبياء لا يورثون) فحرموا أهل البيت من تركة النبي، حتى أن العطاءات والمنح التي أعطها النبي للمسلمين أو أقطعها لغير أهل البيت بقيت على حالها، أما المنح والعطاءات التي أعطها النبي لأهل البيت، فقد صادرتها البطون! وقصة الزهراء وفدك، خير دليل على ذلك.

وهكذا تحطم الهاشميون من الناحية الاقتصادية، وتركوا عالة على الدولة، ورهنا من الناحية الاقتصادية بمشيئة الحاكم، إن شاء وصلهم، وإن شاء قطعهم.

٢٣ - الورقة السادسة: الغالب له صلاحيات النبي الفائز من البطون والقابض على مقاليد الأمور، أو الحاكم الغالب هو خليفة النبي، يتمتع عرفيا بكامل الصلاحيات التي يتمتع بها النبي، يعطي ويمنع، يخصص ويعمم،

يرفع ويضع، تدين له الأمة بالطاعة، والخارج على طاعته خارج على الأمة وعلى شريعتها الإلهية، وله خصوصيات لم يتمتع بها النبي، فهو الذي يعين ولي عهده، مع أن النبي بإشاعة البطون لم يفعل ذلك! ويوصي أثناء مرضه، والنبي لم تتح له هذه الفرصة! وسيرة الخليفة ملزمة لخلفه يمكنه أن يجتهد بأي أمر حتى ولو كان عكس سنة النبي! فإذا

ساوى النبي بالعطاء يمكن للخليفة أن يفرق بالعطاء، وإذا أعطى النبي المؤلفه قلوبهم، يمكن

للخليفة أن يعطي المؤلفه قلوبهم، أو يمنعهم سهمهم، مع أن هذا السهم ورد في آية محكمة!

لذلك لا ينبغي أن نتعجب إذا وجدنا من شيعة البطون من يقول: إن الخليفة أعظم من النبي، علنا وعلى مسمع من كل المسلمين!!

هذه الورقات الست هي وجوه لخطة محكمة، ساعدت على نجاح قسمة البطون القرشية، بحيث اختصت وحدها بالخلافة تتداولها في ما بينها لا يشاركها فيها هاشمي،

واختص الهاشميون وبالتحديد أهل البيت بالنبوة لا يشاركهم فيها أحد من البطون، وأقامت نظاما سياسيا فريدا من نوعه أسقط الدولتين الأعظم، وكون أمة إسلامية كبيرة متميزة.

٢٤ - الإمام علي يحلف بالله

حلف الإمام علي قائلًا (والله ما تنقم منا قريش إلا أن الله اختارنا عليهم، فأدخلهم في حيزنا فكانوا كما قال الأول:

أدمت لعمرى شربك المحض صابحا * وأكلك بالزبد المقشرة البجرا

ونحن وهبناك العلى ولم تكن * عليا وحطنا حولك الجرد والسمر

المجلد الأول شرح النهج صفحة ٤٠٤ - تحقيق: حسن تميم.

٢٥ - نماذج من تفكير منظري البطون

قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في حديث طويل دار بينه وبين ابن عباس: يا ابن عباس

أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمد؟ قال ابن عباس: فكرهت أن أجيئه، فقلت: إن

لم أكن أدري فإن أمير المؤمنين يدري، فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتجحفوا على قومكم بجحا بجحا، فاختارت قريش لأنفسها فأصابته ووفقت.

قال ابن عباس: فقلت: إن تأذن في الكلام وتمط عني الغضب تكلمت. قال عمر: تكلم، فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين اختارت قريش لأنفسها فأصابته ووفقت، فلو أن قريشا اختارت لأنفسها من حيث اختار الله لها، لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود. وأما قولك: إنهم أبوا أن تكون لنا النبوة والخلافة، فإن الله عز وجل وصف قوما بالكراهة فقال (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم). إلى أن قال عمر لابن عباس: بلغني أنك تقول حرفوها عنا (أي الخلافة) حسدا وبغيا وظلما؟ قال ابن عباس: فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين ظلما فقد تبين للجاهل والحليم، وأما قولك حسدا، فإن آدم حسد ونحن ولده المحسودون. فقال عمر

: هيهات، هيهات، أبت والله قلوبكم يا بني هاشم إلا حسدا لا يزول. قال ابن عباس: فقلت: يا أمير المؤمنين لا تصف بهذا قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا! راجع الكامل في التاريخ لابن الأثير مجلد ٣ صفحة ٢٤ آخر سيرة عمر من حوادث سنة ٢٣، وراجع شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد مجلد ٢، وأورده ابن أبي الحديد في أحوال عمر، وقد أخرجه الإمام أحمد بن أبي الطاهر في تاريخ بغداد بسنده عن ابن عباس، راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام صفحة ١٤١ - ١٤٢

٢٦ - نموذج آخر على طريقة منظري البطون روى المسعودي في كتابه مروج الذهب حديثا جرى بين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وبين

ابن عباس، فقال: ذكر عبد الله بن عباس أن عمر أرسل إليه فقال: يا بن عباس إن عامل حمص قد هلك وكان من أهل الخير، وأهل الخير قليل، وقد رجوت أن تكون

منهم وفي قلبي منك شيء، وأعياني ذلك فما رأيك في العمل؟ قال ابن عباس: لن أعمل حتى تخبرني بالذي في نفسك. قال عمر: وما تريد إلا ذلك؟ قال ابن عباس: أريده فإن يك شيئاً أخاف منه على نفسي خشيت منه عليها الذي خشيت، وإن كنت بريئاً من مثله علمت أنني لست من أهله فقبلت عملك هنالك، فإني قلما رأيتك طلبت شيئاً إلا عاجلته.

فقال عمر: يا ابن عباس إني خشيت أن يأتي علي الذي هو (يعني موته) وأنت في عملك، فتقول هلم إلينا ولا هلم إليكم دون غيركم. إني رأيت رسول الله استعمل الناس وترككم!

قال ابن عباس: والله قد رأيت من ذلك فلم تراه فعل ذلك؟ قال عمر: والله ما أدري أدخلتكم عن العمل فأهل ذلك أنتم، أو خشيت أن تبايعوا بمنزلتكم منه!... ولا بد من عتاب وقد فرغت لك من ذلك فما رأيك؟ قال ابن عباس: أرى أن لا أعمل لك. قال ولم لا؟ قلت: إن عملت لك وفي نفسك ما فيها، لم أبرح قذى في عينك. قال: فأشر علي. قلت: إني أرى أن تستعمل صحيحاً منك صحيحاً لك.

فأنت ترى أنه من فرط حب عمر لمصلحة المسلمين، ومن فرط كراهيته أن يجمع الهاشميون النبوة مع الخلافة، يريد حتى بعد موته أن يتأكد بأن أحداً لن يدعو لبني هاشم، وبالتالي أنهم لن يحكموا أمة محمد!!! راجع كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام صفحة ٩٠ وما فوق.

٢٧ - البطون لم تكن غافلة عن غاياتها أثناء حياة النبي جاء في سنن الدارمي مجلد ١ صفحة ١٢٥ باب من رخص في الكتابة من المقدمة، وفي سنن أبي داود - باب كتابة العلم مجلد ٢ صفحة ١٢٦، وفي مسند أحمد مجلد ٢

صفحة ١٦٢ و ٢٠٧ و ٢١٦، وفي مستدرك الحاكم مجلد ١ صفحة ١٠٥ - ١٠٦، وابن

عبد البر في جامع بيان العلم وفضله مجلد ١ صفحة ٨٥ قول عبد الله بن عمرو بن العاص:

كنت أكتب كل شيء سمعته من رسول الله بشئ يتكلم في الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله، فأوماً بإصبعه إلى فيه وقال (أكتب، فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق).

فمن هي قريش التي تنهى عبد الله بن عمرو عن كتابة أحاديث رسول الله؟! فقريش تتألف من ٢٥ بطناً كما ذكر المسعودي في مروجه مجلد ٢ صفحة ٢٩١ فهل يعقل أن أفراد البطون القريشية ال ٢٥ هم الذين نهوا عبد الله بن عمرو عن كتابة أحاديث الرسول؟

إن الذين نهوا عبد الله بن عمرو عن كتابة أحاديث رسول الله هم قادة البطون الذين آمنوا بقسمة (النبوة لبني هاشم والخلافة للبطون) وهم أنفسهم الذين منعوا رواية وكتابة أحاديث رسول الله بعد موته، ولم يكتفوا بذلك، إنما حرقوا ما كان مكتوباً من تلك الأحاديث عندما تولوا قيادة الأمة، وذلك بحجة ظاهرية مفادها أن الرسول بشر، مفطور على التكلم بالغضب والرضا، ويريد قادة البطون أن يضعوا كلام الرسول تحت مجهرهم الخاص، فما قدروا أنه مقبول فلا بأس من كتابته، وما قدروا أنه غير مقبول، فلا يجوز أن يكتب! وهم أنفسهم الحكام على تقييم صحة وعدم صحة ما يقوله الرسول!!

٢٨ - التشكيك بشخصية الرسول وقوله

ذكر البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات - باب قول النبي من آذيته، ومسلم في صحيحه كتاب - البر والصلة - باب من لعنه النبي وليس له أهلاً، ما يلي وبالحرف (إن)

رسول الله كان يغضب فيلعن ويسب ويؤذي من لا يستحقها، ودعا الله أن يجعلها لمن بدرت منه إليه زكاة وطهوراً!!

بهذه البساطة يحاول قادة البطون ومن شايعهم أن يجردوا رسول الله من أعظم صفاته وهي الخلق العظيم، تلك الصفة الثابتة بآيات محكمات، وبنفس الوقت يحاول قادة البطون أن يجردوا رسول الله من أعظم لوازم رسالته، وهو أنه رسول الله لا يتقول، ولا ينطق عن الهوى!!
فأي إنسان عادي يترفع عن سب وشتم وإيذاء الناس بدون حق، فكيف بنبي!!
!

٢٩ - ما هو القصد من هذه الإشاعة؟
الثابت أن رسول الله لعن مروان بن الحكم بن العاص، ولعن ما في صلبه، لمعصيتهم لله ورسوله، ومروان هذا وما في صلبه هم الذين قادوا دولة الإسلام ردحا طويلا من الزمن لأنهم غلبوا!

كيف يتقبل المسلم العادي أن يكون إمامه ملعونا من نبيه؟ وأن يسمع ويطيع لملعون؟ لذلك حملوا مسؤولية اللعن لرسول الله وأنه قد ارتكب بذلك معصية! فقد سب ولعن وأذى مروان بن الحكم وأبا سفيان ومعاوية وهم لا يستحقون ذلك!!!!
لذلك كفر النبي عن ذنبه وألحق هؤلاء الأبرار بدعوة خاصة، ليجعل الله لعنه لهم وسبه إياهم زكاة وظهرهم لهم، وخيل للسذج أن الله قد استجاب هذه الدعوة، فزكى الله مروان وذريته وطهرهم، وزكى أبا سفيان ومعاوية وذريتهما وطهرهم! والثابت أيضا أن النبي قد لعن من تخلف عن بعث أسامة، وأبو بكر وعمر تخلفا!
٣٠ - امتياز

وهكذا وبقدرة قادر انقلب الذين لعنهم رسول الله بمعصيتهم إلى أناس مزكين مطهرين، ورفعوا فوق منزلة أهل البيت الكرام، فأهل البيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، بينما مروان وذريته وأبا سفيان ومعاوية وذريتهما زكاهم الله وطهرهم تطهيرا، فامتازوا بالتزكية فوق الطهر!!!

٣١ - وحتى لا يكون في صدر العامة حرج
فقد روى البخاري في كتاب بدء الخلق - باب صفة إبليس وجنوده وكتاب الطب -
باب هل يستخرج السحر، وباب السحر وكتاب الأدب - باب إن الله يأمر بالعدل،
وكتاب الدعوات - باب تكرير الدعاء، وروى مسلم في صحيحه باب السحر ما يلي
وبالحرف (إن بعض اليهود سحروا رسول الله حتى يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما
يفعله)!!!
وروى البخاري في صحيحه - باب قول الله (وصل عليهم) وكتاب الشهادات -
باب شهادة الأعمى ونكاحه، وروى مسلم في صحيحه - كتاب فضائل القرآن
الكريم - باب الأمر بتعهد القرآن عن عائشة، ما يلي وبالحرف (إن النبي سمع رجلا
يقرأ في المسجد فقال: رحمه الله أذكرني كذا وكذا، آية أسقطتها من سورة كذا)!!
وروى البخاري في صحيحه - كتاب الذبائح - باب ما ذبح على النصب والأصنام
مجلد ٣ صفحة ٢٠٧، وأحمد في مسنده مجلد ٢ صفحة ٦٩ و ٨٦ ما يلي وبالحرف
(إن)
رسول الله قبل أن ينزل عليه الوحي قدم إلى زيد بن عمرو بن نفيل - ابن عم عمر بن
الخطاب - سفرة فيها لحم، فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيد للنبي: أنا لا أكل إلا مما
ذكر اسم الله عليه.
وروى مسلم في صحيحه كتاب الفضائل - باب وجوب امتثال ما قاله شرعا،
دون ما ذكره من معاش الناس، وروى ابن ماجة في باب تلقيح النخل ما يلي
وبالحرف (أن رسول الله مر بقوم يلحقون النخل فقال: لو لم تلقحوها لصلح، فتركوا
تلقيحها فخرج سيصا، فقال: أنتم أعلم بشؤون دنياكم!!
لاحظ منهجية صحيح مسلم في إخراج هذا الحديث إذ ذكره تحت عنوان (وجوب
امتثال ما قاله الرسول شرعا، دون ما ذكره من معاش الناس) أي ما يتعلق بشؤون
الدنيا لا يتوجب الامتثال به!!

فرسول الله كأنه ترك أمر الناس للناس، لأن أحكامه بها ليست صحيحة! كما
أشاعوا لذلك أنه خلى على الناس أمرهم!
وهكذا صوروا الرسول الكريم بمثل هذه الصور المؤذية، وشككوا به وبكل ما
قاله، لغاية في نفس يعقوب، وسترى بعد قليل كما رأيت من قبل أنهم تصوروا أن
الرسول لا يؤمن حتى على كتابة وصيته!!
من أجل هذا منعوا رواية وكتابة أحاديثه ٩٥ سنة كما أثبتناه، وبعد مضي ٩٥ سنة
أباحوا الرواية والكتابة! ولولا أئمة أهل البيت الكرام لاندثرت السنة الطاهرة.
* *

الفصل الخامس

إقامة النظام البديل وتكون أركانها

لمحنا أن رجالات بطون قريش كانت تجري استعداداتها بهدوء وصمت لإقامة نظام سياسي معدل، يحكم عصر ما بعد النبوة، ويأخذ بعين الاعتبار مصالح البطون القريشية ووحدها حول دين الإسلام، وقد استقر رأي قادة هذه البطون على أن تكون النبوة خالصة لبني هاشم ولآل محمد لا يشاركهم فيها أحد من بطون قريش، وأن الخلافة لبطون قريش تتداولها في ما بينها لا يشاركها فيها أي واحد من آل محمد،

واعتقد قادة هذه البطون أن هذا التقسيم هو الصواب بعينه، والتوفيق بذاته. واستقر قرارهم على اعتماد القرآن الكريم وحده وبالكيفية التي تتلاءم مع التقاطيع الأساسية للنظام البديل المعدل، وبالفهم الذي يراه الحاكم الغالب ومساعدوه، على اعتبار أن هذا الحاكم الغالب هو الخليفة الفعلي لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو ومساعدوه

أدرى بمصلحة المسلمين!

١ - في الحجرة المقدسة

كانت أول خطوة علنية وفعلية قام بها قادة البطون للإعلان عن نواياهم وإقامة النظام البديل، في الحجرة المقدسة. ويبدو أن عمر (رضي الله عنه) ومن معه قد استعدوا استعداداً

كاملاً لهذا المقام، وأنهم ذهبوا جميعاً لزيارة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلما دخل عمر ومن معه

الحجرة المقدسة، وجدوها غاصة بعود النبي الذين هرعوا لزيارته في مرضه، فأراد (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يغتنم هذه الفرصة وأن يلخص الموقف نهائياً لأمته، لتتمكن من مواجهة عصر ما بعد النبوة.

٢ - رسول الله يتكلم ويشرع بتلخيص الموقف عيون من في الحجرة المباركة شاخصة نحو النبي، الأذان صاغية، وتكلم النبي بصوت مسموع فقال من حوله (هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده). راجع صحيح البخاري مجلد ٧ صفحة ٩، وصحيح مسلم مجلد ٥ صفحة ٧٥، ومجلد ١١ صفحة ٩٥

بشرح النووي.
وفي رواية ثانية أنه قال (إئتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً) راجع صحيح البخاري مجلد ٤ صفحة ٣١، وصحيح مسلم مجلد ٢ صفحة ١٦، ومجلد ١١

صفحة ٨٩ - ٩٤ بشرح النووي.
وفي رواية ثالثة أن رسول الله قال (إئتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لم تضلوا بعده). راجع صحيح البخاري مجلد ١ صفحة ٣٧
وفي رواية رابعة أنه (صلى الله عليه وسلم) قال (إئتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً) صحيح

البخاري مجلد ٥ صفحة ١٣٧، وتاريخ الطبري مجلد ١ صفحة ١٩٢ - ١٩٣
وفي رواية خامسة أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال (إئتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً).

راجع صحيح البخاري مجلد ٤ صفحة ٦٥ - ٦٦
وفي رواية سادسة أن رسول الله قال (هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده) صحيح البخاري مجلد ٨ صفحة ١٦١

٣ - ما قاله الرسول
الرسول قال جملة واحدة لا ثاني لها، وهي أنه يريد أن يكتب للأمة كتاباً لن تضل بعده أبداً، ما هو الخطأ في هذه الجملة!!!؟

بطون قريش تعترض
ما أن سمع عمر بن الخطاب جملة رسول الله هذه، حتى وقف محتجا: لا حاجة لنا
بهذا الكتاب، (حسبنا كتاب الله) إن النبي قد غلب عليه الوجع، حسب الرواية الأولى
والثالثة والسادسة، وحسب الرواية الثانية فقالوا: هجر رسول الله، وحسب الرواية
الرابعة فقالوا: ما شأنه أهرج؟ استفهموه! وحسب الرواية الخامسة فقالوا: ما له أهرج؟
استفهموه.

من الذي قال إن النبي قد هجر - حاشا له -
لا أحد في الدنيا كلها يجرؤ على مواجهة رسول الله بهذه الكلمة غير عمر، ولكن
إشفاقا من الرواة لم يسندوا هذا القول لعمر، ومع هذا فقد ذكر صاحب تذكرة
الخواص
السيوط بن الجوزي في صفحة ٦٤ من تذكروته، وأبو حامد الغزالي في صفحة ٢١ من
كتابه

سر العالمين، أن عمر بن الخطاب هو وحده الذي قال: إن النبي يهجر.
٤ - وانقسمت الأمة إلى فريقين
بسبب جملة واحدة قالها رسول الله في بيته، قسم عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)
الحاضرين

إلى قسمين: القسم الأول وهم حزبه الذين جاءوا معه، وهم يعارضون بشدة أن
يتكلم الرسول، أو أن يسمح له بكتابة أي شيء إطلاقا، وحجتهم أن المرض قد اشتد
به أو غلبه الوجع أو أنه يهجر - حاشا له -
وهذا الحزب متضامن بالكامل مع عمر بن الخطاب، ويعرف ما يريد تماما،
ويبدو أن بينهم وبين عمر (رضي الله عنه) اتفاقا مسبقا، لأن كلمة عمر إن المرض قد
اشتد

بالرسول أو غلبه الوجع، أو أنه يهجر، أو (حسبنا كتاب الله) لا تكفي وحدها لخلق
قناعة فورية للدخول بمواجهة علنية مع النبي، والأقرب إلى المنطق والعقل أن هنالك
إعدادا مسبقا ومحكما لهذه المواجهة، بدليل قولهم: القول ما قال عمر.

القسم الثاني: وهم بقية الحاضرين في الحجرة المباركة، فقد ذهلوا من موقف عمر ومن معه، ومن إصرارهم على الحيلولة بين النبي وبين كتابة ما أراد!! خاصة وأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يقل خطأ، وأنه يتكلم في بيته لا في بيت عمر، وأنه ما زال رسول الله

ونبيه، الذي لا ينطق عن الهوى! ثم إنه ما زال رئيساً للدولة، ثم إنه على الأقل مسلم ومن حقه أن يقول ما يشاء أثناء مرضه، وأن يوصي بما يشاء!!
٥ - تنازع الفريقين

تنازع الفريقان، الفريق الأول بقيادة عمر بن الخطاب، والفريق الثاني لا قائد له لأنه تصرف بعفوية تامة، وبدون إعداد مسبق أما فريق عمر فقد كان يعرف ما يريد ويمضي قدماً لتحقيق كل ما يريد. وما يعيننا أن الفريقين قد تنازعا وأكثروا اللغو والاختلاف واللغط والترديد، فعمر (رضي الله عنه) وحزبه هدفهم الحيلولة بين النبي وبين كتابة

ما أراد، لأن القرآن وحده يكفي ولا حاجة لكتاب النبي ولا لوصيته، حيث إن الوجد قد غلبه، أو اشتد به المرض، أو بتعبيرهم الأصلي أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) هجر أو يهجر - حاشا له -.

أما الفريق الآخر فلم يستطع فهم ما يجري من جانب عمر وحزبه، لأن رسول الله لا ينطق عن الهوى، وهو ما زال نبيهم ورسولهم ووليهم، ولا يملك لا عمر ولا غيره أن يتأمر على المسلمين والرسول موجود، ولا أن يدعي أنه أعلم بالإسلام وبمصلحة المسلمين من الرسول نفسه!

من هنا تعمقت حدة المنازعة والاختلاف، وتعذر على النبي أن يكتب كتابه الذي أراد!!

٦ - النبي يحسم المنازعة

صدم خاطر النبي الشريف من موقف عمر ومن معه، ومن قولهم أن النبي هجر أو يهجر، ومن تفريقهم بين الله وكتابه من جهة وبين رسوله من جهة أخرى، ومن قولهم إن كتاب الله يكفي ولا حاجة لكتاب رسول الله، حتى لو كان تأمينا ضد الضلالة كما

وصفه النبي، وأدرك أنه لم يعد ما يبرر كتابة هذا الكتاب في هذا المناخ، واكتفى بالنصوص السابقة.

وكما أثارت كلمة من كلامه حفيظة عمر وحزبه، فإن جملة كريمة أخرى منه حسمت الموقف فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) (قوموا عني) حسب الرواية الأولى، أو قال حسب

الرواية الثانية: (دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه) وحسب الرواية الثالثة أنه قال (قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع) وحسب الرواية الرابعة أنه قال (دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه) وحسب الرواية الخامسة قال (ذروني فالذي أنا فيه خير مما

تدعونني إليه) وحسب الرواية السادسة أنه قال (قوموا عني) فانتهت المنازعة، لأن فريق عمر حقق ما أراد، وحال بين الرسول وبين كتابة الكتاب الذي أراد، وما تسببوا بحالة اللغط والتنازع إلا لتحقيق ذلك.

أما الفريق الآخر فقد امتثل لأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)!!
٧ - موقفان متخلفان

وأبو بكر على فراش الموت، وقد اشتد به الوجع وغلبه، حتى أنه قال لعثمان بن عفان: أكتب، ثم أغمي عليه من شدة الوجع، ومع هذا كتب في هذه الظروف ما أراد، كما يجمع الرواة بل وتجمع الأمة على ذلك!
وعمر (رضي الله عنه) لا يكف عن القول: أيها الناس إسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله،

إنه يقول إنني لم آلكم نصحا. كما ذكر الطبري في تاريخه ط. أوربا صفحة ٢١٣٨ فلم يقل (رضي الله عنه): إن أبا بكر قد اشتد به الوجع أو أنه هجر، ولم يقل ساعتها: حسبنا

كتاب الله!!!

لو قارنا موقف عمر هذا من أبي بكر، وموقفه السابق من رسول الله، لها لنا ذلك! ولما وجدنا تفسيراً مقبولاً للتوفيق بين هذين الموقفين المختلفين!!!

٨ - حجر الأساس لنظام عصر ما بعد النبوة
صرح عمر بقناعاته أمام النبي نفسه وأمام كبار الصحابة الذين حضروا، فقال لمن حضر وعلى مسمع من النبي: (حسبنا كتاب الله) ودخل بمواجهة حقيقية مع النبي! وقال على مسمع من النبي: إنه يهجر أو هجر - حاشا له - ورأى أنه لا ضرورة لأن يكتب النبي كتابه، وأنصاره ضجوا من بعده: القول ما قال عمر، وأيقنوا أن عمر سيقودهم إلى النصر، وزادت ثقة عمر بنفسه بعد أن نجح بالحيلولة بين النبي وبين كتابة

ما أراد، وأصر على القيام بدور المؤسس لعصر ما بعد النبوة، وبدور المنظر لتعديل النظام الإلهي!!!

وكانت هذه المواجهة هي حجر الأساس الذي وضعه عمر للنظام الذي سيحكم عصر ما بعد النبوة!

٩ - لكي نفهم عصر ما بعد النبوة

نتيجة المواجهة التي جرت أمام النبي وفي حضرته:

١ - خرج النبي عمليا من دائرة التأثير على الأحداث، فقد كانت المواجهة غير متوقعة بهذه الصورة، حسب الموازين الإيمانية.

٢ - تلقت الشرعية ضربة ماحقة قصمت ظهرها، فقد أصبح النبي الكريم شيئا، والقرآن شيئا آخر، فصار بالإمكان مخالفة النبي الموجود، والاعتصام بشعار (حسبنا كتاب الله) أو بتعبير أدق: حصر الدين بالقرآن الكريم وحده، وكما يفهم ذلك المتغلب الذي يقود الأحداث!

٣ - وضع حجر الأساس عمليا لعصر ما بعد النبوة الذي سيحكمه شعار (حسبنا كتاب الله) فبعد وفاة النبي جمع أبو بكر الناس وقال لهم: إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافًا، فلا تحدثوا شيئا عن رسول الله، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله! راجع تذكرة الحفاظ للذهبي بترجمة أبي بكر مجلد ١ صفحة ٢ - ٣

وزيادة بالاحتياط فقد أمر أبو بكر بحرق ٥٠٠ حديث كان قد جمعها أصحابها!
راجع مجلد ٥ صفحة ٢٣٣ من كنز العمال.
كذلك فإن عمر بن الخطاب ناشد الناس أن يأتوه بأحاديث رسول الله المكتوبة،
فلما أتوه بها أمر بحرقها! كما ذكر ابن سعد في طبقاته مجلد ٥ صفحة ١٤٠ بترجمة
محمد
بن أبي بكر.

ويمكنك القول كما أثبتنا، أن السلطة منعت كتابة ورواية أحاديث رسول الله
وسنته مدة ٩٥ سنة، واستمر المنع حتى جاء عمر بن عبد العزيز فحاول جهده أن
يرفع الحظر عن كتابة ورواية سنة الرسول.
ثم إنك بعد ذلك لن تعجب إذا وجدت معاوية بن أبي سفيان الذي حارب وأباه
الإسلام ٢١ عاما بكل وسائل الحرب يرفع هذا الشعار بمواجهة علي بن أبي طالب،
الذي حارب وأهله من أجل الإسلام ٢٣ عاما! فهذا هو معاوية ورهطه يقولون لعلي:
بيننا وبينكم كتاب الله!!!

٤ - بروز فكرة التغلب، واعتبارها سببا للوجاهة والمؤسسية، فمن الذي حول
عمر (رضي الله عنه) أن يوجه، وأن ينظر، والرسول نفسه موجود!!
ومن الذي قال له إن رأيه هو خير من حكم رسول الله!! أو أنه أعلم بمستقبل
هذه الأمة من رسول الله!! أو أنه أفهم بمصلحة الإسلام من رسول الله!!
والأهم من ذلك، فمن الذي أقامه قيما على رسول الله، ليقول أن هذا التصرف من
رسول الله مناسب، وذلك غير مناسب!! ومن الذي أعطاه الصلاحية ليتولى أمر
القيام بدور المؤسس لعصر ما بعد النبوة!!
إن المبرر لكل ذلك هو فكرة التغلب، فالغالب غالب حتى ولو كان عمر!!
والمغلوب مغلوب حتى ولو كان النبي نفسه!! أو كانت الشرعية بذاتها!!
وجاء العلماء في ما بعد فأقروا بالغلبة سببا لشرعية الحكم والمرجعية، راجع الأحكام
السلطانية (للفرا)، والأحكام السلطانية للماوردي تجد صحة هذا السبب عندهم، ثم
تصفح
وقائع التاريخ تجد أن فكرة الغلبة هي التي سادت وقادت التاريخ السياسي الإسلامي!!

هل تتصور أن هنالك آية في القرآن تبيح ذلك؟! أو أن هنالك حديثاً أو سنة عن الرسول تبيح ذلك؟ لا والله لقد أصبح ذلك مباحاً بالاستناد إلى قول عبد الله بن عمر بن الخطاب يوم الحرة (نحن مع من غلب).

٥ - تقدم التابع على المتبوع وتأمير المفضل على الأفضل، فعمر (رضي الله عنه) تابع بكل

الموازين، ومحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) متبوع بكل الموازين، وعمر هو المفضل بكل الموازين، والنبى هو الأفضل بكل الموازين، ومع هذا نفذ قول عمر ورأيه، وتعطل حكم النبى، وخرجت الشرعية عن دائرة الحكم من اللحظة التي حيل فيها بين الرسول وبين كتابة ما أراد.

ومن هنا وضعت قاعدة: أن بإمكان العالم أن يتكلم، وعلى الأعم أن يسكت، ونشأت في ما بعد قاعدة: جواز حكم المفضل مع وجود الأفضل إن كانت هنالك مصلحة في ذلك، والذي يقدر هذه المصلحة عملياً هو الغالب! ولا خلاف بين أهل السنة بالنتيجة حول هذا الموضوع، فمعاوية مفضل وابنه مفضل، ومروان بن الحكم مفضل وأولاده مفضلون، ولكن قدموا لمصلحة وهي وحدة الأمة تحت ظلال حكم الغالب المفضل، بمعنى أن الواقع قاد الشرعية ووجهها ورشدها! والأصل أن تقود الشرعية الواقع وتوجهه وترشده.

وقد حللنا في كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام من صفحة ٢٧١ وما فوق بما أمكن من التفصيل ما جرى بين النبى وبين عمر (رضي الله عنه) في

حجرة النبى المباركة، والنتائج المذهلة التي ترتبت على ما جرى.

١٠ - عمر يعود للحجرة المقدسة ولكن بعد وفاة النبى توفي رسول الله منتصف نهار يوم الاثنين، وكان أبو بكر غائباً بمنطقة السنح، وكان عمر حاضراً يراقب بعين ثاقبة، ويرتب لعصر ما بعد النبوة. فجاء (رضي الله عنه) ليعرف حالة

رسول الله، واستأذن ودخل الحجرة المقدسة التي شهدت مواجهته للنبى قبل يوم أو بعض يوم، فكشف الثوب عن وجه رسول الله، وتصور أن النبى في حالة غشوة،

فقال له المغيرة بن شعبه الذي جاء معه إن النبي قد مات.

١١ - اجتماع عمر وأبو بكر رضي الله عنهما

خرج عمر وأخذ يقول: إن رجالا يزعمون أن رسول الله قد مات، إن رسول الله ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى! ومن قال إن رسول الله قد مات علوت رأسه بسيفي!! راجع تاريخ الطبري ط أوريا ١٨١٨، فما زال عمر يتكلم حتى أزيد شدقه، راجع أنساب الأشراف مجلد ١ صفحة ٥٦٧، والطبقات لابن سعد، وكنز العمال مجلد ٢ صفحة ٥٣

وجاء أبو بكر وعمر على هذه الحالة وتلا قوله تعالى (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل....) فقال عمر: هذا في كتاب الله؟ قال أبو بكر: نعم، فسكت عمر! الطبقات لابن سعد، والطبري مجلد ١ صفحة ١٨١٧ - ١٨١٨، وابن كثير مجلد ٥ صفحة ٢٤٢

وكان ابن أم مكتوم قد قرأ هذه الآية على عمر قبل مجيء أبي بكر، إلا أن عمر لم يتغير ولم يتوقف، فلما جاء أبو بكر وتلا نفس الآية سكت عمر وسكن، وتحول من حالة إلى حالة، وكأن لم يكن به شيء!

لقد اجتمع الاثنان معا، وتأكدا من أن رسول الله قد مات، وبدءا يخططان معا لمواجهة عصر ما بعد النبوة، وإقامة أركان النظام المعدل، الذي سيحكم ذلك العصر، وتصوروا معا أن العناية الإلهية قد قدرت لهما أن يسدا الفراغ الذي أحدثه موت النبي، وأن ينقذا أمة محمد من مصير مجهول تماما.

١٢ - القوى السياسية المتواجدة في عاصمة النبي عند موته

كانت عاصمة النبي شبكة متداخلة من القوى السياسية.

١ - القوة السياسية الأولى: وهم أهل بيت محمد خاصة، وبني هاشم عامة، وعميد

هذه القوة هو علي بن أبي طالب، المعروف بأنه ولي المؤمنين، ووصي النبي،

والخليفة من بعده، وقد اشتهر بعلمه الذي لا يجارى، وفروسيته التي لا تبارى، وبمنزلة من النبي منزلة تتقاصر دونها المنازل، حتى أقر العدو والصديق أن منزلته من النبي كمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبيا. ويليه بالشرف ابنه الحسن والحسين، فهما ابنا رسول الله بالنص، وهما إمامان بالنص أيضا. ثم تتوالى دوائر الشرف الهاشمي.

٢ - المهاجرون: وهم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة قبل فتح مكة، وتطلق على أبناء بطون قريش ومن والاهم. والهاشميون من المهاجرين ولكن البطون تتخذ موقفا موحدا من بني هاشم، وتنظر للهاشميين نظرة غير مريحة، لأنها مشوبة بروائح التاريخ والقبلية والعواطف الإنسانية المتناقضة. فالبطون قد أجمعت على محاصرة بني هاشم وفشلت. والبطون قد أجمعت على قتل النبي وفشلت. والبطون أعلنت حربها على النبي وقاومت دعوته وفشلت. والبطون شنت حربا مسلحة على النبي وبني هاشم وفشلت. ثم سلمت واستسلمت لأنه لا بديل عن الإسلام، ولكنها بطبائعها البشرية لن تنسى الأحبة الذين قتلهم الهاشميون خاصة عميدهم علي بن أبي طالب. وهي لم تقبل مختارة أن يكون النبي من بني هاشم. وهي لا تترتاح إطلاقا للمكانة التي أعطاها الإسلام لبني هاشم عامة ولأهل البيت خاصة، ولا تطيب نفسا بمكانة علي الدينية. عمادة البطون القريشية: يبدو واضحا أن بطون قريش لا تقبل أن يكون عميدها بعد النبي من بني هاشم، ويبدو واضحا أن بطون قريش بالإجماع تكره كراهية مطلقة أن يجمع الهاشميون مع النبوة الملك، ولا خلاف بينها على هذا المبدأ، إلا قلة من البطون قد شذوا عن هذا الإجماع. ولسوء الحظ أن عمر بن الخطاب يرى أن هذه الكراهية هي عين الصواب وعين التوفيق.

ولسوء الحظ أيضا أن أبا بكر يتعاطف مع مصالح البطون، ويريد إنصافها، ويريد لها أن تجتمع حول الإسلام ولا تتفرق. وأبو بكر رجل وديع يكره المواجهة، ورجل كبير بالسن، والعرب تحترم كبر السن، لذلك فإن عمادة البطون عمليا كانت لعمر، وفخريا كانت لأبي بكر الصديق رضي الله عنهما. ومما لا شك فيه أن البطون القريشية مجتمعة كانت أقوى القوى السياسية في عاصمة النبي.

٣ - الأنصار: وهما الأوس والخزرج والبطون المؤلفة لهذين الرهطين، وقد طبعا على التنافس في ما بينهم، فلم يقبل أحد منهما رئاسة الآخر، وقد لطف الإسلام حدة التنافس وساعد على تصفية النفوس، لكنه لم يقتلع النزعات الخفية للقناعات القبلية، وأكثرتهم تحب من أحب الله ورسوله، وتتعاطف مع الإمام علي.

٤ - أبو سفيان وبنو أمية: صحيح أن بني عبد شمس من البطون ولكن موقع أبي سفيان القيادي ومكانته في الجاهلية يأنفان به عن القبول بالتبعية لبني تيم قوم أبي بكر أو بني عدي قوم عمر، فهو مؤمن ومقتنع أن هذين البطين خلقا ليقادا لا ليقودا.

وقد حاول أبو سفيان أن يتحالف مع علي ضد أبي بكر تحت شعار بني عبد مناف، ولكن عثمان كان في صف أبي بكر، فضلا عن ذلك، فإن أبا بكر وعمر قد استرضياه وتركا له ما بيده من الصدقات، وأمرا ابنه علي جيش الشام، فانضم إلى تحالف البطون وتوطد أمر معاوية بعد موت أخيه، وآلت لمعاوية زعامة بطون قريش المتحالفة.

٥ - المنافقون: الذين آمنوا بألسنتهم وكفرت قلوبهم وهم قطاع كبير من أبناء المجتمع اليشربي، معروفون، وآخرون غير معروفين، غالبوا النبي فغلبهم، وخادعوا الله فخدعهم، ومكروا وأحاط الله بمكرهم، وكشفهم وعراهم، وبين الوسائل التي تميزهم - ومنها كراهيتهم للنبي، وبغضهم لعلي - وقد هلك

المنافقون لوفاة النبي، وتصوروا أن الإسلام سيتهدم وأن القوى السياسية الإسلامية ستتصارع فاندسوا بين الصفوف، يؤيدون كل خارج على الشرعية، ويوسعون كل شق، ويباركون كل خلاف ويغذونه، ولكنهم أقل وأذل من يقودوا حركة المجتمع.

ولكن انقطاع الوحي وغياب الرسول أعطاهم الحرية، خاصة وأن هدف القوى السياسية صار جذب الأعوان وتكثير الأنصار، فدخلوا في حزب الغالب، وكان له دور مهم في توجيه الأحداث!

١٣ - الصدفة الغربية

بطون قريش بالإجماع كرهت أن تجمع لبني هاشم النبوة والملك ورأت في ذلك إجحافا بحق البطون، لذلك عملت لأن يختص الهاشميون بالنبوة لا يشاركهم فيها أحد،

وأن تختص البطون بالملك لا يشاركها فيها هاشمي، واعتقد رجالات البطون البارزين أن من مصلحة الإسلام أن تتحد بطون قريش حوله، وأن الحكمة ومصلحة الإسلام تقتضي إرضاء البطون وإغضاب بني هاشم، فذلك أفضل وأخف ضررا من إرضاء أهل البيت إغضاب البطون!

وبالصدفة أيضا فإن المنافقين كرهوا محمدا وعادوه طوال حكمه وكفروا برسالته وأنكرت قلوبهم نبوته، وهم بالضرورة يكرهون حكم آل محمد، ويكرهون من يحب محمدا، ويحقدون على النبي وآله. ولكن المنافقين لا يطمعون بالحكم بل يطمعون بالمشاركة، ومشاركتهم لآل محمد غير واردة، ولكن مشاركتهم للبطون ممكنة، وبالتالي فإن استطاع أن يتحالفوا حتى مع الشيطان في سبيل إبعاد آل محمد عن الحكم فلن يتوانوا. لذلك فإنهم أيدوا البطون بعد أن رصدوا حركة المجتمع وطبيعة القوى السياسية المتنافسة.

ورضيت البطون بما فعل المنافقون، وهذا هو السر باختفاء كلمة النفاق والمنافقين

بعد موت النبي، حتى يخيل للإنسان لأول وهلة أن مشكلة النفاق الكبرى قد حسمت نهائياً، وأن الخلفاء قد نجحوا في ما عجز عنه النبي نفسه، وأن المنافقين عن بكرة أبيهم كانوا ينتظرون موت النبي ليؤمنوا!!! فلما مات استقاموا عن بكرة أبيهم!!!

١٤ - القوتان الرئيسيتان لم تنطلقا معا

القوتان السياسيتان المتنافستان: بطون قريش، وأهل البيت النبوي، لم تنطلقا معا ولم تخطبا ود الأنصار معا. كان قادة البطون ومن والاهم يتحركون معا بحرية تامة، يتشاورون ويخططون، ويتنقلون، ويقودون الواقع ويطورونه لصالح خطتهم في كل لحظة، في الوقت الذي كان آل محمد غارقين في مصابهم الجلل، متحلقين حول الجثمان

الظاهر، مشغولين بتجهيزه لمواراته في ضراحه الأقدس، لم يغادروا بيت النبي، وليس بإمكانهم أن يغادروه، فهل من الممكن عقلاً أن يتركوا النبي جنازة ودون تجهيز، ويخرجوا لينازعوا الناس سلطانه!!!

هذا من جهة، ومن جهة ثانية، ولو من باب جبر الخواطر لأهل الفقيد، فمن غير الممكن عقلاً ودينا أن تقطع البطون هذا الأمر في ما بينها في غياب آل محمد، فعلى الأقل لهم حق المشورة، حتى ولو كانوا من الموالي، هذا على افتراض تجاهل النصوص الشرعية التي رتبت أدق التفاصيل لعصر ما بعد النبوة، وبينت أن الهدى لا يدرك إلا بالتمسك بالثقلين، كتاب الله وعترة النبي أهل بيته، وأن الضلالة لا يمكن تجنبها إلا بالتمسك بالثقلين كتاب الله وعترة النبي أهل بيته، فكيف يمكن للبطون أن تهتدي أو تتجنب الضلالة بغياب عترة النبي وأهل بيته!؟

ومن جهة ثالثة، إن المنظومة الحقوقية الإلهية قد بينت علنا وأمام جمع يزيد على مائة ألف مسلم من هو الولي من بعد النبي، وبينت هارون موسى وهارون محمد، بل وبينت بالنص المحكم أن عليا وحسنا وحسينا كنفس النبي تماما.

ومن جهة رابعة، فإن البطون التي صدمت قيادتها خاطر النبي الشريف، وهو على فراش المرض قبل الموت فقالت بمواجهته: هجر رسول الله أو يهجر - حاشا له

مع أنه لا ينطق عن الهوى، وقالت: (حسبنا كتاب الله) مع أنه الأعلم بكتاب الله، وتسببت بالتنازع واللغظ والاختلاف، مع أن الوفاق وعض الصوت والوقار والسكينة في حضرته المباركة واجب شرعي، فمن غير الممكن عقلا ودينا أن تصدم هذه البطون خواطر أهل بيت النبوة، وحببيهم وفقيدهم لم يدفن بعد، إن فطرة العرب تأبى أن تجمع بين هاتين الصدمتين!! وأن توجه لذات المضروب هاتين الضربتين معا!! هذا هو تقدير أهل بيت النبوة للموقف آنذاك.

ثم من هو المؤهل إلهيا ليخلف النبي غير عميد أهل البيت؟! وكيف يطبق الشرعية من لا يعرف أسرارها من مصادرها?!!!

١٥ - الملك العقيم واللحظة الحاسمة

ماذا تعني الشرعية بمواجهة طلب الملك!! وماذا يعني مصاب أهل البيت الكرام أمام إصرار البطون على تعديل الترتيبات الإلهية، وتقسيمها بصيغة جديدة تحقق العدل للبطون وللهاشميين معا، فتأخذ البطون الخلافة وحدها، كما أخذ الهاشميون النبوة وحدهم!!!

إنها لحظة واحدة إذا اغتنمتها البطون فقد حققت النصر الساحق على آل محمد، وأقامت صرح العدالة! وهي لحظة انشغال أهل البيت بتجهيز النبي ومواراته في ضراحه الأقدس، فإذا استطاعت قيادة البطون أن ترتب أوراقها قبل انتهاء آل محمد من تجهيز النبي، عندئذ تواجه البطون آل محمد بقوة الواقع، وبوحدة الأمة، وتصور الآل الكرام بصورة الخارج عن الصف والمفرق لوحدة الأمة وجماعتها!!

أما إذا انتهى الآل الكرام من تجهيز النبي ودفنه قبل أن ترتب قريش أوراقها، فقد بطل التدبير وأحيط بقريش! فمن له حجة كحجة أهل البيت؟ ومن له منطق كمنطق أهل البيت؟ ومن له شرف كشرف أهل البيت؟ ومن له فخر كفخر أهل البيت؟ ومن تدعمه المنظومة الشرعية الإلهية كما تدعم أهل البيت؟ إن الدقائق والشواني من ذهب خالص! إنها خارج وحدة الزمن!!!!

١٦ - عين عمر بن الخطاب التي لم تنم
عمر بن الخطاب يعرف هذا حق المعرفة، ويعرف أهمية هذه اللحظات، وهو متيقن
من صواب تعديل الترتيبات الإلهية (فاختارت قریش لنفسها فأصابت ووفقت) على
حد قوله، لذلك لم تنم عينه وركب الهول، وواجه أحب الخلق إلى الله في سبيل هذا
الصواب والتوفيق، وهو ماض قدما كالإعصار، يصنع الحدث، ويحركه، ويوجهه،
بكفاءة عالية.

وإذا كانت النفوس كبارا * تعبت في مرادها الأجسام

١٧ - الأهداف العليا المراد تحقيقها

الهدف الأول: من الواضح أن هدف البطون ينصب بالدرجة الأولى والأخيرة على
منع آل محمد من أن يجمعوا النبوة والملك، حتى لا يجحفوا على قومهم بجحا
بجحا،

على حد تعبير عمر (رضي الله عنه).

الهدف الثاني: وفي سبيل تحقيق الهدف الأول يتوجب تنصيب خليفة في غياب آل
محمد، ومواجهة آل الكرام بأمر واقع، وبوضع مستقر، فإذا رفض آل الكرام هذا
الأمر الواقع، عندئذ يصطدمون بكل المستفيدين من واقعة تنصيب الخليفة، ومن
جهة ثانية يكونون بمواجهة سلطة دولة فعلية، ولا طاقة لآل الكرام على المواجهة في
هذه الحالة.

الهدف الثالث: يجب استقطاب الأنصار حول الفكرة وإن أمكن تنصيب الخليفة
بمنطقة الأنصار، وبعد التنصيب يخرج الخليفة الجديد محاطا بمؤيديه، ويتوجهون إلى
آل محمد ليتأكد آل الكرام هو أن الأمة هي نفسها التي نصبت الخليفة، وهي بنفسها
التي تحيط به وتؤيده، وليس أمام آل الكرام من سبيل غير تأييد هذا الذي اختارته
الأمة، فإذا أيد آل الكرام من نصبته الأمة فقد أفلحوا ورزقوا العافية، وإن عارضوا

فإن معارضتهم لا قيمة لها، ولا جدوى عملية منها، ولا تشكل خطراً على سلطة فتية قائمة، ارتبطت بوجودها شبكة من المصالح.

وفي حالة استمرار معارضة الآل الكرام، فيغدو من واجب السلطة الحاكمة أن تقومهم باللين، وأن تردهم إلى طريق الجماعة، فإن استعصى تقويم الآل الكرام، فلا حرج على ولي الأمر الحاكم الفعلي الغالب من أن يسحق الآل الكرام، وأن يحرق عليهم بيوتهم عند الاقتضاء، وتلك رسالة ضمنية لمن تسول له نفسه معارضة الغالب. هكذا قدرت قيادة البطون الموقف، ورسمت أهدافها على هذا الأساس، وأخذت تتحين الفرص لترجمة هذه الأهداف.

١٨ - الفرصة الوحيدة

هي تنصيب خليفة النبي قبل أن يفرغ الآل الكرام من تجهيز جثمان النبي ومواراته في ضراحه الأقدس، وهكذا يتم التنصيب في غياب الآل الكرام، وتتجنب البطون مواجهة معهم غير مضمونة النتائج، لأن منطق الآل الكرام ليس كمنطق البطون، وحجة الآل الكرام ليست كحجة البطون، وهيبتهم ونفوذهم وتاريخهم ليس كهيبة البطون ونفوذها وتاريخها، وموقع الآل الكرام في المنظومة الحقوقية الإلهية ودعم النصوص لهم، ليس كموقع بطون قريش ودعم النصوص لها.

وباختصار شديد إما أن تغتنم البطون هذه الفرصة الوحيدة بالذات فتقيم ملكها، وترغم أنف خصمها، وإما أن تضيع هذه الفرصة وكل الفرص اللاحقة وإلى الأبد! فإذا بايعت الجموع علي بن أبي طالب وهو فتى، فسيحكم طويلاً، وسوف يأسرها بعلمه وعدله ورجولته ومكانته الشرعية، وبعد عمر طويل فسيموت علي ويأتي الحسن بن علي على قدر، وتكون الأوضاع مستقرة والحسن إمام بالنص، فهل يقوى ابن عمر أو ابن أبي بكر على منافسة ابن محمد وسيد شباب أهل الجنة؟!!!! وهكذا يذهب المجد من البطون، ويختص الآل الكرام بالنبوة والملك معاً!!

صحيح أن الله تعالى قد أعطى آل إبراهيم الملك والنبوة وجمع لهم الملك مع النبوة، وقد أعلن النبي أن آل محمد هم أفضل وأعظم من آل إبراهيم، وأن الله تعالى قد جمع لهم الملك والنبوة كما جمعهما لآل إبراهيم، ولكن هذا قول محمد، ومحمد يتكلم

في الغضب والرضا على حد تعبير البطون، فلا ينبغي أن يحمل كلام محمد كله على محمل الحد!!!

راجع بربك سنن الدارمي مجلد ١ صفحة ١٢٥ - باب من رخص في الكتابة، وسنن أبي داود مجلد ٢ صفحة ١٢٦ - باب كتابة العلم، ومسند أحمد مجلد ٢ صفحة ١٩٢ و

٢١٦، ومستدرك الحاكم مجلد ١ صفحة ١٠٥ - ١٠٦، وجامع بيان العلم وفضله لابن

عبد البر مجلد ١ صفحة ٨٥!!!!

هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن القرآن وحده يكفي حسب رأي عمر، ولا داعي لقول النبي، ولا داعي لتوجيهه الشخصي، حتى وإن كان النبي موجودا. راجع بربك مواجهة عمر للنبي نفسه في الحجرة المقدسة، وكيف قال على مسمع النبي: (حسبنا كتاب الله) ولا حاجة لنا بكتاب النبي، وكيف قال وحزبه: إن رسول الله قد هجر أو يهجر - حاشا له - .

وقد وثقنا ذلك بست صيغ من روايات البخاري ومسلم، وهما بعد كتاب الله بالصحة كما ألقى بروع الجموع!! دعك من ذلك ولنرافق البطون في بحثها عن مكان الفرصة، بعد أن أجادت هذه البطون توقيت الفرصة!

١٩ - إختيار السقيفة مكانا لتنصيب الخليفة

لقد وضعت بطون قريش الخطة كاملة، ولم يبق عليها إلا إختيار مكان تنصيب الخليفة، وإعلان النظام المعدل الجديد، بالوقت المناسب الذي حددته.

٢٠ - سعد بن عبادة وعوده

وتبين لقيادة البطون أنه في الوقت الذي مات فيه رسول الله، كان سعد بن عبادة سيد الخزرج مريضاً، لا يقوى على الحركة، وهو طريح الفراش، ولا خلاف بين أحد من أتباع الملة على صحة واقعة مرض سعد.

راجع على سبيل المثال تاريخ الطبري ط أوربا مجلد ١ صفحة ١٨٤٣ ومجلد ٢ صفحة ١٤٦ حوادث ١١ ٥، وتاريخ ابن الأثير مجلد ٢ صفحة ١٢٥، والإمامة والسياسية لابن قتيبة مجلد ١ صفحة ٥... إلخ.

ولا خلاف بين أحد من أبناء الملة بأن سعد بن عبادة كان سيد قومه، وركن الأنصار الأول، فابن عبادة وابن معاذ هما سيदा الأنصار بلا منازع، ومن الطبيعي جدا أن يتوافد وجهاء الأنصار على سعد لزيارته، والاطمئنان على صحته، ومن الطبيعي أن يطغى نبأ وفاة النبي على الأحاديث الخاصة التي كانت تجري بين سعد وعوده. وقرب بيت سعد كانت تقع سقيفة بني ساعدة.

٢١ - الاختيار الموفق

حادثة مرض سعد بن عبادة وتوافد وجهاء الأنصار لزيارته لم تكن خافية على عمر بن الخطاب، فقد أدرك عمر بثاقب بصيرته أن النبي ميت في مرضه لا محالة، والنبي نفسه قد أعلن ذلك لأصحابه. من هنا فإن عمر (رضي الله عنه) كان يرصد كل التجمعات

بكفاءة عالية، بما فيها التجمعات التي تجري في بيت النبي نفسه، وكان يحاول أن يوجه

هذه التجمعات وأن يسيطر على مجرياتها، ومواجهته للنبي في الحجرة المقدسة وقول عمر (حسبنا كتاب الله) وقوله وحزبه إن رسول الله قد هجر، أكبر دليل على رصده الناجح لكل التجمعات.

فما أن علم بوجود بعض الأنصار في بيت سعد بن عبادة حتى أدرك أن هذا تجمع، وأنه يضم مجموعة من وجهاء الأنصار الذين جاءوا لزيارة سعد بن عبادة، وأن

الساحة أمام بيت سعد مناسبة لتتسع لتجمع أكبر، وأن هذا المكان بعيد نسبياً عن بيت النبي حيث يتجمع فيه آل البيت الكرام، وأن هذا المكان هو المكان الأفضل لتنصيب الخليفة وإعلان النظام الجديد المعدل، وهو نقطة مثالية لزف الخليفة الجديد بعد ذلك محاطاً بالجموع المؤيدة له فيمرون من قرب بيت النبي، ويشاهدهم الآل الكرام. وعندئذ يتبين للآل الكرام أن الخليفة الجديد واقع، وأن السلطة الجديدة واقع، وأنه لا قدرة لهم على مواجهة هذا الواقع، وليس لهم من بديل إذا ما أرادوا العافية، غير تأييد هذا الواقع.

ولقد نجح عمر (رضي الله عنه) تماماً ووفق بتقديره للموقف.

٢٢ - عمر يرتب أعوانه

رتب عمر أعوانه بحيث يأتي قسم منهم إلى السقيفة فيبايعون ويشتركون بزفة الخليفة الجديد، وقسم آخر منهم يبقى بقرب بيت النبي، فإذا أقبل الخليفة الجديد يتحرك هذا القسم ويبايعه أمام الآل الكرام.

يقول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وهو يتذكر لحظات السقيفة: ما هو إلا أن رأيت أسلم

فأيقنت بالنصر!!!

راجع تاريخ الطبري مجلد ٢ صفحة ٤٥٨ و ط أوربا مجلد ١ صفحة ١١٤٣، وفي رواية بن الأثير مجلد ٢ صفحة ٢٢٤ (وجاءت أسلم فبايعت) وقال الزبير بن بكار في الموفقيات برواية شرح النهج مجلد ٦ صفحة ٢٨٧ فقوي بهم أبو بكر.

كيف يوقن بالنصر لمجرد الرؤية؟ مما يعني أنه واثق ثقة مطلقة من تأييد أسلم! فلما بويع أبو بكر (رضي الله عنه) أقبلت الجماعة التي بايعته تزفه زفاً إلى مسجد رسول الله!!

راجع الموفقيات صفحة ٥٧٨، والرياض النضرة مجلد ١ صفحة ١٦٤، وتاريخ الخميس

مجلد ١ صفحة ١٨٨

٢٣ - الفريق الثاني من أعوان عمر
عندما وصل الخليفة الجديد إلى مسجد النبي صاح عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)
بالناس

الجالسين حول المسجد وفيه: ما لي أراكم حلقا شتى قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايعته
وبايعه الأنصار، فقام عثمان ومن معه من بني أمية فبايعوا، وقام سعد بن أبي وقاص
ومن معه من بني زهرة فبايعوا.

راجع الإمامة والسياسة مجلد ١ صفحة ١٩ لابن قتيبة الدينوري.
أنت تلاحظ أنه بمجرد أن قال عمر: قوموا فبايعوا قام كثير منهم، فالمبايعة لم تكن
ثمرة قول عمر، إنما كانت ثمرة تصور سابق ومعروف ومعد له.

راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام صفحة ١٢٧ - ١٢٩ وكتابنا نظرية عدالة
الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام صفحة ٢٨٧ وما فوق.

٢٤ - رجال حول عمر (رضي الله عنه)

إن وحدة التصور هي التي وحدت بطون قريش ظاهرة النبوة، فقد وقفت كل
بطون قريش ضد النبوة الهاشمية بلا استثناء، واشتركت بطون قريش بمقاطعة الهاشميين
وحصارهم ثلاث سنين في شعب أبي طالب بلا استثناء، ووقفت كل بطون قريش بلا
استثناء ضد الدعوة ١٣ عاما، واشتركت بطون قريش بلا استثناء في محاولة قتل النبي،
وجيشت بطون قريش جميعا وبلا استثناء الجيوش، وحاربت النبي ٨ سنوات بكل
وسائل الحرب!!

ثم أحيط بهذه البطون وحصرت في جزيرة من الشرك وسط بحر من الإسلام،
فاستسلمت إذ لم يعد أمامها خيار غير الاستسلام، ثم أسلمت مكرهة بعد أن أغلقت
أمامها كل الأبواب ولم يبق إلا باب الإسلام، وبلغ إحساسها بالإحباط والمرارة المدى!
ولأنه يتعذر عليها أن تجمع بين الإسلام وبين الحقد على النبي، وبين الدين الجديد
وبين حسدها للذي جاء به، فلذلك فقد جبرت بطون قريش كل مشاعرها السلبية

إلى الهاشميين، واعتبرتهم هم سبب هزيمتها وتدمير صيغتها السياسية الجاهلية، وحملتهم مسؤولية قتل رجالها، فبلغ حسد البطون للهاشميين المدى، وبلغ حقد هذه البطون على الهاشميين المنتهى، ولأن عميد الهاشميين بعد النبي هو علي بن أبي طالب، لذلك صبت

بطون قريش جام غضبها عليه، إرغاماً لأنفه، وانتقاماً من تنمره في ذات الله.
٢٥ - البطون تتحد برئاسة عمر (رضي الله عنه)

نبوة الهاشميين قدر لم يكن هنالك مجال للفرار منه بالرغم من المقاومة الضارية لبطون قريش طوال ٢١ عاماً فليأخذ الهاشميون النبوة وحدهم لا يشاركهم فيها أحد من البطون، طالما أن النبوة قدر لا مفر منه. فلتكن خالصة للهاشميين ولا مانع لدى البطون من ذلك، لكن بطون قريش لا يمكنها أبداً أن تقبل أحكام أو تصريحات الرسول

الأخيرة، خاصة إعلانه يوم غدير خم، والتي يفهم منها بوضوح لا لبس فيه بأن الله تعالى يريد أن يجمع لآل محمد الملك مع النبوة، كما جمعها لآل إبراهيم. لذلك لا ينبغي

أن تحمل تصريحات الرسول على محمل الجد، فالرسول يتكلم في الغضب والرضا وهو

بشر! كما وثقنا ذلك أكثر من مرة.

فلو حملت البطون أقوال النبي في هذا المجال على محمل الجد فإن هذا يعني جمع الملك مع النبوة لبني هاشم، وفي ذلك إجحاف بحق البطون وقسمة ليست عادلة، فليس من العدل - برأي البطون - أن يجمع الهاشميون النبوة والملك، وأن تحرم البطون

منهما، والأقرب للعدل الإلهي أن يأخذ الهاشميون النبوة وحدهم لا يشاركهم فيها أحد من البطون، وأن تأخذ البطون الملك وحدها تتداوله في ما بينها لا يشاركها فيه أي هاشمي طوال التاريخ!!!

وهذا هو التوفيق والصواب بعينه، وهذه هي وسيلة منع الإجحاف الهاشمي، على حد تعبير عمر (رضي الله عنه). راجع الكامل في التاريخ لابن الأثير مجلد ٢ صفحة ٢٤ آخر

سيرة عمر من حوادث سنة ٢٣، وراجع شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد

مجلد ٣ صفحة ١٠٧ منقولاً عن تاريخ بغداد، وراجع شرح النهج تحقيق أبي الفضل
مجلد ١٢ صفحة ٥٢، وراجع تاريخ الطبري مجلد ٤ صفحة ٢٢٣، ومجلد ٢ صفحة
٢٨٩

ولتعرف الإصرار التاريخي على هذه القسمة والحرص على دوامها. راجع مروج
الذهب للمسعودي مجلد ٢ صفحة ٢٥٣ - ٢٥٤، راجع كتابنا نظرية عدالة الصحابة
والمرجعية السياسية في الإسلام صفحة ٣٣١ وما فوق.
ولسوء الحظ أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان يؤمن بهذه القسمة، لأنه يحب
العدل.

ونتيجة ذلك أصبحت كل البطون فريقاً واحداً، وأصبح عمر بن الخطاب هو رئيس
هذا الفريق، ترى البطون ما يرى عمر (رضي الله عنه)، فهم رجاله وهو قائدهم.
٢٦ - رجال من الأنصار

استقطب عمر (رضي الله عنه) حوله مجموعة من وجهاء الأنصار، ويبدو أن أكثرهم
إخلاصاً لعمر هو عويم بن ساعدة، وعندما مات عويم وقف عمر على قبره وقال:
لا يستطيع أحد من أهل الأرض أن يقول أنا خير من صاحب هذا القبر. راجع
الإستيعاب لابن عبد البر مجلد ٣ صفحة ١٧٠ والإصابة مجلد ٣ صفحة ٤، وأسد
الغاية

مجلد ٤ صفحة ١٥٨

وممن استقطب حوله من الأنصار وكان لهم دور بارز في إقامة النظام الذي حكم
عصر ما بعد النبوة، أسيد بن حضير، وثابت بن قيس، وسلمة بن سالم، وعاصم
بن عدي. وبلغ من وفائهم لعمر أنهم دخلوا بيت فاطمة بنت محمد عنوة، بناء على
أوامر عمر، ولو شاء لأحرقوا بيت فاطمة بنت محمد على من فيه!!!
نعم إن كل رجالات بطون قريش يرون ما يرى عمر، فقد قالوا حتى بمواجهة
النبي نفسه: القول ما قال عمر!! فكيف في غياب النبي؟ ومن جهة ثانية فإن
شخصية عمر قد جذبت كما رأينا مجموعة من وجهاء الأنصار، فصار رأيهم لأكثر من
سبب مثل رأي عمر.

٢٧ - فريق واحد من كل الوجوه

تصرفت بطون قريش طوال تاريخها السياسي كفريق واحد، لا فرق بين بطن وبطن طالما أن هدف الجميع، واحد وهو تحقيق العدالة ومنع الهاشميين من أن يجمعوا

مع النبوة الملك. ففي سقيفة بني ساعدة قال أبو بكر (رضي الله عنه) مخاطبا الحضور من الأنصار:

إنني ناصح لكم في أحد هذين الرجلين أبي عبيدة بن الجراح أو عمر، فبايعوا من شئتم، راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة صفحة ٩، فقال عمر: معاذ الله أن يكون ذلك وأنت بين أظهرنا. راجع تاريخ الطبري مجلد ٣ صفحة ١٩٨، وشرح النهج مجلد ٣ صفحة ١٧ ومجلد ٢ صفحة ١٠٣ ومجلد ١ صفحة ٢٧

ومن الطبيعي أن موقف أبي عبيدة لا يختلف، وعندما قالت الأنصار: لا نبايع إلا عليا، رفض الثلاثة هذا العرض، وعندما كتب عثمان وصية أبي بكر قال أبو بكر: لو كتبت نفسك مكان عمر لكنت أهلا للخلافة. راجع مجلد ٣ صفحة ٤٢٩ من تاريخ الطبري، و صفحة ٣٠ من سيرة عمر لابن الجوزي، و صفحة ٥٨ مجلد ٢ من تاريخ ابن خلدون.

فالفريق واحد من كل الوجوه، والأهداف واحدة، والغاية هي النجاح، بغض النظر عن شخصية القائد.

٢٨ - في داخل السقيفة

في كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام من صفحة ٢٨٧ وما فوق، أثرنا مجموعة هائلة من الأسئلة، وأثبتنا بالعقل والنقل أن أصل اجتماع سقيفة بني ساعدة كان في الأصل والحقيقة عبارة عن جلسة عادية ضمت مريضا طريح الفراش لا يقوى على الحركة بإجماع المؤرخين، وهو سعد بن عباد، وضمت عواده وزواره، وأن هذه الجلسة كانت عادية من جميع الوجوه، ولم تخصص أصلا لاختيار خليفة كما روجت الرواية الرسمية، لكن الذي حول هذه الجلسة إلى اجتماع،

وأعطى هذا الاجتماع طابعا سياسيا مخصصا لتنصيب خليفة، هو قدوم المهاجرين الثلاثة أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ومن والاهم من الأنصار، فقدوم هؤلاء هو الذي حول الجلسة إلى اجتماع، وأعطاه طابعا سياسيا ومكانا لتنصيب الخليفة، وموعدا لإعلان هذا التنصيب، ففريق سعد كان خالي الذهن تماما من هذا التصور ولا يدري عما يدور في الخفاء!!

يقول الزبير بن بكار في الموفقيات صفحة ٥٨٠ (وكان عامة المهاجرين وجل الأنصار لا يشكون أن عليا هو صاحب الأمر بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). ومن المؤكد أن

المهاجرين الثلاثة ومن دار في فلکهم تطرقوا إلى من سيخلف النبي، فقال الحاضرون من الأنصار: لا نبايع إلا عليا. راجع تاريخ الطبري مجلد ٣ صفحة ١٩٨، وراجع شرح النهج مجلد ٢ صفحة ٢٢٦. أو قال بعض الأنصار: لا نبايع إلا عليا. بينما كان فريق البطون على النقيض تماما من هذا التصور، فهو لا يريد عليا، ولو كان فريق البطون يريد عليا لما اختلف عليه اثنان من الأنصار، أنظر إلى قول بشير بن سعد أول من بايع أبا بكر كما روى أبو بكر الجوهري مجلد ٦ صفحة ٢٨٥ لو كان

هذا الكلام سمعته منك الأنصار يا علي قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان، ولكنهم بايعوا، راجع الإمامة والسياسة أيضا تجد هذا النص. ووجدها فريق البطون وأعاونهم فرصة لتنصيب الخليفة وإعلان التنصيب، فالجلسة عند مريض تحولت إلى اجتماع سياسي، وأخذ أعوان الفريق يتوافدون زرافات ووحدانا، وبوصول بطن أسلم انتصر هذا الفريق! يقول عمر (رضي الله عنه) بالحرف:

ما هو إلا أن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر. راجع تاريخ الطبري مجلد ٢ صفحة ٤٥٨ وقال الزبير بن بكار في الموفقيات برواية النهج مجلد ٦ صفحة ٢٨٧ (فقوي بهم أبو بكر) وبايع أنصار فريق البطون سيدنا أبا بكر (رضي الله عنه) ليكون أول خليفة للنبي، والحاضرون المعارضون بين مصدق ومكذب، وكانهم في حلم!

٢٩ - الزفة

فلما بويح أبو بكر أقبلت الجماعة التي بايعته تزفه زفا إلى مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)،

فصعد منبر الرسول فبايعه الناس حتى أمسى وشغلوا عن دفن رسول الله حتى كانت ليلة الثلاثاء (راجع الموفقيات صفحة ٥٧٨، والرياض النضرة مجلد ١ صفحة ١٦٤ وتاريخ

الخميس مجلد ١ صفحة ١٨٨)

٣٠ - النجاح الساحق والانتصار العظيم

وبتنصيب الخليفة في الغياب المطلق لآل محمد، وإعلان التنصيب بالمبايعة، وزف الخليفة من قبل الذين بايعوه، وصعود الخليفة على منبر الرسول، وتكرار بيعة أتباعه له بهر الحاضرون فبايعوا، ومن خلال هذا كله نجحت خطة البطون نجاحا ساحقا، وانتصر عمر (رضي الله عنه) انتصارا عظيما، ومرر رسالة ضمنية لآل محمد أن خليفة النبي

موجود، وأن الأمة زفته زفا وبايعته في غيابكم، وها هي الأمة تبايعه على منبر الرسول أمامكم، ففكروا ٧٠ ألف مرة قبل أي تصرف!

إذا أردتم العافية فمعارضتكم للخليفة الجديد واعتراضكم عليه، هو من قبيل الاعتراض على إرادة الأمة والخروج على إجماعها، وبالتالي هو شق لعصا الطاعة ومفارقة للجماعة، مع ما يستتبع ذلك من عواقب وخيمة لآل محمد!!

٣١ - الغطاء الشرعي لتنصيب الخليفة

في الجلسة التي تحولت إلى اجتماع سياسي قال أبو بكر: نحن أولياء الرسول وعشيرته،

وأحق الناس بهذا الأمر من بعده، ولا ينازعنا ذلك إلا ظالم، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء. راجع تاريخ الطبري مجلد ٣، وراجع الطبقات لابن سعد مجلد ٢، وراجع سيرة

ابن هشام مجلد ٤، والموفقيات للزبير بن بكار، وراجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة.

وفي نفس الجلسة قال عمر: والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبوها من غيركم، ولكن العرب لا تمتنع أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم... ولنا بذلك علي من أبي الحجة الظاهرة والسلطان المبين، من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته، إلا مدل بباطل، أو متجانف لإثم، أو متورط في هلكة. راجع على سبيل المثال النص الحرفي لكلمة عمر في الإمامة والسياسة لابن قتيبة صفحة ٤ وما فوق. عند هذه النقطة قام بشير بن سعد فقال: يا معشر الأنصار إنا والله لئن كنا أولي فضيلة في جهاد المشركين، وسابقة في هذا الدين، ما أردنا به إلا رضا ربنا وطاعة نبينا، والكدح لأنفسنا، فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك، ألا إن محمدا من قريش، وقومه أحق بميراثه وأولى به، وأيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبدا، فاتقوا ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم.

عند هذه النقطة قام أبو بكر وقال: هذا عمر، وهذا أبو عبيدة، بايعوا من شئتم، فقالا: والله لا نتولى هذا الأمر عليك... إلخ. فنهض بشير بن سعد وبايع أبا بكر، وتوالى أنصار فريق البطون على المبايعة كما أسلفنا، فأعلن تنصيب الخليفة، وتم زفه كما أسلفنا.

بمعنى أن أبا بكر قد نصب خليفة، ودانت له الأنصار أو من حضر من الأنصار، بوصفه من عشيرة النبي، ومن أقرباء النبي، وعشيرة النبي وأقرباؤه هم أولى بسلطانه، ولا ينازعهم بسلطان محمد إلا ظالم، على حد تعبير أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، عندئذ سلم الأنصار بحكم الانبهار.

٣٢ - محاولة لشق صفوف الآل الكرام وتفرقة القرابة

ربما اقترح المغيرة بن شعبة على أبي بكر وعمر أن يذهبا إلى العباس بن عبد المطلب، فيجعلاه في هذا الأمر نصيبا يكون له ولعقبه من بعده، فتكون الحجة على علي إذا مال العباس لهما. فذهبا إلى العباس وتكلم أبو بكر إلى أن قال: على رسلكم بني هاشم

فإن رسول الله منا ومنكم، فرد عليه العباس ردا حاسما لا يقبل المساومة ثم قال: إن رسول الله من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها.

٣٣ - حجة القرابة ترد على فريق البطون

لما تم لبطون قريش ما أراد، طلبوا من الإمام علي البيعة لهم، فقال الإمام علي: أنا أحق بهذا الأمر منكم، لا أبياعكم، وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من رسول الله، فأعطوكم المقادة، وسلموا إليكم الإمارة، وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، فأنصفونا إن كنتم تخافون الله، واعرفوا لنا من الأمر ما عرفت الأنصار لكم، وإلا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون. راجع

تاريخ الطبري مجلد ٢ صفحة ٤٤٢

وقال ابن قتيبة في مجلد ١ صفحة ١٠ من الإمامة والسياسة إن الإمام عليا قال:...

أنا أحق بهذا الأمر منكم لا أبياعكم وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من رسول الله، وتأخذونه منا أهل البيت غصبا، أستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم، لما كان محمد منكم، فأعطوكم المقادة وسلموا إليكم الإمارة، وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، نحن أولى برسول الله حيا وميتا... إلخ. قال بشير ابن سعد، أول من بايع أبا بكر: لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا علي قبل بيعتها لأبي بكر، ما اختلف عليك

اثنان (راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة صفحة ١٢)

٣٤ - لا حاجة لآل محمد

حاول أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أن يجذبا العباس إلى صفهما، بأن يجعل له ولعقبه نصيبا من هذا الأمر، فتكلم أبو بكر وقال قولنا لنا ذكره ابن قتيبة في صفحة ١٥ من الإمامة والسياسة فقال عمر: إي والله، وأخرى أنا لم نأتكم حاجة منا إليكم، ولكننا كرهنا أن يكون الطعن منكم في ما اجتمع عليه العامة، فيتفاقم الخطب بكم وبهم،

فانظروا لأنفسكم ولعامتكم، راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة صفحة ١٥، فمعنى ذلك أن بيعة الآل الكرام ليست ضرورية، فهي لا تقدم عمليا ولا تؤخر، ولكن عمر (رضي الله عنه) يخشى على الآل الكرام من العامة الذين اجتمعوا على بيعة أبي بكر، ويخشى أن تتسع شقة الخلاف بين الآل الكرام وبين العامة.

٣٥ - جيوب المعارضين الأنصار

أدرك الأنصار أن الوضع الجديد قد استقر، وأن السلطة قد قبضت على مقاليد الأمور تماما في العاصمة، ويبدد الأرزاق، ويبيدها الفرص، فهي التي تضع وترفع، وتعطي وتمنع، وتؤمر وتعزل، وهي الغالبة، وبالتالي فإن مصلحة كل فرد من الأنصار أن لا يعاند هذه السلطة، وأن يعبر عن ولاءه لها حتى تفسح له السلطة مجالاً بالمشاركة، فانبهر الأنصار وبايعوا باستثناء سعد بن عباد، وقد اكتشفت السلطة أن سعدا معارض عنيد، فأصدر نائب الخليفة عمر بن الخطاب أمرا بقتله بنفس السقيفة، ولكن تعذر تنفيذ الأمر في حينه!

وهذا الخبر قد وصل إلى مرحلة التواتر. راجع تاريخ الطبري، حوادث بعد وفاة الرسول، وراجع الإمامة والسياسة مجلد ١ صفحة ٤ وما فوق حيث قال عمر: اقتلوه قتلته الله، وقام على رأسه سعد فقال له عمر: لقد هممت أن أطأك.... فأخذ قيس بن سعد بلحية عمر وقال له: والله لو خصفت منه شعرة، ما رجعت وفيك واضحة! وفيما بعد أصر عمر على أن يبايع سعد بن عباد، فأبى سعد بن عباد ذلك، فقال عمر لأبي بكر: لا تدعه حتى يبايع، كما يروي ابن قتيبة، فقال بشير بن سعد (إنه قد أبى

ولج، وليس يبايع حتى يقتل، وليس بمقتول حتى يقتل ولده معه وأهل بيته وعشيرته، ولن تقتلوهم حتى تقتل الخزرج، ولن يقتل الخزرج حتى تقتل الأوس، فلا تفسدوا على أنفسكم أمرا قد استقام لكم، فاتركوه فليس تركه بضاركم، وإنما هو رجل) فتركوه وقبلوا مشورة سعد. راجع الإمامة والسياسة صفحة ١٠ ومات سعد ولم يبايع! وفي رواية البلاذري أن سعد بن عباد لم يبايع أبا بكر وخرج إلى الشام، فبعث

عمر رجلا وقال له: أدعه إلى البيعة واحتل له، فإن أبي فاستعن الله عليه، فقدم الرجل فوجد سعدا في حائط بحوارين من قرى حلب، فدعاه إلى البيعة فقال: لا أبايع، قال الرجل: فإنني أقاتلك، قال سعد: وإن قاتلتني! قال الرجل: أفخرج أنت مما دخلت فيه الأمة؟ قال سعد: أما من البيعة فإنني خارج، فرماه الرجل بسهم فقتله. راجع أنساب الأشراف مجلد ١ صفحة ٥٨٩، والعقد الفريد مجلد ٢ صفحة ٦٤ - ٦٥

وفي تبصرة العوام أن الرجل كان محمد بن مسلمة الأنصاري، فرماه بسهم فقتله، وقيل إن خالد بن الوليد كان في الشام، يومذاك فأعانه على ذلك. راجع صفحة ٣٢ من تبصرة العوام. وفي رواية ابن سعد مجلد ٢ صفحة ١٤٥ من الطبقات (أن سعدا جلس يبول في نفق فاقتل فمات من ساعته) وفي رواية بن عبد ربه (رمي سعد بن عبادة بسهم فوجد دфина في جسده) العقد الفريد مجلد ٤ صفحة ٢٥٩ - ٢٦٠ والخلاصة: أنه بموت سعد تم تصفية آخر جيوب المعارضة في عاصمة النبي، واستقام للسلطة أمر الأنصار.

٣٦ - تصفية جيوب المعارضة في المهاجرين
أكثرية المهاجرين من البطون يرون ما يرى عمر، والمهاجرون من الموالي انبهروا بما حدث، واقتضت مصلحتهم أن يقفوا مع القوي، والقوي هو السلطة، لذلك لم تكن هنالك مقاومة تذكر من أغليبتهم، ما عدا خالد بن سعيد الأموي فقد كان عامل النبي على صنعاء، وعندما سمع بوفاة النبي عاد هو وشقيقاه، وتربص شهرين، وقال لعلي: أمدد يدك أبايعك، فوالله ما في الناس أحد أولى بمقام محمد منك. راجع شرح النهج مجلد ١ صفحة ١٣٥ نقلا عن الجوهرى في سقيفته، وتاريخ الطبري مجلد ٢ صفحة ٥٨٦

ولقد هم أبو بكر أن يوليه إمارة إحدى الجيوش المتوجهة إلى الشام، فذكره عمر بموقف خالد وتأخره عن البيعة، فعدل أبو بكر وانتهدت معارضة خالد عمليا. وأبو سفيان كان خارج المدينة عند وفاة الرسول، ولما عاد وقد اجتمعت الأكثرية الساحقة على بيعة أبي بكر، أقبل أبو سفيان وهو يقول: والله إنني لأرى عجاجة لا

يظفئها إلا الدم، يا آل عبد مناف فما لتيمن من أموركم!! راجع تاريخ الطبري مجلد ٣
صفحة ٢٠٣، وشرح النهج لابن أبي الحديد مجلد ١ صفحة ٣٠٦ - ٣٠٧
واقترح عمر على أبي بكر أن يترك لأبي سفيان ما بيده من الصدقات، كما روى
الجوهرى في كتاب السقيفة، وقد أرسله النبي ليجمع له الصدقات، فتركها له.
وليجعل له عمر مصلحة من النظام الجديد عين يزيد بن أبي سفيان قائدا لأحد
الجيوش، وأرسل معه أخاه معاوية قائدا، وبموت يزيد تولى معاوية القيادة من بعده،
وتسلم ولاية الشام كلها، وبقي واليا طوال عهد الخلفاء الثلاثة. وغير معاوية في ما
بعد مجرى التاريخ!

وبرضى أبي سفيان صفيت جيوب المعارضة، راجع كتابنا النظام السياسي
صفحة ١٢٥ وما فوق.

٣٧ - حقيقة أوضاع عاصمة النبي بعد أسبوعين من وفاته
اختفت نهائيا كلمة النفاق، وعلى كثرة المنافقين إلا أن الله تعالى بقدره قادر أصلح
كافة المنافقين بيوم وليلة، وأصبحت بطون قريش مجتمعة، والأكثرية الساحقة من
الأنصار، وما تبقى من سكان المدينة برئاسة الخليفة الجديد في جهة، والآل الكرام في
جهة أخرى. بمعنى أن دولة حقيقية وسلطة فنية في جهة، والبطن الهاشمي المبارك
الذي

أنهكته الحروب وأتعبته المواجهة، وهدته وفاة النبي في جهة أخرى.

٣٨ - محاولات لإقامة الحججة على السلطة
حاول الإمام أن يقيم الحججة على قيادة فريق البطون التي تحولت إلى سلطة حقيقية،
وبطريقة ومنهج المنطق والشرع، فنقض حججهم بالقرابة من النبي كما أسلفنا، لكن
السلطة - أي سلطة وبطبيعتها - لا تفهم المنطق الذي يعارض وجودها، ولا تفهم
الشرعية

إلا في حدود دائرة هذا الوجود، ومن هنا فقد ذهبت محاولات الإمام أدراج الرياح،
وأصبحت سطورا في التاريخ، بعد أن فشل المنطق وتنكس رأس الشرعية خجلا!

٣٩ - طبيعة المواجهة مع السلطة

إن مواجهة الهاشميين وحدهم للسلطة الجديدة وبقوتهم الذاتية انتحار، وبكل الموازين العقلية، خاصة وأن السلطة بقيادة نائب الخليفة عمر (رضي الله عنه) تتأهب لسحق من

يعارض كائنا من كان، وبكل الوسائل، بما فيها حرق البيوت على من فيها، ولماذا لا فهو رجل البطون الأعظم، وهو مهندس عصر ما بعد النبوة، ثم إنه لا يتصرف بصفته الشخصية، إنما يتصرف كنائب رسمي للخليفة، وكخليفة من الناحية الفعلية، ثم إن له قاعدة شعبية ساحقة! فحنى والنبى موجود رأينا من يقول: القول ما قال عمر.

بل إن هذه القاعدة تجاسرت على النبي نفسه وقالت أمامه - حاشا له - إن النبي يهجر، فما الذي يمنع هذه القاعدة من أن تقول أي شئ بعد وفاة النبي؟ والأهم من ذلك، أن عمر (رضي الله عنه) يتصرف بقناعات مطلقة غير قابلة للمناقشة، فهو

يعتقد أن الإصابة والهدى والتوفيق مرهون بعدم جمع الآل الكرام للنبوة مع الملك. والأهم من ذلك أنه مقتنع بأنه لا ينبغي أن تحمل كل أقوال الرسول على محمل الجد، لأنه بشر يتكلم في الغضب والرضا، لذلك وحتى في حياة الرسول كانوا يnehون عن كتابة أحاديث الرسول!! وقد وثقنا ذلك أكثر من مرة.

ثم إنه متيقن أن القرآن الكريم وحده يكفي، ولا حاجة لأي شئ آخر على الإطلاق، وهو وحده قيم القرآن الكريم!!

وهذا هو السر الذي دفعه لجمع كلما أمكن جمعه من أحاديث الرسول، ثم أصدر القرار بحرق هذه الأحاديث!!

وحتى عندما أراد الرسول نفسه أن يكتب وصيته التي تؤمن المسلمين ضد الضلالة، اعترض عمر على الرسول نفسه، ونجح بالحيلولة بين الرسول وبين كتابة ما أراد.

هذه هي طبيعة السلطة التي يواجهها الآل الكرام! سلطة لها قناعاتها الخاصة، وأساليبها الخاصة، المختلفة بالكامل عن قناعات وأساليب الآل الكرام.

* *

الفصل السادس

الإمام الشرعي يطلب النصره

١ - الإمام يطلب النصره لمواجهة السلطة ورد السلطة على ذلك
قال اليعقوبي في مجلد ٢ صفحة ١٠٥ من تاريخه، وابن أبي الحديد في مجلد ٢
صفحة ٤

من شرح النهج (واجتمع جماعة إلى علي بن أبي طالب يدعونه للبيعة فقال لهم: اغدوا
علي محلقين الرؤوس، فلم يغد عليه إلا ثلاثة نفر).

وقال أبو بكر الجوهري في كتاب السقيفة برواية بن أبي الحديد مجلد ٦ صفحة ٢٨
من شرح النهج، وابن قتيبة الدينوري في صفحة ١٢ من الإمامة والسياسة: ثم إن
علياً حمل فاطمة على حمار وسار بها ليلاً إلى بيوت الأنصار، يسألهم النصره،
وتسألهم فاطمة الانتصار له، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا
الرجل، ولو كان ابن عمك سبق إلينا أبا بكر ما عدلنا به، فقال علي: أفكنت أترك
رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ميتاً في بيته لم أجهزه، وأخرج إلى الناس أنازعهم في
سلطانه؟!!

فقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله
حسيبهم عليه!!

٢ - معاوية يشهد على صحة الواقعة ويعللها بما أراد

جاء في شرح النهج لابن أبي الحديد مجلد ٢ صفحة ٦٧ وفي وقعة صفين لنصر بن
مزامح صفحة ١٨٢ أن معاوية كتب لعلي ما يلي (وأعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلاً
على حمار ويداك في يدي ابنك الحسن والحسين يوم بويح أبو بكر، فلم تدع أحداً من

أهل بدر السوابق إلا دعوتهم إلى نفسك ومشيت إليهم بامرأتك، وأذلت إليهم بابنيك، واستنصرتهم فلم يجبك منهم إلا أربعة أو خمسة... إلخ).
قال المسعودي في مروجه مجلد ١ صفحة ٤١٤، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة (إنه لما بويع أبو بكر في السقيفة، وتجددت له البيعة يوم الثلاثاء خرج علي فقال: أفسدت علينا أمورنا ولم تستشر، ولم ترع لنا حقاً، فقال أبو بكر: ولكنني خشيت الفتنة).

٣ - أعظم جاهة لنصرة الشرعية

حديث الثقلين من أصح الأحاديث، فقد رواه ٣٥ صحابياً وأجمعت الأمة على صحته، وتناقلته بطريق التواتر، وقد أكد الرسول في هذا النص أن الهدى لا يمكن أن يدرك إلا بالتمسك بالقرآن الكريم وعترته أهل بيته، وأن الضلالة لا يمكن تجنبها إلا بالتمسك بالقرآن والعتره أهل البيت، فهذان هما الثقلان.

وقد وضح النبي أن أهل البيت هم أصحاب الكساء: فاطمة وعلي والحسن والحسين، فهم الأبناء والنساء والأنفس، كما هو ثابت بآية المباهلة، وهم على رأس قائمة المعنيين بآية المودة في القربى.

ثم إن الزهراء هي سيدة نساء العالمين قاطبة، بالنص الشرعي، والحسن والحسين هما سيدا شباب أهل الجنة في الجنة بالنص الشرعي، وعلي بن أبي طالب هو ولي الله بالنص الشرعي، وأمير المؤمنين بالنص الشرعي، وخليفة رسول الله بالنص الشرعي، ووصيه بالنص الشرعي، وسيد العرب وفارسها بالنص الشرعي، والمخول ببيان ما تختلف فيه الأمة من بعد النبي بالنص الشرعي، وهو الهادي بالنص الشرعي. ثم إن علياً وفاطمة والحسن والحسين من الذين أذهب الله عنهم الرجس بالنص الشرعي. فأبي جاهة للانتصار أعظم من هذه الجاهة، فاطمة وعلي والحسن والحسين!!
لقد جاءهم بسادة الدنيا والآخرة، وراجع الأنصار بيتنا بيتا طالبا النصر، والانتصار له وللشرعية، ولكن الأنصار أبت عليه ذلك، لسبب بسيط هو أن أبا بكر سبقه، ولو سبق أبا بكر لما عدلت به أحداً!

ثم إن الأنصار أعطوا البيعة لأبي بكر، وتم التعاقد والنص الشرعي يوجب الوفاء بالعقود!
وكسر خاطر الجاهة الشريفة، وفشلت مساعي الآل الكرام، واكتشفوا أنهم
وحدهم بمواجهة السلطة!

٤ - تجميل السلطة ببيعة آل محمد

لقد صرح نائب الخليفة عند مقابله للعباس ووجوه بني هاشم أنه لم يأت هو وأبو
بكر والمغيرة بن شعبة بسبب ضعفه بقوله: وأخرى إنا لم نأتكم حاجة منا إليكم،
ولكن كرهنا أن يكون الطعن منكم... إلخ. راجع الإمامة والسياسة صفحة ١٥
فمعنى ذلك أن مبايعة العترة الطاهرة أهل البيت وعدم مبايعتها سيان عند نائب
الخليفة، فهو لا يحتاجهم كما صرح، ولكن من تمام الملك خضوع كل الرعية
وطاعتها، وخضوع الآل الكرام وطاعتهم للسلطة عملية تجميلية ليست إلا، وقطع
لداير الطعن وإبراز وحدة الأمة وانصياعها للسلطة.

٥ - إما المبايعة أو القتل

قال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة مجلد ١ صفحة ١١ ثم إن عليا أتى به إلى أبي بكر
وهو يقول أنا عبد الله وأخو رسوله، فقبل له بايع أبا بكر فقال: أنا أحق بهذا الأمر
منكم، لا أبايعكم، وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم
عليهم بالقرابة من النبي، وتأخذونه منا أهل البيت غصبا، أستم زعمتم للأنصار أنكم
أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمد منكم، فأعطوكم المقادة، وسلموا إليكم الإمارة،
وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار. نحن أولى برسول الله حيا وميتا،
فأنصفونا إن كنتم تؤمنون، وإلا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون. قال عمر: إنك لست
متروكا حتى تباع، فقال له علي: إحلب حلبا لك شطره، واشدد له اليوم أمره يردده
عليك غدا. وعلى الصفحة ١٣ من الإمامة والسياسة أنهم قالوا لعلي: بايع، فقال علي:
إن لم أفعل فمه؟ قالوا: إذا والله نضرب عنقك، فقال علي: إذا تقتلون عبد الله وأخا
رسوله!! فقال عمر: أما عبد الله فنعم، وأما أخو الرسول فلا!

آخى الرسول بين الأنصار والمهاجرين، وبين المهاجرين والمهاجرين، وفي الحاليتين آخى الرسول بينه وبين علي. وهذا معروف للعامة والخاصة، ولكن عمر لا يعترف بهذه الأخوة لأنها ليست حقيقية، إنما هي ناتجة عن قول من الرسول، والرسول يتكلم في الغضب والرضا!

عندما سمع الإمام ذلك لحق بقبر الرسول يصيح ويكي وينادي (يا بن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني) سيد العرب، وولي الله، وابن عم رسول الله، وفارس الإسلام الأوحده، ووالد السبطين، وزوج البتول بيكي!! ويهدده عمر بالقتل كأنه أحد السوقة!!! ولم يمض على موت ابن عمه وجد سبطيه، ووالد زوجته إلا يوما أو بعض يوم!!!

إن العرب لم تعرف ذلك حتى قبل الإسلام!!!
العرب تتعاطف مع المصاب، وتخفف عنه!! وتحترم الحزن، وتتفاعل معه!!!
ولكن ما قيمة هذه المشاعر أمام وحدة الأمة وخضوعها وإخضاعها للسلطة، إنها أمة واحدة، لها دولة واحدة وسلطان مطاع واحد، ولا يسمح لأي كان بالخروج على هذا السلطان، أو الجهر بعدم طاعته!!

إن الله تعالى خير المشركين ستة أشهر ليسيحوا في الأرض!!!
٦ - إما المبايعة أو حرق البيت

فاطمة بنت النبي، وعلي زوجها وولي الله بالنص، وسيدا أهل الجنة في بيتهم، ولديهم زوار، تحركت سرية بقيادة عمر بن الخطاب فنادى عمر من في الدار أن اخرجوا؟ فأبوا أن يخرجوا فدعا عمر بن الخطاب بالحطب ووضع حوله البيت وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنها - أي الدار - على من فيها، فقيل له: يا أبا حفص إن فيها فاطمة!! إن فيها عليا!! وحسنا وحسينا!! كما يعلم، فقال عمر: وإن!! فخرج الزوار وبايعوا، إلا علي.

تلك حقيقة مطلقة!! وقد لقيت فاطمة عمر فقالت: يا بن الخطاب أجيئت لتحرق دارنا! قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمة!!
راجع الرياض النضرة مجلد ١ صفحة ١٩٧، وأبو بكر الجوهري في سقيفته برواية ابن أبي الحديد مجلد ١ صفحة ١٣٣ ومجلد ٦ صفحة ٢٩٣، وتاريخ الخميس مجلد ١

صفحة ١٨٨ وجاء في أنساب الأشراف مجلد ١ صفحة ٥٨٦، وكنز العمال مجلد ٣ صفحة ١٤٠، والرياض النضرة مجلد ١ صفحة ١٦٧، وأبو بكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد مجلد ١ صفحة ١٣٢ ومجلد ٦ صفحة ٢، والخميس مجلد ١ صفحة ١٧٨، وأبو

بكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد مجلد ١ صفحة ١٣٤
وفي أنساب الأشراف للبلاذري فتحلقته فاطمة على الباب فقالت فاطمة: يا بن الخطاب أترك محرقا علي بابي! قال: نعم!
وإلى هذا أشار عروة بن الزبير حين كان يعتذر عن أخيه عبد الله بن الزبير في ما جرى له مع بني هاشم وحصره إياهم في الشعب وجمعه الحطب لإحراقهم ليدخلوا في طاعته، كما أربى بني هاشم وجمع لهم الحطب لتحريقهم إذا هم أبوا البيعة في ما سلف.

راجع مروج الذهب مجلد ٢ صفحة ١٠٠، وأورده ابن أبي الحديد في مجلد ٢ صفحة ٤٨١، واليعقوبي في تاريخه مجلد ٢ صفحة ١٠٥، وراجع معالم المدرسين صفحة ١٢٧،

وقال اليعقوبي في مجلد ٢ صفحة ١٠٥ فأتوا في جماعة حتى هجموا على الدار، وكسروا سيف علي ودخلوا الدار.

٧ - هذه البطولة في الشعر الحديث

يقول حافظ إبراهيم شاعر النيل في هذه الحادثة:

وقولة لعلها عمر * أكرم بسامعها أعظم بملقيها

حرق دارك لا أبقى عليك بها * إن لم تباع وبنت المصطفى فيها
ما كان غير أبي حفص يفوه بها * أمام فارس عدنان وحاميها

وفي رواية أبي بكر الجوهري في السقيفة برواية ابن أبي الحديد مجلد ١ صفحة ١٣٤ ومجلد ٦ صفحة ٢٨٦. (وخرجت فاطمة تبكي وتصيح، فنهت من الناس) وقال يعقوبي: فخرجت فاطمة فقالت: والله لتخرجن أو لأكشفن شعري ولأعجن إلى الله، فخرجوا وخرج من كان في الدار. راجع مجلد ٢ صفحة ١٠٥ من تاريخ يعقوبي! ومن الروايات المتواترة عن أهل البيت الكرام، أن فاطمة كانت حاملا، وأنها قد ضربت بالسوط أثناء اقتحام البيت، وأنها سقطت فأسقطت ابنها محسنا!!

٨ - عادة قرؤية

عندما يموت الميت يفتح أهله بيت عزاء، وفي اليوم الثاني للوفاة يتوافد أبناء القرية جميعا المحب والمبغض، ويقدمون التعازي لذوي الميت، ويدعون آل الميت بالتناوب لتناول وجبات الطعام، تعبيرا عن مشاركتهم لأهل الميت بالمصاب، وخلال فترة أربعين يوما يتجنب أهل القرية كلما يثير غضب أهل الميت أو يكسر خواطرهم أو يصدمها، ويقينا أن هذه العادة تسربت إلينا من التقاليد الجاهلية، وليس من المستبعد أن الإسلام قد أقرها، باعتبارها من الأعراف الحميدة المتلائمة مع الطبيعة الإنسانية والفطرة البشرية.

ألم يكن بالإمكان إمهال الآل الكرام ثلاثة أيام فقط، حتى تمر أيام العزاء بوفاة فقيدهم!

هذا على اعتبار أن الفقيه شخص عادي وليس نبيا، وعلى فرض أن الآل الكرام سوقة ومن عامة الناس، وليسوا طبقة متميزة لا تجوز الصلاة المفروضة على العباد بغير الصلاة عليهم!!!

ولكن الملك عقيم والسلطة الغالبة هي السلطة.

صحيح أنهم فجعوا أهل البيت الكرام، وروعوهم في بيتهم، وبكى علي والحسن والحسين وفاطمة من قلة الناصر، ونادى علي على رسول الله: يا بن أم إن القوم

استضعفوني وكادوا يقتلونني، ونادت فاطمة: يا أبتى يا رسول الله ماذا لقينا من ابن الخطاب وابن أبي قحافة. راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة صفحة ١٣، ولكن السلطة استفادت إذ خرج كل الزوار وبايعوا فكسبت السلطة خضوعهم، وضمتهم إلى قطع السرب، وإلى جموع الطائعين!!
هذا هو مقياس الربح والخسارة، ولله عاقبة الأمور، والله إن النفس قد ضاقت بما لا يقال.

٩ - فشل المحاولات السابقة لتركيح أهل البيت فشلت محاولات السلطة لتركيح أهل البيت الكرام عن طريق التهديد بالقتل (راجع الإمامة والسياسة صفحة ١٣ على سبيل المثال) مثلما فشلت محاولاتها للإيقاع بين أهل

البيت وآل البيت، راجع الإمامة والسياسة صفحة ١٥ على سبيل المثال، ثم فشلت محاولاتها لتركيح أهل البيت عندما جمع أعوانها الحطب وهموا بحرق البيت على من فيه،

وفيه فاطمة وعلي والحسن والحسين، واكتشفت السلطة أنها بأعمالها هذه تشحذ تعاطف الناس مع أهل البيت الكرام، وتعطي أهل البيت أكبر من حجمهم الفعلي على الخريطة السياسية.

وبالتالي فقد قررت السلطة اتباع أساليب جديدة أكثر فاعلية وأقل حرجا لها فلجأت إلى الحرب الاقتصادية.

١٠ - قرارات اقتصادية لتركيح أهل البيت نهائيا عرفنا أن بطون قريش حاصرت بني هاشم ثلاث سنين في شعب أبي طالب وقاطعتهم، فلم تبعهم ولم تشتت منهم وعزلتهم عزلا كاملا، ولكن في عهد الشرك لم تصدر حقوق بني هاشم الاقتصادية، ولم تؤخذ أموالهم.
وأمام إصرار عميد أهل البيت والسيدة الزهراء وبني هاشم على تحدي السلطة بعدم مبايعتهم لها، وحرصا من السلطة على تقليص أظافر أهل البيت وإجبارهم على

الركوع والاستسلام، اتخذت السلطة مجموعة من القرارات الاقتصادية الهامة، لكي تجبر أهل البيت على التفاوض مع السلطة والاحتكام إليها، طمعا بتخليص ما أمكن استخلاصه من حقوق أهل البيت الكرام.

١١ - القرار الأول حرمان أهل البيت من إرث النبي

بعد تهديد الإمام علي بالقتل، ومحاولة حرق بيته على من فيه، تبلمت فاطمة أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قررا حرمان أهل البيت من إرث النبي حرمانا كاملا.

١٢ - الغطاء الشرعي لقرار حرمان أهل البيت من إرث النبي

جاء في سنن الترمذي مجلد ٧ صفحة ١١١ باب ما جاء في تركة الرسول أن فاطمة بنت محمد جاءت إلى أبي بكر وعمر تسألها ميراثها من رسول الله، فقلا سمعنا رسول

الله يقول (إني لا أورث). وجاء في مسند أحمد مجلد ١ صفحة ١٠ الحديث رقم ٦٠، وفي

سنن الترمذي مجلد ٧ صفحة ١٠٩، وطبقات ابن سعد مجلد ٥ صفحة ٧٧، وابن كثير

مجلد ٥ صفحة ٢٨٦ أن فاطمة قالت لأبي بكر: من يرثك إذا مت؟ فقال: ولدي وأهلي.

فقالت: فما لنا لا نرث النبي؟ قال أبو بكر: سمعت رسول الله يقول: إن النبي لا يورث!

وجاء في طبقات ابن سعد مجلد ٢ صفحة ٣١٦: أن أبا بكر قال لفاطمة: أبوك والله خير مني وأنت والله خير من بناتي، وقد قال رسول الله: لا نورث، ما تركناه صدقة. وهذا الحديث برواية عمر. وبالنتيجة فإن أبا بكر منع أهل البيت إرث الرسول استنادا إلى حديث (ما تركناه صدقة).

١٣ - قصة حديث ما تركناه صدقة

جاء في كنز العمال مجلد ١٤ صفحة ١٣٠ فضل الصديق، برواية عائشة أم المؤمنين حيث قالت: واختلفوا في ميراثه فما وجدوا عند أحد من ذلك علما، فقال أبو بكر سمعت رسول الله يقول (إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة).

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج مجلد ٤ صفحة ٨٢ المشهور أنه لم يرو حديث انتفاء الإرث إلا أبو بكر وحده، وفي صفحة ٨٥ مجلد ٤ قال: إن أكثر الروايات أنه لم يرو هذا الخبر إلا أبو بكر وحده، وذكر ذلك أعظم المحدثين حتى أن الفقهاء في أصول

الفقه أطبقوا على ذلك في احتجاجاتهم في الخبر برواية الصحابي الواحد، وقال شيخنا أبو علي: لا يقبل في الرواية إلا رواية اثنين كالشهادة، فخالفه المتكلمون والفقهاء كلهم واحتجوا بقبول الصحابة برواية أبي بكر وحده (نحن معاشر الأنبياء لا نورث). ومع هذا وضعوا أحاديث أسندوا فيها إلى غير أبي بكر أنه روى ذلك عن الرسول! جاء في كنز العمال مجلد ٥ صفحة ٣٦٥، وطبقات ابن سعد مجلد ٢ صفحة ٣١٥ أن

عليا قال لأبي بكر عندما ذكر أبو بكر حديث انتفاء إرث النبي (وورث سليمان داود) وقال (يرثني ويرث من آل يعقوب) فقال أبو بكر: هو هكذا، وأنت والله تعلم ما أعلم، فقال علي: هذا كتاب الله ينطق، فسكتوا وانصرفوا!

١٤ - بسط الخصومة علنيا

في سقيفة أبي بكر الجوهري، وفي بلاغات النساء لأحمد بن أبي الطاهر البغدادي، برواية ابن أبي الحديد مجلد ٤ صفحة ٨٧ - ٨٩ و صفحة ٩٢، وبلاغات النساء صفحة

١٢ - ١٥ أن فاطمة بنت محمد دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار... ثم قالت: أنا فاطمة بنت محمد أقول عودا على بدء: لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم، فإن تعزوه تجدوه أبي دون آبائكم، وأخ ابن عمي دون رجالكم... ثم أنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا، أفحكم الجاهلية يبغون، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون؟ يا بن أبي قحافة أترث أباك ولا أترث أبي؟! لقد جئت شيئا فريا، فدونها مخطومة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعود القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون...

وفي رواية بلاغات النساء صفحة ١٦ - ١٧ أن فاطمة قالت: أفعلى عمد تركتم كتاب الله، ونبذتموه وراء ظهوركم، إذ يقول الله تبارك وتعالى (وورث سليمان داود) وقال الله عز وجل في ما قص من خبر يحيى بن زكريا (رب هب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب) وقال عز وجل (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) وقال (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) وقال (إن ترك خيرا

الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين) وزعمتم أن لا حظوة ولا إرث لي من أبي، ولا رحم بيننا، أفحصكم الله بآية أخرج منها نبيه، أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثون، أو لست أنا وأبي من أهل ملة واحدة، أم لعلكم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من النبي (صلى الله عليه وسلم)، أفحكم الجاهلية تبغون....

١٥ - إذا كان أهل البيت وأولاد النبي لا يرثونه فمن يرثه بحق السماء؟
جاء في مسند أحمد مجلد ١ صفحة ٤ الحديث ١٤، وسنن أبي داود مجلد ٣ صفحة ٥٠،

وتاريخ ابن كثير مجلد ٥ صفحة ٢٨٩، وشرح النهج مجلد ٤ صفحة ٨١ نقلا عن السقيفة

لأبي بكر الجوهري، وتاريخ الذهبي مجلد ١ صفحة ٣٤٦ أن أبا بكر قال سمعت رسول الله

يقول (إن الله عز وجل إذا أطعم نبيا طعمة ثم قبضه جعله للذي يقوم من بعده، فرأيت أن يرثه علي المسلمين) وما الذي يمنع من ذلك أليس هو صاحبه في الغار وأخوه في الدين، وخليفته الفعلي على المسلمين!!!!

١٦ - استثناء من نفي إرث النبي وتوريثه تحقيقا للعدالة ورحمة بأهل البيت الكرام، فقد تفضل أبو بكر (رضي الله عنه) فقال (لقد دفعت

آلة رسول الله ودابته وحذاءه إلى علي) وما سوى ذلك... ينطبق عليه الحديث. راجع شرح النهج مجلد ٤ صفحة ٨٧ - ٨٩، وبلاغات النساء صفحة ١٢ - ١٥، راجع الرواية عند ابن أبي الحديد.

قال الكميت بن زيد الأسدي الطائي من شعراء القرن الأول، يصف هذا المنطق:
يقولون لم يورث ولولا تراثه * لقد شركت فيه بكيل وأرحب
وعك ولخم والسكون وحمير * وكندة والحيان بكر وتغلب

١٧ - قرار حرمان أهل البيت من ميراث النبي قطعي
يبدو أن قرار السلطة بحرمان أهل البيت الكرام قطعي لا يجوز استثنائه، ولا يجوز الرجوع عنه مهما تعدد المحامون، ومهما كثرت المرافعات، ومهما تواترت النصوص، فالقرار قد صدر لينفذ، وقد نفذ بالفعل، واستثناء تلمفت السلطة فأعطت عليا دابة الرسول وآلته وحذائه! وهكذا حسمت نهائيا قضية إرث النبي، ولا مجال للمراجعة بخصوصها، فالسلطة وجدت لتطاع، ولا يمكن للرعية أن تعدل قرارات السلطة!!

١٨ - قرار حرمان أهل البيت من منح الرسول ومصادرة هذه المنح
أثناء حياة الرسول الكريم منح منحا كثيرة للناس، ومنح أهل البيت منحا كغيرهم من الناس، فترك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ما منحه الرسول للناس ولم يتعرضا لهم، احتراماً لمشيئة رسول الله، وتقديراً للناس الذين دخلوا بالطاعة والتزموا الجماعة. أما المنح التي منحها رسول الله لأي فرد من أهل البيت، فقد قررا مصادرتهما وحرمان أهل البيت منها، حرصاً على مصلحة المسلمين، وكانت فاطمة بنت محمد هي أول من حرمت من منحتها، وصودرت منها هذه المنحة!!!

١٩ - منحة فدك
الثابت عن طريق أهل البيت الكرام، أنه بعد نزول آية (وآت ذا القربى حقه) منح الرسول ابنته فاطمة فدكا، جاء في فتوح البلدان مجلد ٢ صفحة ٣٤ - ٣٥ أن فاطمة قالت لأبي بكر: أعطني فدكا فقد جعلها رسول الله لي، فسألها البيهقي، فجاءت بأم أيمن ورباح مولى رسول الله، فشهدا لها بذلك. فقال لها أبو بكر: إن هذا الأمر لا تجوز فيه

إلا شهادة رجل وامرأتين، وفي رواية أخرى، شهد لها علي بن أبي طالب فسألها شاهدا آخر لها!!

وفي لفظ ابن أبي الحديد وتاريخ الذهبي (أن فاطمة قالت لأبي بكر: إنك عمدت إلى فذك فأخذتها، وعمدت إلى ما أنزله الله من السماء فرفعته عنا! ولأن الصديقة لم تأت إلا بعلي بن أبي طالب ولي الله، وأم أيمن، ولأن أبا بكر ملتزم بالشرعية، وبضرورة تقديم شاهدين لإثبات المنحة، ولأن وضع اليد وحده لا يكفي في مثل هذه الأمور، فقد أغلقت الخصومة رسمياً، وتم تنفيذ قرار السلطة بمصادرة منح الرسول لأهل بيته وحرمانهم من هذه المنح!! وتنفيذا لرغبة رسول الله تركت كل المنح التي منحها الرسول للمسلمين بأيديهم، ولم يطلب منهم لا شاهدا ولا شاهدين، لأن وضع اليد على المنحة يكفي!! ولله عاقبة الأمور.

٢٠ - قرار حرمان أهل البيت من الخمس الوارد في القرآن الكريم جاء في شرح النهج مجلد ٤ صفحة ٨١ نقلا عن الجوهرى، وفي تاريخ الإسلام للذهبي مجلد ١ صفحة ٣٤٧، وفي كنز العمال مجلد ٥ من صفحة ٣٦٧ ثلاث روايات. (لما

منعوا ابنة الرسول من إرث أبيها، طالبتهم بسهم ذوي القربى فقالت: لقد ظلمتنا أهل البيت من الصدقات، وما أفاء الله علينا من الغنائم في القرآن من سهم ذوي القربى، ثم قرأت عليه قوله تعالى (واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه ولذي القربى...). وعن عروة قال: أرادت فاطمة أبا بكر على فذك وسهم ذوي القربى فأبى عليها، وجعلها في مال الله تعالى!

وفي كنز العمال عن أم هاني أنها قالت: إن فاطمة أتت أبا بكر تسأله سهم ذوي القربى. فقال لها أبو بكر: سمعت رسول الله يقول: سهم ذوي القربى لهم في حياتي وليس لهم بعد موتي. راجع كنز العمال مجلد ٥ صفحة ٣٦٧، كتاب الخلافة ٤١٦.

٢١ - من أين يأكلون بحق السماء؟
مشكلة الآل الكرام الحقيقية أنه محظور عليهم أن يأخذوا الصدقة فهي محرمة عليهم،
لذلك خصهم الله تعالى بسهم ذوي القربى لتغطية هذه الناحية.
هل يعيش الآل الكرام وأهل البيت عيش السوقة؟ هل يتسولون الناس، من أين
يأكلون؟

عن أنس بن مالك أن أبا بكر قال لفاطمة عندما سألته عن سهم ذوي القربى:
أفلك هو ولأقربائك؟ قال: لا، أنفق عليكم منه... وقال مرة: السهم لكم في حال
حياة النبي وبعد موته ليس لكم... وفي سنن الترمذي مجلد ٧ صفحة ١١١ أن أبا بكر
قال: إني أعول من كان يعول رسول الله، وأنفق على من كان رسول الله ينفق عليه.
فالدولة إذا هي تنفق على أهل بيت محمد، بدليل قول أبي بكر: إن رسول الله قال
لا نورث ما تركناه فهو صدقة، إن يأكل آل محمد من هذا المال، ليس لهم أن يزيدوا
على المأكل.... راجع صحيح البخاري مجلد ٢ صفحة ٢٠٠ باب مناقب قرابة
الرسول، وراجع سنن أبي داود مجلد ٢ صفحة ٤٩ كتاب الخراج، وسنن النسائي
مجلد ٢

صفحة ١٧٩ قسم الفئ، ومسند أحمد مجلد ١ صفحة ٦ و ٩. فالحاكم يقدم لهم
المأكل
ولا يزيدون على المأكل، فطوال التاريخ يجب على أهل البيت أن يرتبطوا بالحاكم
الذي

يقدم لهم المأكل، ومن الحشمة وحسن الخلق أن يطيع الإنسان من يطعمه.

٢٢ - ترك رسول الله من الضياع

١ - ترك رسول الله الحوائط السبعة اللاتي وهبهن له مخيزيق.

٢ - ما وهبه الأنصار إياه، وهو كل ما ارتفع من أراضيهم الزراعية.

٣ - أراضي بني النضير الزراعية ونخيلها.

٤ - ٨ أسهم من مجموع ٣٦ سهما من أراضي خيبر.

٥ - أراضي وادي القرى الزراعية.

وبعد وفاة الرسول استولى عليها أبو بكر، وقد عالج العلامة السيد مرتضى العسكري كل بند من هذه البنود الخمسة في كتابه الرائع معالم المدرستين المجلد الثاني.

٢٣ - حتى تحزوا رقابنا بالمناشير

جاء في مجمع الزوائد للهيثمي مجلد ٩ صفحة ٣٩ عن عمر، أنه لما قبض رسول الله جئت أنا وأبو بكر إلى علي فقلنا: ما تقول في ما ترك رسول الله؟ قال: نحن أحق الناس برسول الله! قال فقلت: والذي بخير؟ قال: والذي بخير. قلت: والذي بفدك قال: والذي بفدك! فقلت: أما والله حتى تحزوا رقابنا بالمناشير!!!

٢٤ - قرارات اقتصادية لا بد منها

١ - لإجبار الآل الكرام على الاحتكام للسلطة، بغض النظر عن طبيعة القرارات التي ستصدر عنها.

٢ - تجريد الآل الكرام من سلاح خطير وهو المال، فإذا استعمله الآل الكرام، فقد يؤلفون به قلوب المسلمين ويستميلونهم لصالح قضيتهم.

٣ - ربط الآل الكرام بالسلطة الحاكمة، وجعل رغبتهم بيد هذه السلطة، لتضمن السيطرة الكاملة عليهم، وتحييدهم وإلغاء دورهم كقيادة سياسية شرعية.

٤ - عزل الآل الكرام شعبياً، حتى تميل عنهم أعين الناس.

٥ - الحيلولة العملية بين الآل الكرام والمطالبة بالجمع بين النبوة والخلافة.

٢٥ - تحقق هذه الأهداف

فقد فاوض الآل الكرام واحتكموا إلى السلطة، فحكمت السلطة بتنفيذ قراراتها الاقتصادية وحرمانهم من التركة، ومن المنح، ومن سهم ذوي القربى! وبموت فاطمة انصرف الناس عن علي، فشق بنفسه طريق المصالحة، وبايع هو وبنو هاشم وسلموا بالأمر الواقع!! فعساه أن يتمكن يوماً من اطلاع الأمة على الحقيقة المرة، وأن يبصر

الناس بالتقاطيع الأساسية للمنظومة السياسية الإلهية، فيقارنوا بينها وبين ما حدث في التاريخ!!

٢٦ - احتجاج الزهراء على القرارات الاقتصادية والملجأ الجديد
لما قرر أبو بكر وعمر رضي الله عنهما حرمان أهل البيت الكرام من ميراث النبي ومصادرة المنح التي منحها لهم النبي حال حياته، وتجريد الآل الكرام من حقهم في كل ممتلكات النبي، وحرمانهم من حقهم في الخمس الوارد في آية محكمة (لائت الزهراء خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذيولها، ما تحرم مشيتها مشية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى دخلت على أبي بكر،

وهو في حشد من المهاجرين والأنصار، فنيطت دونها ملاءة فجلست، ثم أنت أنه أجهش القوم لها بالبكاء فارتج المجلس، حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم قالت) كما أورده أبو بكر الجوهري في سقيفته، وأحمد بن أبي طاهر البغدادي في بلاغات

النساء، راجع شرح النهج مجلد ٤ صفحة ٨٧، وبلاغات النساء صفحة ١٢ - ١٥، وكما

أجمع على مضمون ذلك أئمة أهل البيت الكرام، وإن كانت نصوص احتجاجها وخطبتها

متفاوتة على حسب ما حفظه الرواة، أو سمحت بوصوله إلينا قيود الحكومات.

٢٧ - النص الحرفي للاحتجاج
الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن والاهاء، جم عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمدها، وتفاوت عن الإدراك أمدها، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها، واستحمد إلى الخلائق بإجزالها، وثنى بالندب إلى أمثالها.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمن القلوب موصولها، وأنار في الفكر معقولها، الممتنع من الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام كفيته، ابتدع الأشياء لا من شئ كان قبلها، وأنشأها

بلا احتذاء أمثلة امثلها، كونها بقدرته، وذراها بمشيئته، من غير حاجة منه إلى تكوينها، ولا فائدة له في تصويرها، إلا تثبيتا لحكمته، وتبيينها على طاعته، وإظهارا لقدرته، وتعبدا لبريته، وإعازا لدعوته.

ثم جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، زيادة لعباده عن نعمته، وجياشة منه إلى جنته.

وأشهد أن أبي محمدا (صلى الله عليه وآله) عبده ورسوله، اختاره وانتجبه قبل أن أرسله، وسماه

قبل أن اجتباها، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونة، علما من الله تعالى بمآيل الأمور، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بمواقع المقدور.

ابتعثه تعالى إتماما لأمره، وعزيمة على إمضاء حكمه، وإنفاذا لمقادير حتمه، فرأى الأمم فرقا في أديانها، عكفا على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها، فأثار الله بمحمد (صلى الله عليه وآله) ظلمتها، وكشف عن القلوب بهمها، وخلي عن الأبصار غممها،

وقام في الناس بالهداية، وأنقذهم من الغواية، وبصرهم من العماية، وهداهم إلى الدين القويم ودعاهم إلى الصراط المستقيم.

ثم قبضه الله إليه قبض رافة واختيار، ورغبة وإيثار، فمحمدا (صلى الله عليه وآله) من تعب عن

هذه الدار في راحة، قد حف بالملائكة الأبرار، ورضوان الرب الغفار، ومجاورة الملك الجبار، صلى الله على أبي نبيه، وأمينه على الوحي وصفيه، وخيرته من الخلق ورضيه، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

ثم التفتت إلى أهل المجلس وقالت:

أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه، وحملة دينه ووحيه، وأمناء الله على أنفسكم، وبلغاؤه إلى الأمم، وزعمتم حق لله فيكم، عهد قدمه إليكم، وبقية استخلفها عليكم، كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع، منكشفة سرائره، متجلية ظواهره، معتبطة به أشياعه، قائد إلى الرضوان أتباعه، مؤد إلى النجاء أسماعه، به تنال حجج الله المنورة وعزائمه المفسرة، ومحارمه المحذرة، وبيناته

الجالية، وبراهينه الكافية، وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة. فجعل الله الإيمان تطهيرا لكم من الشرك، والصلاة تنزيها لكم عن الكبر، والزكاة تزكية للنفس، ونماء في الرزق، والصيام تثبيتا للإخلاص، والحج تشييدا للدين، والعدل تنسيقا للقلوب. وطاعتنا نظاما للملة، وإمامتنا أمانا من الفرقة، والجهاد عزا للإسلام، والصبر معونة على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحة للعامة، وبر الوالدين وقاية من السخط، وصلة الأرحام منماة للعدد، والقصاص حقنا للدماء، والوفاء بالنذر تعريضا للمغفرة، وتوفية المكاييل والموازن تغييرا للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيها عن الرجس، واجتناب القذف حجبا عن اللعنة، وترك السرقة إيجابا للعفة، وحرمة الله الشرك إخلاصا له بالربوبية. فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، وأطيعوا الله في ما أمركم به، ونهاكم عنه، فإنه إنما يخشى الله من عباده العلماء.

ثم قالت:

أيها الناس! اعلّموا أني فاطمة، وأبي محمد (صلى الله عليه وآله) أقول عودا وبدءا، ولا أقول ما

أقول غلطا، ولا أفعل ما أفعل شططا (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) فإن تعزوه تجدوه أبي دون نساءكم، وأخ ابن عمي دون رجالكم، ولنعم المعزى إليه (صلى الله عليه وآله)، فبلغ الرسالة، صادعا بالندارة،

مائلا عن مدرجة المشركين، ضاربا ثبجهم، آخذا بأكظامهم، داعيا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يكسر الأصنام، وينكت الهام، حتى انهزم الجمع، وولوا الدبر، حتى تفرى الليل عن صبحه، وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين، وطاح وشيق النفاق، وانحلت عقد الكفر والشقاق، وفهتم بكلمة الإخلاص، في نفر من البيض الخماص، وكنتم على شفا حفرة من النار مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون الورق، أذلة خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله

تبارك وتعالى بمحمد (صلى الله عليه وآله) بعد اللتيا والتي، وبعد أن مني بهم الرجال،
وذؤبان العرب،
ومردة أهل الكتاب، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله، أو نجم قرن للشيطان
وفغرت
فاغرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفى حتى يطا صماخها بأخمصه،
ويخمد
لهبها بسيفه، مكدودا في ذات الله، مجتهدا في أمر الله، قريبا من رسول الله، سيد
أولياء
الله، مشمرا ناصحا، مجدا كادحا، وأنتم في رفاهية من العيش، وادعون فاكهون آمنون،
تتربصون بنا الدوائر، وتتوكفون الأخبار، وتنكصون عند النزال، وتفرون عند القتال!!
فلما اختار الله لنيه دار أنبيائه، ومأوى أصفياه ظهرت فيكم حسيكة النفاق،
وسمل جلبات الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ حامل الأقلين، وهد فنيق المبطلين،
فخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفا بكم، فألقاكم تدعونه
مستجيبين، وللغرة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافا، وأحمأكم فألقاكم
غضابا، فوسمتم غير إبلكم، وأوردتم غير شربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب،
والجرح لما يندمل، والرسول لما يقبر ابتدارا زعمتم خوف الفتنة، ألا في الفتنة سقطوا
وإن جهنم لمحيطة بالكافرين!
فهيئات منكم، وكيف بكم، وأنى تؤفكون، وكتاب الله بين أظهركم، أموره
ظاهرة، وأحكامه زاهرة، وأعلامه باهرة، وزواجره لائحة، وأوامره واضحة، قد
خلفتموه وراء ظهوركم، أرغبة عنه تريدون، أم بغيره تحكمون، بثس للظالمين بدلا،
ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين!
ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نقرتها، ويسلس قيادها، ثم أخذتم تورون وقدتها،
وتهيجون جمرتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي، وإطفاء أنوار الدين الجلي،
وإخماد سنن النبي الصفي، تسرون حسوا بارتغاء، وتمشون لأهله وولده في الخمر
والضراء، ونصبر منكم على مثل حز المدى، ووخز السنان في الحشا، وأنتم تزعمون
أن لا إرث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون!
أفلا تعلمون؟ بلى تجلى لكم كالشمس الضاحية، أني ابنته.

أيها المسلمون أغلب على إرث أبي؟ يا بن أبي قحافة أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي؟ (لقد جئت شيئا فريا) أفعلى عمد تركتم كتاب الله، ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول (وورث سليمان داود) وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا (عليهما السلام)

إذ قال (رب هب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب) وقال (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) وقال (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) وقال (إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين) وزعمتم أن لا حظوة لي، ولا إرث من أبي، ولا رحم بيننا!! أفخصكم الله بآية أخرج منها أبي!! أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثان!! أولست أنا وأبي من أهل ملة واحدة!! أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟ فدونها مخطومة، مرحولة، تلقاك يوم حشر، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعود القيامة، وعند الساعة ما تحيرون، ولا ينفعكم إذ تندمون، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون، من يأتيه عذاب يخزيه، ويحل عليه عذاب مقيم! ثم رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت:

يا معاشر الفتية، وأعضاء الملة، وأنصار الإسلام، ما هذه الغميمة في حقي؟ والسنة عن ظلامتي؟ أما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبي يقول (المرء يحفظ في ولده) سرعان ما

أحدثتم وعجلان ذا إهالة، ولكم طاقة بما أحاول، وقوة على ما أطلب وأزاول! أتقولون مات محمد (صلى الله عليه وآله) فخطب جليل استوسع وهبه، واستشهر فتنه، وانفتق رتقه،

وأظلمت الأرض لغيبته، وكسفت النجوم لمصيبته، وأكدت الآمال، وخشعت الجبال، وأضيع الحريم، وأزيلت الحرمة عند مماته، فتلك والله النازلة الكبرى والمصيبة العظمى، لا مثلها نازلة، ولا بائقة عاجلة، أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه في أفئيتكم، في ممساكم ومصبحكم، هتافا وصراخا وتلاوة وألحانا، ولقبله ما حل بأنبياء الله ورسله،

حكم فصل، وقضاء حسم (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو

قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين)

إيها بني قيلة أهضم تراث أبي، وأنتم بمرأى مني ومسمع ومبتدأ ومجمع، تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، وأنتم ذووا العدد والعدة، والأداة والقوة، وعندكم السلاح والجلية، توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، وأنتم معروفون بالخير والصلاح، والنخبة التي انتخبت، والخيرة التي اختيرت، قاتلتم العرب، وتحملتكم الكد والتعب، وناطحتم الأمم، وكافحتم البهيم، فلا نبرح أو تبرحون نأمركم فتأتمرون، حتى دارت بنا رحى الإسلام، ودر حلب الأيام، وخصصت نصرة الشرك، وسكنت فوارة الإفك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين.

فأنى جسرتم بعد البيان، وأسرتم بعد الإعلان، ونكصتم بعد الإقدام، وأشركتم بعد الإيمان (ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم، وهموا بإخراج الرسول وهم بدؤوكم أول مرة! أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين) ألا قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض، وخلوتم بالدعة، ونجوتهم من الضيق بالسعة، فمجحتم ما وعيتهم، ودسعتهم الذي تسوغتم (فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد)!

ألا وقد قلت ما قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم، والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس، ونفثة الغيظ، وخور القنا، وبثة الصدور، وتقدمة الحجة.

فدونكموها فاحتقبوها، دبيرة الظهر، نقبة الخف، باقية العار، موسومة بغضب الله، وشنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة، التي تطلع على الأفئدة. فبعين الله ما تفعلون (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد (فاعملوا إنا عاملون وانتظروا إنا منتظرون!!!)

٢٨ - جواب أبي بكر

يا ابنة رسول الله، لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفا كريما، رؤوفا رحيفا وعلى الكافرين عذابا أليما وعقابا عظيما، فإن عزوانه وجدناه أباك دون النساء، وأخا لبعلك دون الأخلاء، أثره على كل حميم، وساعده في كل أمر جسيم، لا يحبكم إلا كل سعيد،

ولا يبغضكم إلا كل شقي، فأنتم عترة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الطيبين، والخيرة المنتجبون، على

الخير أدلتنا، وإلى الجنة مسالكنا، وأنت يا خيرة النساء، وابنة خير الأنبياء، صادقة في قولك، سابقة في وفور عقلك، غير مردودة عن حقك، ولا مصدودة عن صدقك، والله ما عدوت رأي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهبا ولا فضة ولا

دارا ولا عقارا، وإنما نورث الكتاب والحكمة، والعلم والنبوة، وما كان لنا من طعمة فلولي الأمر، بعدنا أن يحكم فيه بحكمه، وقد جعلنا ما حاولته في الكراع والسلاح، يقاتل به المسلمون، ويجاهدون الكفار، ويجالدون المردة ثم الفجار، وذلك بإجماع من

المسلمين لم أنفرد به وحدي، ولم أستبد بما كان الرأي فيه عندي، وهذه حالي ومالي هي

لك وبين يديك، لا نزوي عنك، ولا نذخر دونك، وأنت سيدة أمة أبيك، والشجرة الطيبة لبنيك، لا يدفع ما لك من فضل، ولا يوضع من فرعك وأصلك، حكمك نافذ في ما ملكت يدي، فهل ترين أن أخالف في ذلك أباك. فقالت (عليها السلام): سبحان الله ما كان رسول الله عن كتاب صادفا، ولا لأحكامه منخالفا،

بل كان يتبع أثره، ويقفو سوره، أفتجمعون إلى الغدر اعتلالا عليه بالزور، وهذا بعد وفاته، شبيه بما بقي له من الغوائل في حياته، هذا كتاب الله حكما عدلا، وناظقا فصلا يقول (يرثني ويرث من آل يعقوب)، (وورث سليمان داود) فبين عز وجل ما وزع

عليه من الأقساط، وشرع من الفرائض والميراث، وأباح من حظ الذكران والإناث، ما أزاح علة المبطلين، وأزال التظني والشبهات في الغابرين، ولا (بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون).

فقال أبو بكر: صدق رسول الله وصدق ابنته، أنت معدن الحكمة، وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين، وعين الحجة، لا أبعد صوابك، ولا أنكر خطابك، هؤلاء المسلمون بيني وبينك، قلدوني ما تقلدت، وباتفاق منهم أخذت ما أخذت، غير مكابر ولا مستبد، ولا مستأثر وهم بذلك شهود! فالتفت (عليها السلام) وقالت: معاشر الناس المسرعة إلى قبل الباطل، المغضية على الفعل

القبیح الخاسر، (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) كلا بل ران على قلوبكم ما أسأتكم من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم، ولبئس ما تأولتم، وساء ما به أشرتكم، وشر ما منه اعتضتم، لتجدن والله محمله ثقيلًا، وغبه وبيلا، إذا كشف لكم الغطاء، وبان ما وراء الضراء، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تخشون، وخسر هنالك المبطلون.

ثم عطفت على قبر رسول الله وقالت:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة * لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها * واحتل قومك فاشهدهم وقد نكبوا
أبدت رجال لنا نجوى صدورهم * لما مضيت وحالت دونك الترب
تجهمتنا رجال واستخف بنا * لما فقدت وكل الأرض مغتصب
وكنت بدرا ونورا يستضاء به * عليك تنزل من ذي العزة الكتب
وكان جبريل بالآيات ينبئنا * فقد فقدت فكل الخير محتجب
إنا رزئنا بما لم يرز ذو شجن * من البرية لا عجم ولا عرب

٢٩ - كلامها مع نساء المهاجرين والأنصار

زارتها نساء المهاجرين والأنصار فقلن لها: يا بنت رسول الله كيف أصبحت من علتك؟ فقالت (عليها السلام) أصبحت والله عائفة لديناكم، قالية لرجالكم، لفظتهم قبل أن

عجمتهم، وشنأتهم بعد أن سبرتهم، فقبحا لفلول الحد، وخور القناة، وخطل الرأي،

بئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون. لا جرم لقد قلدتهم ربقتها، وسنت عليهم عارها، فجدعا وعقرا، وسحقا للقوم الظالمين. ويحهم أنى زححوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة، ومهبط الوحي الأمين، والطيبين بأمر الدنيا والدين، ألا ذلك هو الخسران المبين. وما نعموا من أبي الحسن، نعموا والله منه نكير سيفه، وشدة وطئه، ونكال وقعته، وتنمره في ذات الله عز وجل. والله لو تكافوا عن زمام نبذه رسول الله (صلى الله عليه وآله) لاعتلفه، ولسار بهم سيرا سجحا،

لا يكلم خشاشه، ولا يتتع راكمه، ولأوردهم منهلا نميرا فضفاضا، تطفح ضفتاه، ولأصدرهم بطانا، قد تحير بهم الري، غير منحل منه بطائل إلا بغمر الماء، وردعة شررة الساغب، ولفتح عليهم بركات من السماء والأرض. وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون.

ألا هلم فاسمع وما عشت أراك الدهر العجب، وإن تعجب فقد أعجبك الحادث، إلى أي سناد استندوا، وبأي عروة تمسكوا، استبدلوا الذنابا والله بالقوادم، والعجز بالكاهل، فرغما لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا! ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون! أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون!!

أما لعمر إلهك لقد لقحت، فنظرة ريثما تنتج، ثم احتلبوا طلاع القصب دما عبيطا، وذعافا محقرا، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غب ما سن الأولون، ثم طيبوا عن أنفسكم نفسا، وطامنوا للفتنة جأشا وأبشروا بسيف صارم، وهرج شامل، واستبداد من الظالمين يدع فيأكم زهيدا، وزرعكم حصيدا، فيا حسرتي لكم، وأنى بكم وقد عميت عليكم! أنلزمكموها وأنتم لها كارهون!!! راجع شرح النهج لابن أبي الحديد مجلد ١٦ صفحة ٢٣٤، وبلاغات النساء صفحة ١٩، والاحتجاج للطبرسي

مجلد ١ صفحة ١٤٧ - ١٤٩

٣٠ - رأي آخر لفاطمة الزهراء
(أما والله لو تركوا الحق على أهله، واتبعوا عترة نبيه، ما اختلف في الله اثنان،
وورثها سلف عن سلف، وخلف بعد خلف، حتى يقوم قائمنا التاسع من ولد الحسين،
ولكن قدموا من أخره الله، وأخروا من قدمه الله). راجع البحار مجلد ٣٦ صفحة
٣٥٢.

٣١ - أقبيلوني بيعتي
مما لا شك فيه أن أبا بكر رقيق القلب، فقد تأثر بكلام الزهراء وخاف من قولها
له (والله لأدعون الله عليك في كل صلاة أصليها). راجع الإمامة والسياسة صفحة ١٤
وهاله منظر الصديقة بعد محاولة عمر (رضي الله عنه) لإحراق بيتها، وقوة حجة الإمام،
كل هذه
الأمر تراحمت في ذهنه فاجتمع إليه الناس بعد خروجه من بيت فاطمة فقال لهم بييت
كل رجل منكم معانقا حليلته، مسرورا بأهله وتركتموني وما أنا فيه، لا حاجة لي في
بيعتمكم أقبيلوني بيعتي. راجع الإمامة والسياسة صفحة ١٤.

٣٢ - لشيعه أبي بكر رأي آخر
حتى لو أراد أبو بكر أن يتنازل عن الخلافة لما استطاع إلى ذلك سبيلا، فلا يقبل
عمر (رضي الله عنه) ذلك، ولا تقبل بطون قريش ذلك، ولا يقبل المؤمنون في نظامه
والمستفيدون
منه، ولا يقبل الذين يكرهون آل محمد، فاتحد الجميع وقالوا يا خليفة رسول الله إن
هذا الأمر لا يستقيم، وأنت أعلمنا بذلك، إنه إن كان هذا لم يقم لله دين! فقال أبو
بكر:

والله لولا ذلك وما أخافه من رخاوة هذه العروة، ما بت ليلة ولي في عنق مسلم بيعة،
بعد ما سمعت ورأيت من فاطمة. راجع الإمامة والسياسة صفحة ١٤.

٣٣ - احتجاجات الإمام علي (عليه السلام)
لقد احتج الإمام علي بكل أساليب الاحتجاج، فقد أخذت قريش الخلافة من
الأنصار بحجة أن قريش عشيرة النبي، وأهله وأولياؤه، وأن العرب تأبى أن تولى

الخلافة إلا من كانت النبوة فيهم. راجع كلمة أبي بكر في سقيفة بني ساعدة، وكلمة عمر رضي الله عنهما، وكما أجمع على نقلهما بهذا الجوهر كافة المؤرخين. أنظر على سبيل المثال الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري.

وقد واجه الإمام القوم وقال لهم: لقد احتججتم على الأنصار بالقرابة من رسول الله، وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، نحن أولى برسول الله حيا وميتا. وعندما انهارت وتداعت حجة القرابة كمسند للخلافة، احتجت بطون قريش بالشورى، فاحتج عليهم الإمام بقوله: فكيف بهذا والمشيرون غيب!! على حد تعبير الكمييت بن زيد الأسدي الشاعر، إذ من الواضح أنه لم يستشر أحد من أهل البيت ولم يحضر هذه الشورى أي هاشمي، فما معنى الشورى التي لا يحضرها أعدل الكتاب، والمتفردون بمعرفة الصواب؟

وطوال حياة الإمام، وطوال حياة العترة الطاهرة، وهم يحتجون ويشكون، ويوضحون طبيعة الإمامة وأنها اختصاص من كل الوجوه، فليس بإمكان أي متغلب أن يكون إماما، فقد ركز الإمام على علم أهل البيت، والإعداد الإلهي لهم لقيادة الأمة، وعلى موقعهم في النظام السياسي الإسلامي، وأنهم حجر الأساس فيه، وركز على الظلم الذي لحق به وبأهل بيته وباتحاد على قريش على منازعته في حقه بالخلافة، وعلى الاستبداد على أهل البيت في هذا الأمر وهم (الأعلون نسبا، والأشدون برسول الله نوطا) حتى إذا آلت الخلافة إليه وبالطريقة التي سنتها أقطاب قريش، انتفضت عليه قريش، وأفسدت عليه أمره، وما زالت به حتى زعزعت أركان ملكه، وسلبته سلطان ابن أمه!

لذلك فإن شعور الإمام بالظلم كان فظيعا، واكتسبت شكواه صدى خاصا يقطع نياط القلوب! وقد سمع الإمام يوما صارخا ينادي أنا مظلوم فقال الإمام: هلم فلنصرخ معا، فإنني ما زلت مظلوما! مجلد ٣ صفحة ٣٥١ من شرح النهج لابن أبي الحديد. وكانت طبيعة احتجاجات الإمام سلمية، قائمة على الحجة الشرعية، ومنطق العقل.

٣٤ - أسباب عدم استعمال الإمام للقوة

لقد استقام أمر الحكم، وبحث الناس عن مصالحهم بالمشاركة في النظام الجديد، فحاول الإمام أن يطلب النصرة هو وزوجته ووالده من كل بيت من بيوت الأنصار، ولكن الأنصار كانت قد انبهرت وبايعت وتعذر أن تجيبه لهذا السبب، مؤكدة أنه لو سبق أبا بكر إليهم ما عدلوا به، فكان يقول: أفكنت أدع رسول الله جنازة لم أجهزه، وأخرج لأنازع الناس أمره!!

هذا من جهة، ومن جهة ثانية، فإنه ليس معه من الناحية الفعلية إلا الهاشميون، وماذا يغني الهاشميون عنه أمام وحدة قريش ضده، وحياد الأنصار أو اتحادهم مع قريش!! فأي مواجهة بين الهاشميين وبين هذا التجمع الكبير هي من قبيل الانتحار، وعبر الإمام عن هذه الحقيقة بقوله (وظفقت أرثي بين أن أصول بيد جذا، أو أصبر على طخية عمياء...). راجع مجلد ١ صفحة ١٣٤ من شرح النهج أو بقوله (فنظرت فإذا ليس لي رافد ولا مساعد إلا أهل بيتي، فظننت بهم عن الغنية... مجلد ٣ صفحة ٦٣٩

وهنالك سبب آخر دفع الإمام للاحتجاج السلمي وعدم استعمال القوة وهو ما عبر عنه بقوله:

فأريت أن الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين، وسفك دمائهم، والناس حديثو عهد بالإسلام، والدين يمخض مخض الوطب، يفسده أدنى وهن، ويعكسه أقل خلف... راجع المجلد الأول من شرح النهج صفحة ٢٤٩. ولعل هذا أهم سبب من أسباب موادة الإمام وجنوحه للاحتجاج الشرعي والعقلي بصورة سلمية.

وهنالك سبب آخر أنه لو تجاوز الإمام حدودا معينة بالاحتجاج فقد تقتله السلطة، لأنها لا تسمح لأحد من رعاياها أن يشكك بشرعية وجودها، والإمام لا يجزع من الموت بل يعيش الموت أكثر من عشق الرضيع لثدي أمه، لكن لو قتله السلطة

ونتيجة الزخم الإعلامي وسيطرة السلطة على وسائل الإعلام، فقد يضيع الجانب الأهم في النظام السياسي الإسلامي ولا تعرفه الأمة، ووجود الإمام على قيد الحياة ضروري لإحاطة الأمة علما بالفرق بين ما وقع، وما كان لازما أن يقع حسب قواعد الشرع.

فمن خلال احتجاجاته السلمية، وفي ظروف غاية في الضنك والقسوة، بين الإمام النظام السياسي الإسلامي بخطوطه العريضة وتفصيله، وترك للأمة أن تتأكد من صواب بيانه، وأن هذا البيان كان متعارضا تماما مع الواقع التاريخي.

٣٥ - الإحتجاج بتميز أهل البيت الكرام

بنو هاشم عامة، وأهل البيت خاصة يشكلون فئة متميزة تماما عن غيرها من جماعات الأمة وفئاتها، ومن يسبر غور المنظومة الحقوقية الإلهية وتاريخ نشأة الإسلام، ويعرف طبيعة النظم السياسية في العالم، يدرك بأقل جهد بأن هذه الفئة خصصت شرعا لقيادة الأمة، ولمرجعيتها، وأهلت للقيادة والمرجعية معا، وتحملت من التبعات ما لم تتحمله أي فئة أخرى! وأن هذه الفئة قد أعدت لتكون نقطة استقطاب للأمة أيضا كلما انفرط عقدها، وتبعثر جمعها! وما يؤكد هذا التوجه ما بينه الرسول وأجمعت عليه الأمة بأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خير الناس فرقة وقبيلة وبيتا ونسبا

وحسبا، راجع صحيح الترمذي مجلد ٢ صفحة ٢٦٩، والمستدرک علی الصحیحین مجلد

٤ صفحة ٧٣، وكنز العمال مجلد ٦ صفحة ١٠٨، والدر المنثور في ذيل آية التطهير. فضلا عن الآيات القرآنية النازلة بهم، كآية التطهير، راجع صحيح مسلم بشرح النووي مجلد ١٥ صفحة ١٩٤، وصحيح الترمذي مجلد ٥ صفحة ٣٠ حديث ٣١٥٨،

وأية المودة في القربى، راجع الصواعق المحرقة لابن حجر صفحة ١٠١، والمستدرک للحاکم مجلد ٣ صفحة ١٧٢ وكآية المباهلة، راجع صحيح مسلم مجلد ٢ صفحة ٣٦٠،

وصحيح الترمذي مجلد ٤ صفحة ٢٩٣، وآية الإطعام، وآية الاعتصام، وآية

الصادقين، وآية أولي الأمر، وآية أهل الذكر، وآية المنازعة، وآية الإنذار والهداية،
وآية الصراط المستقيم، وآية الولاية، وآية الغفران، وآية السلم، وآية التبليغ،
وآية الإكمال.... إلخ.

وقد لخص النبي الكريم هذا التميز بحديث الثقلين الذي أجمعت الأمة على صحته،
حيث بين أن الهدى لا يدرك إلا بالتمسك بالثقلين، وأن الضلالة لا يمكن تجنبها إلا
بالتمسك بالثقلين معاً، وهما كتاب الله، وعترته النبي أهل بيته. وهذا قمة التميز المبارك.
والإمام علي (عليه السلام) أشار إلى هذا التميز أكثر من مرة، كقوله: أين الذين زعموا
أنهم

الراسخون في العلم دوننا، كذبا وبغيا أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرّمهم،
وأدخلنا وأخرجهم، بنا يستعطي الهدى ويستجلى العمى، مجلد ٣ صفحة ١٨٧
أو كقوله: إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح علي
سواهم، ولا تصلح الولاية من غيرهم. مجلد ٣ صفحة ١٨٧ مكتبة الحياة.

أو كقوله: إن الأئمة قوام الله على خلقه، وعرفاؤه على عباده، ولا يدخل الجنة إلا
من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه... مجلد ٣ صفحة ٢٣٨
أو كقوله: نحن الشعار والأصحاب، والخزنة والأبواب، ولا تؤتى البيوت إلا من
أبوابها، فمن أتى من غير أبوابها سمي سارقاً. مجلد ٣ صفحة ٢٤٧
أو كقوله: منهم كرائم الإيمان، وهم كنوز الرحمن، إن نطقوا صدقوا، وإن صمتوا
لم يسبقوا. مجلد ٣ صفحة ٢٥٦

أو كقوله: أسرته خير الأسر، وشجرته خير الشجر، أغصانها معتدلة، وثمارها
متهدلة... مجلد ٣ صفحة ٣٠٠

أو كقوله: أما الاستبداد علينا بهذا المقام ونحن الأعلون نسبا والأشدون برسول
الله (صلى الله عليه وآله) نوطاً، فإنها كانت أثرة... مجلد ٣ صفحة ٣٠٣
أو كقوله: هم موضع سره، ولجأ أمره، وعيبة علمه، وموئل حكمه،
وكهوف كتبه، وجبال دينه، بهم أقام انحناء ظهره، وأذهب ارتعاد فرائضه. المجلد
الأول صفحة ١٢٤

أو كقوله: لا يقاس بآل محمد (صلى الله عليه وآله) من هذه الأمة أحد، ولا يسوى بهم من جرت

نعمتهم عليه أبدا، هم أساس الدين، وعماد اليقين، إليهم يفى الغالي، وبهم يلحق التالي، لهم خصائص النبوة، ولهم حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة... وقال عندما انتقلت إليه الخلافة: الآن رجع الحق إلى أهله، ونقل إلى منتقله، المجلد الأول صفحة ١٢٥ من شرح النهج.

أو كقوله: بنا اهتديتم في الظلماء، وتسنتم ذروة العلياء، وبنا انفجرتم عن السرار، وقر سمع لم يفقه الداعية، وكيف يراعي النبأ من أصمته الصيحة... المجلد الأول صفحة ١٧٤

٣٦ - التصدي لدعايات السلطة والاحتجاج عليها

السلطة لم تخش فئة كما خشيت آل البيت، لذلك قادت السلطات طوال التاريخ حملة إعلامية هائلة لخلط الأوراق! ومن أقدم دعايات السلطة أن علي بن أبي طالب طالب إمارة وحريص على السلطة، وبالتالي لا ينبغي أن يولي الإمارة... انظر إلى قوله (عليه السلام): وقال قائل إنك على هذا الأمر يا بن أبي طالب لحريص، فقلت

بل أنتم والله لأحرص وأبعد، وأنا أخص وأقرب، إنما طلبت حقا لي وأنتم تحولون بيني وبينه، وتضربون وجهي دونه، فلما قرعته بالحجة في الملاء الحاضرين هب كأنه بهت لا يدري ما يجيبني... مجلد ٣ صفحة ٣٥٠

وقال (عليه السلام): اللهم إني أستعينك على قريش ومن أعانهم، فإنهم قطعوا رحمي وأكفأوا إنائي، وأجمعوا على منازعتي حقا كنت أولى به من غيري وقالوا إن في الحق أن

تأخذه، وفي الحق أن تمنعه، فاصبر مغموما أو مت متأسفا، فنظرت فإذا ليس لي رافد ولا مساعد إلا أهل بيتي فضننت بهم عن الفنية، فأغضيت على القذى، وجرعت ريقني على الشجا، وصبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم وآلم للقلب من وخز الشفار. مجلد ٣ صفحة ٦٩

أو كقوله: وقد سمع صارخا ينادي أنا مظلوم فقال: هلم فلنصرخ معا فإنني ما زلت مظلوما. مجلد ٣ صفحة ٣٥١

٣٧ - هجروا السبب الذي أمروا بمودته ورجعوا على الأعقاب
قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): حتى إذا قبض الله رسوله رجع قوم علي
الأعقاب،

وغالتهم السبل واتكلوا على الولايج، ووصلوا غير الرحم، وهجروا السبب الذي
أمروا بمودته، ونقلوا البناء عن رص أساسه، فبنوه في غير موضعه، معادن كل خطيئة،
وأبواب كل ضارب في غمرة، قد ساروا في الحيرة، ودخلوا في السكر، على سنة من
آل فرعون، من منقطع إلى الدنيا ساكن، أو مفارق للدين مباين... راجع شرح النهج
مجلد ٣ صفحة ٢٢٢

قال (عليه السلام): أصفيتم بالأمر غير أهله، وأوردتموه غير مورده، وسينتقم الله ممن
ظلم، مأكلا بمأكل ومشربا بمشرب، من مطايا العلقم، ومشارب الصبر والمقر،
ولباس الخوف، ودثار السيف، وإنما هم مطايا الخطيئات، وزوامل الآثام...
مجلد ٣ صفحة ٢٨٦

٣٨ - أنين أمير المؤمنين علي
عندما دفن الزهراء تكلم (عليه السلام) بقلب يقطر أسى إلى أن قال مخاطبا النبي (صلى
الله عليه وآله وسلم): أما

حزني عليك فسرمد، وأما ليلي فمسهد، إلى أن يختار لي داره التي أنت بها مقيم،
وستنبئك ابنتك بتظافر أمتك على هضمها، فأحفها السؤال واستخبرها الحال...
مجلد ٣ صفحة ٥٥٢

٣٩ - آنس بالموت من الطفل بثدي أمه
وقال (عليه السلام): فإن أقل يقولوا حرص على الملك، وإن أسكت قولوا جزع من
الموت،

هيئات بعد اللتيا والتي، والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه، بل
اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى البيعدة،
مجلد ١ صفحة ١٧٨

وقال (عليه السلام): فوالله ما زلت مدفوعا عن حقي، مستأثرا علي منذ قبض الله نبيه (صلى الله عليه وآله)

حتى يوم الناس هذا، مجلد ١ صفحة ١٨٥

٤٠ - وصرنا سوقة يطمع فينا الضعيف

وقال (عليه السلام): فإنه لما قبض الله نبيه (صلى الله عليه وآله) قلنا نحن أهله وورثته وعترته، وأولياؤه من

دون الناس، لا ينازعنا سلطانه أحد، ولا يطمع في حقنا طامع، إذا انبرى لنا قومنا،

فغصبونا سلطان نبينا، فصار الأمر لغيرنا، وصرنا سوقة، يطمع فينا الضعيف،

ويتعزز علينا الذليل، فبكت الأعين منا لذلك، وخشيت الصدور، وجزعت النفوس،

وأيم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين، وأن يعود الكفر ويبور الدين، لكنا على غير

ما كنا عليه... مجلد أول صفحة ٢٤٨ - ٢٤٩

٤١ - استأثرت علينا قريش

وقال (عليه السلام): إن الله لما قبض نبيه، استأثرت علينا قريش بالأمر، ودفعنا عن حق

نحن أحق به من الناس كافة، فرأيت أن الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة

المسلمين، وسفك دمائهم، والناس حديثو عهد بالإسلام، والدين يمحض محض

الوطب، يفسده أدنى وهن، ويعكسه أقل خلاف... مجلد أول ٢٤٩

٤٢ - ألبا الناس علي ونكثا بيعتي

ورفع يديه بعد وقعة ذي قار وقال: اللهم إن طلحة والزبير قطعاني وظلماني، وألبا

علي، ونكثا بيعتي، فاحلل ما عقدا، وانكث ما أبرما، ولا تغفر لهما أبدا، وأرهما

المساءة في ما عملا وأملا، مجلد ١ صفحة ٢٥١

وقال (عليه السلام): فنظرت فإذا ليس لي معين إلا أهل بيتي، فضننت بهم عن الموت،

وأغضيت علي القذى، وشربت الشحى، وصبرت على أخذ الكظم، وعلى أمر من

طعم العلقم، مجلد ١ صفحة ٢٩١

وقال (عليه السلام): فيا عجبا! عجبا والله يميت القلب ويجلب الهم، من اجتماع هؤلاء

القوم على باطلهم، وتفرقكم عن حقكم، فقبحا لكم وترحا، حين صرتم غرضا يرمى، يغار عليكم ولا تغيرون، وتغزون ولا تغزون، ويعصى الله وترضون.
وقال (عليه السلام): في كتابه لأخيه عقيل إن ابن أبي سرح طالما كاد الله ورسوله وكتابه،

وصد عن سبيل الله وبغاهها عوجا، فدع ابن أبي سرح، ودع عنك قريش، وخلهم وتركاضهم في الضلال، وتجوأهم في الشقاق، ألا وإن العرب قد أجمعت على حرب أخيك اليوم إجماعها على حرب رسول الله قبل اليوم، فأصبحوا قد جهلوا حقه ووجدوا فضله، ونصبوا له الحرب، وجهدوا عليه كل الجهد، وجردوا إليه جيش الأحزاب، اللهم فاجز قريشا عني الجوازي، فقد قطعت رحمي، وتظاهرت علي، ودفعتني عن حقي، وسلبتني سلطان ابن أمي، وسلمت ذلك إلى من ليس مثلي، في قرابتي من الرسول وسابقتي في الإسلام، إلا أن يدعي مدع ما لا أعرف ولا أظن الله يعرفه.... مجلد ١ صفحة ٣٥٨ - ٣٥٩ من الشرح.

٤٣ - أسباب نقمة قريش على أهل البيت

وقال (عليه السلام): ما لي ولقريش، والله لقد قاتلتهم كافرين، ولأقاتلنهم مفتونين، وإني

لصاحبهم بالأمس، كما أنا صاحبهم اليوم، والله ما تنقم منا قريش إلا أن الله اختارنا عليهم، فأدخلناهم في حيزنا، فكانوا كما قال الأول:

أدمت لعمري شريك المحض صابحا* وأكلك بالزبد المقشرة البجرا
ونحن وهيناك العلى ولم تكن* عليا وحطنا حولك الجرد والسمرا
المجلد الأول صفحة ٤٠٤

٤٤ - كتاب محمد بن أبي بكر إلى معاوية

فكان أول من أجاب وأتاب وصدق ووافق فأسلم، أخوه وابن عمه علي بن أبي طالب، فصدقه بالغيب المكتوم، وآثره على كل حميم، ووقاه كل هول، وواساه بنفسه وماله من كل خوف فحارب حربته، وسالم سلمه، فلم يبرح مبتذلاً لنفسه في ساعات الأزل ومقامات الروع، حتى برز سابقاً لا نظير له في جهاده، ولا مقارب له في فعله، وقد رأيتك تساميه وأنت أنت وهو السابق المبرز في كل خير، أول الناس إسلاماً، وأصدق الناس نية، وأطيب الناس ذرية، وأفضل الناس زوجة، وخير الناس ابن عم، وأنت اللعين ابن اللعين لم تزل أنت وأبوك تبغيان لدين الله الغوائل، وتجتهدان على إطفاء نور الله، وتجمعان على ذلك الجموع، وتبدلان فيه المال، وتحالفان في ذلك القبائل،

على هذا مات أبوك وعلى ذلك خلفته.

والشاهد عليك بذلك من يأوي ويلجأ إليك من بقية الأحزاب، ورؤوس النفاق والشقاق لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

والشاهد لعلي مع فضله وسابقته القديمة أنصارهم الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن ففضلهم وأثنى عليهم من المهاجرين والأنصار، فهم معه كتائب وعصائب يجالدون حوله بأسياقهم، ويهريقون دماءهم دونه، يرون الفضل في اتباعه، والشقاق والعصيان في خلافه، فكيف يالك الويل تعدل نفسك بعلي، وهو وارث رسول الله ووصيه، وأبو ولده، وأول الناس له اتباعاً، وآخرهم به عهداً، يخبره بسرّه ويشركه في أمره... راجع المجلد الأول صفحة ٦٣١ - ٦٣٢ وأقرأ رسالة معاوية لمحمد بن أبي بكر.

وقال سلمان الفارسي عندما بويح أبو بكر: أصبتم ذا السن منكم، وأخطأتم أهل بيت نبيكم، لو جعلتموها فيهم، ما اختلف عليكم اثنان، ولأكلتموها رغداً. مجلد ١ صفحة ٣١٠ من شرح النهج نقلاً عن السقيفة للجوهري.

٤٥ - الخطبة المعروفة بالشقشقية ويبين فيها الإمام حقائق الأمور
أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة، وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحا،
ينحدر عن السيل، ولا يرقى إلي الطير، فسدت دونها ثوبا، وطويت عنها كشحا،
وظفت أرتي بين أن أصول بيد جذاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير
ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه، فرأيت أن الصبر على هاتا
أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجا، أرى تراثي نهبا، حتى مضى الأول
إلى سبيله فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده

شتان ما يومي على كورها* ويوم حيان أخي جابر
فيا عجبا! بينا هو يستقبلها في حياته، إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشد ما تشظرا
ضرعيها، فصيرها في حوزة خشناء، يغلظ كلمها، ويخشن مسها، ويكثر العثار فيها،
والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة، إن أشنق لها حرم، وإن أسلس لها تقحم.
فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس، وتلون واعتراض، فصبرت على طول المدة،
وشدة المحنة.

حتى إذا مضى لسبيله، جعلها في جماعة زعم أنني أحدهم، فيا لله وللشورى، متى
اعترض الريب في مع الأول منهم حتى صرت (أقرن) إلى هذه النظائر! لكنني أسففت
إذ أسفوا، وطرت إذ طاروا، فصغا رجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره، مع هن
وهن!

إلى أن قام ثالث القوم، نافجا حضييه، بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه،
يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع، إلى أن (انتكث) به قتله، وأجهز عليه
عمله، وكبت به بطنته.

فما راعني إلا والناس كعرف الضبع إلي، ينثالون علي من كل جانب، حتى لقد
وطئ الحسنان، وشق عطفائي، مجتمعين حولي كربيضة الغنم، فلما نهضت بالأمر

نكثت طائفة، ومرقت أخرى، وقسط آخرون، كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها. أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر وقيام الحجة، بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا (يقاروا) على كظة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهدي عندي من عطفة عنز.

وقام إليه رجل من أهل السواد عند بلوغه هذا الموضع من خطبته فناوله كتاباً، فأقبل ينظر فيه، قال له ابن عباس: لو أطردت خطبتك من حيث أفضيت. فقال: هيهات يا ابن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرت. راجع المجلد الأول من شرح النهج تحقيق حسن تميم صفحة ١٣٤، ١٤٢، ١٥٨، ١٦٧، ١٧١، ١٧٢

٤٦ - مقولات لا تصمد في مواجهة منطق القانون

رئاسة الدولة أو الإمامة في الإسلام مجذرة ومغروسة ومربوطة وربطاً محكما بالمنظومة الحقوقية الإلهية، تنبع منها، وتتغذى عليها وتتكامل معها، فالإمام هو وحده بعد النبي الذي يفهم المنظومة الحقوقية الإلهية فهما قائما على الحزم واليقين، فهو مرجع الأمة

الديني، والحقوقي، بالدرجة الأولى ومرجعها وقائدها الديني بالدرجة الثانية. والمنظومة

الحقوقية الإلهية هي بمثابة القانون النافذ الذي يطبقه الإمام على أقاليم وشعب دولة الأمة.

ولا تستقيم الأمور بالضرورة إلا إذا تولى القيادة السياسية ذات الإمام الشرعي الذي يشهد له الله والرسول والمنطق والعقل بأنه هو الأعلم والأفهم بأحكام المنظومة الحقوقية الإلهية وأنه الأصلح والأفضل من بين أتباع الملة.

هذان أساسان، منظومة حقوقية إلهية هي بمثابة القانون النافذ، وقيادة سياسية ومرجعية معا وهي وحدها القادرة على فهم هذه المنظومة الفهم الشرعي تاماً، وهما معا لا يفترقان بالضرورة.

هذا هو منطق القانون. أما المقولات التي روجها الحكام بأن المنظومة الإلهية لم تحدد ولم تبيّن للناس من يتولى القيادة من بعد النبي، وأن النبي قد ترك أمته ولا راعي لها من بعده، فهي مقولات لم تعد قادرة على الثبات أمام المنطق وأمام العقل وأمام الدين نفسه. إذ من الثابت أن الله أكمل الدين وأتم النعمة وبين كل شيء على الإطلاق وأعلن كمال الدين وتمام النعمة وتم بيان كل شيء بما فيه كيفية (التبول)، فهل يعقل أن يغفل الشارع الحكيم عن بيان أهم شيء وهو رئاسة الدولة أو الإمامة؟ وهل يعقل أن لا يبين للأمة كيف تنتقل هذه الإمامة من إمام إلى إمام؟ فهل يمكن أن يبين الهين ويترك الصعب؟ أو أن يوضح المهم ويترك الأهم.

٤٧ - حتى معاوية، وحتى النساء لا تتعقل ذلك!

فقد بينا أن أم المؤمنين عائشة قالت لعمر استخلف عليك ولا تدعهم بعدك هملاً، وأن ابن عمر قال لأبيه لو جاءك راعي غنمك أو إبلك وقد ترك ولا راعي لها للتمته، ووثقنا ذلك، وهذا هو معاوية يقول (كرهت أن أدع أمة محمد لا راعي لها) الإمامة والسياسة صفحة ١٨٤ فهل يعقل أن يكون ابن عمر، ومعاوية، وأم المؤمنين أدري بعواقب الأمور من الله ورسوله؟! ما لكم كيف تحكمون؟ ثم إنني أتساءل: دلوني على

هذا الحاكم الذي مات ولم يستخلف إما تصرّيحاً أو تلميحاً؟ بل إنني أتحدى عبدة التقليد أن يدلوني على منظومة حقوقية إلهية أو وضعية لم تبين من يخلف الحاكم القائم أو كيفية انتقال رئاسة الدولة من شخص إلى آخر؟ فهل المنظومات الوضعية أكثر كمالاً من المنظومة الإلهية؟! ثم إذا كانت هذه المقولات صحيحة، فلماذا لا تتركوا أمة محمد كما تركها رسول الله

بزعمكم؟

فإذا كان الرسول ترك فلماذا لا تتركون، وإذا كان الرسول استخلف فلماذا رفضتم استخلافه!!؟

٤٨ - ما هو القصد من هذه المقولات

القصد من ترويح هذه المقولات غير الصحيحة هو تبرير رفضهم للترتيبات الإلهية ، و كراهية بطون قريش أن يجمع الهاشميون النبوة والخلافة، أو بتعبير أدق للتغطية على غصب سلطان النبي من آله الكرام!!

٤٩ - القواعد التي أوجدها الحكام لرئاسة الدولة

وانتقالها ليست هي حكم الشرع

القواعد الحقوقية التي يتناقلها ويرددها منظرو الفكر السياسي الإسلامي منا نحن أهل السنة ويربطونها ربطا ببعضها، ليست هي حكم الشرع في رئاسة الدولة وكيفية انتقال الرئاسة، إنما هي وقائع التاريخ الإسلامي ولا سند لها من الشرعية إلا فعل الحكام، وقد اخترع أشياع الحكام مبدأ إجماع الصحابة الكرام كسند لهذه القواعد، وإخفاء الشرعية على هذه القواعد.

مع أن إجماع الصحابة لم يتحقق قط بعد وفاة الرسول.

ثم إن هذه القواعد نفسها لم تدم على حال إنما كانت عرضة للتبديل والتحويل والتغيير. فبيعة أبي بكر كانت فلتة كما وصفها عمر رضي الله عنهما، وأبو بكر عهد لعمر، وعمر عهد لسته، والغالب كان يعهد لابنه، حتى يأتي غالب جديد ويرى رأيه.

٥٠ - وجه الاعتراض على ما حدث

بطون قريش ترفض أن يجمع الآل الكرام النبوة والخلافة معا، وقد رأت أن الترتيبات الإلهية بجمع النبوة والخلافة لآل محمد مجحفة بحق البطون فقررت تلك البطون أن تقسم قسمة جديدة بعد وفاة النبي فتكون النبوة لبني هاشم والخلافة للبطون، وخططت على هذا الأساس حتى أثناء حياة النبي ونفذت هذه الخطة أثناء مرضه ونجحت بتخطيطها وعينت أول خليفة وهو أبو بكر (رضي الله عنه) أثناء انشغال الآل الكرام

بتجهيز النبي ليواري في ضراحه الأقدس حتى يتم الأمر بغياهم ويواجهوا الآل الكرام بواقع جديد وبموقف موحد لا طاقة لهم على مواجهته، وهكذا كان فغلب الآل الكرام على أمرهم.

إن الخليفة الذي نصبته البطون رجل صالح من كل الوجوه، ومحترم من كل الوجوه، ومن أجلاء الصحابة الكرام، ولا (مطلق) لنا عليه، لكنه ليس هو الإمام الذي عينه الله ورسوله، وليس هو الشخص المجذر بالمنظومة الإلهية، وليس هو الشخص الذي يفهم المنظومة الحقوقية فهما قائما على الجزم واليقين، لأن الفهم القائم على الجزم واليقين اختصاص وعمل فني من كل الوجوه وهو صادر عن الأعلم والأفهم بالمنظومة والأفضل والأصلح من بين أتباعها وتلك صفات لا يعلمها إلا الله! ومن هنا فإن الله تعالى حدده وبينه وأمر الرسول أن يعلن ذلك للناس فأعلنه الرسول مرات ومرات ومنها مرة بمكان يدعى غدِير خم، ولا يوجد في العالم اسم مشابه لإسم هذا المكان حتى يتذكر الناس، وبمناسبة حجة الوداع حتى لا ينسى الناس،

وأمام جمع يزيد على مائة ألف مسلم، وهو أكبر تجمع عرفه تاريخ الجزيرة آنذاك. هذا هو وجه الاعتراض، فوجه الاعتراض منصب على مستقبل النظام، على عدم إعمال القواعد الشرعية، على طريقة التنصيب، على الإصرار باستبعاد الذين لا تدرك الهداية إلا بهم، ولا تتجنب الضلالة إلا بهم!!! هذا هو فقط وجه الاعتراض.

٥١ - وجه الخلل فيما حدث

الخليفة الذي نصبته البطون رجل صالح من كل الوجوه، ولكن ليس هو الخليفة الذي عينه الله وشهد له بأنه الأعلم والأفهم والأفضل والأصلح. الخليفة الذي عينه الله ورسوله أصبح من الناحية الواقعية محكوما، ومهاناً، ومظلوماً، وواحداً من الرعية، ومجرداً من كل سلطة، ولا حول بيده ولا قوة. الخليفة الفعلي المتغلب عاجز عن فهم المنظومة الحقوقية الإلهية فهما قائما على الجزم واليقين، وفي نفس الوقت من اختصاصه الواقعي أن يطبقها على الرعية.

والخليفة الشرعي المغلوب على أمره يفهم المنظومة، ولكنه لا يستطيع أن يطبق هذا الفهم.

كل هذا أدى لوقوع خلل بدأ بسيطاً ثم أخذ يستفحل حتى عصفت بالأمة طوال تاريخها، وعصفت بالمنظومة الحقوقية الإلهية نفسها، ففهمتها الأمم الأخرى على غير حقيقتها.

ومع الأيام تداعت صلة المنظومة الحقوقية الإلهية بمؤسسة الخلافة أو الإمامة، فأصبحت الإمامة تقرأ وحدها، والخلافة وحدها، والمنظومة وحدها! وأصبحت الخلافة حقاً خالصاً لمن غلب وأحسن التخطيط والتدبير بالخفاء، فكثرت الطامعون بالخلافة، وتحولت عملية الاستيلاء على الخلافة إلى مشكلة مستعصية الحل صارت هي الأصل لكل بلاء، والشرارة لكل حرب أو فتنة، فأصبحت هذه المشكلة سنة، فطالما أن الآباء اجتهدوا بالخروج على الشرعية وترك النص الصريح، والاجتهاد مع وجوده، وطالما أن الآباء لم يلتزموا بموالاتة أهل البيت وهم القاسم المشترك، وأنفوا من القبول بحكمهم ورئاستهم للدولة، فكيف نطلب من الأبناء أن يخالفوا سنة آبائهم؟! ٥٢ - قانون الغلبة

أبو بكر (رضي الله عنه) لم ينل الخلافة بسبب صفاته الشخصية الحميدة فحسب أو لأنه من

المبشرين بالجنة، أو لأنه كبير السن... إلخ. إنما أصبح خليفة لأنه تعاون مع عمر ومع البطون، وخططوا وأحسنوا التخطيط وحققوا الغلبة. كذلك فإن عمر نصب خليفة لأنه شريك الغالب ولأن قائد الحزب الغالب قد عينه وعهد إليه. كذلك عثمان رضي الله

عنهم أجمعين أصبح خليفة لأن الغالب قد عهد إليه. كذلك حكم الأمويون لأنهم غلبوا،

ثم حكم العباسيون لأنهم غلبوا أيضاً، ثم حكم العثمانيون لأنهم غلبوا، ثم تحولت الأقاليم إلى دول بعد سقوط نظام الخلافة، وتغلبت كل فئة على إقليم فحكمته، فالرئاسة أو الخلافة أصبحت حقاً لمن غلب. ولو نفذت الترتيبات الإلهية وحصرت رئاسة الدولة بعمادة أهل بيت النبوة لما اختلف اثنان على حد تعبير سلمان الفارسي،

وبشير بن سعد الأنصاري أول المبايعين لأبي بكر، ولما تحولت رئاسة الدول إلى مشكلة

مستعصية الحل... ولكن عسير على الأبناء أن يعصوا الآباء، فصار عمل الآباء سنة، وإبعاد أهل البيت الكرام عن حقهم سنه، وتحويل الأمة إلى حقل تجارب للمتغلبين سنة، وإرغام أنوف أهل البيت الكرام سنة، بالوقت الذي نصلي فيه على محمد وعلى آل محمد في كل صلاة!!!

٥٣ - أبو جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام) يستعرض تاريخ الاحتجاجات والآلام

قال لبعض أصحابه يا فلان: ما لقينا من ظلم قريش إيانا، وتظاهرهم علينا، وما لقي شيعتنا ومحبونا من الناس، إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبض، وقد أخبر أننا أولى الناس

بالناس، فتمالأت علينا قريش حتى أخرجت الأمر من معدنه، واحتجت على الأنصار بحجنتنا، ثم تداولتها قريش، واحدا بعد واحد، حتى رجعت إلينا، فنكثت بيعتنا، ونصبت الحرب لنا، ولم يزل صاحب الأمر في صعود كؤود حتى قتل، فبويع الحسن ابنه، وعوهد ثم غدر به وأسلم، ووثب عليه أهل العراق حتى طعن بخنجر في جنبه، ونهبت عسكره، وعولجت خلاخيل أمهات أولاده، فوادع معاوية وحقن دماء أهل بيته وهم قليل جد قليل.

ثم بايع الحسين من أهل العراق عشرون ألفا ثم غدروا به، وخرجوا عليه، وبيعته في أعناقهم!

ثم لم نزل أهل البيت نستذل ونستضام، ونقصى ونمتهن، ونحرم، ونقتل ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا!

ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعا يتقربون به إلى أوليائهم وقضاة السوء وعمال السوء في كل بلد، فحدثوا بالأحاديث الموضوعة المكذوبة وزوروا علينا ما لم نقله لبيغضونا إلى الناس!

وكان عظم ذلك وكبره في زمن معاوية بعد موت الحسن فقتلت شيعتنا في كل بلد،

وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة، وكان من يذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن، أو نهب ماله أو هدمت داره!

ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد إلى زمان عبید الله بن زياد قاتل الحسين.
ثم جاء الحجاج، فقتلهم كل قتلة، وأخذهم بكل ظنة وتهمة، حتى أن الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقال شيعة علي... مجلد ٣ ص ٥٩٥ شرح النهج.
٥٤ - معاوية بعد عام الجماعة

روى المدائني في كتاب الأحداث أن معاوية كتب نسخة واحدة إلى كل عماله أن برئت الذمة ممن روى شيئاً عن فضل أبي تراب (يعني علياً) وأهل بيته (يعني أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً) فقام الخطباء في كل كورة وعلى

كل منبر يلعنون علياً ويرؤون منه ويقعون فيه.
وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي ومحبيه وأعوانه وأهل بيته شهادة ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان أن (انظروا من قامت عليه البيعة أنه يحب علياً وأهل بيته، فامحوه من الديوان وأسقطوا رزقه وعطاءه)!

وشفع ذلك بنسخة أخرى (من اتهمتموه بموالاته هؤلاء القوم أي - أهل بيت الرسول - فنكلوا به واهدموا داره).

راجع شرح النهج لابن أبي الحديد صفحة ٥٩٥ - ٥٩٦ مجلد ٣ فنفذوا أوامره وهم يتلون آية التطهير، وآية المودة بالقربي، ولم ينسوا أبداً الصلاة على النبي وآله في كل صلاة مفروضة!!! ألم أقل أن الصلة قد انقطعت بين مؤسسة الخلافة وبين المنظومة الإلهية!!

وإن وجدت صلة أو اعترف بوجود صلة في ذلك إلا للضحك على العامة، وكسب رضاهم.

قال الرسول من والى عليا فقد والاني، ومن كنت وليه فهذا علي وليه، ومعاوية يقول من والى عليا فاهدموا داره، وامحوا اسمه من ديوان العطاء ولا تقبلوا له شهادة ونلكوا به!

فأي القولين أحق بالتنفيذ قول الرسول أم قول معاوية؟ للأسف قول معاوية!!!
إن الإسلام لا يسمح أن يعامل اليهود والنصارى بهذه القسوة التي عومل بها أهل البيت وأعوانهم!!!

٥٥ - خلاصة الانقلاب

نجحت البطون بقيادة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بالحيلولة بين النبي وبين كتابة ما أراد،

وصدموا خاطره الشريف بقولهم هجر أو يهجر - حاشا له - .
ثم نجحت البطون باختيار مكان تنصيب الخليفة، ونجحت بتنصيب الخليفة الجديد في (غياب) العترة الطاهرة وأثناء انشغالهم بتجهيز جثمان النبي.
ثم نجحت البطون باستقطاب أنصارها وحشدهم معا فزفوا الخليفة زفا إلى مسجد الرسول، فأقنعوا سكان المدينة أنهم السلطة ولا سلطة سواها، وأنهم مصدر القوة وييدهم القوة ولا قوة بيد غيرهم، وأن من مصلحة الجميع أن يوالي السلطة الجديدة التي تجمع بيدها كل عناصر القوة، فانبهر سكان الجديد، وصفقوا للغالب، ومن خلال الزفة المبايعه والحشد، أرسلت قيادة البطون رسالة ضمنية لأهل بيت محمد بأنهم وحدهم ومعزولون تماما فالسكان والأمة وقيادتها الجديدة في جانب والهاشميون ومن والاهم وهم أقلية في جانب آخر، ثم إن الأنصار كلها قد بايعت، وعلى الرغم من أن سعد بن عبادة هو سيد الخزرج لكنه عزل تماما عن الخزرج لأن عارض السلطة الجديدة.

ثم إن الهاشميين لن يكونوا أقرب للأنصار من سعد، وقد تخلت عنه الأنصار ووالت السلطة الجديدة التي تجمع بيدها المال والجاه، وتتحكم عمليا في الحاضر

والمستقبل، فتصل من تشاء وتقطع من تشاء، وتعطي من تشاء وتحرم من تشاء تلك هي الحقيقة ولا يمكن لعاقل أن يتجاهلها. وقد فهم الهاشميون مضمون الرسالة، ولكن ثقتهم بالشرعية وسلطانها كانت مطلقة فاحتجوا بالشرعية، فكانت السلطة الجديدة هي الخصم والحكم ففسرت الشرعية لصالحها.

فأنف الآل الكرام أن يسلموا بالأمر الواقع وأن يعترفوا بشرعيته، أو حقه بالحكم، فردت السلطة على ذلك ردا موجعا وحاسما وأليما فأصدرت قراراتها الاقتصادية، حرمت الآل الكرام من إرث النبي، وصادرت المنح التي أعطاهم لهم النبي أثناء حياته، ثم حرمت عليهم الخمس الثابت لهم بأية محكمة، وحتى تثبت أنها سلطة عادلة قررت أن تتفضل وتقدم لآل محمد المأكل من كل ذلك وليس لهم إلا المأكل وحده وقد وثقنا

ذلك ذهل الآل الكرام من هول هذه القرارات وقسوتها، فضجوا واحتجوا بالقرآن والسنة والمنطق، فكان رد السلطة حاسما أن كل ما تركه محمد، وكل ما منحه محمد لأهل بيته، والخمس المخصص لأهل البيت الكرام كل هذه مجرد طعمة من الله للخليفة

الجديد!! ومرة أخرى صارت السلطة هي الخصم والحكم وفسرت الشرعية لصالحها ففازت القوة وانتصرت الغلبة، وسقطت الشرعية، وختمت فاطمة الزهراء حجتها بالقول:

فيا حسرتي لكم، وأنى بكم وقد عميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون. ولا بد أمام الآل الكرام من قبول الأمر الواقع، ومن التسليم بأن الشرعية قد هزمت تماما، وأن الانقلاب قد نجح، وأن السلطة الجديدة قد أحكمت قبضتها على الرعية، فإما أن يقبل الآل الكرام ذلك أو يموتوا جوعا وقهرا، أو قتلا، لأن السلطة الجديدة لن تسمح لأحد أن يعيش تحت حكمها وأن لا يواليها والسلطة الجديدة عادلة فيكفيها أن يتظاهر الآل الكرام بالموالاة وأن يكفوا عن الطعن فإن فعلوا ذلك فقد نجوا ونجاة الآل الكرام وطعنهم واحتجاجهم وموالاتهم للسلطة لا قيمة لها فالسلطة لا تحتاجهم على حد تعبير عمر، ولكن السلطة الجديدة تخشى على الآل الكرام من

غضب العامة، فقد تبطش العامة بالآل الكرام بوصف آل الكرام خارجين على الجماعة عندئذ يتفاقم الخطب بالآل الكرام والعامة على حد تعبير عمر (رضي الله عنه) عندما

حاول أن يحصل على رضا العباس مقابل أن يخصص له ولعقبه شيئاً من الأمر، كأن يضعه والياً، أو يجري عليه جراية، أو يعطيه عطية، فإن قبل العباس ذلك فقد شق وحدة الهاشميين وربحت السلطة الجديدة. وباختصار فإن آل الكرام قد عزلوا، وكسرت ظهورهم بالإجراءات والقرارات الاقتصادية الصارمة التي اتخذتها السلطة الجديدة وبالنتيجة استقر النظام في العاصمة وتوطدت أركانه، وهزمت المعارضة شر هزيمة، ولله عاقبة الأمور.

٥٦ - وفاة الخليفة الأول

لو أراد عمر أن يكون أول خليفة لكان، فهو المهندس الأعظم لعصر ما بعد النبوة، وهو الذي تحمل كل المشاق وركب الهول حتى وطد أركان النظام. وقد بينا أن أبا بكر قد كتب أثناء مرضه العهد بأن يخلفه عمر وكان ذلك واضحاً للإمام علي قبل حدوثه فقد قال لعمر احلب حلباً لك شطره واشدد له اليوم أمره يردده عليك غداً كما روى ابن قتيبة وابن أبي الحديد. ولا فرق عملياً بين حكم أبي بكر وحكم عمر، فما لم يردده عمر في عهد أبي بكر لم ينفذ.

وكان واضحاً أن الخليفة من بعد عمر هو عثمان فقد كان يسمى بالرديف وبيننا أن أبا بكر قد قال لعثمان عندما كتب عهد عمر: لو كتبت نفسك لكنت أهلاً لها.

٥٧ - مستقبل النظام الذي أسسه عمر

وعمر على فراش الموت أخذ يستعرض الرجال المؤهلين لقيادة النظام بعده فوجدهم وللأسف أمواتاً فقال: كما في رواية ابن قتيبة في الإمامة والسياسة صفحة ٢٣ لو أدركت أبا عبيدة بن الجراح باقياً استخلفته ووليته... ولو أدركت معاذ بن جبل

استخلفته... ولو أدركت خالد بن الوليد لوليته... وقال مرة لو أدركت سالم مولى أبي حذيفة لوليته واستخلفته، ويجدر بالذكر أن معاذاً من الأنصار وفي بداية العهد كان لا يجوز أن يتولى الأنصار الأمر لأن أهل محمد وعشيرته هم الأولى!!
ثم إن سالم من الموالي ولا يعرف له نسب في العرب، فكيف نوفق بين توليته وبين قول عمر (رضي الله عنه) في سقيفة بني ساعدة ولكن العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلا من

كانت النبوة فيهم... صفحة ٨ من الإمامة والسياسة.

٥٨ - عمر (رضي الله عنه) يتصرف وفق المتاح
بعد أن استذكر عمر بأن الرجال المؤهلين لقيادة النظام قد انتقلوا إلى رحمة الله تعالى، تذكر ما تبقى من العشرة المبشرين بالجنة وهم ستة، وبالرغم من وجود مبشرين في الجنة غيرهم، وبالرغم من وجود أسياد لأهل الجنة غيرهم، إلا أن اختيار عمر وقع على ستة وهم: علي بن أبي طالب، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وكان واضحاً حسب الترتيبات أن عثمان هو الخليفة في كل الأحوال، وكان علي يدرك ذلك، ولكنه لو لم يشترك بالشورى لما أقام عليهم الحجة، ولقالوا أنه زهد بحقه الثابت بالخلافة.

٥٨ - رأي عمر بقيادة المستقبل للنظام

قال عمر والله ما يمنعني أن أستخلفك يا سعد إلا شدتك وغلظتك مع أنك رجل حرب، وما يمنعني منك يا عبد الرحمن إلا أنك فرعون هذه الأمة وما يمنعني منك يا زبير إلا أنك مؤمن الرضا كافر الغضب، وما يمنعني من طلحة إلا نخوته وكبره ولو وليها

وضع خاتمه في إصبع امرأته وما يمنعني منك يا عثمان إلا عصبيتك وحبك قومك وأهلك،

وما يمنعني منك يا علي إلا حرصك عليها... راجع الإمامة والسياسة، صفحة ٢٤ - ٢٥ على سبيل المثال وصار عثمان خليفة كما رتب الأمور.

رسالة معاوية إلى محمد بن أبي بكر

٥٩ - النص الحرفي للرسالة

من معاوية بن أبي سفيان إلى الزاري على أبيه محمد بن أبي بكر سلام الله على أهل طاعته أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر فيه ما الله أهله في قدرته وسلطانه، وما أصفى به نبيه، مع كلام ألفته ووضعته، لرأيك فيه تضعيف، ولأبيك فيه تعنيف ذكرت حق ابن أبي طالب، وقديم سوابقه ومراتبه من نبي الله (صلى الله عليه وسلم)، ونصرته له، ومواساته إياه في كل خوف وهول واحتجاجك علي بفضل غيرك لا بفضلك، فأحمد إلهاً صرف الفضل عنك

وجعله لغيرك.

وقد كنا وأبوك معنا في حياة من نبينا (صلى الله عليه وسلم) نرى حق بن أبي طالب لازماً لنا، وفضله

مبرزاً علينا، فلما اختار الله لنبيه (صلى الله عليه وسلم) ما عنده، وأتم له ما وعده وأظهر دعوته، وأفلح حجته قبضه الله إليه.

فكان أبوك وفاروقه أول من ابتزّه وخالفه على ذلك اتفقاً واتسقا، ثم دعواه إلى أنفسهم فأبطأ عنهما وتلكأ عليهما، فهما به الهموم، وأرادا به العظيم، فبايع وسلم لهما، لا يشركانه في أمرهما، ولا يطلعانه على سرهما، حتى قبضا وانقضى أمرهما، ثم قام بعدهما ثالثهما عثمان يهتدي بهما... راجع وقعة صفين لنصر بن مزاحم صفحة ١١٨

و ١١٩، ومروج الذهب للمسعودي مجلد ٣ صفحة ١١

٦٠ - لرأي معاوية أهمية خاصة

تكتسب رسالة معاوية أهمية خاصة، فمعاوية هو العدو اللدود لعلي بن أبي طالب، فمعاوية وأبوه قادا حرباً ضارية طوال ٢١ عاماً ضد النبي وضد علي، وخلال هذه الحرب، قتل علي سادات بني أمية فضلاً عن المنافرات السابقة بين الهاشميين وبين الأمويين وأثمرت كل هذه المداخلات حقداً أمويًا على علي لا يزول.

ومن جهة ثانية فقد اقتنع أبو بكر وعمر رضي الله عنهما بأهمية آل أبي سفيان،
وضرورة استقطابهم لتأييد السلطة منعا لوحدة بني عبد مناف وتضييقا وعزلا
وحصارا لآل البيت الكرام فتركا لأبي سفيان ما جمع من الصدقات كما روى
الجوهري

في سقيفته، وزيادة على ذلك وليا يزيد بن أبي سفيان قيادة جيش الشام وبوفاة يزيد
عين معاوية قائدا لهذا الجيش وواليا محل أخيه وفي زمن عمر وسع له ولايته وترك
معاوية بلا حسيب ولا رقيب، يجمع كما يشاء، ويعطي من يشاء على عكس سيرته
مع بقية الولاة، كأن الخليفة عمر (رضي الله عنه) يدخر معاوية لأيام شدة النظام البديل،
فمعاوية

موضع ثقة أبي بكر وعمر، وهما موضع ثقة معاوية، ومعاوية من الفطنة والذكاء بحيث
لا تفوته مطاوي الخليفين الراشدين ومراميهما. وهذه الرسالة من الوضوح بحيث أنها
لا تحتاج إلى بيان.

فمعاوية يؤكد أن جميع المسلمين بما فيهم أبو بكر وعمر ومعاوية كانوا يرون حق
علي لازما لهم، وفضله مبرزا عليهم.

وهو يؤكد أنه بعد وفاة رسول الله بأن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا أول من
ابتزوا على حقه، وخالفاه، وقد اتفقا واتسقا على ذلك، وعندما احتج عليهما علي هما
به الهموم وأرادا به العظيم ولم يشركاه في أمرهما، ولم يطلعا على سرهما هذا هو
اعتراف معاوية وإقراره على نفسه وعلى الذين عيناه واليا!!
**

الفصل السابع

الآثار السياسية لانتصار النظام البديل

الأثر الأول: إقصاء الرسول عن التأثير على الأحداث السياسية

١ - ما يميز النظام السياسي الإسلامي عن غيره

ما يميز النظام السياسي الإسلامي عن غيره من الأنظمة السياسية هو:

١ - أن رئيس الدولة يعين بأمر من الله تعالى، فالله تعالى هو الذي عين محمداً، وداود، وسليمان، وطالوت.

٢ - أن رئيس الدولة هو الأعلم والأفهم بالمنظومة الحقوقية الإلهية، وهو وحده القادر على أن يفهم المقصود الإلهي من كل نص فهما قائماً على الجزم واليقين. ومن جهة ثانية فإن الإمام أو رئيس الدولة الذي يعينه الله تعالى هو الأصلح والأفضل والأنسب، ومن جميع الوجوه في زمانه.

٢ - ما هي الحكمة من التعيين الإلهي لرئيس الدولة؟

الله سبحانه وتعالى وضع منظومة حقوقية، وقدر أنها هي وحدها القادرة على تحقيق العدل والحرية والمساواة بين الناس، ومن ضرورات تطبيق هذه المنظومة وجود شخص يفهمها فهما يقينا، ويفهم المقصود الإلهي من كل نص فيها بحيث لا يرقى إلى

فهو فهم، ولا إلى علمه علم، وبحيث يكون هذا الإمام أو الرئيس هو الأفضل والأنسب والأصلح ومن جميع الوجوه في زمانه. وبما أن الأعلم والأفهم والأفضل والأصلح والأنسب صفات خفية لا يعرف على وجه الجزم واليقين إلا الله تعالى، ولأن مصلحة المجتمع المؤمن أن يحكمه هذا الشخص بالذات دون غيره، ولأن المجتمع المؤمن عاجز عن معرفة هذا الشخص، لذلك من الله على عباده المؤمنين فدلهم على هذا الإمام أو الرئيس، ووفر عليهم عناء البحث في ما هو خارج عن طاقتهم، وهذا هو سر اشتراك العناية الإلهية بتعيين رئيس الدولة الإسلامية.

٣ - القول الفصل

إذا كان رئيس الدولة معيناً من الله تعالى، والشريعة موضوعة من قبله تعالى فالنظام السياسي في هذه الحالة هو نظام إسلامي إلهي مائة بالمائة أما إذا لم يعين رئيس الدولة من قبل الله تعالى، فالنظام السياسي في هذه الحالة ليس إسلامياً، حتى ولو طبقت أحكام الشريعة الإلهية، لأن تحويل شخص آخر بتطبيق الشريعة الإسلامية وهو غير مؤهل لتطبيقها يؤدي لنتائج مدمرة. فحالة هذا الشخص كحالة من لا يعرف الطب ومع هذا نضع تحت تصرفه كافة اللوازم اللازمة لإجراء جراحة للقلب، أو للعين، وهو لا يعرف من الطب إلا اسمه، أو يعرف المبادئ الأساسية للطب، ولكنه لا يقوى على إجراء عملية جراحية للقلب أو للعين.

٤ - الترتيبات الإلهية على المحك

أنزل الله الكتاب على عبده محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وكلفه بيان ما أنزل الله، فبينه عبر دعوة تمخضت عن دولة، فقاد الدعوة ١٣ سنة، وترأس الدولة ١٠ سنين، ثم أعلن للناس أنه ميت لا محالة، وأخذ يبين لهم الترتيبات الإلهية لما بعد موته، بين ذلك للأفراد وللجماعات، وفي جمع يزيد على مائة ألف جمعه رسول الله خصيصاً لهذه الغاية، ثم

سأل رسول الله هذا الجمع: أأست أولى بكم من أنفسكم؟ فقال الجمع بصوت واحد: اللهم نعم، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): من كنت مولاه فهذا علي مولاه، إنه وليكم من بعدي، إنه ولي المؤمنين من بعدي، إنه ولي كل مؤمن ومؤمنة من بعدي، إنه مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي.

وأمام هذا الجمع الحاشد خلع النبي عمامته وتوج عليها بها!! فهم الجميع أن عليا هو الولي من بعد النبي، وهو القائم مقامه، وقد فهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ذلك، وقدما التهاني للولي الجديد ونطقا بلسان عربي غير ذي عوج، (أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة).

فقد بلغ الرسول أمر ربه، ونزل قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً).

وبين الرسول أمام هذا الجمع الحاشد أن الهدى لا يدرك إلا بالتمسك بالثقلين، وهما كتاب الله وعترته النبي أهل بيته، وعميد العترة وأهل البيت بعده هو علي، وأن الضلالة لا يمكن تجنبها إلا بالتمسك بالثقلين، كتاب الله وعترته أهل بيته، ونادى النبي بأعلى صوته (ألا هل بلغت)؟! وضجت الجموع الحاشدة: نعم لقد بلغت يا رسول الله الأمانة، وأديت الرسالة! ورجع إلى المدينة، وبعد وقت طال أم قصر، مرض مرضه الذي مات منه.

لقد وثقنا كل ذلك في باب القيادة السياسية، من كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام، فليرجع إليه من شاء.

٥ - الترتيبات الإلهية ليست في مصلحة الإسلام!

رأى قوم أن هذه الترتيبات الإلهية ليست لمصلحة الإسلام، فمحمد النبي من بني هاشم، وعلي الولي من بعده حسب هذه الترتيبات من بني هاشم، وهكذا يجمع الهاشميون النبوة والخلافة معا، وفي ذلك إجحاف على بطون قريش، والإجحاف مفسدة لذلك كرهت بطون قريش أن تجمع لبني هاشم النبوة والملك معا!!

وإن كنت في شك من ذلك فاقرأ رعاك الله النص الحرفي لرواية عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن العباس، للحوار الذي جرى بينهما وبين عمر بن الخطاب، وتجد هذا الحوار بحرفيته في الجزء الثالث صفحة ٧٨٥ - ٧٨٧ من شرح النهج لعلامة

المعتزلة ابن أبي الحديد تحقيق حسن تميم، طبعة مكتبة الحياة بيروت. عندما تقرأ هذا الحوار ستتمكن من وضع النقاط على الحروف.

ورأى القوم أيضا أن عليا صغير السن وليس له ما للمشيخة من القدرة على التدبير! ورأى القوم أيضا أن عليا أثنى في العرب فقتل سادات العرب على الإسلام، وليس من المناسب أن يترأس هذا البطل على أولاد قتل آباءهم! راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة مجلد ١ صفحة ٥ وما فوق.

٦ - نقض الترتيبات الإلهية

نمت فكرة أن الترتيبات الإلهية ليست في مصلحة الإسلام، واحتضنتها بطون قريش حتى والرسول على قيد الحياة! وأخذت هذه البطون تعمل بلا كلل لنقض الترتيبات الإلهية، فأشاعت أنه ليس كل ما يقوله رسول الله حقا! فهو يتكلم بالغضب والرضا، فما قاله بالغضب ليس حقا، وما قاله بالرضا هو حق، وبطون قريش وحدها تعرف الحالة التي تكلم فيها رسول الله!! ومن هنا فإن قريش كانت تنهى عن كتابة أحاديث رسول الله! راجع سنن الدارمي مجلد ١ صفحة ١٢٥ باب من رخص

في

الكتابة، وسنن أبي داود مجلد ٣ صفحة ١٢٦ باب كتابة العلم، ومسند أحمد مجلد ٢ صفحة ١٦٢ و ٢٠٧ و ٢١٦، ومستدرک الحاكم مجلد ١ صفحة ١٠٥ - ١٠٦، وجامع

بيان العلم وفضله لابن عبد البر مجلد ١ صفحة ٨٥

بل وشككت البطون في أخلاق النبي! ووظفت هذا التشكيك لصالحها، فقد زعم الرواة أن رسول الله الذي وصفه ربه بأنه على خلق عظيم كان يشتم ويسب ويلعن ويؤذي من لا يستحقها! راجع صحيح بخاري كتاب الدعوات - باب قول النبي من

آذيته، وصحيح مسلم - كتاب البر والصلة - باب من لعنه النبي! واستقر المطاف بقريش، أن حرقت أحاديث رسول الله!! راجع طبقات ابن سعد مجلد ٥ صفحة ١٤٠ بترجمة القاسم بن محمد بن أبي بكر، ومنعت الناس من أن يرووا أو يكتبوا حديث رسول الله!!! راجع تذكرة الحفاظ للذهبي بترجمة أبي بكر مجلد ١ صفحة ٢ - ٣، وقد وثقنا ذلك أكثر من مرة.

٧ - إقصاء الرسول عن التأثير على الأحداث السياسية
اهتدت بطون قريش على شعار رفعته حتى بمواجهة النبي نفسه!!! فقالت (حسبنا كتاب الله) أي إن كتاب الله وحده يكفي، ولا حاجة لما يقوله الرسول!!!
قد يندهش البعض من هذا القول ويعتبرونه تقولا، لكن هذا الشعار رفع أمام الرسول نفسه فعندما قال للحاضرين: قربوا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ومن والاه: (حسبنا كتاب الله) فالرسول ومن معه يقولون: قربوا

يكتب لكم رسول الله، وعمر ومن معه يقولون: (حسبنا كتاب الله)!! وإن كنت في شك من ذلك فاقراً صحيح بخاري - كتاب المرض - باب قول المريض قوموا عني، مجلد

٧ صفحة ٩ وصحيح مسلم في آخر كتاب الوصية مجلد ٥ صفحة ٧٥، وصحيح مسلم بشرح النووي مجلد ١١ صفحة ٩٥ وصحيح بخاري مجلد ٤ صفحة ٢١، وصحيح مسلم مجلد ٢ صفحة ١٦ ومجلد ١١ صفحة ٩٤ - ٩٥ بشرح النووي، وتاريخ الطبري مجلد ٢

صفحة ١٩٢ والكامل لابن الأثير مجلد ٢ صفحة ٣٢٠، وراجع كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام صفحة ٢٨٧ - ٢٩٠، تجد التوثيق الكامل. وحتى بعد وفاة النبي ساد هذا الشعار، راجع تذكرة الحفاظ بترجمة أبي بكر مجلد ١ صفحة ٢ - ٣ و ٤ - ٥
وهكذا أبعث الرسول عمليا عن التأثير على دائرة الحدث السياسي، وحل محله الخليفة الغالب!!

٨ - الانتقال إلى مركز الحكم

بعد مواجهة البطون لرسول الله بشعارها العنيد، ونجاحها بالحيلولة بين النبي وبين كتابة ما أراد، وبعد أن تيقنت قريش أن النبي قد مات حقاً، انتقلت من مرحلة التخطيط لنقض الترتيبات الإلهية المتعلقة برئاسة الدولة، إلى مرحلة الجلوس على كرسي الرئاسة وتنفيذ ترتيبتها البديلة التي قدرت أنها الوحيدة القادرة على خدمة مصلحة الإسلام!

واختارت بطون قريش الوقت المناسب، وهو انشغال الآل الكرام بتجهيز جثمان النبي وعدم استطاعة الآل الكرام لأكثر من سبب ترك الجثمان بدون تجهيز!! واختارت بطون قريش هذا الوقت بالذات حتى تضمن خلو الساحة من الآل الكرام، وحتى تكون في الميدان وحدها، وتتصرف كأنها قرابة النبي الوحيدة!!! واختارت البطون المكان المناسب في أحياء الأنصار حتى تحتج على الأنصار بالقرابة، وحتى ترجح كفتها بالأنصار بعد أن تقيدهم بالبيعة ثم تواجه الآل الكرام بحقيقة

واقعة أو بأمر واقع! وهكذا نصبت الخليفة بالمكان والزمان المناسبين لها، ثم خرجت تزفه زفاً، وأشرف الخليفة الجديد على الآل الكرام وخلفه أتباعه، فصاح به علي (أفسدت علينا أمورنا ولم تستشرنا ولم ترع لنا حقاً) فقال أبو بكر (رضي الله عنه) (بلى ولكني خشيت الفتنه). راجع شرح النهج لابن أبي الحديد مجلد ١ صفحة ١٣٤ نقلاً عن السقيفة للجوهري.

٩ - محاولات الإمام علي لنصرة الشرعية

حاول الإمام علي بكل قواه أن ينتصر للشرعية كما ذكر الجوهري في السقيفة، ونقله ابن أبي الحديد في مجلد ٦ صفحة ٢٨ من شرح النهج، وابن قتيبة في مجلد ١ صفحة ١٢ من الإمامة والسياسة، فطاف هو وزوجته الزهراء وابناه الحسن والحسين على مجلس الأنصار وسألوهم النصرة، ولكن الأنصار مقيدة ببيعتها للخليفة الجديد، ويبدد السلطة الجديدة المال والجاه والقوة والمستقبل والحاضر، فمن أراد الجاه والمشاركة

بالسلطة فلا بد له من رضا السلطة، فلا أحد يحسن ترتيب أوراقه يمكنه أن يدخل بمواجهته مع السلطة، وهكذا أخفق الإمام علي بكل محاولاته إذ انحاز الناس إلى جانب

السلطة طمعا بالعافية!

وكانت للقرارات الاقتصادية التي اتخذتها السلطة بحق الآل الكرام بمثابة رسالة وتحذير لكل من تسول له نفسه بمعاندتها، فمن هو أعظم من ورثة النبي؟ ومع هذا حرموا من ميراثه لأنهم عاندوا السلطة!

ومن أقرب إلى النبي من فاطمة الزهراء؟ فقد صودرت منحبتها!

ومن هو أعظم مكانة من أصحاب المودة في القربى؟ ومع هذا فقد حرموا من الخمس الوارد والمخصص لهم بأية محكمة!

بل من هو أعظم مكانة من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ فقد منعوا كتابة حديثه في حياته،

وواجهوه مباشرة في بيته وفي مرضه وقالوا له: (حسبنا كتاب الله) إلى آخر ما يدمي قلب الإنسان!!!

وهكذا نجحت السلطة، وفشلت كل المحاولات الرامية لنصرة الشرعية.

١٠ - النتيجة المدمرة

لقد خلق الله هذه الأمة وإخراجها للناس، وركب لها رأسا خاصا بها، وبظروف مؤلمة قطع هذا الرأس، وأبعد عن الأمة جانبا، وتم تركيب رأس للأمة غير الرأس الذي وضعه الله لها!

صحيح أن الرأس الحديد رأس صالح من كل الوجوه، لكنه ليس الرأس الذي خلقه الله وأعدده ليكون رأسا لهذه الأمة.

عندما استبعدت الأمة الرأس الذي ركبته الله لها لم نشعر بوجع يذكر، بسبب قدرة الجراح الذي قام بالعملية الجراحية، وبسبب كثرة التخدير، لكن لما ذهب أثر التخدير وبرد الجرح، أدركت الأمة أنها قد دمرت نفسها تماما، فإنه لا يوجد في الدنيا رأس يناسبها، إلا الرأس الذي خلقه الله لها!

فها بشير بن سعد أول من بايع أبا بكر يقول للإمام علي: لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان. راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة صفحة ٥ وما فوق، وراجع مجلد ٦ صفحة ٢٨٥ من شرح النهج نقلا عن الجوهري.

وقد غلبت الأمة على أمرها ولهت وراء وبحثت عن نصيبتها من المشاركة في السلطة والمال والدينيا، فوجدت كل ذلك في قبضة السلطة الغالبة، فارتبطت مصالحها بمصالح الغالب كائنا من كان، فقامت بينها وبين الغالب صلة، تعذر على الأمة عمليا قطعها، فإن قطعت صلتها بالغالب فقد تنازلت عن حقها ووجودها وسلمته بدون قيد ولا شرط لهذا الغالب، وإن ناصبت الغالب العداء فهي متفرقة، والغالب وبطانته متحدون فالمواجهة غير متكافئة، ولا تحصد الأمة منها غير الندامة! فتحرك موكبها في ظروف غير ملائمة طوال التاريخ!!

١١ - عودة إلى الآثار السياسية

قلنا إن النظام السياسي الإسلامي قد أجهض والنبى على فراش الموت، وحل محله نظام سياسي بديل أسسه وبناه أولئك الذين أجهضوا النظام السياسي الإسلامي، وانتصر النظام البديل.

الذين أجهضوا النظام السياسي الإسلامي لم يقصدوا شرا إنما قصدوا الخير، فخافوا الفتنة، واستصغروا الإمام عليا، وأشفقوا من إيثان الإمام في العرب، واستكثروا أن يجمع الهاشميون النبوة والخلافة، وقدروا أن هذا الجمع إجحاف بحق بطون قريش، وقدروا أن النبى بشر يتكلم في الغضب والرضا، وتصوروا أن الترتيبات الإلهية المتعلقة بمستقبل الدولة هي من اجتهاد النبى كبشر. ثم إن رئاسة الدولة أمر يهم المسلمين وحدهم. لكل هذه الأسباب استبعدوا الإمام المعين شرعا، وأقاموا بدلا منه خليفة للنبى، يقوم مقامه برئاسة الدين والدينيا.

١٢ - بذور مبدأ ابتزاز

على الصفحة ١٤٨ و ١٤٩ من كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم، وعلى الصفحة ١٤ من مجلد ٣ من مروج الذهب للمسعودي، تجد النص الحرفي لرسالة معاوية بن أبي

سفيان إلى محمد بن أبي بكر الصديق، وقد جاء فيها بالحرف (... وقد كنا وأبوك في حياة من نبينا نرى حق ابن أبي طالب لازماً لنا، وفضله مبرزاً علينا.... فلما اختار الله لنبيه ما عنده.... فكان أبوك وفاروقه أول من ابتزه وخالفه، وعلى ذلك اتفقا واتسقا...)

١٣ - معنى إقرار معاوية

يعني إقرار معاوية أن حق علي بالخلافة قد ترسخ حتى واعتقد المجتمع المسلم أن هذا الحق ملزم ولازم لهم، وأن فضل علي على الجميع كان مبرزاً وتميزه عن الجميع كان واضحاً، وأنه بعد وفاة النبي انقض أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على هذا الحق فابتزاه، على حد تعبير معاوية، وعلى هذا الفضل فدمراه، وقد اتفقا على ذلك واتسقا. فمعاوية من بني أمية المشهورين بعداوتهم للهاشميين، حتى قبل البعثة، ومعاوية وأبوه اشتهرا بعداوتهم لرسول الله طوال الدعوة ١٣ سنة وخلال ٨ سنوات من عمر الدولة، فأبو سفيان هو قائد حرب الشرك ضد الإيمان بلا منازع، ثم إن علي بن أبي طالب والحمزة عمه قتلا على الإسلام سادات بني أمية، ثم إن معاوية هو العدو اللدود لعلي ولأهل البيت وللمن والاهم، ثم إن معاوية هو والي أبي بكر وعمر على أعظم ولايات الخلافة، وموضع رضاهما، ومع هذا يقر أن أبا بكر وعمر بالاتفاق والاتساق بينهما كانا أول من ابتز علي بن أبي طالب حقه الثابت بالخلافة!! ومن هنا فإن إقرار معاوية حجة متعددة تلزمه وتلزم اللذين ولياه، وتلزم شيعتهم. ولا بديل أمام شيعة هؤلاء الثلاثة سوى إنكار الرسالة من حيث أتت، وكيف يمكن إنكار الواضحات!؟

١٤ - الإمام علي يشير للذين ابتزوا حقه في المجلد ٣ صفحة ٦٩ من شرح النهج يقول الإمام (اللهم إني أستعينك على قريش ومن أعانهم، فإنهم قطعوا رحمي، وكفأوا إنائي، وأجمعوا على منازعتي حقا كنت أولى

به من غيري، وقالوا إن في الحق أن تأخذه، وفي الحق أن تمنعه... إلخ).

وقال مرة عن آل محمد (ولهم حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة...).

وعند ما انتقلت إليه الخلافة قال (... الآن رجع الحق إلى أهله، ونقل إلى

منتقله...). راجع المجلد الأول صفحة ١٢٥ من شرح النهج.

وقال مرة مفندا حجة خصومه (وقال قائل إنك علي هذا الأمر يا ابن أبي طالب

لحريص، فقلت بل أنتم والله لأحرص وأبعد، وأنا أخص وأقرب، إنما طلبت حقا لي

وأنتم تحولون بيني وبينه، وتضربون وجهي دونه، فلما قرعته بالحجة في الملاء

الحاضرين هب كأنه بهت لا يدري ما يجيبني... مجلد ٣ صفحة ٣٥٠ من شرح

النهج.

وقال مرة (أصفيتم بالأمر غير أهله، وأوردتموه غير مورده... مجلد ٢ صفحة ٢٨٦

شرح نهج البلاغة.

وقال (حتى إذا قبض الله رسوله، رجع قوم على الأعقاب، وغالتهم السبل،

واتكلوا على الولاة، ووصلوا غير الرحم، وهجروا السبب الذي أمروا بمودته،

ونقلوا البناء من رص أساسه، فبنوه في غير موضعه، معادن كل خطيئة، وأبواب

كل ضارب في غمرة... مجلد ٣ صفحة ٢٢٢

١٥ - الواقع المر ورفض الشرعية

إذا سلمت الأمة بحق علي بالولاية واعتبرت هذا الحق لازما لها وملزما، فإن

بطون قريش التي قاومت النبي ٢١ عاما ثم سلمت مكرهة بنبوته، لن تقبل بساطة

الشرعية بهذا اليسر، فالبطون استكثرت على الهاشميين أن يجمعوا مع النبوة الخلافة،

وأن يحوزوا الفضلين معا!

ثم لنفترض أن بطون قريش قد قبلت هذا الترتيب الإلهي لمرحلة ما بعد النبوة، فهل يقبل ذلك أبو بكر (رضي الله عنه)، وهل من المعقول أن يترأس علي على أبي بكر؟

صحيح وبكل الموازين أن هاشما خير من تيم، وأن عليا كنفس رسول الله ولا يؤدي عن الرسول إلا الرسول أو علي، كما أخبر رسول الله أبا بكر بذلك عندما أخذ منه سورة براءة، ولكن أبا بكر صاحب رسول الله!!
ولنفترض أن أبا بكر قد قبل ذلك استعدادا لآخرته وتفضيلا للآجلة على العاجلة، فهل من الممكن أن يقبل ذلك عمر بن الخطاب ابن البطون البار، الذي يتبنى حرفيا مبدأ عدم جواز جمع الهاشميين للنبوة والخلافة معا؟
إن السماء لو انطبقت على الأرض ما قبل عمر ذلك!!!
١٦ - المواجهة والابتزاز والغطاء

علي بن أبي طالب صاحب حق لن يتنازل عن حقه بالرضا، وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما ومن خلفهما بطون قريش، يريدون أن يأخذوا هذا الحق من صاحبه لأكثر من سبب، فعملية تجريد الإمام من حقه بالولاية تحتاج إلى مبرر للتجريد، ومبرر التجريد غير وارد شرعيا، لأن الإمام معين من قبل الله ومعلنة ولايته من قبل رسول الله، أمام أفراد الأمة منفردين ومجتمعين في غدیر خم، فيصعب الالتفاف على هذا الحق وابتزازه. والحل الوحيد هو ابتزاز الحق بالقوة والتغلب، بعد عزل صاحب الحق عمليا عن حقه، وعزله عن الأمة التي يمكن أن تدعمه للوصول إلى حقه، والتخطيط المحكم والتدبير المتروي، حتى يكون ابتزاز الحق بأقل كلفة ممكنة، وبدون معارضة تذكر.

١٧ - الغطاء الشرعي

صحيح أن الله قد عين عليا وليا للأمة من بعد النبي، وصحيح أيضا أن الرسول قد أعلن هذه الولاية أمام جمع يزيد على مائة ألف، وصحيح أيضا أن أبا بكر وعمر قد قدما كغيرهما من المسلمين خالص التهاني للإمام بهذه الولاية، وصحيح أيضا أن عليا

من النبي بمنزلة هارون من موسى، وصحيح أيضا بأن الله قد أعطاه علما لدنيا، وقوة خارقة جعلته فارس العرب والمسلمين قاطبة، وصحيح أيضا بأن عليا داخل بآية المباهلة وهو كنفس النبي، وهو زوج ابنته ووالد سبطيه الوحيدين، وصحيح أن رسول الله قد أمر عليا بأن يلحق أبا بكر ويأخذ منه سورة براءة لأن جبريل قد بلغه بأنه لا يؤدي عنه إلا عليا.

كل هذا صحيح ولا ينكره لا أبو بكر ولا عمر رضي الله عنهما. ولكن بالمقابل فإن عليا من بني هاشم، ومحمدا من بني هاشم، فإذا أخذ محمد النبوة، وأخذ علي الخلافة فمعنى ذلك أن النبوة والخلافة ستكونان في بني هاشم، فماذا تأخذ البطون القريشية!!! وهل هذه قسمة عادلة!!!

ثم من يضمن لأبي بكر وعمر وبتون قريش عدم إجحاف الهاشميين إذا جمعوا بأيديهم الخلافة والنبوة؟ وطبيعة عمر بالذات، وطبيعة أبي بكر تكره الإجحاف!! هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن عليا صغير السن، وفتى إذا ما قيس بأبي بكر وبعمر رضي الله عنهما. والعرب بطبيعتها تقدر كبر السن.

والأنكى من ذلك أن علي بن أبي طالب قتل سادات العرب على الإسلام، فهل يقبل العرب أن يتأمر عليهم الرجل الذي قتل آباءهم!!! على عكس أبو بكر، فلا علم لي أنه قد قتل شخصا واحدا خلال حرب الكفر مع الإيمان!!

كذلك عمر فبالرغم من جرأته الفائقة حتى على الرسول نفسه، إلا أنه لم يسجل يقينيا أنه قد قتل مشركا واحدا خلال حرب الكفر مع الإيمان. فالعرب تقبل زعامة الذي لم يقتل، ولا تقبل زعامة الفارس الذي طبقت سمعته لأفاق، ودوخ المشركين العرب.

ذلك هو الغطاء الذي غطيت به عملية ابتزاز حق الإمام علي على حد تعبير معاوية في رسالته الشهيرة إلى محمد بن أبي بكر. وهي حجج ثابتة، وقد وثقناها أكثر من مرة في البحوث السابقة.

١٨ - أنتم أعلم أم الله، أنتم أحرص أم رسول الله!!
من الطبيعي أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لم يسمعا الله عندما أمر رسول الله أن يعلن ولاية علي من بعده، ولكنها سمعا الرسول يعلل، وهما لم يتصورا أن حديث الثقلين الذي أعلنه الرسول هو أمر من عند الله، إنما قاله الرسول من تلقاء نفسه!! صحيح أن من يطع الرسول فقد أطاع الله بالنص القرآني، ومن يعص الرسول فكأنما عصى الله بالنص القرآني أيضا، فكيف يمكن الالتفاف على هذه الأحكام الإلهية؟

هذه قضية بسيطة جدا، فالرسول بشر يتكلم بالغضب والرضا!! فلا ينبغي أن يحمل كل كلام الرسول على محمل الجد!! ولا ينبغي أن يعمل بكلام الرسول كله!! لذلك وتمهيدا لهذا الالتفاف على الأحكام الإلهية نهت قريش (المقصود بقريش الزعامة المتوجهة) عن كتابة أحاديث الرسول، وإن كنت في شك من ذلك فراجع سنن الدارمي

مجلد ١ صفحة ١٢٥ - باب من رخص في الكتابة، وسنن أبي داود باب كتابة العلم
مجلد ٢ صفحة ١٢٦ ومسند أحمد مجلد ٢ صفحة ١٦٢ و ٢٠٧ و ٢١٦، ومستدرك
الحاكم

مجلد ١ صفحة ١٠٥ - ١٠٦، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر مجلد ١ صفحة
٨٥

بل وصورت بطون قريش النبي بصور تجعله دون مستوى الإنسان العادي! فقد روى بخاري في صحيحه - كتاب الدعوات - باب قول النبي من آذيته. وروى مسلم في صحيحه - كتاب البر والصلة - باب من لعنه الرسول: أن رسول الله كان يغضب ويشتم ويسب ويؤذي ويلعن من لا يستحق ذلك!!! حاشا لك يا رسول الله، فرجل من عامة الناس يترفع عن كل ذلك، ومع هذا ألصقوا هذه الأفعال برسول الله لغاية في نفس يعقوب.

وتدرجوا بذلك حتى وصلوا إلى مرحلة قالوا فيها إن القرآن وحده يكفي ولا حاجة لأحاديث الرسول، بل وأحرقوا أحاديث الرسول ومنعوا روايتها طوال مدة ٩٥ عاما. راجع طبقات ابن سعد مجلد ٥ صفحة ١٤٠ بترجمة القاسم بن محمد بن أبي بكر، وراجع

فتح الباري باب كتابة العلم مجلد ١ صفحة ٢١٨، وراجع تذكرة الحفاظ للذهبي

بترجمة

أبي بكر مجلد ١ صفحة ٢ - ٥، وقد وثقنا ذلك أكثر من مرة في البحوث السابقة.

١٩ - الإعداد للمواجهة مع النبي نفسه

أشيعت الأقاويل السابقة بين الناس، واستقطبت بطون قريش، ورتب عمر بن الخطاب أعوانه وأنصاره وخطط فأحكم، وفي ليلة ليلاء زاروا رسول الله، وكانت حجرته المباركة غاصة بعواده، جبريل لم ينقطع عن زيارة النبي وأكثر ما كان يزوره وهو مريض.

النبي على علم بما يجري حوله، فأراد أن يلخص الموقف لأمته، وأن يكتب لها كتابا يؤمنها فيه ضد الضلالة، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) (قربوا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا)

مجرد أن سمع الحاضرون كلام رسول الله انقسموا إلى قسمين:

١ - عمر بن الخطاب ومن والاه أعلنوا بصوت واحد وكأنهم على اتفاق: لا حاجة

لنا بالكتاب (حسبنا كتاب الله) إن رسول الله قد اشتد به الوجد، أو بتعبيرهم إن

رسول الله هجر أو يهجر، وكلما كرر رسول الله طلبه، كرروا إجابتهم بمواجهته!!!

٢ - القسم الثاني الذي لا يدري عما يجري في الخفاء، كانوا يقولون: ألا تسمعون رسول الله؟! قربوا يكتب لكم رسول الله!

٢٠ - تحد

من ينكر هذه الواقعة!! ومن يقوى على تبريرها، لقد رواها البخاري بست صيغ، ورواها مسلم، وقد فصلت هذه الواقعة في كتابي نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام، ووثقتها، راجع الصفحات ٢٨٨ - ٢٩٥ من كتابنا آنف الذكر. وهكذا تمكن عمر وحزبه من أن يحولوا بين الرسول وبين كتابة ما أراد، فلو أصر الرسول على كتابة الكتابة لأصروا على القول بأنه هجر، مع ما يستتبع ذلك من دمار على مستقبل الدين نفسه وأدرك الرسول هول ما يجري حوله، فغضب وقال لمن حوله: قوموا عني ما أنا فيه خير مما تدعونني إليه.

٢١ - حجة عمر وحزبه

الرسول قد اشتد به الوجد! لقد مرض أبو بكر واشتد به الوجد أكثر مما اشتد برسول الله وكان عمر حاضرا فقال أبو بكر: قربوا أكتب لكم، وكتب. لماذا لم يعترضه

عمر؟ لماذا لم يقل إن أبا بكر هجر؟

وعمر نفسه قد مرض واشتد به الوجد أكثر مما اشتد به برسول الله، ومع هذا قال قربوا، وكتب، ولم يقل أحد إن عمر قد اشتد به الوجد أو أنه هجر!!!
راجع كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام صفحة ٢٩١ وما فوق تجد التفصيل والتحليل والتوثيق.

٢٢ - في الحجرة المباركة تم عمليا الإعلان عن

ابتزاز الحق وعن قيام السلطة بالتغلب

على أثر المواجهة التي جرت بين النبي من جهة وبين عمر وحزبه من جهة أخرى، خرج عمر منتصرا، فقد استعرض قوته أمام النبي نفسه! وازداد أتباعه ثقة بأنفسهم، وأدركوا أنه لم يبق بينهم وبين السلطة إلا قاب قوسين أو أدنى!
واغتم رسول الله وانشغل الآل الكرام بكليتهم به، وخلا الجو لعمر وحزبه، ونفذوا خططهم خطوة بعد خطوة أثناء غياب العترة الطاهرة، وانشغالهم بتجهيز النبي. وبالصورة التي وضحناها بالتفصيل في البحوث السابقة.

خرج أبو بكر من السقيفة كحاكم وخليفة فعلي، وخرج عمر وأبو عبيدة كنائيين للخليفة، فزفته الجموع التي بايعته، وأحاطت به وبنائبيه، كجيش مجند يعمل تحت تصرف السلطة الجديدة، وزفه هذا الجيش زفا حتى أوصله إلى المسجد، حيث كان الآل الكرام كلهم مشغولين بمصائبهم.

صاح عمر بالجموع المنشرة حول بيت الرسول: ما لكم أراكم حلقا شتى، لقد بايعت أبا بكر وبايعته الأنصار، قوموا فبايعوا.

فقام عثمان ومن معه من بني أمية فبايعوا وقام سعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف ومن معهما من بني زهرة فبايعوا، وانضموا إلى الجيش المؤيد للسلطة. أما آل الكرام وعلى رأسهم الإمام علي فقد فوجئوا بما حدث وكأصحاب حق أدركوا أن حقهم قد ابتز منهم بالفعل فقد امتنعوا عن البيعة وتجاهلوا تماما وانضم إليهم ابن أختهم الزبير بن العوام.

٢٣ - تصفية المعارضة

سيد الأنصار سعد بن عبادة لم يبايع، فأصدر نائب الخليفة عمر أمرا بقتله، ولكنه لم يقتل على الفور لأسباب أمنية، وخوفا من اتحاد الأنصار ضد السلطة الجديدة، راجع كتاب السقيفة الجوهري نقلا عن علامة المعتزلة ابن أبي الحديد، وراجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة مجلد ١ صفحة ١٠، وذكر البلاذري في أنساب الأشراف مجلد ١ صفحة ٥٨٩، والعقد الفريد لابن عبد ربه مجلد ٣ صفحة ٦٤ - ٦٥، أن عمر أرسل رجلا وقتل سعد بن عبادة، وفي تبصرة العوام أن الرجل الذي أرسله عمر هو محمد بن مسلمة الأنصاري فرماه بسهم!

وهكذا قضى على هذا المعارض، وبالرغم من أنه كان علما على عهد رسول الله، ونجما متألقا، إلا أن نور هذا الصحابي قد خبا وإلى الأبد، لأنه معارض للسلطة.

٢٤ - إخضاع أبي سفيان

أرسل رسول الله أبا سفيان لجمع الصدقات، وعاد أبو سفيان بعد وفاة رسول الله واستهجن خلافة أبي بكر، بدعوى أن تيم لا معنى لقيادتها مع وجود بني عبد مناف، فتشاور أبو بكر وعمر، وأخيرا قررا أن يتركاه ما جمع من الصدقات، وأن يوليا ابنه يزيد قيادة أحد الجيوش. ومع إعراض الإمام علي عن التحالف مع أبي سفيان انحاز أبو سفيان إلى جانب السلطة ورضي بقرباتها. راجع كتابنا النظام السياسي صفحة ١٤٢ تجد التوثيق.

٢٥ - إخضاع الآل الكرام

ركزت السلطة على محورين لإخضاع الآل الكرام، فقد اجتمعت بالعباس ووعده بأن تجعل نصيبا من الأمر له ولعقبه، مقابل تأييد السلطة الجديدة. وغايتها إيقاع الانشقاق بين الآل الكرام، والاحتجاج على علي بموافقة وتأييد عمه للسلطة الجديدة! ولكن العباس رفض ذلك رفضا قاطعا. راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام صفحة ١٣٩ تجد التوثيق.

بعد يوم واحد من وفاة الرسول، تحركت سرية بقيادة عمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، وزيد ابن لييد، وزيد بن ثابت، ومسلمة بن أسلم، وخالد بن الوليد، وثابت بن قيس، ومحمد بن مسلمة، وسلمة بن سالم، وأسيد بن حضير، كما يروي اليعقوبي في تاريخه، وأحاطت هذه السرية بيت علي بن أبي طالب، حيث كان يقيم مع زوجته فاطمة الزهراء وابنيه الحسن والحسين، ويتقبلون التعازي بوفاة النبي. وطلب قائد السرية عمر من علي ومن كافة المتواجدين عنده الخروج فوراً لمبايعة الخليفة الجديد، وهذا أسلوب ترفضه العرب في الجاهلية والإسلام!! لم يمر غير يوم واحد على وفاة الرسول! ومع هذا تنتهك حرمة منزل ابنته، ويعامل ولي الله بهذا الأسلوب المهين! فمن الطبيعي أن يرفض الإمام ذلك، فأمر عمر بإحضار الخطب، وأقسم أنه إن لم يخرج علي والمتواجدون عنده ليحرقن الدار على من

فيها، قيل له إن في الدار فاطمة وحسن وحسين! فقال عمر: وإن!!! أدركت فاطمة أن عمر سيحرق الدار عليها وعلى زوجها وولديها وستحرم الأجيال المسلمة من معرفة الحقيقة، فعضت على جرحها وطلبت من الحاضرين الخروج، وهددتهم بالدعاء عليهم، فخرجوا! تلك حقيقة تغنى بها شاعر النيل حافظ إبراهيم بهائيته الشهيرة، واعتبرها من مفاخر عمر!! راجع تاريخ ابن شحنة صفحة ١١٣ بهامش الكامل وابن أبي الحديد

مجلد ١ صفحة ١٣٤ وابن عبد ربه مجلد ٣ صفحة ٦٤ وأبو الفداء مجلد ١ صفحة ١٥٦

وأنسب الأشراف مجلد ١ صفحة ٥٨٦ والخميس مجلد ١ صفحة ١٧٨ وأبو بكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد مجلد ١ صفحة ١٣٤ ومروج الذهب للمسعودي مجلد ٢ صفحة ١٠٠

وأجبر المهاجمون كل من في بيت فاطمة على مبايعة أبي بكر بالقوة. أما علي فقد جروه جراً حتى مثل بين يدي أبي بكر، وطلبوا منه أن يبايع، فقال الإمام: أأنتم أولى بالبيعة لي، لقد احتججتم على الأنصار بالقرابة من رسول الله، وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، نحن أولى برسول الله حياً وميتاً، فأنصفونا إن كنتم مؤمنين، وإلا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون.

فقال عمر: إنك لست متروكاً حتى تبايع، فقال الإمام إن لم أبايع فمه؟ فقال عمر: إذا والله نضرب عنقك!! فقال علي: تقتلون عبد الله وأخا رسوله؟ فقال عمر: أما عبد الله فنعم، وأما أخو رسوله فلا؟

يشير الإمام علي إلى مؤاخاة الرسول له قبل الهجرة وبعد الهجرة، ولكن عمر (رضي الله عنه)

لم يعترف بهذه المؤاخاة، لأنها ليست أخوة دم، بالرغم من عشرات النصوص الواردة بذلك.

فالتحق علي بقبر النبي يبكي ويصيح: يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني! راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة صفحة ١١ وما فوق.

٢٦ - حزن السلطة

حزن أبو بكر علي ما فعل بانتهائه لحرمة بيت فاطمة الزهراء، وقال في آخر أيامه وليتني لم أفتش بيت فاطمة بنت رسول الله وأدخله الرجال ولو كان أغلق علي حرب! كما ذكر اليعقوبي، وحاول هو وعمر أن يسترضيا فاطمة فعجزا، وماتت وهي غاضبة منهما، راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة صفحة ١١ وما فوق.

٢٧ - القرارات الاقتصادية الحاسمة

أدرك عمر وأدرك أبو بكر أن قتل ولي الله علي وإن كان متاحا لهما ليس قرارا عمليا، وأن الإصرار على حرق بيت فاطمة بنت محمد عليها وعلى زوجها ولي الله علي وعلى سبطيها سيدي شباب أهل الجنة، ليس قرارا عمليا!

ثم إن أهل البيت لا يمكن أن يستسلموا بالقوة، ففكروا واهتديا إلى ثلاثة قرارات اقتصادية حاسمة، هي وحدها الكفيلة بتركيح أهل البيت الكرام:

١ - القرار الأول: حرمان ورثة الرسول من حقهم في إرثه، راجع مسند أحمد مجلد ١ صفحة ٤ الحديث ١٤ وسنن أبي داود مجلد ٣ صفحة ٥ وتاريخ ابن كثير مجلد ٥ صفحة ٢٨٩ وشرح النهج مجلد ٤ صفحة ٨٢ نقلا عن السقيفة لأبي بكر الجوهري. ولأسباب إنسانية وعاطفية دفعوا آله الرسول، ودابته وحذاءه إلى علي، وما عدا ذلك تمت مصادرتة وحرمان الورثة منه، راجع شرح النهج مجلد ٤ صفحة ٨٧ - ٨٩ وبلاغات النساء صفحة ١٢ - ١٥، راجع الرواية عند أبي الحديد.

٢ - القرار الثاني: حرمان أهل البيت الكرام من منح الرسول، ومصادرة هذه المنح منهم، وأبرز هذه المنح فدك، وقصتها مشهورة في التاريخ.

٣ - القرار الثالث: حرمان أهل البيت من الخمس الوارد في القرآن الكريم، راجع شرح النهج مجلد ٤ صفحة ٨١ نقلا عن الجوهري في كتاب السقيفة، وراجع تاريخ الإسلام للذهبي مجلد ١ صفحة ٣٤٧ وراجع كنز العمال مجلد ٥ صفحة ٣٦٧ تجد ثلاث روايات.

٢٨ - ضج الآل الكرام

ضج الآل الكرام من قسوة هذه القرارات، وجاءوا إلى السلطة لأول مرة يشكون ما لحق بهم من ظلم، فكانت السلطة هي الخصم والحكم معا، وسعدت السلطة بهذه المراجعة، وطاب لها هذا الضجيج، واتسع صدرها واستمعت لخطبة ابنة النبي المعروفة بالفدكية، ولكن السلطة أصرت على قراراتها!

٢٩ - من أين نأكل بحق السماء!!

تأثر أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) عندما تساءل الآل الكرام من أين نأكل إذا، فقد حرمتمونا من إرث النبي، ومن منحه إيانا، ومن سهم ذوي القربى، ولا تجوز لنا الصدقة فهي محرمة علينا فمن أين نأكل وننفق على أنفسنا!!

وفي سنن الترمذي مجلد ٧ صفحة ١١١ أن أبا بكر قال (إني أعول من كان يعول رسول الله، وأنفق على من كان رسول الله ينفق عليه. وقال (إنما يأكل آل محمد من هذا المال، ليس لهم أن يزيدوا على المأكل... راجع صحيح بخاري مجلد ٢ صفحة ٢٠٠

باب مناقب قرابة الرسول، وراجع سنن أبي داود مجلد ٢ صفحة ٤٩ كتاب الخراج، وسنن النسائي مجلد ٢ صفحة ١٧٩ قسم الفئ، ومسند الإمام أحمد مجلد ١ صفحة ٦ و ٩

وهكذا تكرمت السلطة وتعهدت بأن تقدم المشاكل لآل محمد.

٣٠ - انتهاء المعارضة عمليا

هكذا شلت حركة أهل بيت النبوة تماما وانتهت معارضتهم عمليا، وجردوا تماما من كل الأسلحة حتى من الرغيف، فهم كالقصر لا يؤمن عليهم أن يتصرفوا بمالهم الخاص، والحاكم هو وليهم، وهو الذي يتصرف بمالهم تصرف المالك، ولكن ليس لهم

من هذا المال إلا الأكل فقط.

قال الإمام علي (وصرنا سوقة يطمع فينا الضعيف، ويتعزز علينا الذليل، فبكت الأعين منا لذلك، وخشيت الصدور، وجزعت النفوس، وأيم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين، وأن يعود الكفر ويور الدين، لكنا على غير ما كنا عليه - مجلد ١ صفحة ٢٤٨ - ٢٤٩ من شرح النهج.

٣١ - واستقامت أمور العاصمة رغبة ورهبة

وبتركيح آل محمد استقامت أمور العاصمة، ودانت أو تظاهرت كلها بالدينونة للسلطة الجديدة. وسار خبر وفاة النبي مع خبر البيعة لأبي بكر معا، وذهلت

الأقاليم من بيعة أبي بكر، وتساءلوا: كيف يرث أبو بكر الرسول من دون أهله؟ وتردد بعض الولاة في إرسال زكوات الأموال التي جمعوها، وبعضهم وزع هذه الصدقات.

٣٢ - الولاة للسلطة ضوء الولاة لله

من خالف السلطة، وخرج على طاعتها، وامتنع عن تنفيذ أوامرها وتجنب نواهيها، فهو عمليا خارج عن طاعة الله، وليس بينه وبين السلطة إلا القوة، فيتوجب تركيعه بالقوة، وقصة مالك بن نويرة وهو والي النبي على قومه فلما توفي النبي أمسك الصدقة وفرقها على قومه فسمع أبو بكر فأرسل له خالد بن الوليد فقال مالك لخالد: أنا وقومي من الإسلام فقال خالد: ضعوا السلاح إذا فوضعوا السلاح، وبعد أن وضعوا السلاح ربطوا أسارى وبأمر من خالد بن الوليد ضرب ضرار بن الأزور عنق مالك بن نويرة ودون سبب وعمول كمرتد، وبنفس الليلة التي قتل فيها مالك بن نويرة تزوج خالد بن الوليد امرأته دون عدة، راجع الإجابة مجلد ٣ صفحة ٣٣٧ وتاريخ اليعقوبي مجلد ٢ صفحة ١٣ وكنز العمال مجلد ٣ صفحة ١٣٢ ووفيات الأعيان لابن خلكان مجلد ٥ صفحة

٢٦ وفوات الوفيات مجلد ٢ صفحة ٦٢١ وتاريخ الفداء صفحة ١٥٨ وتاريخ ابن شحنة

مجلد ١١ صفحة ١١٤ هامش الكامل لابن الأثير... إلخ.

٣٣ - سارت الدعوة إلى الإسلام مع الدعوة إلى طاعة السلطان

وفي خارج العاصمة سارت الدعوة إلى السلطان مع الدعوة إلى الإسلام، بل وتغطت الدعوة إلى طاعة السلطان بغطاء الدعوة إلى دين الإسلام، واستقامت أمور الجزيرة طوعا وكرها.

وبعد أن استقرت أمور الجزيرة، ودانت كلها للسلطة، جهزت السلطة الجيوش ووضعتها وجها لوجه أمام أعداء الإسلام، ففتحت أمام الناس أبواب الأمل، وأشغلتهم بالحروب مع أعدائهم، فرزقت السلطة العافية ورزقت الأمة العافية، وانشغل كل فريق من الفريقين عن الآخر، وتأجلت عملية التآكل الداخلي، نتيجة الخروج على الشرعية!

٣٤ - دور علماء الدولة ومنظري الفكر السياسي
أي عالم وأي منظر ولو كان كالبدري في رابعة السماء لا قيمة له إذا لم يكن
مواليا للسلطة!!

أين الحباب بن منذر، أين سعد بن عبادة، أين العمالقبة من أصحاب رسول الله؟
لقد اختفى ذكرهم، وبرز واشتهر فقط أولئك الذين والوا السلطة طوال التاريخ، أو
برروا أعمالها!!

٣٥ - كلما فعلته السلطة حلال ومبرر طوال التاريخ
قالت السلطة: إن رسول الله قد مات وترك أمته لا راعي لها، فردد العلماء
والمنظرون من خلفها: إن رسول الله قد خلى على الناس أمرهم، وأن السلطة قد
صدقت في ما قالت، وأن رسول الله قد أحسن عندما خلى على الناس أمرهم وتركهم
ولا راعي لهم.

أما الذين قالوا إن الله قد أكمل الدين وأتم النعمة وبين كل شيء، فهل يعقل أن
يغفل النبي أهم شيء وهو رئاسة الدولة، فقد نظر إليهم بارتياب وأهملت حاجتهم،
وأكفئت قدورهم.

ثم خطر ببال الحاكم أن لا يفعل ما فعله الرسول، ورأى من غير المعقول أن يترك أمة
محمد هملا لا راعي لهم فيقتل بعضهم بعضا على الرئاسة، فعين من يخلفه حرصا على
مصلحة المسلمين، فهلل العلماء والمنظرون وقالوا: قد أحسن والله بالعهد، فترك الأمة
ولا راعي لها أمر غير معقول، فلو أن راعي إبلك أو غنمك ترك الإبل والغنم ولا
راعي لها للتمته، على حد تعبير عبد الله بن عمر لأبيه عمر بن الخطاب رضي الله
عنهما.

أما الذين قالوا كيف أصاب الحاكم الذي عهد، وأخطأ النبي الذي لم يعهد، لماذا لم
تصدقونا عندما قلنا لكم أول مرة إن رسول الله لم يترك الأمر سدى كما زعمتم، وإنما
عين للأمة وليا من بعده؟ هؤلاء أهملت حاجتهم واعتبرتهم الأثرية الموالية للسلطة
ورثة الذين شقوا عصا الطاعة، وخالفوا الحاكم والجماعة!!

٣٦ - بقدره قادر كل شئ ما فعله الحاكم حلال
قال أفضى القضاة الماوردي في الأحكام السلطانية، وقال علامة الزمان أبو يعلى
في كتابه الأحكام السلطانية: (الإمامة تنعقد من وجهين: إما باختيار أهل الحل والعقد،
وإما بعهد الإمام من قبل. وقالت طائفة: تنعقد الإمامة بخمسة يجتمعون عليها، والدليل
بيعة أبي بكر عمر وأبو بكر وأبو عبيدة وأسيد بن حضير وبشير بن سعد وسالم مولى
أبي حذيفة. والدليل الآخر أن عمر جعل الشورى في ستة تنعقد لأحدهم!
وقال آخرون: تنعقد الإمامة بثلاثة، يتولاها أمرهم برضا الاثنين، كعقد الزواج
لأن العباس قال لعللي أمدد يدك أبايعك.

أما العهد فجائز لسببين

١ - عهد أبي بكر لعمر.

٢ - عهد عمر للسته. راجع الأحكام السلطانية صفحة ١٥٥

قال إمام الحرمين الجويني (لا يشترط في عقد الإمامة الإجماع، بل تنعقد وإن لم
تجمع الأمة).

وقال الإمام ابن العربي (لا يلزمه في عقد البيعة أن تكون من جميع الأنام، بل
يكفي لعقد ذلك اثنان أو واحد!

وقال القرطبي في تفسيره إني جاعل في الأرض خليفة إن عقدها واحد من أهل
العقد فذلك ثابت، ودليلنا أن عمر قد عقد البيعة لأبي بكر!

وقال أبو المعالي من انعقدت له الإمامة بعقد واحد، فقد لزم ولا يجوز خلعه.

وقال عضد الدين الإيجي (الإمامة تثبت بالنص من الرسول، ومن الإمام السابق،
وتثبت ببيعة أهل الحل والعقد، والدليل عقد عمر لأبي بكر وعبد الرحمن بن عوف
لعثمان.

راجع الإرشاد في الكلام لإمام الحرمين صفحة ٤٢٤ عبد الملك بن عبد الله الجويني،
وراجع سنن الترمذي لابن العربي مجلد ١٣ صفحة ٢٢٩، وراجع جامع أحكام القرآن
مجلد ١ صفحة ٢٦٩ - ٢٧٣

٣٧ - السؤال الكبير

لماذا لم يستشهد أحد على الإطلاق بفعل النبي أو قوله أو تقريره؟ أو بأي نص شرعي من القرآن أو السنة؟ وهل خلت الشريعة التي بينت كل شيء من النصوص التي تحكم أهم شيء، وهو تعيين رئيس الدولة؟ ثم من هو الذي خرج عن هذه الاحتمالات وتلك الصور التي فصلت على كل وقائع التاريخ السياسي الإسلامي؟ وإذا كانت هذه الصور شرعية فلماذا انهار التاريخ السياسي الإسلامي مع أنه لم يخرج أبدا عن هذه الصور؟ ثم لماذا تأكلت مؤسسة السلطة التاريخية السياسية الإسلامية من الداخل وانهارت نتيجة هذا التآكل؟

٣٨ - القوة والتغلب لم يخطر على البال!!!

وأضاف أبو يعلى في الأحكام السلطانية (إن الإمامة تثبت بالقهر والغلبة، ولا تفتقر إلى العقد) فإذا اعتبر الترك سندا شرعيا ومبررا للاختيار، واعتبر العهد سندا شرعيا ومبررا للخلافة والاستقرار؟ فما بالك بمن يدوس على الشرعية، وبمن يتجاهل الإمام الشرعي فينقض على الحكم ويستولي عليه بالقوة؟ فهل حكمه حلال أو حرام؟ وهل طاعته واجبة أم معصيته واجبة؟

٣٩ - الجواب العجيب والواقع المر المفضل على وقائع التاريخ

يقول أبو يعلى على لسان فريق (ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين، فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماما، برا كان أو فاجرا، فهو أمير المؤمنين) وقال (في الإمام يخرج عليه من يطلب الملك فيكون مع هذا قوم ومع هذا قوم: تكون الجمعة مع من غلب).

٤٠ - ما هو السند الشرعي؟ ما هو النص الذي استتروا عليه؟
احتجوا بأن عبد الله بن عمر بن الخطاب صلى بأهل المدينة في زمن الحرة،
يوم استباح جيوش يزيد بن معاوية المدينة المنورة، فقال عبد الله ابن عمر: نحن مع
من غلب!!
ولأن عبد الله بن عمر قال هذه الجملة فمعنى ذلك أن قوله تشريع، وحجة نافذة على
العباد، ويكون من واجب المؤمنين سندا لهذه الجملة أن يؤيدوا الغالب والمتغلب
بالقوة.

هكذا وبكل هذه البساطة أضيفت الشرعية على فعل القاهرين والمتغلبين على
الحكم بالقوة.

وهو عبد الله بن عمر الذي رفض بيعة الإمام علي عند صراعه مع معاوية بن أبي
سفيان، وانتظر حتى غلب معاوية، وعندما غلب معاوية بايعه لأنه الغالب.

٤١ - الغلبة والقوة هي الحكم طوال التاريخ
غلب أبو بكر فصار خليفة، ولأنه غالب عهد بالخلافة من بعده لعمر فصار عمر
خليفة، ولأن عمر غالب عهد بالخلافة عمليا لعثمان.
ثم بايعت الجموع عليا بعد مقتل عثمان فغالبه معاوية بن أبي سفيان فغلبت القوة
على الشرعية، وصار معاوية خليفة لأنه غلب! وابتدأت دورة العهد، فعهد لابنه
يزيد، ثم غلب مروان ابن الحكم وبدأت دورة العهد في أبنائه، وجاء العباسيون فغلبوا
بني أمية وبدأت دورة العهد في بني العباس، ثم غلب كل وال علي ولايته وتفككت
الخلافة العباسية.

وجاء العثمانيون فغلبوا، ودانت لهم بلاد الإسلام لأنهم غلبوا، ثم جاءت جمعية
الاتحاد والترقي المدعومة من الغرب فغلبت وتولت مسؤولية تفكيك الدولة العثمانية،
وغلب كل وال أو مجموعة علي ولايتها، وقامت علي أنقاض الدولة العثمانية الدول
الإسلامية الحديثة، ولله عاقبة الأمور!

٤٢ - متى ابتداء قانون الاستيلاء على الحكم بالقوة والغلبة؟
ابتداء قانون الاستيلاء على الحكم بالقوة والتغلب، عندما كان النبي على فراش الموت، وكتل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) جماعته وحزبه ودخلوا بمواجهة مكشوفة

مع النبي نفسه!

قال النبي: قربوا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا، فقال عمر وحزبه: لا حاجة لنا بهذا الكتاب، (حسبنا كتاب الله)!

وعندما كرر النبي طلبه قال حزب عمر: إن رسول الله قد هجر - حاشا له - فانتصرت القوة، وغلبت الشرعية!

وبعد يوم انتقل النبي إلى جوار ربه واستمر عمر (رضي الله عنه) وحزبه انتصارهم بمواجهة

النبي، وتجاهلوا الإمام المعين من الله ورسوله، وعينوا خليفة بالقوة بدلا منه!!!

٤٣ - لو قبل عمر ونصب الإمام الشرعي

لو أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما سافرا من المدينة إلى مؤتة في جيش أسامة الذي جهزه النبي وأمرهما أن يكونا فيه، وأمر بتعجيل إنفاذه ولعن من تخلف عنه. ولو أن عمر (رضي الله عنه) وحزبه لم يواجهوا النبي، وقبلوا قيادة الولي الذي عينه الله وأعلنه

رسوله وليا من بعده، لما اختلف عليه اثنان قط، ولاستقرت مؤسسة الإمامة أو رئاسة الدولة ولانتصرت الشرعية، ولما تفرقت الأمة، وبقيت متحدة إلى يوم الدين، ولما طمع بالإمامة طامع، ولما قامت الحروب، ولما ساد على وجه الأرض نظام غير النظام الإلهي، عندئذ تتبع القوة للشرعية وتصبح القوة والغلبة جنديا من جنود الشرعية.

ولكن عمر (رضي الله عنه) فتح باب التغلب والاستيلاء على الحكم بالقوة والتغلب، لحكمة

رأها هو وبطون قريش!!!

٤٤ - الغالب الذي لم يبطر

عندما غلب عمر وعين أبا بكر خليفة استقام أبو بكر ما وسعته الاستقامة، واستقام عمر ما وسعته ذلك، ولم يتميزا عن الناس، بمستوى المعيشة، فكارن الناس سيرتهما بسيرة غيرهما من الخلفاء، وسلوكهما بسلوك غيرهما من الخلفاء، فوجدوا الفارق عظيما، فارتفعت أسسهم الخليفتين شعبيا إلى مستوى لا يصدق، فقول أبي بكر وعمر وفعلهما وتقريرهما بمثابة شرع، حتى ولو اختلفا مع الشرع بل ومع الآيات المحكمات!

فسهم المؤلفة قلوبهم المنصوص عليه بأية محكمة ألغاه عمر، فأشار الناس بحكمته! والرسول كان يعطي بالتساوي فميز عمر بالعطاء، فاستحسن الناس هذا الإبداع، ثم قال عمر لئن استقبلت من عمري ما استدبرت لأردن فضل أموال الأغنياء على الفقراء، مع أنه هو الذي أوجد الأغنياء وأوجد الفقراء، فهلل الناس وترقبوا خطوة عمر التاريخية!

ثم إن أبا بكر وعمر أول من أشاع بأن رسول الله خلى على الناس أمرهم ولم يعين وليا للأمة من بعده، واكتشف الخليفتان أن ترك الأمة بلا راع دمار حقيقي، فعهد أبو بكر وعهد عمر، وأوجدا سنة العهد، فجعل الناس ذلك شرعا واجب الاتباع! بل ويكفيك أن تعلم أنه كان من واجب الخليفة أن يعلن التزامه بسنة رسول الله وسيرة الشيخين، كأن سنة رسول الله لا تكفي، فجاءت سيرة الشيخين لتكمل سنة رسول الله!!!

وإن كنت في شك من ذلك فاطلع على صورة المواثيق التي طرحها عبد الرحمن بن عوف على عثمان وعلى الإمام الشرعي علي... إلخ. ومن العجيب أن الناس لم يقارنوا سيرة الشيخين بسيرة رسول الله وهو نبي، إنما قارنوا سيرتهما بسيرة غيرهما من الخلفاء!!!

٤٥ - والخلاصة أن التغلب كان هو الطريق الوحيد
والخلاصة أن عمر (رضي الله عنه) قد فتح باب التغلب والاستيلاء على الحكم بالقوة،
فصار

هو الطريق الوحيد للوصول إلى منصب رئاسة الدولة الإسلامية، عندئذ تستقر الأمور
فيعهد الغالب لأحد أفراد حزبه أو لأحد أبنائه أو أقاربه.... حتى يأتي غالب جديد،
فيعيد الكرة!!

وهكذا قوضت القوة والتغلب دعائم الشرعية في الإسلام، وفتحت شهية
الطامعين بالخلافة، فأخذ كل طامع يعد العدة ويكون حزبه تمهيدا للاستيلاء على
السلطة بالقوة والتغلب!! ولله عاقبة الأمور.

٤٦ - المؤمنون حول وعبيد للغالب الذي يستولي على السلطة
قال الطبري في مجلد ٧ صفحة ١٣ من تاريخه (فدعا الناس للبيعة على أنهم حول
ليزيد بن معاوية يحكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم ما شاء)
وقال المسعودي في التنبيه والإشراف صفحة ٢٦٤ ومروج الذهب مجلد ٣ صفحة ٧١
(وباع من بقي من أهل المدينة على أنه قن ليزيد بن معاوية، ومن أبى أمره إلى السيف!
وقال المسعودي) فسار الحصين ومن معه حتى أتى مكة وأحاط بها ونصبوا المجانيق
ورمى الكعبة بالنار والنفط ومشاقات الكتان، وغير ذلك من المحروقات، فانهدمت
الكعبة التي تحصن بها أعداء الخليفة الذين لم يبايعوه، راجع مروج الذهب مجلد ٣
صفحة ٧١ - ٧٢، وراجع تاريخ الخميس مجلد ٢ صفحة ٣٠٣ وتاريخ السيوطي
صفحة ٢

٤٧ - ما هو موقف الرسول من أفعال الغالب؟
زعموا أن الرسول يؤيد الغالب، فقد روى مسلم في صحيحه مجلد ٦ صفحة ٢٠ -
٢٢

باب الأمر بلزوم الجماعة أن الرسول قال: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدائي، ولا
يستنون

بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين، قال فقلت: يا رسول الله إن
أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع للأمر، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع.

قال النووي في شرحه - باب لزوم طاعة الأمراء في غير معصية (وقال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين: لا ينزل الحاكم بالفسق والظلم وتعطيل الحدود، ولا يخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك، بل يجب وعظه، وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين! راجع مجلد ١٢ صفحة ٢٢٩

من شرح النووي على صحيح مسلم، وراجع سنن البيهقي مجلد ٨ صفحة ١٥٨ - ١٥٩

قال الباقلاني في كتاب التمهيد (قال الجمهور من أهل الإثبات وأصحاب الحديث: لا ينخلع الإمام بنفسه وظلمه بغصب الأموال، وضرب الأبخار، وتناول النفوس المحرمة، وتضييع الحقوق، وتعطيل الحدود، ولا يجب الخروج عليه. وهكذا غطوا بغطاء الشرعية كل أعمال الغالب، فكل ما يعمله الغالب مباح له، ويمكن للغالب أن يهدم الكعبة، ويمكن للغالب أن يستبيح المدينة المنورة نفسها، ويمكن للغالب أن يحتم أعناق الصحابة الكرام، ويمكن للغالب أن يحرق بيت فاطمة بنت محمد وأن يقتل فراخ محمد نفسه، وأن يقتل الحسين وأن يسم الحسن، وأن يبني ذرية الرسول في كربلاء!!

قال أبو الخير الشافعي في حق يزيد (ذلك إمام مجتهد!!) ونقل ابن حجر في صواعقه صفحة ٢٢١ (بأنه لا يجوز لعن يزيد... فإنه من جملة المؤمنين وأمره إلى مشيئة الله!!)

فإذا اقتنعت بكل ذلك فأنت مسلم ومؤمن ومع الجماعة، وإذا لم يقتنع عقلك بذلك فأنت رافضي خبيث، أو متشيع فاسد لأهل البيت الكرام، وبالتالي شاق عصا الطاعة، ومفارق للجمعة والجماعة، وخارج على أمير المؤمنين الغالب للأمة كلها!!

**

الأثر الثاني: عزل أهل بيت النبوة الكرام

١ - أهل البيت الكرام

شرف الآل الكرام

١ - لأن الله عز وجل جعل القيادة السياسية والمرجعية فيهم، فأعدهم لذلك إعداداً إلهياً.

٢ - لأنهم قرابة النبي، ولأنهم أفضل البطون البشرية بالنص الشرعي.

٣ - لأنهم احتضنوا النبي ودعوته وتحملوا في سبيله ما لم يتحملة أي بطن من البطون وحصار قريش للهاشميين لا يخفى على أحد.

٤ - لأنهم أحد الثقلين فكتاب الله الثقل الأول، وعتره النبي أهل بيته الثقل الثاني،

ومن المستحيل بعد النبي أن تهتدي الأمة إلا إذا تمسكت بهذين الثقلين، ومن

المستحيل أن تنجو الأمة من الضلالة إلا إذا تمسكت بهذين الثقلين معاً.

فالقراآن الكريم وبيان النبي لهذا القراآن هما القانون النافذ، وأهل البيت العترة

الطاهرة هم القيادة السياسية والمرجعية!

وقد ترسخت هذه البنى الدستورية إبان حياة النبي، واقتنع المجتمع المسلم بسلامتها.

٢ - ليس من عند الرسول إنما من أوامر الله

تميز أهل البيت الكرام، وفضلهم المبرز وكونهم أحد الثقلين، وأفضليتهم، هذا

المزايا وغيرها لم يقررها الرسول من عند نفسه، حاشاه، إنما تلقاها رسول الله من الله

عز وجل، وأمر الرسول بتبليغها باعتبارها جزءاً من الذكر الحكيم، ومقطعا من مقاطع

المنظومة الإلهية. وهكذا فهما المجتمع المسلم.

٣ - لبطون قريش تصور آخر
بطون قريش وعلى رأسها عمر (رضي الله عنه) كأن لها رأي آخر، فقد اعتقدت أن
هذه

الترتيبات لا يعقل أن تكون من عند الله، فهل يعقل أن يعطى الهاشميون النبوة
والخلافة ويحوزوا الفضلين معا، ولا ينال بطون قريش منها شيئا؟
تصوروا ذلك وهم يعلمون أن الله أتى آل إبراهيم الكتاب والحكمة والنبوة والملك
وهم يعلمون أن محمدا أفضل من إبراهيم، وأن آل محمد هم أفضل من آل إبراهيم،
ولكنهم لم يستكثروا على آل إبراهيم ذلك واستكثروا أن يجمع الآل الكرام كل ذلك.

٤ - القرابة كانت هي الحجة الأولى لأبي بكر وعمر
قال أبو بكر في سقيفة بني ساعدة (نحن عشيرة رسول الله). راجع الإمامة
والسياسة لابن قتيبة صفحة ٦

وقال عمر مخاطبا الأنصار (والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبئها من غيركم،
ولكن العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم، لنا بذلك على من
خالفنا من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين، من ينازعنا سلطان محمد وميراثه
ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل، أو متجانف لإثم، أو متورط في هلكة)
الإمامة والسياسة صفحة ٧ - ٨

٥ - التسليم للحق
ما قاله أبو بكر وعمر حق، فقالت الأنصار لا نبايع إلا عليا، وقال بعض الأنصار
لا نبايع إلا عليا. راجع تاريخ الطبري مجلد ٣ صفحة ١٩٨، وراجع الإمامة والسياسة
صفحة ٨، وراجع مجلد ٢ صفحة ٢٦٩ من شرح النهج، على اعتبار أن عليا هو أقرب
المقربين للرسول، وعلى اعتبار أن الولي الذي أعلن الرسول ولايته للمؤمنين أمام جمع
يزيد على مائة ألف مسلم، وعلى اعتبار أنه الأعلم والأفهم والأفضل بالنص الشرعي.

٦ - لأبي بكر وعمر وأبي عبيدة رأي آخر
أبو بكر من بني تيم، وعمر من بني عدي، ومحمد من بني هاشم، احتجوا بأنهم
قراة النبي، فقالت الأنصار نحن مع قراة النبي فعلا، ونباع عليا لأنه سيد القراة،
وأقرب القراة للنبي، فلم يرق هذا الجواب للثلاثة، خاصة لأبي بكر ولعمر لأنهما أرادا
من الأنصار أن يوافقوهم القول بأنهما قراة النبي والأولى به!!
٧ - الالتفاف على الحجة

لما اقتنعت الأنصار بأن أهل محمد وقراة أولى بسلطانه، واقترحت البيعة
لعلي التف أبو بكر وعمر على هذا الاقتراح، فقال أبو بكر: هذا عمر، وهذا
أبو عبيدة، بايعوا من شئتم!! فقالا نبايعك أنت، فانقض بشير بن سعد وبايع
أبا بكر! ثم بايعه عمر وأبو عبيدة، وتوالى المبايعون. ويبدو واضحا أن الترتيب
هو أن يكون أبو بكر الخليفة الأول، وأن يكون عمر هو الخليفة الثاني، وأن
يكون أبو عبيدة هو الخليفة الثالث، فطالما قال عمر لو كان أبو عبيدة حيا
لوليته واستخلفته!!

ويبدو واضحا أن بشير بن سعد وأسيد بن حضير من أركان الذين اشتركوا
بهذا الترتيب!

وعندما انتقل رسول الله إلى جوار ربه لم يكن أبو بكر حاضرا فأخذ عمر يهدد
بتقطيع أطراف من يزعم بأن الرسول قد مات، واجتمع الناس حوله وأخذوا يسمعون
له، فلما حضر أبو بكر استفاق عمر كأن لم يكن به شئ، فكان غاية عمر أن يلهي
الناس ريثما يحضر أبو بكر، ويرتبا معا ويخططا معا.
وقد أشار ابن أبي الحديد لهذه الناحية، وبين أن قصد عمر كان كسب الوقت
ليحضر أبو بكر.

٨ - القصد ابتزاز الحق باسم القرابة أو بأي اسم عرف الجميع أن قرابة محمد أولى بميراثه وسلطانه، وأن سيد القرابة والمعلنة ولايته هو علي، وأنه هو صاحب الحق بالميراث وسلطان النبي. هذا الترتيب لم يرق لا لعمر ولا لأبي بكر ولا لبطون قريش، فأرادت وصممت أن تبتز الحق من أهله، فلوحت بالقرابة ورفعت هذا الشعار، حتى أصغى الحاضرون لها، لأن الجموع المسلمة مسكونة بمبدأ القرابة، وعندما أصغوا لهما رفعا شعار البيعة، ثم صار الاستيلاء على السلطة أمرا واقعا، وأدرك الناس أن أقواتهم ومستقبلهم مع الغالب، وأن الشرعية قد هزمت فعلا، وأن الضربة لمن يضربها فعلا!!

٩ - بعد الخروج من السقيفة

الذين بايعوا أبا بكر تحولوا إلى جيش يحميه ويدافع عنه وينفذ أوامره، وتحول عمر إلى نائب أول للخليفة، وأبو عبيدة إلى نائب ثاني للخليفة، فخرجوا معا وزفوا الخليفة زفا حتى جاءوا به إلى آل محمد، ولم يكن هناك داع للاحتجاج بالقرابة على آل

محمد فاحتج الخليفة بأن الأنصار قد بايعته بالشورى، ونسي أمر القرابة!!!

١٠ - التذكير بالحجة الأولى

قال علي احتججتكم على الأنصار بالقرابة من رسول الله، وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتكم به على الأنصار، نحن أولى برسول الله حيا وميتا فأنصفونا إن كنتم مؤمنين وإلا فبوؤا بالظلم وأنتم تعلمون! فقبل لعلي لقد اختار الأنصار أبا بكر بالشورى، فقال علي:

فإن كنت بالقربى ملكت أمورهم * فغيرك أولى بالنبي وأقرب وإن كنت بالشورى ملكت أمورهم * فكيف بذلك والمشيرون غيب

١١ - السلطة تصب جام غضبها مع أهل البيت
استقامت أمور العاصمة، لأن أبا بكر وعمر لم يأخذ حق أحد من سكان العاصمة،
إنما أخذوا حق أهل البيت فقط، وابتزوا هذا الحق على حد تعبير معاوية برسالته التي
ذكرناها أكثر من مرة.
فمن الطبيعي أن صاحب الحق سيبدل جهده ليسترده حقه السليب، ومن الطبيعي
الذي ابتز الحق لن ينام قرير العين، ما دام للحق صاحب يطلبه!!
لماذا يطالبون بحقهم، لماذا لم يسلموا للغالب الذي ابتز هذا الحق على حد تعبير
معاوية، لماذا يقلقون السلطة التي أخذت هذا الحق، كيف تفعل السلطة بهم؟
الحل أن يهدد علي بالقتل فإذا قتل علي قطع رأس المعارضة؟
وفعلا هددوه بالقتل، ولكن مثل ولي الله لا يرهب التهديد بالقتل!
الحل الثاني هو تفتيت أهل البيت، فذهبوا إلى العباس ووعدوه بجزء من الأمر له
ولعقبه إن تخلى عن دعم الإمام علي، فرفض العباس هذا العرض رفضا قاطعا!
إذا لا حل أمام السلطة سوى أن تحرق بيت علي بن أبي طالب على فاطمة والحسن
والحسين معا، أو تهدد علي الأقل بحرق البيت، فيعلم سكان العاصمة أن هذا البيت
مشبوه، وأن من يتردد عليه غير آمن فتقطع الصلة بين هذا البيت وبين سكان
العاصمة، ويحاصر سكان البيت ويعزلون!
وبالفعل أمر عمر بن الخطاب بجمع الحطب ووضع حول البيت، وقال إنه إن لم
يخرج من في البيت فإنه سيحرقه على ما فيه، فقيل له: إن فيه فاطمة والحسن
والحسين فقال وإن!!!
وهذه رسالة ضمنية لكل من تسول له نفسه بمعارضة السلطة الجديدة فهو لن
يكون أعظم من فاطمة ولا من علي ولا من الحسن ولا من الحسين، ومع هذا
فالسلطة قادرة على حرق بيت هؤلاء علي من فيه!!

وعندما اكتشفت السلطة أن هذه الإجراءات لم تردع أهل البيت الكرام عن طلب حقه، صادرت على الفور المنح التي منحها الرسول لهم كفدك، وقررت حرمان أهل البيت من تركة الرسول وميراثه وأعطت أهل البيت حذاء الرسول ودابته وآلته فقط، وبنفس الوقت ألغت الخمس المخصص لهم بأية محكمة.

عندئذ توقف أهل البيت عن المطالبة بحقوقهم مؤقتا، لأنهم لو استمروا بالمطالبة فإن السلطة الجديدة ستمنع عنهم الأكل والشرب وسيموتون جوعا!! وقد وثقنا ذلك أكثر من مرة.

فاستقامت أمور السلطة تماما عندما اضطر صاحب الحق على السكوت، وعدم إزعاج الذين ابتزوا حقه.

١٢ - الآثار التي ترتبت على مطالبة صاحب الحق بحقه

انزعج أبو بكر وانزعجت معه بنو تيم، وانزعج عمر وانزعجت معه بنو عدي وانزعجت لانزعاجهم بطون قريش، فاعتبروا أن معارضة أهل البيت الكرام لملك بني تيم وملك بني عدي هو معارضة لحق البطون في السلطة، وأضمروا في نفوسهم معارضة أهل البيت انتقاما لمعارضتهم، وتأخير أهل البيت لأنهم رفضوا التقدم الذي أحرزته البطون.

وأخذت كل البطون تنظر نظرة حذر وامتعاض لأهل البيت خاصة، ولبني هاشم عامة!!

١٣ - افتخار قريش على العرب بالقرابة من الرسول

خرج علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وجعل يمشي في أسواق دمشق بعد مجزرة كربلاء (فاستقبله المنهال بن عمرو الصحابي فقال له: كيف أمسيت يا ابن رسول

الله؟ فقال زين العابدين (عليه السلام): أمسينا كبني إسرائيل في آل فرعون، يذبحون أبناءهم

ويستحيون نساءهم! يا منهال أمست العرب تفتخر على العجم بأن محمدا منهم،

وأمت قريش تفتخر على سائر العرب بأن محمدا منها، وأمسينا أهل بيت محمد ونحن

مغصوبون، مظلومون مقهورون، مشورون مطرودون! فإننا لله وإنا إليه راجعون على ما أمسينا فيه يا منهال!). راجع فتوح بن أعثم مجلد ٥ صفحة ٢٤٧ - ٢٤٩ ومقتل الخوارزمي مجلد ٢ صفحة ٦٩ - ٧١ ومعالم المدرسين للعسكري مجلد ٣ صفحة ١٦٦ - ١٦٧

قالوا إن رسول الله قال (بأن الأئمة من قريش) لماذا لأن قريشا عشيرة النبي، وقفزوا عن البطن الهاشمي مع أنهم الأقرب، واعتبروا أن الأئمة من قريش مع أنها الأبعد!

ثم احتجوا في ما بعد بحجة ابن خلدون لأن قريشا مركز القوة والعصبية فطوقوا العصبية مع القرابة! لكن ابن خلدون ينسى بأن عصبية قريش لم تغن عنها شيئا يوم حاربت دعوة النبي ودولته ٢١ عاما!

وباختصار فإن المبرر لزعامه قريش على العرب هو أن النبي من قريش، وبالتالي فقريش عشيرته وهم الأولى بميراثه وسلطانه، ولكنهم ورثوا البعيد، وحرموا القريب. إن الغالب يتشبه بكل شيء ليبرر غلبته، والذين يبتزون الحقوق يتذرعون بكل وسيلة للحفاظ على ما ابتزوه.

١٥ - أبو جعفر محمد بن علي الباقر يلخص قصة القرابة

قال أبو جعفر لبعض أصحابه يا فلان، ما لقينا من ظلم قريش إيانا وتظاهرهم علينا، وما لقي شيعتنا ومحبونا من الناس، إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبض، وقد أخبرنا أننا

أولى الناس بالناس، فتمالأت علينا قريش، حتى أخرجت الأمر من معدنه، واحتجت على الأنصار بحجتنا، ثم تداولتها قريش، واحد بعد واحد حتى رجعت إلينا فنكثت بيعتنا، ونصبت الحرب لنا، ولم يزل صاحب الأمر في صعود كؤود حتى قتل، فبويع الحسن ابنه، وعوهد ثم غدر به وأسلم، ووثب عليه أهل العراق حتى طعن بخنجر في جنبه، ونهبت عسكره، وعولجت خلاخيل أمهات أولاده، فوادع معاوية وحقن دماء أهل بيته وهم قليل حق قليل.

ثم بايع الحسين من أهل العراق عشرون ألفاً، ثم غدروا به وخرجوا عليه، وبيعته في أعناقهم!
ثم لم نزل أهل البيت نستذل ونستظام، ونقصى ونمتهن، ونحرم، ونقتل ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا، ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقربون به إلى أوليائهم وقضاة السوء في كل بلدة، فحدثوا بالأحاديث الموضوعة المكذوبة وزوروا علينا ما لم نقله لبيغضونا إلى الناس، وكان عظم ذلك وكبره في زمن معاوية بعد موت الحسن، فقتلت شيعتنا في كل بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة، وكان من يذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره!

ثم لم يزل البلاء يشتد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين.
ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلة، وأخذهم بكل ظنة وتهمة، حتى أن الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقال شيعة علي... راجع المجلد ٣ صفحة ٥٩٥

من شرح النهج.

١٥ - القرابة شعار للوصول إلى السلطة أو لتثبيت السلطة
بطون قريش التي ادعت في ما بعد أنها الأولى بالخلافة لأن محمداً منها، والتي افتخرت على العرب بكون النبي منها وأنها الأولى بميراثه وسلطانه، لأنها قرابة الرسول... هذه البطون هي نفسها التي قاومت دعوة النبي ١٣ سنة في مكة، وهي نفسها التي اشتركت بمؤامرة لقتل النبي، وهي نفسها التي أرغمت النبي على الخروج من مكة، وهي نفسها التي حاربت النبي ثماني سنوات بعد إخراجها، ولم تتوقف عن حربه إلا بعد أن هزمت عسكرياً وأحيط بها وحصرت تماماً، فدخلت في دين الله كارهة! ثم رفعت في ما بعد شعار القرابة لتولي على السلطة، ولتأخذ الحق من أهله الذين هم القرابة الحقيقية.

والقراة الحقيقية هي قراة بني هاشم الذين حموا الدعوة، وحموا الداعية أثناء وجوده في مكة، ووقفوا إلى جانبه يوم وقفت بطون قريش ضده، والقراة الحقيقية هي التي حوصرت في شعاب أبي طالب ثلاث سنوات حتى أكلوا ورق الشجر من الجوع، وهم بنو هاشم، وبنو المطلب!

القراة الحقيقية هم الذين ضحوا بأرواحهم في سبيل نصره النبي، ونصره دينه، وهم الذين أخضعوا العرب برماحهم وتنمرهم في ذات الله!!

١٦ - كل سلطة استهلت حكمها بإذلال أهل البيت

أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهما فريق واحد ومن حزب واحد، وهي سلسلة في حلقة واحدة، ابتدأت بأبي بكر، وقد بينا كيف هدد الإمام بالقتل، وهدد بيت فاطمة بالحريق، وبيننا كيف حرموا أهل البيت من ميراث النبي، وكيف صودرت المنح التي أعطاها النبي لهم، وكيف حرموا من ١ / ٥ الخمس الوارد في آية محكمة، وكيف

جردوا من أموالهم، واضطروا لأن يكونوا عائلة على الحاكم الذي تعهد بتقديم المأكل لهم.

١٧ - وفي عهد معاوية

استهمل عهده بأنه كتب نسخة واحدة إلى كل عماله بأن برئت الذمة ممن روى شيئاً في فضل أبي تراب (يعني علياً) وأهل بيته! فقام الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً، ويرؤون منه ويقعون فيه!

وكتب نسخة واحدة إلى كل عماله بأن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي (محببه وأعوانه) وأهل بيته شهادة!

ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة أن انظروا من قامت عليه البيعة أنه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا رزقه وعطاءه!

وشفع ذلك بنسخة أخرى (من اتهمتموه بموالة هؤلاء القوم) (أي أهل البيت) فنكلوا به واهدموا داره! راجع شرح النهج لابن أبي الحديد كما نقلها عن المدائني في كتابه الأحداث مجلد ٣ صفحة ٥٩٥ - ٥٩٦ من الشرح.

١٨ - وفي عهد يزيد

وبعد موت معاوية جاء ابنه يزيد، الذي تأمر مع سفلة العراق على قتل آخر سبط للنبي ومنعوا عنه وعن أهل بيته ماء الفرات، ثم أبادوهم عن بكرة أبيهم ولم ينج إلا النساء وقليل من الأطفال، وقصة كربلاء ومأساتها لا تخفى على عاقل.

١٩ - وفي المقابل عبد الله بن الزبير

وعبد الله بن الزبير الذي كان يتصارع مع يزيد على السلطة، جمع الهاشمين ووضعهم في مغارة وملاها بالحطب، وهم أن يحرقهم عن بكرة أبيهم باعتبارهم قوم سوء، وألغى الصلاة على النبي حتى لا يضطر أن يصلي على آل النبي (لأن له - أي للرسول - أهل سوء، إذا ذكرته اشأبت أعناقهم، فأحببت أن أكبتهم كما روى ابن أبي الحديد عن ابن الزبير!!)

٢٠ - طلحة والزبير

وعندما طمع طلحة والزبير بالملك وضعا أيديهما بأيدي أم المؤمنين، نكثا بيعة الخليفة الشرعي وكونوا جيشا وهاجموا البصرة، وأشعلوا على الإمام حرب الجمل، ولكنهم هزموا.

٢١ - كل سلطة غالبية زينت غلبتها بقراة الرسول

أخذ أبو بكر وعمر رضي الله عنهما الأمر من الأنصار بحجة أنهما قراة النبي وأنهما أولى بسلطانه، قالوا هذا الكلام بالرغم من وجود القراة الحقيقية! وعندما استقامت أمورهما وغلبا على السلطة لم تتغير حجتهما، بل زينا حكمهما بالقول بأنهما من قريش، وقريش هي عشيرة النبي!

ثم جاء الأمويون ونكلوا بالقراة الطاهرة ولعنوها على كل منبر وفي كل بلدة، ومع هذا سخروا وسائل إعلامهم، لإقناع أهل الشام بأن الأمويين هم قراة الرسول، ولا قراة للرسول سواهم! واقتنع أهل الشام بذلك!

وعندما انتصر أول خليفة عباسي على الأمويين حلف له أمراء الشام بإيمان البيعة وبطلاق نسائهم أنهم لا يعلمون أن للرسول أقارب غير بني أمية!!
ثم جاء العباسيون فقبضوا على مقاليد السلطة بالقوة، وهزموا الأمويين، ثم نكلوا بقرابة النبي القريبة، وزينوا غلبتهم بالقول بأنهم قرابة النبي فهم من بني هاشم!!
وتقاسم ولاة الأقاليم ملك بني العباس، وغلب المماليك ثم غلب العثمانيون، فزينوا غلبتهم بالقول بأنهم قرابة الرسول بحجة أن الرسول قال (أنا جد التقي ولو كان عبدا حبشيا!)

وبما أن المماليك والعثمانيون أتقياء فإن الرسول جدهم وهم أولى بسلطانه، لأن الرسول حسب هذا التخريج قريتهم، فزينوا غلبتهم بالقرابة!
ثم سقطت دولة الخلافة التاريخية، وقامت الأحزاب السياسية الدينية بهدف إعادة نظام الخلافة، وأخذ كل حزب يدعو لقائده، فدعى الوهابيون لابن عبد الوهاب، والأخوان لحسن البناء، والتحرير للنبهاني... إلخ.
واحتجت الأحزاب بحجة المماليك والعثمانيين، فزعمت أنها أولى بالحكم لأنها قرابة الرسول الله! ووجه القرابة أن رسول جد كل تقي! وبما أن قادة الأحزاب وأتباعهم أتقياء، فإن الرسول جدهم كما زعموا!

٢٢ - إذلال أهل البيت

صار إذلال أهل البيت الجزء البارز من مراسيم كل غالب لاستلام السلطة!
فالغالب كان يستهل عهده بغارة خاطفة على من حوله من أهل البيت، وقد ألفت الأمة ذلك، واعتبرته جزءا لا يتجزأ من الاحتفال باستلام الغالب للسلطة.
فبعد نجاح أبي بكر ومبايعة الأنصار له، هدد عليا بالقتل وطمع الحطاب حول بيت فاطمة بنت محمد لإحراقه، وتمت مصادرة منح أهل البيت وحرمانهم من ميراث النبي، ثم حرموا من الخمس!

وجاء الأمويون فجعلوا لعن أهل البيت فريضة، فلعنوهم في كل بلدة وعلى كل منبر، ولم يقبلوا لمحبيهم شهادة، وقرروا هدم دار كل من يحبهم، ثم جاء يزيد فقاد مذبحه كربلاء.

ثم جاء العباسيون، وليشعروا الجموع المسلمة بأنهم على درب الذين خلوا من قبلهم، نكلوا بأبناء الرسول، حتى أن أحد خلفائهم عندما لم يجد من ينكل به هدم ضريح الحسين وسواه مع الأرض!!

٢٣ - صبت عليهم مصائب لو أنها صبت على الأيام عدن لياليا المصائب التي أنزلها الحكام بأهل بيت محمد لو أنها نزلت بالجبال لزال، لقد سئم أهل البيت أفاعيل الحكام المتغلبين وتغلب فئات الأمة فأنزوا عن مسرح الحياة لينجو من بقي منهم وهم قليل وأخفوا قرابتهم للنبي، ولم يظهر منهم إلا الأئمة الكرام فقتلوا واحدا بعد الآخر، وواجهوا الموت بنفوس راضية.

كان أهل البيت هم الشبح المرعب لكل أولئك الذين ابتزوا حقهم وقهروا الأمة بالقوة، وكان أهل البيت هم موضع نقمة الحكام المتغلبين طوال التاريخ، فانسحبوا من مسرح الحدث وقصروا همهم على المحافظة على نقاء الدين وتوضيحه للراغبين من الأمة.

٢٤ - واستقامت الأمة بعد ذهول فأدركت أن الهدى لا يمكن تحصيله إلا بالتمسك بالثقلين كتاب الله وعتره النبي أهل بيته، وأن الضلالة لا يمكن تجنبها إلا بالتمسك بالثقلين أيضا كتاب الله وعتره النبي أهل

بيته. وأن الأمة وقعت ضحية غفلتها عن الأعيب الحكام المتغلبين وأساليبهم الملتوية! وهال الأمة ما لحق بأهل البيت طوال التاريخ من ظلم وعذاب وتقتيل وتشريد، واكتشفت عدالة قضية أهل البيت، فبدأت تعيد حساباتها من جديد وترتب أوراقها،

ورأت فئات من الأمة أن النجاة من الغرق لا تتحقق إلا بالركوب بسفينة نوح، وهم أهل البيت، وأن الخلاص من التيه لا يدرك إلا بنجوم الهدى وهم أهل البيت، ولا يكفي الحب المجرد لأهل البيت، بل إن الموالاة هي الطريق الفرد للتعبير عن هذا الحب، والموالاة تعني أن الأمة لن تقبل إلا قيادة أهل البيت، فهم القيادة بالنص الشرعي وقد تبنت الشيعة هذه الأطر.

وأدركت السلطة خطورة هذه الدعوة، فصبت جام غضبها على من يحب أهل بيت محمد ومن يوالي أهل البيت، وأشاعت أن الذين ينادون بولاية أهل البيت هم الذين شقوا عصا الطاعة، وفرقوا الجماعة! وأن هؤلاء القوم مجوس وكفرة، فنفر الناس من كلمة التشيع حتى ليقال للإنسان أنه كافر أخف وأهون عليه من أن يقال أنه متشيع وموال لأهل بيت محمد، فكلمة الشيعة ترادفت في أذهان العامة من المسلمين مع أسوء الصفات البشرية، فالعامة من المسلمين لا يستغربون أن يكون الإنسان مسيحياً أو يهودياً أو بوذياً أو قومياً أو شيوعياً لكنهم يستغربون أن يكون الإنسان من شيعة أهل البيت!!

والسبب في ذلك أن الحكام المتغلبين قد قهروا أهل البيت بعد ابتزاز حقهم طول التاريخ، ومع أن أهل البيت لا يشكلون خطراً على الحكام، لكنهم قدروا أن الخطر الحقيقي يأتي من أولئك الذين آمنوا بعدالة قضية أهل البيت وهم الشيعة، فسخر الحكام كل وسائل إعلامهم، وكل موارد الدولة لتشويه سمعة أولئك الذين يوالون أهل البيت، واختلق الحكام وأعوانهم الأكاذيب، وصوروا من يوالي أهل البيت وكأنه العدو اللدود لدين الإسلام، وأحياناً كان الحكام يدسون عملاءهم في صفوف الشيعة، ويختلق هؤلاء العملاء الأحاديث والقصص الكاذبة، وينسبونها لأهل البيت لتنفير الناس من أهل البيت!!

لقد استطاعت وسائل الدعاية والتربية أن تخلق قناعة كاذبة، وأن تغرس هذه القناعة بالعقل الباطن لعامة المسلمين، ولكن مع جو الانفتاح والتحرر الذي ساد العالم

الحديث، فإن الاطلاع على فكر أهل البيت أصبح من ضرورات تقدم المسلمين، خاصة وأن الأمة قد جربت كل شئ لنهضتها ففشلت، ولكنها لم تجرب فكر أهل البيت الكرام!

وما الذي يمنعنا من أن نطلع الناس على فكر أهل بيت محمد بالوقت الذي ندرس فيه بجامعةنا النظرية الشيوعية والنظرية التحررية الرأسمالية، فهل يعقل أن كارل ماركس وانجلز وبناءة التحررية الرأسمالية، هم أنفع لنا من أهل بيت محمد؟ ما لكم كيف تحكمون!!

نماذج من غارات الحكام على أهل البيت

١ - الغارة الأولى

بالأمس أي قبل يوم واحد دفن علي ابن عمه وصهره وأخاه رسول الله، ودفنت فاطمة أباهما رسول الله، ودفن الحسن والحسين أباهم وجدهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)،

ورجع الأربعة كسيرة خواطهم إلى بيتهم، فتوافد المعزون على بيت هؤلاء الأربعة، المتصل ببيت النبي والمعروف أنه جزء منه وأنه بيت فاطمة، أو بيت علي.

وفجأة وبدون مقدمات تحركت سرية عسكرية برئاسة عمر بن الخطاب وطلبوا

من أصحاب الدار ومن المعزين أن يخرجوا لبياعوا الحاكم الجديد أبا بكر!

ولما توانوا عن الخروج أصدر عمر بن الخطاب أمرا بإحضار الحطب ووضع حوله البيت استعدادا لإحراق البيت على من فيه!

وبعد أن تم وضع الحطب نادى عمر: إني قد وضعت الحطب حول البيت وكل

شئ جاهز لإحراقه! أخرجوا جميعا وبيعوا، وإلا أحرقت الدار على من فيها!

فقيل له إن في الدار فاطمة وعليا والحسن والحسين! فقال عمر: وإن!!

فخرج من في الدار، وخرجت فاطمة ونادت بأعلى صوتها: يا أبت يا رسول الله

ما لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن قحافة!!

لم يعبأ عمر بصراخ فاطمة، إنما أمر السرية بجر علي إلى أبي بكر!
ولما حضر علي قيل له: بايع. قال علي: وإن لم أبايع فمه؟ قالوا إذا والله
نضرب عنقك!!!

راجع تفاصيل الغارة في الإمامة والسياسة لابن قتيبة صفحة ٦ وما فوق على
سبيل المثال، وراجع توثيقاتنا السابقة، وراجع قصيدة حافظ إبراهيم التي يشيد فيها
بشجاعة عمر يوم هم بحرق بيت فاطمة!
٢ - للبيان فقط

من عادة العرب، من عادة أبناء آدم أن يحترموا أهل الميت وأن يشاركوهم
مصابهم خلال ثلاثة أيام على الأقل، وأن يحترموا مشاعر ذوي الميت ويمتنعوا عن
الإتيان بما يؤذيهم، تلك عادة البشر بالتعامل مع الميت أي ميت!!
فكيف بربك إذا كان الميت رسول الله!! وإذا كان أهله هم أهل البيت الذين
أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا!!!
وقبل أن يمضي أسبوع على دفن الرسول أحيط أهل البيت علما بأنهم قد حرموا
من تركة الرسول، وأن المنح التي منحها الرسول لهم قد صودرت، وأن الخمس
المخصص لهم بأية محكمة قد منع عنهم، وأنه ليس لهم من كل ذلك إلا الأكل،
والحاكم هو الذي يزودهم بالطعام!!!
٣ - غارة ثانية

معاوية يستعد للموت، وقد صمم أن يعهد بالملك لابنه يزيد، ويزيد هذا رعديد
وفاجر، ومن غير الممكن عقلا أن يكون خليفة الرسول، ولكن معاوية سخر جيشه
وكل موارد الدولة لأخذ البيعة ليزيد ونجح!
ليس أمام الحسين إلا أن يبايع أو يموت!
إذا كانت الأمة قد ركعت بالتهديد فإن ابن رسول الله وسليل الزهراء وشبل علي لم

ركع، فخرج من المدينة خائفا يترقب ومعه أهل بيته الكرام وذراريهم، وانتهى مسيرهم إلى كربلاء.

كان مع الحسين ٧٢ رجلا فوجدوا بانتظارهم جيشا لجبا قوامه على أقل الروايات أربعة آلاف مقاتل بقيادة عمر بن سعد بن أبي وقاص!

ماء الفرات حلال للطير وللإنسان وللحيوان، ولكن عمر بن سعد أصدر أمرا بمحاصرة الحسين ومن معه ومنعهم من الشرب من ماء الفرات! وأصروا إما أن يسلم الحسين تسليم الذليل وينزل على حكم بن مرجانة، أو يموت!

٤ - الحسين يخطب بجيش أمير المؤمنين يزيد

أما بعد: فانسبوني فانظروا من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم فانظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي، أأست ابن بنت نبيكم؟ وابن وصيه وابن عمه؟ وأول المؤمنين بالله؟ والمصدق لرسول الله بما جاء به من عند ربه؟

أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟

أوليس جعفر الشهيد ذو الجناحين عمي؟

أولم يبلغكم قول مستفيض فيكم أن رسول الله قال لي ولأخي: هذان سيدي شباب أهل الجنة؟

فإن صدقتموني بما أقول وهو الحق، والله ما تعمدت كذبا مذ علمت أن الله يمقت عليه أهله، ويغر به من اختلقه...

فإن فيكم من إذا سألتموه عن ذلك أخبركم!

سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، وأبا سعيد الخدري، وسهل بن سعد الساعدي، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك، يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله لي ولأخي.

أفي هذا حاجزكم عن سفك دمي؟!....

٥ - لا وقت مع جيش أمير المؤمنين لسماع الخطب هجم الأربعة آلاف على ال ٧٣، وصنع جيش أمير المؤمنين المذبحة وقتل الحسين ومن معه، وقطعت رؤوسهم، وبعد ذلك أصدر عمر بن سعد بن أبي وقاص أمرا لكوكبة من فرسانه لتطأ جثة الحسين وكل الذين قتلوا معه!
وعاد جيش أمير المؤمنين منتصرا، وعاد القتلة ومعهم رؤوس ال ٧٣ رجلا، وأقيمت الأفراح ونصبت أقواس الزينة والنصر، وأخذت بنات الرسول سبايا واقتيد الراكب إلى أمير المؤمنين يزيد! على أنهم خوارج خرجوا على الأمير ونصر الله الأمير عليهم!!
وانتهت الغارة بإبادة من حضر من أهل البيت!!

٦ - من ينكر؟ ومن يعتذر؟

من ينكر هذه الغارة؟ ومن يتنكر لوقائعها المخجلة؟ ومن يعتذر عنها؟
وكيف لو أن الحسين ومن معه اصطدموا بجيش من بني إسرائيل، أو بجيش أمريكي أو إنكليزي، أو بجيش من همج ما قبل التاريخ، فهل تفعل هذه الجيوش بالحسين وأهله الطيبين ما فعله جيش أمير المؤمنين بهم!!!
ثم لنفترض أن الحسين نصراني، أو حبر يهودي اصطدم مع جيش مسلم فهل يفعل الجيش المسلم باليهود والنصارى ما فعله بأهل بيت النبوة!!!
لو لم يفعل شيعة الحكام من المخازي غير هذه لكفاهم خجلا ومبررا لتبقى رؤوسهم منكسة إلى الأرض!!!

٧ - غارة ثالثة

كان عبد الله بن الزبير يتغالب مع يزيد على الملك، واستولى على بعض الأقاليم، وسمى نفسه بأمرير المؤمنين، وطلب من بني هاشم مبايعته بإمارة المؤمنين، فتردد الهاشميون، فوضعهم عبد الله بن الزبير في مغارة وملاها بالحطب وهم أن يحرقهم جميعا

أحياء، لولا وصول نجدة من العراق!

وامتنع عبد الله بن الزبير عن الصلاة على النبي في خطبه، حتى لا يضطر أن يصلي على آل النبي!!

وعندما سألته بطانته عن ذلك قال (إن له أهل سوء إذا ذكرته اشأبت أعناقهم، فأحببت أن أكتبهم) كما يروي ابن أبي الحديد!!!!

٨ - غارات لم تتوقف

إن غارات الحكام المتسلطين المتغلبين على أهل البيت لم تتوقف، ولا حصر لها، ولكننا سقنا هذه الغارات الثلاث من باب (فذكر إن نفعت الذكرى). وإن الذكرى تنفع المؤمنين.

**

الأثر الثالث: تقديس الخليفة الغالب

١ - تميز وعلو شأن الخليفة الغالب

لما انتقل النبي إلى جوار ربه شغل منصبه، وحل الفارس الغالب محله، بعد أن تجاهل الناس الولي الشرعي المعين من قبل الله ورسوله، فأخذ هذا الفارس الغالب يمارس سلطات النبي، فهو ولي الأمر الفعلي، وهو الخليفة الفعلي، وهو أمير المؤمنين الفعلي، وهو السلطان الفعلي، وهو الإمام أو قدوة المؤمنين الفعلي، وهو الذي يبين القرآن الكريم أو يعين من يبينه نيابة عنه، وهو الذي يفهم النص ويطبق هذا الفهم على الحادثات.

ولماذا لا؟ أليس هو القائم مقام النبي؟ والمحتل لمكانه؟ والمتصدي لمهامه وصلاحياته.

٢ - القائم مقام النبي

هذا الخليفة الغالب القائم مقام النبي، والمحتل لمكانه، والمتصدي لمهامه وصلاحياته، لم يعينه الله، ولم يعينه النبي، ولم تختره الجماعة المسلمة، وإنما هو فارس ذكي، طمع بالسلطة فخطط ودبر، واستقطب حوله طائفة من الطامعين بالتعاون معه، فحقق الغلبة، وقهر صاحب الحق، وقهر أفراد الجماعة المسلمة، ثم جلس مكان النبي بالتغلب والقوة، وأخذ يمارس مهام النبي وصلاحياته بحماية القوة والتغلب، فمن أقر لهذا المتغلب بشرعية احتلاله لمكان النبي، وابتزازه لحق أولي الأمر الشرعيين، فهو من المقربين له حتى وإن كان كاذبا ومنافقا بالنص الشرعي، ومن عارضه فهو من المغضوب عليهم، حتى وإن كان ولي المؤمنين بالنص الشرعي!

فالحكم بن العاص، ومروان ابنه لعنهما رسول الله كما وثقنا أكثر من مرة،
والحكم بن العاص كان محرماً عليه أن يدخل المدينة، ومع هذا وعندما استلم
عثمان الخلافة أدخل الحكم دخول الفاتحين، وزوج مروان ابنته وعينه رئيساً
فعلياً لوزرائه!

وعبد الله بن أبي سرح هو نفسه الذي افتري على الله الكذب، بآية محكمة، وهو
الذي أعلن الله في كتابه بأنه لن يهديه لأنه ظالم وكاذب، ومع هذا كان أبرز ولاة
عثمان، فقد كان واليه على مصر تاج الولايات الإسلامية.
لماذا؟! لأنهم موضع ثقة الخليفة الغالب!

٣ - دور الأمة

يتصارع الفرسان المرشحون للفوز والغلبة، والأمة تتفرج... فإذا غلب أحد
الفرسان واستقامت أموره، يطلب هذا الفارس الغالب وحاشيته من الأمة أن
تبايع، أي أن توافق بأن يكون هذا الفارس الغالب ولي أمرها، وإمامها، وخليفة
نبيها، فمن بايع فقد أفلح، وتولى سبيل المؤمنين، ويحق له أن ينتظر عطاءه
ورزقه، ومن أبى المبايعة فلا عطاء له ولا رزق، وليس بينه وبين الفارس الغالب
الذي قبض على مقاليد الحكم ودوخ كل الفرسان إلا القوة، فيسحقه الفارس الغالب
بلا رحمة، ويندم الذي لم يبايع ولات حين مندم، فتركع الأمة وتقدم الولاء للغالب
رغبة أو رهبة!

فدور الأمة هو مبايعة الغالب وتأييده، وإن أبت فليس بينها وبين الغالب إلا
الحرب والسيف. راجع الأحكام السلطانية لأبي يعلى، والأحكام السلطانية للماوردي
من ١ - ١٥ واطلع على القواعد التي وضعها علماء الدولة وجعلوها فضفاضة بحيث
تتسع لكل حالة، واطلع على توثيقنا لما قاله إمام الحرمين الجويني، وابن العربي، وأبو
المعالي وعضد الدين الإيجي.

٤ - المتغلب غير المؤهل

عندما اختار الله تعالى نبيه للنبوّة أهله وأعدّه لذلك، وعندما نصره وأقام دولته أهله وأعدّه لقيادة الدولة، فلم يختر الله نبيا أو يعين رئيس دولة دون تأهيل وإعداد. وقبل أن يعلن النبي ولاية عليّ أهله وأعدّه للولاية من بعده وصنع عليّ عينه، فالأهلية الشرعية والإعداد للقيام بهذا العمل أو ذلك، ضرورة من ضرورات الإتيان والنجاح، فالهندسة والطب والفلاحة والنجارة وأي مهنة، لا بد لها من أهلية وإعداد لممارستها.

فحتى يستطيع الطبيب أن يجري العملية الجراحية يجب أن يدرس الطب في جامعة عدد سنين، ثم يتدرب عمليا عدد سنين، وحتى يستطيع الشخص أن يكون محاميا يجب

أن يدرس القانون عدد سنين، وأن يتمرس عمليا تحت إشراف محام أستاذ عدد سنين. فإذا كان من يمارس هذه المهن وأمثالها بحاجة إلى إعداد وأهلية، فمن باب أولى أن يحتاج من يتصدى لقيادة الأمة وإمامتها وخلافة الرسول إلى إعداد وأهلية وتأهيل. ولما لا، فهو الذي سيكون مرجع القضاة ومعين الولاة، وهو القائد الأعلى للجيوش، وهو المبلغ لدين الله نيابة عن رسوله، وهو المبين لأحكام القرآن، وهو أفهم الناس بما أنزل إليهم من ربهم، وهو القدوة لأنه الجالس محل الرسول والقائم مقامه، فإن لم يكن كذلك فهو هالك لا محالة ومهلك للأمة التي سيقودها. الفارس الغالب المحتل لمكان النبي ليس له هذا التأهيل، ولم يعد هذا الإعداد! ومؤهلاته وإعداده وشهادته العلمية تتلخص بكلمة واحدة أنه غالب وقاهر ومتفوق على الأمة بالقوة والغلبة والقهر.

٥ - من كانت هذه مؤهلاته كيف يدير شؤون الدولة؟

الغالب يسخر موارد الدولة وإمكانياتها لتثبيت غلبته، فيعطي من أطاعه ويرفعه، ويحرم من عصاه ويضعه، ثم يسلط الذين أطاعوه على الذين عصوه ويذيق بعض الأمة بأس بعض، حتى تلقي تماما عصا المقاومة والمعارضة، وينصرف كل إنسان إلى

معاشه اليومي، فلا يسأل الغالب عما يفعل! فيصبح الخليفة الغالب هو الحاكم والحكم معا على من أطاعه فرفعه وعلى من عصاه فوضعه، فيوكل المطيع له بالعاصي لحكمه وتستقيم أموره.

أما ما يشجر بين المحكومين من خلافات، فإذا عرف الغالب الحكم الشرعي - ونادرا ما يعرفه - وعرف أن تطبيق الحكم الشرعي لا يضر أهل طاعته ولا ينفع أهل معصيته، طبقه، أو أمر بتطبيقه!

أما إذا كان لا يعرف، فإنه يسأل أهل طاعته فإن عرفوا عرفوا، وإن لم يعرفوا يجتهد برأيه، فإن كان هذا الاجتهاد صوابا فهو من عند الله وفضله لله وللخليفة الغالب معا، وإن هذا الاجتهاد خطأ فهو من الشيطان ووزره على الشيطان وحده، وللخليفة الغالب أجر واحد، لأنه قد أخطأ باجتهاده!!

٦ - نماذج من اجتهادات الخلفاء

الفجاءة السلمي عينه أبو بكر أميرا وأمره، فبلغت عنه لأبي بكر أنباء، فأمر أبو بكر طريفة أن يلقي الفجاءة، فقال الفجاءة لطريفة: ما أنت بأولى مني، أنا أمير لأبي بكر، وأنت؟ فقال طريفة: إن كنت صادقا فضع السلاح وانطلق معي إلى أبي بكر، فخرج الفجاءة معه بعد أن وضع سلاحه، فلما أجا الفجاءة كما في رواية الطبري (فأوقد له أبو بكر نارا في مصلى المدينة على حطب كثير، ثم رمي فيها مقموطا، وفي لفظ ابن كثير: فجمعت يدها إلى قفاه وألقي في النار فحرقه وهو مقموط)!! . راجع تاريخ الطبري مجلد ٣ صفحة ٢٣٤ - ٢٣٥ ومجلد ٤ صفحة ٥٢ في ذكر حوادث السنة ١٣،

وراجع ابن الأثير مجلد ٢ صفحة ١٤٦ وابن كثير مجلد ٦ صفحة ٣١٩ حوادث سنة

١١

أما الحكم الشرعي الصحيح - إن صح جرم الفجاءة - فهو في الآية ٣٣ من سورة المائدة (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم).

أما التعذيب بالنار فهو غير جائز. قال رسول الله: لا يعذب بالنار إلا رب النار.
راجع صحيح بخاري مجلد ٤ صفحة ٣٢٥ باب لا يعذب بعذاب الله - كتاب
الجهاد،

ومسند أحمد مجلد ٢ صفحة ٢٠٧ ومجلد ٣ صفحة ٤٩٤، وراجع سنن أبي داود -
كتاب

الجهاد - باب كراهية حرق العدو بالنار مجلد ٣ صفحة ٥٥ و ٥٦، وراجع سنن
البيهقي

مجلد ٩ صفحة ٧١ و ٧٢

واعتذر العلماء عن هذه المخالفة للنص الصريح بقولهم (حرق فجاءة السلمي من
غلطة في اجتهاده، فلم يتفق مثله للمجتهدين.

٧ - ندم المجتهد

وندم أبو بكر على فعله في مرض موته وقال: ثلاث فعلتهن وددت أني تركتهن
وددت أني لم أكشف بيت فاطمة عن شيء، وإن كانوا قد غلقوه على الحرب، وودت
أنني لم أحرق الفجاءة السلمي وأنني كنت قتلته تسريحا أو خلتيه نجيحا، وودت أني يوم
السقيفة كنت قد قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين عمر وأبي عبيدة. راجع تاريخ
الطبري مجلد ٢ صفحة ٥٢ حوادث سنة ١٣

٨ - اجتهاد بمالك بن نويرة

مالك بن نويرة كان شاعرا وفارسا من فرسان بني يربوع في الجاهلية، ومن
أشرفهم، فلما أسلم مالك عينه رسول الله أميرا على صدقات قومه، ومات الرسول
وهو على إمارته، فلما توفي النبي أمسك الصدقة ووزعها على قومه وقال:

فقلت خذوا أموالكم غير خائف * ولا ناظر في ما يجيء من الغد

فإن قام بالدين المخوف قائم * أطعنا وقلنا الدين دين محمد

فغزاه خالد بن الوليد، وقال له ولقومه: ضعوا السلاح فوضعوا سلاحهم، وقالوا
لخالد نحن مسلمون.

وفي وفيات الأعيان وفوات الوفيات وتاريخ أبي الفداء وابن شحنة أن مالك قال لخالد يا خالد ابعثنا لأبي بكر فيكون هو الذي يحكم بنا وفينا، فإنك بعثت إليه غيرنا من جرمه أكبر من جرمنا! فقال خالد: لا أقالني الله إن أقتلك! ثم أمر ضرار بن الأزور ليضرب عنقه! فقال مالك: أنا على الإسلام! فقال خالد: يا ضرار اضرب عنقه!! وتزوج خالد امرأة مالك بن نويرة بنفس الليلة.

وفي رواية الطبري عن عبد الرحمن بن أبي بكر فلما بلغ عمر بن الخطاب تكلم فيه عند أبي بكر وقال عمر (عدو الله، عدا على امرئ مسلم فقتله ثم نزا على امرأته!! فلما أقبل خالد قام إليه عمر فانتزع الأسهم من لامته وحطمها ثم قال: أرياء قتلت امرءا مسلما ثم نزوت على امرأته! والله لأرجمنك بأحجارك! فدخل خالد فاعتذر لأبي بكر فقبل عذره، واعتبر خالد مجتهدا ومأجورا لأنه قتل صاحب رسول الله وأميره.

أما مالك فلا أجر له مع أنه صحابي لأن قاتله خالد بن الوليد من أهل الطاعة! راجع معالم المدرسين صفحة ٨٣ وما فوق مجلد ٢

قال ابن حزم في مجلد ٤ صفحة ١٦١ في الفصل في الممل والأهواء والنحل: إن معاوية ومن معه مخطئون مجتهدون مأجورون أجرا واحدا!

وقال ابن حزم في مجلد ٤ صفحة ١٦١ (وعمار (رضي الله عنه) شهد بيعة الرضوان وشهد الله له بأنه علم مما في قلبه فأنزل السكينة عليه ورضي عنه، ومع هذا قتله أبو الفادية يسار بن سبع السلمي، فأبو الفادية متأول مجتهد مخطئ مأجور أجرا واحدا...!

قال ابن تيمية في منهاج السنة مجلد ٣ صفحة ١٩: وأكثر هذه الأمور لهم فيها معاذير تخرجها عن أن تكون ذنوبا، وتجعلها من موارد الاجتهاد التي إن أصاب المجتهد فيها فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد....!

وقال ابن حزم في المحلى وابن التركماني في الجوهر النقي: لا خلاف بين أحد من الأمة بأن عبد الرحمن بن ملجم لم يقتل عليا إلا متأولا مجتهدا مقدرًا أنه على صواب!!

وهكذا فإن المقتول علي مثل القاتل عبد الرحمن بن ملجم، وكلاهما مأجور، لأن كليهما مجتهد!!!
والقاتل أبو لؤلؤة مثل المقتول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وكلاهما مأجور لأنه مجتهد!!

٩ - اجتهادات الخلفاء الغالبين تراكمت وتكاثرت فأصبحت منظومة حقوقية كاملة

اجتهد الخلفاء المتغلبون وأهل طاعتهم في ما لا يعرفونه من الشرع أو في ما لا يرغبون بتطبيقه، وتراكمت الاجتهادات وتكاثرت حتى كونت منظومة حقوقية كاملة، سارت على قدم المساواة مع المنظومة الحقوقية التي أنزلها الله، بل وتقدمت عليها، فطبقت كل اجتهادات الخلفاء المتغلبين وأهل طاعتهم، وعطلت الشريعة في ما يتعارض مع هذه الاجتهادات!!! وسنعالج هذه الناحية بالتفصيل في ما بعد.

١٠ - الإجهاد ثمرة طبيعية لعدم الإعداد والتأهيل الخليفة المتغلب، غير معد وغير مؤهل لقيادة الأمة.

وإعداده الأوحاد وأهليته العظمى، وشهادته الكبرى هو أنه القوي المتغلب! فمن الطبيعي أن لا يعرف الحكم الشرعي، ومن الطبيعي أنه لن يقف مكتوف اليدين أمام الحوادث، ومن غير المعقول إنه يقول إنه لا يعرف، ومن غير المعقول أن يسأل أهل الذكر - أهل بيت النبوة - لأنه لو سألهم لكان في ذلك رفع لشأنهم، واعترافاً منه بعلو منزلتهم أمام المحكومين!

فمن الطبيعي أن الأمر المتاح الوحيد أمامه هو الاجتهاد أو القول برأيه، فإن أصاب وهو مصيب حتماً لأنه غالب، فذلك بفضل الله وعبقريته، وهو مأجور أجران لأنه مجتهد، وإن أخطأ فالوزر على الشيطان وحده، إنه للإنسان عدو مبين، ومع هذا فالخليفة الغالب لن يعود خاوي الوفاض فهو مأجور أجزاً واحداً في حالة الخطأ!!!
فالغالب كالمنشار يأكل بالاتجاهين!!

قد تقول شيعة الغالبيين: إنه لا يوجد في الشريعة حكم! ونحن نقول لهم: إن الله نزل الكتاب تبيانا لكل شيء، فالله أولى بالتصديق منكم!

١١ - مكافأة الخليفة الغالب

علاوة على أن الغالب كالمنشار يأكل في الاتجاهين ويؤجر في صوابه وخطئه، فإن الجموع المسلمة تقديرا لعبقريته وجرأته واجتهاده لاستخراج أحكام الله تعالى من رأيه وعقله للحادثات يتوجب عليها أن تكافئه فتعطيه الطاعة بغير حدود، مهما كانت نتائج اجتهاداته، سيان أكانت طاعة لله أو معصية!!

لماذا؟ لأنه خليفة المسلمين، لأنه القائم مقام النبي، لأنه الغالب!!

يمكن للخليفة الغالب أن يضرب أي مسلم، وأن يأخذ حق أي مسلم، وأن يستولي على مال أي مسلم!!!

يمكن لهذا الغالب أن يكون فاسقا أو ظالما أو معطلا للحدود... يمكنه أن يجور... إلخ.

يمكنه أن يهدم الكعبة كما فعل يزيد، يمكنه أن يستبيح مدينة رسول الله، وأن

يولد جيشه ألف عذراء من غير زوج كما فعل قائد جيش يزيد!!

يمكنه أن يقتل ويبيد أهل بيت النبوة كما فعل يزيد!!

ومكافأة لهذا الخليفة الغالب يتوجب على المسلمين كافة أن يطيعوه وأن لا يعصوا له أمرا، فهو مجتهد ومأجور على الخطأ والصواب!!

١٢ - هذا ليس خيالا وإليك الإثبات

روى مسلم في صحيحه مجلد ٦ صفحة ٢٠ - ٢٢ باب لزوم الجماعة، أن الرسول

قال (يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال

قلوبهم قلوب الشياطين جثمان إنس! قال حذيفة، قلت: كيف أصنع يا رسول الله؟

قال (تسمع وتطيع للأمر، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع).

وروى عن ابن عباس أن رسول الله قال: من رأى من إمامه شيئاً يكرهه فليصبر فإن من فارق الجماعة شبراً فمات، مات ميتة جاهلية. أنت تلاحظ أن طاعة الأمير اختلطت مع وحدة الأمة فطاعة الغالب هي تعبير عن الولاء لوحدة الأمة، ومعصية الغالب هي رمز الخروج على وحدة الأمة! وفي رواية أخرى: ليس أحد خرج من السلطان شبراً فمات عليه، إلا مات ميتة جاهلية!

وروى عن عبد الله بن عمر الخطاب أنه حين كان من أمر (وقعة) الحرة ما كان زمن يزيد بن معاوية قال سمعت رسول الله يقول: من خلع بدا من طاعة، لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية! معنى ذلك: إذا أراد المسلم أن تكون له حجة يوم القيامة، فما عليه إلا أن يبايع يزيد، وإن لم يبايع يزيد فمات فكأنه مات كافراً! أي الميتة التي يموتها أولئك الذين عاشوا في عصر الجاهلية!!

١٣ - النووي يضع النقاط على الحروف والبيهقي يؤيد قال النووي في شرحه لصحيح مسلم مجلد ٢ صفحة ٢٢٩ والبيهقي في سننه مجلد ٨ صفحة ١٥٨ - ١٥٩ ما يلي وبالحرف وقال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين: لا ينزل - أي الخليفة المتغلب - بالفسق والظلم وتعطيل الحدود، ولا يخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك بل يجب وعظه... (وأما الخروج عليهم - على الخلفاء

المتغلبين - وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين!) قال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني في كتاب التمهيد طبعة القاهرة ١٣٦٦ ما يلي وبالحرف قال الجمهور من أهل الإثبات وأصحاب الحديث: لا ينخلع الإمام بفسقه وظلمه بغصب الأموال، وضرب الأبخار وتناول النفوس المحرمة، وتضييع الحقوق، وتعطيل الحدود، ولا يجب الخروج عليه بل يجب وعظه... إلخ!!!

١٤ - عجباً أليس الخليفة المتغلب هو القائم مقام رسول الله!!!
رسول الله نفسه الذي قال لأصحابه: ألا من جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليقتد
منه، ألا وإن الشحناء ليست من خلفي، ألا وإن أحبكم إلي من كان له عندي حقاً
فأخذته مني، فلقيت الله وهو راض عني!!
أليس هو النبي الذي قال لأحد أصحابه الخارجين قليلاً عن الصف قبل بدء
المعركة: إستو ووكزه بإصبعه، فقال هذا الصحابي يا رسول آلمتني اكشف عن بطنك
حتى أقتد منك، فكشف النبي عن بطنه الشريف ليقتاد منه هذا الصحابي!
أليس هو النبي الذي بإمكان أي مواطن حتى ولو كان يهودياً أن يقول له يا محمد
أعطني حقي فينيخ النبي للحق ولا يغضب!
ليست أدري متى عصى الله؟ أو متى خالف أوامره؟ أو متى تلكأ هذا النبي عن
تطبيق شريعة الله؟ أو متى طلب من أحد أن يطيعه في معصية؟ أو متى كتم الأفواه!!
أو متى صادر الحريات!! أو متى عطل الحدود!! أو متى طمس الحقوق أو ضيعها!!
عجباً لهذا الخليفة المتغلب أو ذاك، أو ليس هو القائم مقام النبي!! أو ليس هو
الذي احتل مكانه بالقوة ليقوم مقامه!!
كيف يحل ما حرم الله ويقول إنه مأجور، ويحرم ما أحل الله ويقول إنه مأجور!!
لعله من طبيعة غير طبيعة النبي، لعل له مزايا تفوق النبوة؟ فما هي دعواه؟ لنسمع
حجة أهل طاعته، لعلهم يحدثون لنا من أمره ذكراً!
١٥ - الخليفة المتغلب ليس خليفة رسول الله إنما هو صفي الله وخليفته!!
روى أبو داود في سننه مجلد ٤ صفحة ٢١٠ الحديث ٤٦٤٥ باب في الخلفاء، عن
سليمان بن الأعمش أنه قال: جمعت مع الحجاج فخطب.... إلى أن قال: إسمعوا
وأطيعوا
لخليفة الله وصفيه عبد الملك بن مروان!!

وقيل في مجلس الخليفة العباسي المهدي عن الخليفة الأموي الوليد إنه كان زنديقا، فقال المهدي: خلافة الله عنده أجل من أن يجعلها في زنديق!! راجع تاريخ ابن الأثير مجلد ١٠ صفحة ٧ - ٨

١٦ - قالوا إن الخليفة المتغلب أعظم عند الله من الرسول نفسه؟
روى أبو داود في سننه مجلد ٤ صفحة ٢٠٩ الحديث ٤٦٤٢ والمسعودي في مروجه - ذكر طرف من أخبار الحجاج مجلد ٣ صفحة ١٤٧ وابن عبد ربه في العقد الفريد مجلد ٥

صفحة ٥٢ عن الربيع ابن خالد أنه قال: سمعت الحجاج يخطب فقال في خطبته:
رسول

أحدكم في حاجته أكرم عليه، أم خليفته في أهله؟!
وخطب الحجاج يوما على منبر الكوفة فذكر الذين يزورون قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

فقال: تبا لهم يطوفون بأعواد ورقة بالية!! هلا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان!! ألا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله!!

١٧ - وقالوا إن الخليفة المتغلب أفضل من الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين!
جاء في العقد الفريد مجلد ٥ صفحة ٥١ أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان يعظم فيه أمر الخلافة ويزعم أن السماوات والأرض ما قامتا إلا بها، وأن الخليفة عند الله أفضل من الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين، ذلك أن الله خلق آدم بيده، وأسجد له ملائكته، وأسكنه جنته ثم أهبطه إلى الأرض وجعله خليفته، وجعل الملائكة رسلا إليه، فأعجب الخليفة عبد الملك بذلك وقال: لوددت أن بعض الخوارج عندي فأخاصمه بهذا الكتاب!!

١٨ - وقالوا إن للخليفة عند الله كرامة أعظم من كرامة الأنبياء!!
أمر الوليد بن عبد الملك خالد بن عبد الله والي مكة فحفر بئرا بمكة فجاءت عذبة الماء طيبة، وكان يستسقي منها الناس فقال خالد في خطبته على منبر مكة: أيها الناس، أيها أعظم خليفة الرجل على أهله أم رسوله إليهم؟ والله لو تعلمون فضل الخليفة.

ألا إن إبراهيم خليل الرحمن استسقى فسقاه الله ملحا أجاجا، واستسقاه الخليفة فسقاه الله عذبا فراتا!

فكان ينقل من ماء هذه العين فيضعه إلى جانب ماء زمزم!!
١٩ - ثم تطفوا فجعلوا الخليفة الغالب مساويا لرسول الله
قال الحجاج في خطبة له كما في سنن أبي داود والعقد الفريد (إن مثل عثمان عند الله
كمثل عيسى بن مريم، ثم قرأ قوله تعالى (إذ قال الله يا عيسى بن مريم إني متوفيك
ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى
يوم القيامة). راجع سنن أبي داود مجلد ٤ صفحة ٢٠٩ والعقد الفريد مجلد ٥ صفحة
٥١

٢٠ - من يتبع الخليفة ويطيعه فهو المؤمن ومن يعانده فهو الكافر
في العقد الفريد وفي تاريخ الطبري حوادث سنة ٨٩ مجلد ٥ صفحة ٦١ وابن الأثير
مجلد ١ صفحة ٢٥ وابن كثير مجلد ٩ صفحة ٧٦ إن الحجاج بعد أن قارن بين
عثمان بن

عفان وبين عيسى بن مريم، وعندما تلا قوله تعالى (ومطهرك من الذين كفروا) أشار
بيده إلى أهل العراق، وعندما تلا قوله تعالى (جاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا)
أشار بيده إلى أهل الشام!!

٢١ - طاعة الخليفة المتغلب من أعظم القرب عند الله!!!
هدم الكعبة المشرفة حرمة، واتباع الخليفة طاعة، فإذا تعارضت الحرمة مع
الطاعة، قدمت الطاعة على الحرمة، فالخليفة يرغب بهدم الكعبة والكعبة حرمة،
ولكن تنفيذ أوامر الخليفة طاعة، وهنا يتوجب حسب رأيهم أن تقدم الطاعة على
الحرمة، فتهدم الكعبة طاعة للخليفة، وقد هدمت فعلا!!
قتل أهل بيت النبوة وإبادتهم في كربلاء حرمة، وأوامر الخليفة بإبادة أهل البيت
طاعة، عندئذ يضحى بالحرمة من أجل الطاعة، ويباد أهل البيت تحقيقا لواجب
الطاعة!!

ومن هنا أشيع وتحولت الإشاعة إلى قناعة بأن طاعة الخليفة من أعظم القرب التي يتقرب بها أهل طاعته إلى الله تعالى!!

كان شمر بن الجوشن يقول رب اغفر لي، فقيل له: كيف يغفر الله لك وقد خرجت إلى ابن بنت رسول الله فأعنت على قتله؟ فقال: ويحك فكيف نصنع، إن أمراءنا هؤلاء أمرونا فلم نخالفهم، ولو خالفناهم كنا شرا من هذه الحمر! راجع تاريخ الإسلام للذهبي مجلد ٣ صفحة ١٨ - ١٩

وكان كعب بن جابر ممن حضر قتال الحسين في كربلاء يقول في مناجاته: يا رب إنا قد وفينا، فلا تجعلنا يا رب كمن غدر! يقصد بمن غدر من لم يطع الخليفة!! ودنا عمر بن سعد يوم عاشوراء من أصحاب الحسين ونادى: يا أهل الكوفة الزموا طاعتكم وجماعتكم ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين وخالف الإمام! وقال مسلم بن عقبة الذي استباح المدينة، وختم أعناق الصحابة وأذلهم، وقتل يوم الحرة إحدى عشر ألف مسلم، قال عن عمله هذا: اللهم إني لم أعمل عملا قط بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله أحب إلي من قتل أهل مدينة رسول الله، ولا أرجى عندي في الآخرة، وإن دخلت النار بعد ذلك إني لشقي!

٢٢ - لتبرير هذه الطاعة

وهكذا تدين الناس بطاعة الخليفة الغالب وسخرت كل موارد الدولة لترسيخ هذه الطاعة وجعلها قناعة.

وطمعا برفع مقام الخليفة ودوام ذكره، وتدعيما للتدين بالطاعة انتشرت الأحاديث الموضوعية، فكما فرض الله طاعة رسوله (وأطيعوا الله والرسول) أشاعوا بأن الله فرض طاعة الخليفة الغالب مهما فعل، وحرموا الخروج عليه مهما فعل، وتصور الناس أن تلك الأحاديث الموضوعية أحاديث حقيقية، وانتشرت تلك الأحاديث على نطاق واسع، وتثبتت في قيود الدولة ودوائر إفتائها، بالوقت الذي كان محظورا على المسلمين كتابة ورواية أحاديث رسول الله الصحيحة بحجة أن القرآن وحده

يكفي! وبالوقت الذي كانت تحرق فيه أحاديث رسول الله المكتوبة، واستمر الحضر على رواية وكتابة أحاديث رسول ٩٥ عاما بأمر من الخلفاء!! وقد وثقنا ذلك!! وأمام هذا الفيض الإعلامي الهائل ارتفعت مرتبة الخلافة وبلغت منزلة الخليفة مكانا عليا، خاصة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فكان من واجب الخليفة الجديد أن يلتزم بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الصديق والفاروق، كأن سنة النبي وحدها لا تكفي فجاءت سيرة الشيخين لإعلان الكمال! وهكذا ارتفعت الخلافة فوق مرتبة النبوة وبلغ الإسفاف بشيعة الحكام حدا يخجل الإنسان من وضعه.

بهذا المناخ التربوي، وبهذا الفيض الإعلامي كتبت أحاديث رسول الله بعد ٩٥ سنة من حظر روايتها وكتابتها.

٢٣ - سقوط الأحاديث الموضوعية التي تحض على طاعة المتغلب الظالم ما جاءت شريعة الله إلا لترفع منار العدل وتوطد أركانه، وما بعث الله رسولا إلا ليقطع دابر الظلم ويكشف الأعياب الظالمين، فهل من الممكن عقلا أن يخص الرسول على طاعة المتغلب الظالم المعطل للحدود والسالب للحقوق والمصادر لحريات الناس وأموالهم؟

وهل من الممكن أن يحض الرسول على طاعة من يهدم الكعبة، ومن يستبيح المدينة المنورة، ويقتل أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا!! سبحانك اللهم هذا بهتان مبين!!!

٢٤ - بعد نظر الخليفة وجمع القرآن وسائل إعلام الدولة صورت الخليفة كرجل بعيد النظر، فقد ركزت وسائل الإعلام تلك بكل قواها على أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ترك معجزته وهي القرآن الكريم بدون جمع، وأدرك الخليفة بثاقب بصيرته أن القرآن إن بقي كما تركه الرسول دون جمع

فسيذهب بموت الصحابة الكرام، لذلك شمر الخلفاء الثلاثة عن سواعدهم فجمعوا القرآن الكريم الذي لم يجمع قط - كما ذكروا خلال حياة الرسول - ولولا بعد نظر الخلفاء لضاع القرآن الكريم ولاندثر! راجع كنز العمال طبعة الرسالة مجلد ٢ صفحة ٥٧١ - ٥٧٢ الحديث ٤٧٥١، وراجع صحيح بخاري مجلد ٦ صفحة ٤٨ باب جمع القرآن،

وراجع مجلد ٢ صفحة ٥٧٣ - ٥٧٤ من كنز العمال، وراجع ابن الأنباري في المصاحف

الحديث ٤٧٦٧، وراجع الحديث ٤٧٧٦ من الكنز وقد نقله عن الخطيب في المتفق، وعن أبي داود الأنباري، وراجع الحديث ٤٧٨٩ مجلد ٢ صفحة ٥٨٧ من الكنز كما نقله

عن ابن سعد في طبقاته، وراجع الحديث ٤٧٩٦ وراجع الحديث ٤٧٥٦ و ٤٧٥١ و ٤٣٥٤ وقد نقلها عن ابن سعد وابن حيان وعن البخاري وعن أبي داود وعن مسلم وعن النسائي، والترمذي، وراجع الحديث ٤٧٦٢ و ٤٧٦٤ و ٤٧٦٦ وهي بمجملها تشكل نظرية شيعة الحكام بجمع القرآن الكريم، وهذه النظرية تدور حول محور واحد مفاده أن الرسول ترك معجزته دون جمع، فتصدي الخلفاء لهذه المهمة وجمعوا القرآن وحازوا فضل الجمع!

وهكذا صرفوا هذا الفضل عن رسول الله وخصوا به الخلفاء!!
٢٥ - حتى الاسم

ولما تم لفريق جمع القرآن ما أرادوا احتاروا ماذا يسمون هذا القرآن الذي جمعوه! فقال بعضهم سموه (السفر) فقال عبد الله بن مسعود رأيت للحبشة كتابا يدعونه (المصحف) فسموه مصحفا! راجع الإتيان للسيوطي مجلد ٦٣، وراجع معالم المدرسين

مجلد ٢ صفحة ١٤ - ١٥ للعسكري!

وهكذا أعطوا فضل جمع القرآن وتسميته للخلفاء، بعد أن نزعوا هذا الفضل عن صاحبه رسول الله. وقد ذكرنا في بداية بحثنا أن القرآن الكريم كان مجموعا على عهد

رسول الله، وكان بيد الصحابة الكرام عشرات النسخ من هذا القرآن المجموع، وقد قارنوا نسخهم مع النسخ الموجودة عند رسول الله.

إن أبسط مخلوق على وجه الأرض سيصل إلى نتيجة أن القرآن إذا لم يجمع فسوف يضيع، فهل يعقل أن الرسول الذي خير فاختار ما عند الله، والذي علم أنه ميت من مرضه، هل يعقل أن لا يصل الرسول لهذه النتيجة فيعرف أن القرآن إن لم يجمع ويكتب فسيضيع؟ وهل يعقل أن الخلفاء أبعد نظرا من الرسول، وأحرص على مستقبل القرآن الكريم من الرسول نفسه!!

ولكن الهوى يعمي ويصم!!! يريدون أن يلصقوا كل فضل بالخلفاء!! ولو على حساب الرسول نفسه، ولو على حساب القرآن نفسه!!

٢٦ - بعد نظر جوهري آخر للخلفاء

أشاع الخلفاء وشيعتهم أن رسول الله قد خلى على الناس من أمرهم ولم يعين راعيا للأمة من بعده!

أم المؤمنين عائشة تسمي عملية التخلية هذه (ترك الأمة هملا ولا راعي لها) راجع الإمامة والسياسة صفحة ٢٣ وانظر إلى قولها لعمر: استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملا.

وعبد الله ابن عمر يصف عملية التخلية بأنها تضييع للحقوق، انظر إلى قوله لأبيه وهو وجود بنفسه: لو جاءك راعي إبلك أو غنمك وترك إبله أو غنمه لا راعي لها للمته وقلت له تركت أمانتك ضائعة، فكيف يا أمير المؤمنين بأمة محمد؟! راجع مروج الذهب مجلد ٢ صفحة ٣٤٩ للمسعودي دار الكتب العلمية بيروت، وراجع حلية الأولياء برواية مشابهة مجلد ١ صفحة ٤٤

ولما استخلف معاوية ابنه يزيد قال: كرهت أن أدع أمة محمد بعدي كالضأن لا راعي لها؟

٢٧ - هل يعقل أن يصيب ابن عمر ومعاوية وأم المؤمنين، ويخطي رسول الله؟ إذا قلنا إن رسول الله قد ترك أمته ولا راعي لها، فمعنى ذلك أنه تركهم هملا على حد تعبير أم المؤمنين، ومعنى ذلك أنه قد ضيع الأمانة على حد تعبير عبد الله بن عمر، ومعنى ذلك أنه تركهم كالضأن على حد تعبير معاوية؟

فهل يعقل أن هؤلاء الثلاثة أبعد نظرا، وأعلم بعواقب الأمور من رسول الله؟!
٢٨ - لنفترض أن هذه الإشاعة صحيحة وأن رسول الله خلى على الناس أمرهم
المفترض بالخليفة أن يقتدي أثر رسول الله فيخلى على الناس أمرهم كما خلى
رسول الله، فإذا كان الرسول قد خلى على الناس أمرهم فلماذا لم يخل الخلفاء على
الناس أمرهم ويقتدوا برسول الله!؟

وإذا لم يخل الرسول على الناس أمرهم، فأين هو الولي الذي عينه رسول الله؟
٢٩ - حقيقة الحال

الرسول لم يترك أمته هملا ولا راعي لها، إنما عين وليا لها بأمر ربه، وبما أن الولي
من بني هاشم، والنبي من بني هاشم، وبما أنه حسب الاجتهاد لا يجوز أن يجمع
الهاشميون النبوة والولاية عدلوا عن الولي الذي عينه الرسول، ونصبوا آخر بدلا منه!
٣٠ - خوفا من الفتنة

وحتى لا تقع الأمة في فتنة، وحتى لا تترك أمة محمد هملا ولا راعي لها، قرر كل
خليفة أن يستخلف من بعده، لأن الخليفة ينظر للناس حال حياته وتبع ذلك أن ينظر
لهم بعد وفاته وأن يقيم لهم من يتولى أمورهم، على حد تنظير وتعبير ابن خلدون،
ولم ينس ابن خلدون أن يقول بأن رسول الله لم يستخلف!

فمعنى ذلك أن الخليفة يتمتع بصلاحيات أكثر من النبي، فالنبي ينظر للناس حال
حياته وتبع ذلك أن لا ينظر لهم بعد وفاته وأن لا يقيم لهم من يتولى أمورهم! وقد
وثقنا ذلك أكثر من مرة، ونقلنا عن ابن خلدون في مقدمته.

٣١ - ولاية العهد أصبحت مشروعة لأنها من سنة الخلفاء
لم يقل أحد من شيعة الدولة أن الرسول قد استخلف أو اتخذ وليا لعهد حتى
تصبح ولاية العهد مشروعة أو جائزة، لكنها أصبحت جائزة ومشروعة باجتهادهم

لأن الخلفاء اتخذوا أولياء لعهودهم، والخلفاء أدرى بمصلحة المسلمين! راجع الأحكام السلطانية لأبي يعلى، والأحكام السلطانية للماوردي صفحة ١ - ١٥، وراجع الإرشاد في الكلام لإمام الحرمين الجويني صفحة ٤٢٤، وشرح ابن العربي لسنن الترمذي مجلد ١٣ صفحة ٢٢ وجامع الأحكام للقرطبي مجلد ١ صفحة ٢٦٩ - ٢٧٣ من

تفسيره لآية (إني جاعل في الأرض خليفة) وكلهم قد أجمعوا على أن مشروعية ولاية العهد جاءت من عهد أبي بكر لعمر، ومن عهد عمر لعثمان عمليا أو للسته نظريا، ولم يقل أحد من شيعة الخلفاء بأن الرسول قد استخلف!

٣٢ - الخلفاء حازوا الفضلين

وهكذا فإن أعظم فضلين في الإسلام حازهما الخلفاء، فرسول الله ترك القرآن دون جمع، فجاء الخلفاء فجمعوا القرآن، وهكذا حازوا هذا الفضل وحدهم، ولولاهم لضاع القرآن! هكذا ذكروا!

ورسول الله ترك أمته دون راع ودون أن يعين ولي عهده، ولأن ولاية العهد ضرورة من ضرورات استقرار النظام السياسي، سن الخلفاء سنة ولاية العهد، وهكذا حازوا الفضل الثاني واستأثروا به وحدهم، وكنتيجة حتمية لولاية العهد استقرت أمور الدولة، لولا سنة ولاية العهد التي سنها الخلفاء لتضاعف عدد القتلى أضعافا كثيرة في سبيل رئاسة الدولة، ولما قر للأمة قرار! وقد ركزت وسائل الإعلام على هاتين النقطتين، فكل مسلم من شيعة الدولة يؤمن إيمانا مطلقا.

١ - إن الرسول مات ولم يجمع القرآن وتركه في صدور الرجال غير مكتوب، والخلفاء وحدهم هم الذين جمعوه وكتبوه.

٢ - إن الرسول قد ترك أمته ولا راعي لها (خلى على الناس أمرهم) فجاء الخلفاء فسوا سنة حسنة وهي ولاية العهد.

٣٣ - وكلما فعله الخلفاء كان لحكمة

فأعظم شئ عند المسلمين بعد القرآن هو سنة الرسول، وقد أحرق الخلفاء ما كان مكتوبا منها كما وثقنا، ومنعوا كتابتها وروايتها مدة ٩٥ سنة، وقال الخلفاء: (حسبنا كتاب الله)، وكتاب الله يكفي! ثم جاءت شيعة الخلفاء فقالوا إن الحكمة اقتضت منع كتابة ورواية أحاديث الرسول حتى لا يختلط القرآن بالحديث أثناء فترة كتابة القرآن وهذه الحكمة منقوضة لأن كلام الله المعجز يختلف عن كلام الرسول، هذا من جهة ومن

جهة ثانية فإن فترة كتابة القرآن وتدوينه كانت خلال عهدي أبي بكر وعمر كما وثقنا عند بحث نظرية جمع القرآن، فطالما أن كتابة القرآن قد انتهت في هذين العهدين فلماذا

استمر الحظر على كتابة ورواية أحاديث رسول الله مدة ٩٥ سنة؟!!

٣٤ - إذا كان كل شئ فعله الخلفاء له حكمة

فما هي الحكمة من مواجهة الرسول؟

أراد الرسول أن يؤمن أمته ضد الضلالة فقال لمن حوله: قربوا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي أبدا، فقال عمر بن الخطاب وحزبه: لا حاجة لنا بالكتاب، (حسبنا كتاب الله)!

وعندما كرر الرسول طلبه قالوا: إن رسول الله قد هجر، (حسبنا كتاب الله)!!

وقد وثقنا ذلك، وتحدينا كل المسلمين أن ينكروا هذه الحادثة أو يعتذروا عنها!

والسؤال الذي يطرح نفسه أنه إذا كان كل شئ فعله الخلفاء قد فعلوه لحكمة، فما هي الحكمة من مواجهة الرسول نفسه؟ وما هي الحكمة من القول بأن رسول الله قد هجر - حاشا له -؟!!

ثم إن الأمة كلها قد أجمعت على صحة حديث الثقلين وأن رسول الله قد قال (تركت فيكم اثنين ما إن تمسكنم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وقد أنبأني اللطيف الخبير بأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)

لست أدري ما هي الحكمة من إذلال العترة أهل البيت، ومن إقصائهم عن مسرح الحياة السياسية، ومن تقتيلهم وتشريدهم ولعنهم في كل بلدة وعلى كل منبر، ومطاردة كل من يحبهم، ومن الذي طاردهم وأذلهم غير الخلفاء وأهل طاعتهم! لست أدري ما هي الحكمة من ذلك سوى تصور الخلفاء المتغلبين أن أهل البيت خطر عليهم، إذ من الجائز أن يطلب صاحب الحق حقه من الذين ابتزوه هذا الحق!! وما هو مبرر الخلفاء المتغلبين لممارسة هذا الأفعال والخروج عن إطار الشرعية سوى ما سموه اجتهادا، والاجتهاد بحقيقته ومعناه هو العمل بالرأي!

٣٥ - هل الشرائع الوضعية أخرى بالاحترام من الشريعة الإلهية الرسول نفسه ليس بإمكانه الخروج عن إطار الشرعية، فطالما تلى قوله تعالى (إن أتبع إلا ما يوحى إلي) فالرسول ملتزم بالنص، وملتزم بالشرعية والشرعية غطت كل شيء وبنيت كل شيء تماما، فما من شيء إلا وله حكم. فما هو مبرر الخلفاء لتركوا النص ويعملوا بالاجتهاد، أو بتعبير أدق لتركوا النص الشرعي ويحكموا وفق آرائهم الشخصية؟! هل يمكن للقاضي الذي يطبق أي شريعة وضعية أن يتجاهل النص وأن يحكم بما يرى؟

إن حكم هذا القاضي باطل من كل الوجوه، وبكل المعايير، فهل الشرائع الوضعية أولى بالاحترام من الشريعة الإلهية!! لكن يجوز للخليفة المتغلب ما لا يجوز لغيره، فكلما يفعله الخليفة وأهل طاعته حلال، وكل ما ينهى عنه الخليفة وأهل طاعته حرام! فيمكن للخليفة أن يترك النص الشرعي وهو فعل الرسول وقوله وتقريره وأن يعمل برأيه، ثم يجد من يبرر له خروجه على الشرعية وعمله برأيه! قال القوشجي في صفحة ٤٠٨ من شرح التجريد (ومنها أن الرسول قد سوى

بالعطاء، وأن عمر قد فضل بالعطاء) إن ذلك ليس مما يوجب قدحا فيه، فإنه من مخالفة المجتهد لغيره في المسائل الاجتهادية)
تصور أن القوشجي يرى أن مخالفة عمر لرسول الله في هذه الأحكام هي من باب مخالفة

مجتهد وهو عمر لمجتهد آخر وهو رسول الله!! راجع معالم المدرستين مجلد ٢
صفحة ٦٨

فماذا بقي من الشريعة برب السماء، إذا كان بإمكان الخليفة أن يترك النص ويعمل برأيه؟

وماذا بقي من فكرة (التمييز) التي هي أساس السلطة إذا كان بإمكان الخليفة أن يتجاهل النص الذي وضعه الشرع الحكيم ويعمل برأيه؟
منظومة حقوقية إلهية بموازاة منظومة حقوقية وضعها الخلفاء
الله تعالى وضع منظومة حقوقية إلهية، والخلفاء وضعوا مع الأيام منظومة حقوقية وضعية، وسارت المنظومتان بخطين متوازيين متقاربين ولكن لم تلتقيا قط!
الخلفاء لم يعلنوا بالكلام وبالتصريح تمردهم على المنظومة الإلهية، كانوا دائما يؤكدون أنهم مع المنظومة الإلهية، ولكنهم عمليا تجاهلوا المنظومة الإلهية ووضعوا لأنفسهم منظومة من صنع اجتهاداتهم واجتهادات أهل طاعتهم.

٣٦ - طبيعة المنظومة الإلهية

المنظومة الحقوقية الإلهية المتكونة من القرآن الكريم والسنة المطهرة بفروعها الثلاثة القول والفعل والتقرير، منظومة غطت بالكامل ساحة كل شيء، فما من حادثة إلا ولها حكم وتكييف، وما من علاقة إلا ولها تنظيم، وما من مصلحة شرعية إلا ولها طريق موضحة في مطاوي هذه المنظومة، وما من حركة إلا ولها هدف رصدت من أجله، لأن القرآن الكريم تبيان لكل شيء بالنص القرآني، والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بين للناس

ما نزل إليهم من ربهم بالتصوير الفني البطيء قولا وفعلا وتقريراً، وأعلن الله كمال الدين وتمام النعمة.

٣٧ - إذا كانت المنظومة الحقوقية الإلهية بهذا الكمال والشمول فما هي حاجة الخلفاء لوضع منظومة حقوقية من آرائهم؟ مؤهل الخليفة طوال التاريخ، وشهادته العلمية هو أنه الغالب الذي قهر الأمة وعلا فوقها بالقوة، وابتز الحق من أولي الأمر. فإذا انصاع الخليفة الغالب لأحكام المنظومة الإلهية فإن أول عمل يتوجب عليه هو أن يرد الحق الذي ابتزّه، وأن يرمي السوط الذي أخضع به الأمة، والغالب لم يقبل بذلك ولن يسمح لأحد أن يجرده من أسباب قوته. الأمة رعايا وهو حاكمها بالقوة، وهو غير قادر على تطبيق الشرع، لأنه غير معد وغير مؤهل لتطبيقه، فمؤهله وشهادته العلمية هي القوة، والمشاكل تحدث لا بد لها من حكم، والخليفة وأهل طاعته لا يعرفون الحكم، وهم غير راغبين بسؤال أولي الأمر الشرعيين!

عندئذ يضطر الخليفة المتغلب وأهل طاعته أن يعملوا برأيهم، فسموا العمل بالرأي اجتهادا!!

أنا لا أدري ما قيمة الاجتهاد مع وجود النص؟ إن أي منظومة حقوقية وأي

مشروع لا يسمح بتجاهل النص والاجتهاد مع وجوده. إن مثل الخليفة المتغلب كمثل أحد الحضور في قاعة محكمة انقض على القاضي وكتفه وجلس مكانه، وزعم بأنه القاضي، وكان لهذا المتغلب مثله

يتقاسمون معه المنافع!!

لقد سخرت الدولة برئاسة الخليفة المتغلب كل مواردها وكل وسائل إعلامها، لإثبات أن العمل برأي الخليفة وأهل طاعته هو اجتهاد، والاجتهاد مشروع عند الله، والرسول نفسه مجتهد، ولا حرج إن خالف المجتهد - الخليفة المتغلب - مجتهدا آخر

وهو الرسول!!! راجع شرح التجريد للقوشجي كما وثقنا. وقد قاد الخلفاء التاريخ السياسي الإسلامي على هذا الأساس، وتفيض الإعلام اقتنع الناس واختلط الأمر عليهم!

٣٨ - أضواء على منظومة الخلفاء الوضعية التي صنعوها من اجتهاداتهم لا يوجد في النظام السياسي الإسلامي الذي وضعه الخلفاء قاعدة حقوقية واحدة من صنع الله تعالى، وهي بالكامل من صناعة الخلفاء! وإذا وجدت قاعدة حقوقية إلهية في نظام الخلافة فما ذلك إلا للزينة، وآية ذلك أن رئيس الدولة في النظام السياسي الإسلامي الإلهي هو مركز الدائرة، وهو معين ومعد ومؤهل إلهيا ومنصوص عليه، وقد جاء الخليفة المتغلب وجلس بالقوة محل الإمام المعين والمعد والمؤهل إلهيا، ثم جر

القواعد الشرعية المتعلقة بمنصب الإمامة، وفصلها على نفسه، وركعها لمصلحتها، وأخرج كل ذلك بقلب جديد من رأيه واجتهاده، ورأي واجتهاد أهل طاعته!

٣٩ - ما هو السند الشرعي لنظام الخلافة التاريخي؟
في الحق والحقيقة إن السند الشرعي لنظام الخلافة التاريخي هو الإجماع!! لكن متى حدث الإجماع!! وهل يجوز العمل بالإجماع مع وجود النص!! هل الشريعة الإلهية ناقصة وجاء الإجماع ليكملها؟ ثم ما قيمة الإجماع إن قام أمام النص الشرعي؟!
٤٠ - لا بديل عن إعطاء الخليفة صلاحية النبي

أجمع شيعة الخلفاء على أن الرسول ترك أمته ولا راعي لها، بتعبيرهم الملطف: خلى على الناس أمرهم، فلماذا صارت ولاية العهد جائزة؟ هل لأن الرسول أمر بها؟ الرسول لم يشرعها ولم يأمر بها حسب رأيهم، ولكنها صارت جائزة، لأن الخليفة سنها فأبو بكر عهد لعمر، وعمر عهد للسته!! فإذا سألتهم هل حول الله أبا بكر أو عمر رضي الله عنهما صلاحية التشريع وإيجاد مراكز حقوقية جديدة بهذا المستوى من الخطورة؟ ضاقت صدورهم ولعنوك بقلوبهم، ثم قالوا صارت ولاية العهد جائزة بالإجماع!! لكن من الناحية العملية صار الخليفة مشرعا، ومن مهمة أهل طاعته أن يبرروا

تشريعات الخليفة! صار الخليفة يتمتع بصلاحيات النبي، والفرق بين الخليفة وبين النبي، أن النبي يتبع ما يوحى إليه من ربه، والخليفة يعمل برأيه، ويتبع ما يوحى إليه رأيه، أو بتعبير أهل طاعته الملطف: يعمل باجتهاده. ولا حرج على الخليفة إن خالف النبي وعمل عكس النبي تماما، فالخليفة مجتهد والنبي مجتهد آخر، فالرسول مثلا كان يساوي بالعطاء فجاء الخليفة عمر وفضل بالعطاء، فقد أعطى كل واحدة من زوجات الرسول عشرة آلاف درهم وفضل عائشة وحفصة فأعطى لكل واحد منهما اثني عشر ألف درهم! وخصص لكل مسلم مبلغا معيناً حسب موقعه برأيه، فما هي الحكمة من مخالفة النبي!!! إن عمل النبي بمثابة نص شرعي، فما هي الفائدة من ترك النص الشرعي والعمل برأي الخليفة!!!

ومع هذا فإن الجموع صفقت للخليفة! ثم اكتشف الخليفة الآثار المدمرة لمخالفة النص الشرعي، وتفاوت المداخيل فقال إنه إن عاش ليأخذن فضل أموال الأغنياء ويردها على الفقراء، فصفقت الجموع للخليفة!!! والله غالب على أمره.

٤١ - وهكذا كون الخلفاء قوانين موازية للقوانين الإلهية فما من أمر من الأمور له حكم في الشريعة، إلا واجتهد الخلفاء وأهل طاعتهم وأوجدوا له حكما آخر موازيا تماما للحكم الإلهي! فلو جمعت اجتهادات الخلفاء لتكون لديك مجموعة حقوقية متكاملة تقف بخط متواز مع المجموعة الحقوقية الإلهية!

وعليك أن تلحق المجموعة الحقوقية التي صنعها الخلفاء بالمجموعة الحقوقية التي وضعها الله ورسوله! فالدين والشرع هو المجموعتان معا!! وجاء التاريخ السياسي الإسلامي ونصر المجموعة التي وضعها الخلفاء، وتفنن أهل طاعة الخلفاء باختلاق الأحاديث التي تبرر ما فعله الخلفاء، فلا نجد نصا إلا ونجد نقيضا له، فنص يأمر بعدم إطاعة الظالم، ونص آخر يأمرك بطاعة الظالم حتى لو أخذ مالك وجلد ظهرك! وعليك أن تأخذ المنظومتين الحقوقيتين معا أو تتركهما معا!!

وركزت دولة التاريخ السياسي إعلامها على وحدة المنظومتين، وسخرت كل موارد الدولة لإقناع العوام بذلك، ومع الأيام صار العالم كالعامة، وصار التاريخ ديناً حقيقياً، وتناسى الناس الدين الحقيقي الذي جاء به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يبق لهم إلا شكله!!
ولله عاقبة الأمور، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

٤٢ - للخليفة قداسة فاقت قداسة النبي!

أشاع إعلام الخلفاء أن الرسول كان يغضب فيلعن ويسب ويؤذي من لا يستحقها. راجع صحيح بخاري كتاب الدعوات، وصحيح مسلم كتاب البر، وهم يقولون ذلك عن خير البشر، وعن صاحب الخلق العظيم، ولكن هل يجرؤ أحد أن يقول ذلك عن أبي بكر أو عمر رضي الله عنهما!

وأشاع إعلام الخلفاء أن النبي قد سمع رجلاً يقرأ في المسجد فقال النبي: رحمه الله أذكرني كذا وكذا آية أسقطتها من سورة كذا! راجع صحيح بخاري - باب قول النبي وصلى عليهم، وكتاب الشهادات - باب شهادة الأعمى، وراجع صحيح مسلم - كتاب فضائل القرآن!!! من يجرؤ أن يقول ذلك عن أحد الخلفاء!!!
وما حدث في الغرفة المباركة لآية. النبي يريد أن يكتب كتاباً والخليفة لا يريد أن يكتب النبي! فقال الخليفة وحزبه: لا حاجة لنا بالكتاب (حسبنا كتاب الله)! ولما أصر النبي، قال الخليفة وحزبه: النبي قد هجر!! ومع هذا لا أحد يلوم الخليفة، وما فعل الخليفة ذلك إلا لحكمة، وانتصر الخليفة وكسروا خاطر النبي الشريف!!
فالخليفة حتى بمواجهته مع النبي بطل ولا يقول إلا الحق!!! وقد وثقنا ذلك أكثر من مرة.

ذلك أثر من آثار انتصار النظام البديل، ولله عاقبة الأمور، إذ قدم المتأخر،
وصار المتأخر متقدماً!!

* *

الفصل الثامن

تفكيك النظام الإلهي وتعطيل مسيرته المباركة

١ - ركنا النظام الإلهي

النظام الإلهي يقوم على ركنين هما: ١ - كتاب الله المنزل وهو القرآن الكريم.

٢ - نبي الله المرسل وهو محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): أ - بذاته ب - بقوله ج

- بفعله د - بتقريره.

فالنظام الإلهي لا يعمل إلا بالاثنين معا، ولا يعطي أكله إلا بركنيه، ولا يستجيب

إلا بوحدة هذين الركنين والثقة المطلقة بهما.

وهذا النظام مفصل ليقود الدين، ويقود الدولة، ليحكم الحياة الدنيا، والحياة

الآخرة، وليكون نظاما للعائلة الإنسانية كلها.

٢ - الاستيلاء على السلطة بالقوة لا يتحقق إلا بتفكيك النظام الإلهي

الذين خططوا للاستيلاء على السلطة بالقوة بعد وفاة الرسول أدركوا استحالة

تحقيق هدفهم هذا بدون تفكيك النظام الإلهي خاصة القواعد المتعلقة بظاهرة السلطة.

٣ - الانفراد بالنبي

هنالك وحدة عضوية بين القرآن المنزل، والنبي المرسل، فالقرآن معجزة النبي،

ودليل نبوته، والنبي هو الشاهد الأوحد على أن القرآن من عند الله، وأن مهمته هي

بيان ما أنزل للناس من ربهم، فمن غير المتصور عقلا هدم هذه الوحدة العضوية بين الاثنين، ولكن لا بديل أمام الذين خططوا للاستيلاء على السلطة بالقوة من هدم هذه الوحدة العضوية تمهيدا لتفكيك النظام الإلهي. فأعلنوا تمسكهم بالقرآن الكريم، وأنه لا خلاف عليه، وقرروا أن يتفردوا بالنبى وحده كخطوة لفك الوحدة العضوية بين القرآن الكريم والنبى العظيم!

٤ - التشكيك بقول النبى

الذين خططوا للاستيلاء على السلطة بالقوة أشاعوا مبكرا وقبل وفاة الرسول بمدة طويلة أن كلام الرسول كله ليس صحيحا لأنه يتكلم بالغضب والرضا، فما قاله الرسول بالرضا فهو حق، وما قاله بالغضب فهو ليس بحق (حاش لك يا رسول الله) ولا أحد يدري غضب الرسول من رضاه سوى أولئك الذين خططوا للاستيلاء على السلطة بالقوة!

لذلك منعا للالتباس وإشفاقا على المسلمين، نهى أولئك الذين خططوا للاستيلاء على السلطة بالقوة نهوا عن كتابة أحاديث رسول الله، ولما علم رسول الله بذلك أخبر الذي أطلعه على هذه الإشاعة بأنها غير صحيحة، وأنه لا يخرج من فمه الشريف إلا حق، وأقسم له الرسول على ذلك.

٥ - الدليل على صحة ما ذكرناه

جاء في سنن الدارمي مجلد ١ صفحة ١٢٥ باب من رخص في الكتابة، من المقدمة، وسنن أبي داود مجلد ٢ صفحة ١٢٦ باب كتابة العلم ومسنند أحمد مجلد ٢ صفحة ١٦٢

و ٢٠٧ و ٢١٦ ومستدرك الحاكم مجلد ١ صفحة ١٠٥ - ١٠٦، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر صفحة ٨٥ عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال (كنت أكتب كل شئ أسمع من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فنهتني قريش، وقالوا تكتب كل شئ سمعته من رسول

الله ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا!؟

فأمسكت، وذكرت ذلك لرسول الله فأوماً بإصبعه إلى فيه وقال (أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق). فتأكد من المراجع السابقة واسأل نفسك: من هي قريش التي نهت ابن العاص؟ وما هي مصلحتها بهذا النهي؟ ومتى اجتمعت قريش دفعة واحدة عند ابن العاص؟ عندئذ تدرك أن الذين نهوا هم أنفسهم الذين خططوا لابتزاز الحق من أهله، وللاستيلاء على السلطة بالقوة! وخطتهم لذلك هي التشكيك بأقوال رسول الله حتى لا يحملها الناس محمل الجد!!
ومن الطبيعي أن تنطلق هذه الإشاعات، وأن تجد في صفوف المنافقين آذانا صاغية، والإشاعة تلد إشاعة، والشر يخلق شراً، والإثم يفرخ بغير حساب.

٦ - مواجهة النبي والتشكيك به وجاهياً

النبي على فراش الموت، وجبريل يلازمه، ولا ينقطع عن زيارته، كما وثقنا ذلك. وغرفته المباركة غاصة بعواده، وهو على علم بالفتن التي تتربص بالمسلمين، وتنتظر موته لتندلع، فأراد أن يلخص الموقف لأُمَّته، وهذا حق له كقائد، لأنه ما زال رئيساً للدولة، وحق له كنبي لأنه ما زال نبياً، وحق له كإنسان وكمسلم بأن يقول ما يشاء. فقال للحاضرين (قربوا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً).
من يقل لي بربكم ما هو الخطأ بقول رسول الله؟ وأي عيب فيه؟!!

٧ - المواجهة

بمجرد أن سمع عمر عرض النبي هذا قال: (حسبنا كتاب الله) لا حاجة لنا بالكتاب، وانقسم الحاضرون إلى قسمين، قسم يقول قربوا يكتب لكم رسول الله، وحزب عمر يقول: القول ما قال عمر!!

من أفنع الأكثرية التي أيدت عمر بصحة رأيه حتى أيده سوى رابطة التفكير
الحزبي المبيت والموحد!!

ما الذي نفر هذه الأكثرية من عرض رسول الله!!

٨ - لو أصر النبي لأصروا بأن النبي قد هجر!

لما عجب الحاضرون ممن كانوا خارج دائرة التخطيط المبيت، وقالوا: قربوا يكتب
لكم رسول الله، صاح حزب عمر، (حسبنا كتاب الله) إن رسول الله قد هجر،
استفهموه إنه يهجر!! حاشا لك يا رسول الله!

ولو أصر النبي على كتابة الكتاب لأصر حزب عمر على القول بأن رسول الله قد
هجر، ولأثبتوا هذا الزعم بكل وسائل الإثبات!!!

٩ - صدموا خاطرهم الشريف

وصدم خاطر النبي الشريف من تلفظهم بهذه الكلمة النابية، وقال لهم: قوموا
عني، ما أنا فيه خير مما تدعونني إليه! فخرج عمر وحزبه منتصرين ولكن على النبي!!
وفائزين ولكن على الشرعية!!!

١٠ - الدليل على صحة ما ذكرناه عن المواجهة مع النبي

لقد ذكر بخاري هذه الحادثة بست روايات، راجع صحيح بخاري مجلد ٢ صفحة ٩
باب قول المريض قوموا عني، ومجلد ١ صفحة ٣٧ ومجلد ٥ صفحة ١٣٧ ومجلد ٢
صفحة ١٣٢ وذكرها مسلم في صحيحه آخر كتاب الوصية مجلد ٥ صفحة ٧٥
وصحيح

مسلم بشرح النووي مجلد ١١ صفحة ٩٥، ومسند الإمام أحمد مجلد ٤ صفحة ٣٥٦
الحديث ٢٩٩٢ وشرح النهج مجلد ٦ صفحة ٥١ ومجلد ٢ صفحة ١٦ الحديث ١١
صفحة

٩٤ و ٩٥ من صحيح مسلم بشرح النووي، وابن الجوزي في تذكرة الخواص صفحة
٦٢

والطبري في تاريخه مجلد ٢ صفحة ١٩٢ - ١٩٣، وراجع شرح النهج لعلامة المعتزلة
مجلد ٣ صفحة ١١٤ سطر ٢٧ الطبعة الأولى - بيروت ومجلد ١٢ صفحة ٧٩ سطر

٣

بتحقيق محمد أبو الفضل - مكتبة الحياة ومجلد ٣ صفحة ١٦٧ دار الفكر، وراجع كتابنا

نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام صفحة ٢٨٧ وما فوق.

١١ - هل فعل المتغلبون ذلك لحكمة؟ وما هي الحكمة؟
كيف يمكن الاعتذار عما فعله المتغلبون؟ وهل واجهوا رسول الله لحكمة؟ وما هي الحكمة؟

من يرضى لنفسه أن يكون بالصف المواجه لرسول الله؟
من يملك الادعاء بأنه أعلم بكتاب الله من رسول الله، أو أبعد نظراً منه!!
كيف يمكن تفسير ذلك سوى أنه حلقة من سلسلة من الحلقات، تقود إلى السلطة عن طريق القوة والتغلب؟؟؟

١٢ - التشكيك بذات الرسول حتى بعد وفاته
جاء في صحيح بخاري كتاب الدعوات - باب قول النبي: من آذيته، وفي صحيح مسلم - كتاب البر والعلة - باب من لعنه النبي (أن رسول الله كان يغضب فيلعن، ويسب ويؤذي من لا يستحقها...)

وجاء في صحيح بخاري - باب قول الرسول: وصل عليهم وكتاب الشهادات - باب شهادة الأعمى ونكاحه، وفي صحيح مسلم كتاب فضائل القرآن - باب الأمر بتعهد القرآن، عن عائشة (أن النبي سمع رجلاً يقرأ في المسجد فقال: رحمه الله أذكرني

كذا وكذا آية أسقطتها من سورة كذا....!

تلك حقيقة جديدة للتشكيك بذات الرسول حتى بعد وفاته، وهي امتداد للحلقات السابقة!!!

الرب جلت قدرته شهد بأن رسول الله على خلق عظيم بآية محكمة، وأنه ما ضل وما غوى، وأنه لا ينطق عن الهوى، وأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم، وأنه الشهيد على هذه الأمة، فهل يعقل من كانت هذه صفاته ومن يؤتمن على الوحي، وهو الذي يتبع

ما يوحى إليه، هل يعقل أن يهبط إلى الصورة التي صوره بها بخاري ومسلم؟
إن أي إنسان عادي يترفع أن يكون بهذه الصورة!!! فكيف بسيد ولد آدم،
وبآخر الأنبياء والرسل!!!

لكنها حلقة وامتداد لحلقات سابقة صورها أولئك الذين أصروا على الاستيلاء
على السلطة بالقوة والتغلب

ثم انظر إلى الحديث الثاني الذي رواه بخاري ومسلم، وكيف أنه من نفس المشكاة،
فلو لم يسمع النبي هذا الرجل لبقيت تلك الآية ساقطة!!!
إنها ضرب على نفس الوتر الذي صنعته القوة المتغلبة، وكانت أول من حرك
أصابعه عليه!

١٣ - مطاردة وملاحقة أقوال النبي حتى بعد موته

هذا الرسول البشر الذي يتكلم في الغضب والرضا، يجب إخراجه تماما عن مسرح
الحدث السياسي، وعدم إتاحة الفرصة لأقواله وأحاديثه للتأثير على الحدث السياسي،
لأن القوة المتغلبة لا تؤمن إلا بالحق، وليس مضمونا عندها أن كل ما تكلم به الرسول
كان حقا، خاصة الأحاديث المتعلقة بظاهرة السلطة! والحل الأفضل هو:

١ - حرق كافة الأحاديث المكتوبة على عهد رسول الله.

٢ - منع كتابة أحاديث رسول الله.

٣ - منع رواية أحاديث رسول الله.

١٤ - حرق كافة الأحاديث

جاء في كنز العمال مجلد ٥ صفحة ٢٣٧ وفي تذكرة الحفاظ مجلد ١ صفحة ٥ عن
عائشة رضي الله عنها أنها قالت (جمع أبي الحديث عن رسول الله فكانت خمسمائة
حديث فبات يتقلب، فقلت يتقلب لشكوى أو لشئ بلغه، فلما أصبح قال: أي بنية
هلمي بالأحاديث التي عندك فجئته بها، فأحرقها)

جاء في طبقات بن سعد مجلد ٥ صفحة ١٤٠ بترجمة محمد بن أبي بكر (أن الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب فأنشد الناس أن يأتوه بها فلما أتوه بها أمر بتحريقها) وحرقت كافة الأحاديث المكتوبة التي قالها النبي للناس. وبعث في الأمصار من كان عنده شيء فليمحه! راجع بيان العلم لابن عبد البر. ربك يسارع في هواك

جاء في صحيح بخاري مجلد ٦ صفحة ٢٤ ومجلد ٦ صفحة ١٢٨ أن عائشة رضي الله

عنها قد قالت للنبي: إن ربك يسارع في هواك!!

وجاء في صحيح بخاري مجلد ٢ صفحة ١٢٢ أن عمر بن الخطاب قال للنبي في صلح الحديبية: أنت نبي حقا؟!

وجاء في صحيح مجلد ٢ صفحة ٢٩ قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أنت الذي تزعم أنك نبي!

وجاء في صحيح بخاري مجلد ٤ صفحة ٤٧ على لسان صحابي للنبي: والله ما قصدت بهذه القسمة وجه الله!

(ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا في الإيمان)

١٥ - المطلوب أن كتاب الله وحده يكفي

لقد قال عمر وحزبه للرسول مواجهة: (حسبنا كتاب الله) أي أن كتاب الله وحده يكفي، ولا حاجة لنا بكتابك!! وقد وثقنا ذلك.

وروى بخاري هذا الشعار (حسبنا كتاب الله) بست روايات، ورواه مسلم، وذكره النووي عند شرحه لصحيح مسلم، والأمة متفقة على صحته.

كان هذا والرسول على فراش الموت! وبعد وفاة النبي كما روى الذهبي في تذكرة الحفاظ بترجمة أبي بكر (رضي الله عنه) أن أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال (إنكم تحدثون عن

رسول الله أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافًا، فلا تحدثوا عن رسول الله

شيئًا! فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه!

وأخرج ابن عبد البر بثلاثة أسانيد في جامع بيان العلم - باب ذكر من ذم الإكثار من الحديث مجلد ٢ صفحة ١٤٧ وروى الذهبي في تذكرة الحفاظ مجلد ١ صفحة ٤

٥ -

عن قرظة بن كعب قال: لما سيرنا عمر إلى العراق مشى معنا عمر إلى صرارة، ثم قال: أتدرون لم شيعتكم؟ قلنا أردت أن تشيعنا وتكرمنا، قال مع ذلك حاجة: إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل، فلا تعدوهم بالأحاديث عن رسول الله وأنا شريككم! قال قرظة: فما حدثت بعده حديثا عن رسول الله!! وفي رواية أخرى: فلما قدم قرظة بن كعب قالوا: حدثنا، فقال: نهانا عمر.

وجاء في كنز العمال مجلد ٥ صفحة ٢٣٩ الحديث ٤٨٦٥ ومنتخب الكنز مجلد ٤ صفحة ٦١ عن عبد الرحمن بن عوف قال (ما مات عمر بن الخطاب حتى بعث إلى أصحاب رسول الله فجمعهم من الآفاق، عبد الله بن حذيفة، وأبو الدرداء، وعقبة بن عامر، فقال: ما هذه الأحاديث التي أفشيتم عن رسول الله في الآفاق؟ قالوا أثناننا؟ قال: لا أقيموا عندي، لا والله لا تفارقوني ما عشت، فنحن أعلم، نأخذ منكم ونرد عليكم، فما فارقه حتى مات!).

وروى الذهبي في تذكرة الحفاظ مجلد ١ صفحة ٧ بترجمة عمر: أن عمر حبس ثلاثة وقال لهم: أكثرتم الحديث عن رسول الله.

وجاء عثمان فصعد المنبر ثم قال لا يحل لأحد أن يروي حديثا لم يسمع به في عهد أبي بكر وعمر!! راجع منتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد مجلد ٤ صفحة ٦٤

١٦ - سريان قرار المنع قامت السلطة بإحراق كل الأحاديث التي كتبت على عهد رسول الله، ومنعت كتابة ورواية أحاديث رسول الله، وبقي قرار محاصرة سنة رسول الله قائما مدة ٩٥ عاما، ثم قررت السلطة أن ترفع الحظر عن كتابة ورواية أحاديث رسول الله! راجع أضواء على السنة المحمدية صفحة ٢٥٩ - ٢٦١ حيث خشي عمر بن عبد العزيز من ضياع السنة فأمر واليه على المدينة أن يكتب، وأن يأذن بالكتابة.

قال الزهري (كنا نكره كتابة العلم حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء، فرأينا أن لا نمنعه أحدا من المسلمين! راجع أضواء على السنة المحمدية صفحة ٢٦٢ لكثرة وشدة محاصرة السلطة للسنة النبوية صارت المحاصرة سنة ألفها الناس، ولما رأى عمر بن عبد العزيز ضرورة كتابة السنة النبوة، رأى الناس في ذلك خروجاً على سنة أبي بكر وعمر وعثمان، فقاوموا في البداية، ثم أكرههم الحكام على الكتابة، فصارت كتابة السنة النبوية فضيلة بعدما كانت جريمة يعاقب عليها الحكام!!

١٧ - نثروا عقد اللؤلؤ ثم عادوا لبيحثون عنه!

حرق الحكام المكتوب من سنة النبي، ثم حرموا كتابة السنة وروايتها مدة ٩٥ سنة، ثم خطر ببالهم أن يرفعوا الحظر بعد هذه المدة ويبيحوا للناس أن يكتبوا ويرووا سنة نبيهم!

تماماً كمن كان بيده عقد من اللؤلؤ فقطع الخيط الذي يجمع حبات اللؤلؤ ثم رماه بين الأشواك والحصى والحجارة، ثم لاح له بعد ٩٥ سنة أن يعود فيبحث عن ذلك العقد ويجمعه من جديد!

إنها حلقة من خطة!!

١٨ - تفكيك النظام السياسي

وهكذا نجحت السلطة ببث إشاعاتها، والتشكيك بما قاله النبي، وتقسيم قوله إلى قول بالغضب وقول بالرضا، ثم قالت إنه يهجر، ثم منعت كتابة ورواية أحاديثه وأحرقت المكتوب منها، ثم رفعت شعار أن القرآن الكريم وحده يكفي (حسبنا كتاب الله) والخليفة يفسر هذا الكتاب، لأنه القائم مقام النبي!!

ولما تم لها ما أرادت من فك الارتباط بين القرآن والنبي عملياً، وبعد أن استقر النظام البديل، وبعد مضي ٩٥ عاماً على وفاة الرسول، وبعد أن صار منع كتابة السنة

النبوية سنة للخلفاء... أذنت السلطة بالكتابة ورفعت الحصار عن سنة النبي!! وقد فعلنا ذلك في مستهل هذه البحوث.

١٩ - تفكيك مؤسسة الإمامة أو القيادة السياسية

بمعنى أن للإمامة أو القيادة السياسية الشرعية شخصية معنوية تحتاج إلى من يعبر عن وجودها بصورة شرعية ويمارس مهامها. فمؤسسة الإمامة لها قواعد حقوقية تحتل مكانا بارزا بالمنظومة الإلهية، ولها شخص مخصص إلهيا لإبراز دورها. فكان رسول الله خلال حياته هو الإمام أو القائد السياسي الذي يعبر عن وجود مؤسسة الإمامة، ويمكنها من أداء دورها ضمن المنظومة الحقوقية الإلهية. وبدنو أجله كلف إلهيا بإعلان ولاية الإمام علي، فأعلن رسول الله أن الولي من بعده هو علي بن أبي طالب، وأن ابنه الحسن إمام وابن الحسين إمام أيضا. وأعلن الرسول اندماج الإمامة كمؤسسة وكشخص اعتباري بعد موته بشخصية الإمام علي، فالإمام علي خاص وأهل البيت الكرام عامة والإمامة وجهان لعملة واحدة، وبينهما وحدة عضوية، فإذا ذكرت الإمامة يتبادر إلى الذهن مباشرة أهل البيت الكرام، وإذا ذكر أهل البيت يتبادر إلى الذهن الإمامة أو القيادة السياسية. فتكونت وحدة عضوية بين عمادة أهل البيت وبين مؤسسة الإمامة أو القيادة السياسية، وتحقق التكامل بينهما.

٢٠ - ضمن استعدادات القوة المتغلبة

نجحت القوة المتغلبة بضرب الوحدة العضوية والتكامل بين النبي من جهة، وبين القرآن الكريم من جهة أخرى، فشككت بشخصية النبي، وقسمت قوله إلى نوعين قسم يقوله في حالة رضاه وهو الحق، وقسم يقوله في حالة غضبه وهو ليس بحق! كما زعمت وأشاعت القوة المتغلبة، وادعت أنها وحدها القادرة على معرفة ما قيل في غضب الرسول ورضاه! وقد عالجننا هذا الموضوع ووثقناه في البحوث السابقة.

وخلصت هذه القوة إلى نظرية خطيرة مفادها: إن القرآن وحده يكفي ولا حاجة لأي شيء سواه حتى ولو كان المتكلم هو رسول الله نفسه!! واحتفظت القوة المتغلبة لنفسها. بحق تأويل وتفسير هذا القرآن!!

وهكذا نجحت القوة المتغلبة بإخراج شخصية الرسول وقوله وفعله وتقريره عن التأثير على مجريات الأحداث السياسية، حيث فكت الوحدة العضوية بين القرآن الكريم وبين النبي العظيم، وأبقتها بالحدود التي أرادتها، بعد أن فرغت هذه الحدود من مضامينها!

٢١ - نفس الخطة

كذلك فإن القوة المتغلبة فرقت بين الإمامة كشخصية معنوية ومؤسسة شرعية، وبين الإمام كشخص مخصص إلهيا وشرعيا للقيام بأعباء الإمامة بعد موت الرسول! فزعمت القوة المتغلبة أن الإمام الشرعي حديث السن، وأن مشيخة قريش أقدر منه على تولي مصالح المسلمين، ثم قالت في ما بعد إن شخص من يتولى الإمامة أمر متروك للمسلمين، حيث يؤمرون من شاءوا بالشورى!!!

وهكذا فكت الارتباط والتكامل بين مؤسسة الإمامة وبين الإمام الشرعي، وقالت إن الإمامة وحدها تكفي، ولا حاجة للإمام الشرعي، تماما كشعار (حسبنا كتاب الله) الذي رفع بمواجهة الرسول نفسه!

وبما أن القرآن وحده يكفي، ولا داعي لأي قول من الرسول! كذلك فإنهم قالوا إن الإمامة وحدها تكفي ولا داعي لوجود الإمام المعين شرعيا! فالقوة المتغلبة هي الأقدر على تعيين إمام يخدم مصالح المسلمين بدلا من الإمام الشرعي!

وباختصار انفك الارتباط والتكامل بين مؤسسة الإمامة وبين شخصية الإمام الشرعي، وكرست القوة المتغلبة كل إعلام الدولة وكل مواردها لإثبات صواب ما فعلته!

٢٢ - الإمام الشرعي

الإمام علي بن أبي طالب معين شرعياً ليكون ولياً للأمة بعد وفاة نبيها، وقد أعلنت هذه الولاية أمام مائة ألف أو يزيدون، وقال له النبي أنت الولي من بعدي، ومن كنت وليه فهذا وليه، وخاطب المسلمين قائلاً: إنه وليكم بعدي، وإنه مولى كل مؤمن ومؤمنة بعدي، وقال الرسول: هذا سيد العرب. وقال: أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي، وقال علي مسمع كل مؤمن ومؤمنة: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.

تلك أمور ومراتب لم يقلدها النبي لأي شخص على الإطلاق، وعندما أرسل رسول الله أبا بكر (رضي الله عنه) ومعه سورة براءة ليبلغها إلى المشركين أثناء الحج، أرسل علي

أثره علياً ليأخذ السورة من أبي بكر ويبلغها هو، وعند عودة أبي بكر استفسر من رسول الله عن سبب أخذ السورة منه فقال رسول الله: لا يؤدي عني إلا أنا أو علي أو رجل مني! وقد وثقنا ذلك في البحوث السابقة، وفي كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام خصصنا باباً كاملاً للقيادة السياسية، كذلك في كتابنا النظام السياسي في الإسلام.

٢٣ - تلقين المجتمع المسلم

تلقن المجتمع المسلم تلقيناً، وتعددت صور القرار الإلهي بهذه الناحية، حتى أصبحت مفهومة للعامة والخاصة، للمهاجر والطيّيق، فكل الناس على علم بأن الولي من بعد النبي هو علي، فلم يصادف على الإطلاق أن أمر رسول الله على علي أحداً.

٢٤ - أعدى أعداء علي علي ذلك من الشاهدين

أعدى أعداء رسول الله هو أبو سفيان وولده خاصة، وبنو أمية عامة، فقد قاد أبو سفيان حرب الشرك ضد الإيمان ثماني سنوات، وحارب الرسول بكل وسائل الحرب، حتى أحيط به فاستسلم وأسلم.

وبعد موت رسول الله وقف معاوية بن أبي سفيان خاصة والأمويون عامة ضد علي وحاربه بكل وسائل الحرب، وغالبوه فغلبوه، فشهادة معاوية حجة عليه، وحجة للإمام، وحجة على شيعة القوة المتغلبة. والنص الحرفي لشهادة معاوية للإمام علي على الصفحة ١٤٨ و ١٤٩ من كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم، وعلى الصفحة ١٤ من مجلد ٣ من مروج الذهب للمسعودي حيث أورد النص الحرفي لرسالة معاوية بن أبي سفيان لمحمد بن أبي بكر الذي تشيع للإمام علي ووالاه، حيث قال معاوية وبالحرف مخاطبا ابن أبي بكر: (وقد كنا وأبوك في حياة نبينا نرى حق ابن أبي طالب لازما لنا، وفضله مبرزا علينا.... إلخ).

فلما اختار الله لنبيه ما عنده... فكان أبوك وفاروقه أول من ابتزه وخالفه، وعلى ذلك اتفقا واتسقا.... إلخ.)!!

تتضمن شهادة معاوية

- ١ - إن المسلمين كانوا يرون حق علي ابن أبي طالب بالإمامة لازما لهم ولا مفر منه، وأن فضل علي كان مبرزا على المسلمين.
- ٢ - إن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا أول من ابتزه هذا الحق وعلى ذلك اتفقا واتسقا... بمعنى أن حق علي بالخلافة والإمامة قد ترسخ في المجتمع المسلم، وأن المجتمع المسلم كان يعتقد أن هذا الحق لازم وملزم له. وأن فضل علي على الجميع كان مبرزا، وتميزه عن الجميع كان واضحا، فلما توفي النبي انقض أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على هذا الحق فابتزاه على حد تعبير معاوية، وعلى هذا الفضل فطمسناه، وعلى هذا التميز فأزالاه!

٢٥ - الإمام علي يشهد لنفسه كما شهد عدوه معاوية له قال الإمام علي كما جاء بالجزء الثالث صفحة ٦٩ من شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد (اللهم إني أستعينك على قريش ومن أعانهم فإنهم قطعوا رحمي،

وأكفأوا إنائي، وأجمعوا على منازعتي حقا كنت أولى به من غيره، وقالوا إن في الحق أن

تأخذه، وفي الحق أن تمنعه....!

وعندما انتقلت إليه الخلافة قال (الآن رجع الحق إلى أهله، ونقل إلى منتقله،

راجع المجلد الأول من شرح النهج صفحة ١٢٥

وقال مرة مفندا حجة خصومه (وقال قائل إنك على هذا الأمر يا بن أبي طالب لحريص، فقلت بل أنتم والله لأحرص وأنا أخص وأقرب، إنما طلبت حقا لي وأنتم تحولون بيني وبينه وتضربون وجهي دونه، فلما قرعته بالحجة في المأ الحاضرين هب كأنه بهت لا يدري ما يجيبني...!) مجلد ٣ صفحة ٣٥٠ من شرح النهج. وقال مرة (أصفيتم بالأمر غير أهله، وأوردتموه غير مورده) مجلد ٣ صفحة ٢٨٦ من شرح النهج.

وقال مرة أخرى (حتى إذا قبض الله رسوله، رجع قوم على الأعقاب وغالتهم السبل، واتكلوا على الولايج، ووصلوا غير الرحم، وهجروا السبب الذي أمروا بمودته، ونقلوا البناء عن رص أساسه فبنوه في غير موضعه، معادن كل خطيئة، وأبواب كل ضارب في غمرة...!) مجلد ٣ صفحة ٢٢٢

٢٦ - مضمون شهادة الإمام لنفسه

أنت تلاحظ أن شهادة الإمام علي لنفسه تطابق تمام المطابقة شهادة عدو الإمام معاوية للإمام، وهي أن لإمام حق بالإمامة، وأن هذا الحق قد ابتز منه، وأنه كان هنالك اتفاق واتساق على ابتزاز هذا الحق!

٢٧ - الشهاداتان موافقتان لحكم المنظومة الإلهية

إقرار معاوية بأن الإمام علي هو صاحب الحق اللازم على الأمة، واحتجاج الإمام علي بأنه هو صاحب الحق، وقد نازعوه هذا الحق وأخذوا منه بالقوة وأنهم يحولون بين الإمام وبين حقه بالإمامة، هذا يتفق من حيث النتيجة مع المعلوم من أحكام المنظومة الإلهية التي تؤكد بأن الولي من بعد النبي هو علي فهو مولى المؤمنين مجتمعين،

ومولى كل مؤمن ومؤمنة على انفراد، ومن لم يكن علي مولاه فليس بمؤمن حقا، وأن مقام ومنزلة علي من النبي هي بمنزلة هارون من موسى، إلا أن عليا ليس نبيا. وأنه لا يؤدي عن النبي إلا علي.

فكل الدلائل تشير صراحة وضمنا أن القائم مقام النبي بعد موت النبي هو علي. واختيار الشارع الحكيم لكلمة (الولي) لها دلالات هائلة فالنبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ونساؤه أمهاتهم.

وما يتبادر إلى الذهن عند ذكر الأم هو ذكر الأب، ولكن للأب حدودا لا يتعداها، فالأب ليس أولى من ابنه بنفسه، ولكن النبي أولى من كل مؤمن من نفسه، فعلي كولي يتمتع بحقوق الولاية تامة، ألا إنه ليس نبيا، وبغير هذه المكانة يتعذر عمليا على الإمام أن يمارس صلاحيته.

٢٨ - الأمة سارعت ورضيت بحق علي بالولاية

الأمة بأكثريتها الساحقة اعتبرت أن حق علي بالولاية ملزم لها، ولازم عليها، وفضله مبرز عليها، على حد تعبير معاوية وكان ولاية علي كنبوة النبي، خارجة تماما عن أهواء البشر.

وهكذا استقامت الأمور، وحلت أعظم مشكلة وهي رئاسة الدولة، فعندما ينتقل الرسول إلى جوار ربه، تكون قواعد الشريعة مكتملة، والأمور مستقرة في نصابها، ويحل محل النبي علي، فيتولى قيادة الأمة السياسية، ويتولى مرجعيتها الدينية، لأنه الأعلم والأفهم والأفضل والأنسب حسب التشخيص الإلهي، والمعلن على لسان النبي، وترتاح الأمة لأن إمامها متميز بصفاته عن الجميع، ومشهود له من الله ونبيه.

٢٩ - رفض الشرعية

إذا سلمت الأمة بحق علي بالولاية، واعتبرت هذا الحق لازما لها وملزما، فإن قريشا في نفسها من هذا الحق شيء، فقد قاومت هذه البطون دعوة النبي ١٣ سنة،

وشكلت هذه البطون جيشا حارب النبي ثماني سنوات، ثم سلمت مكرهة بنبوّة محمد الهاشمي، وعندما أعلن النبي ولاية علي استكثرت هذه البطون على الهاشميين أن يجمعوا النبوة والملك، وأن يحوزوا الفضلين معا، ولكن تجربة هذه البطون الطويلة مع النبي، وحروبها المتوالية مع الولي علمتها أن لمعصيتها ضريبة لا تقوى تلك البطون على دفعها مرتين، لذلك سلمت بالأمر بالواقع، واختارت الدعة وتمنت لو أن أقدارا خفية تغير على الأقل ولاية علي الهاشمي بعد أن أصبحت نبوة النبي قدرا من الأقدار لا طاقة على تغييره!!!

وبالتالي فإن البطون مهياة نفسيا لمناصرة أي فارس يخرج من بين الصفوف ويتمرد على هذه الترتيبات التي جمعت للهاشميين النبوة والخلافة.

ولا ريب بأن بطون قريش لم تعارض هذا الترتيب علنا أثناء حياة الرسول.

٣٠ - البطون تعقد الآمال على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لقيادتها

أبو بكر شخصية مرموقة، وبانتصار دعوة الإسلام أصبح عميد بطن بني تيم بغير منازع، وذاع صيته أثر هجرته مع النبي، وعلا مقامه لمصاهرته للنبي، حيث تزوج ابنته عائشة، وأسلم على يديه ثمانية من أولئك الذين قال عمر بن الخطاب عنهم بأنهم من المبشرين في الجنة، وحصر القيادة فيهم.

إنه لا يعقل أن يترأس الولي علي علي أبي بكر، صحيح أن هاشما وبكل الموازين خير من تيم، وأن عليا كنفس رسول الله ولا يؤدي عن الرسول إلا علي كما أخبر رسول الله أبا بكر بالذات عندما أخذ منه سورة براءة وأعطها لعلي، ولكن أبا بكر رجل كبير السن وعلي فتى، فهل من المعقول أن يترأس هذا الفتى على مشيخة قريش؟

وهل من المعقول أن يكون هذا الترتيب من الله؟ أم المعقول أنه ترتيب خاص رتبته النبي من تلقاء نفسه؟

ثم إن النبي بشر يتكلم في الغضب والرضا، فهل ينبغي أن تحمل كل أقوال النبي على محمل الجد والتصديق؟

هذه الأسئلة وعشرات من أمثالها كانت تتجاوب في نفس أبي بكر، ولكن الرجل ميال للآخرة، ومفضل للأجلة على العاجلة، يؤثر السلامة، ويكره المواجهة، ويحب رسول الله حقاً، فلم يبد أي اعتراض علني على ولاية الإمام علي يوم أعلنها النبي في غدير خم، بل وبادر مع عمر بن الخطاب وقدم التهانى للإمام.

ولكن التساؤلات السابقة لم تبرح خياله، ولم تغادر نفسه، وهو مهياً نفسياً لقبول فارس من عالم الغيب يقوده مع بطون قريش للخروج على هذا الترتيب، لكنه ليس مستعداً أن يقود المواجهة مع علي خاصة، ومع أهل البيت الكرام عامة، إكراماً للنبي، واحتياطاً لدينه.

٣١ - العملاق عمر بن الخطاب

لنفترض أن بطون قريش كلها سلمت بحق علي بالولاية، وأيدت مبدأ جمع الهاشميين للنبوة والخلافة، فهل يقبل عمر بن الخطاب بهذا؟ وهو ابن البطون البار الذي يعلم حقيقة تفكير البطون والذي انبرى ليعبر عن مشاعر تلك البطون، وساعده على ذلك أن صيته قد ذاع بالإسلام وأن مكانته قد ارتفعت بالإسلام، وأن مقامه قد علا بمصاهرته لرسول الله، ولفت الأنظار إلى ذاته بكثرة معارضاته لرسول الله، فأصبح عميد بطن بني عدي، وموضع ثقة كل بطون قريش التي دخلت في الإسلام يوم أحيط بها، وموضع إعجاب الذين لم يتمكن الإيمان من قلوبهم، فقد تعجبوا من جرأة هذا الرجل على رسول الله.

ومع هذا فإن عمر بن الخطاب على كثرة معارضاته للرسول لم يعارض عندما أعلن الرسول ولاية علي بن أبي طالب، بل تقدم مع أبي بكر وقدم مع التهانى للولي بالولاية، ولم يظهر أي نوع من المعاندة والمعارضة على حد علمي، فقد اكتشفت بأن

معارضة هذا القرار بذلك الوقت بالذات قد تزيد القرار ترسيخا، وأن احتجاجه على هذا الترتيب قد يؤدي إلى ترتيب جديد يثبت الأول، وأدرك أن المعارضة والاحتجاج وحدهما لا يكفيان، وأنه لا بد من إعداد العدة والتدبر والتخطيط المحكم، ثم تأتي بعد ذلك المعارضة وتتوج بالنجاح. ويبدو جليا من استقراء الأحداث أن هذا الرجل العملاق (رضي الله عنه) هو الذي قاد عملية

تكفيك الترتيبات الإلهية، وإيجاد الترتيبات الوضعية الجديدة.

٣٢ - المواجهة وطريقة ضرب الشرعية

علي بن أبي طالب ولي الله بالنص، وعلم الأمة بعد النبي بالنص، وصاحب الحق الشرعي ليقوم مقام النبي بقيادة الأمة سياسيا ومرجعيتها دينيا، وهو لن يتنازل عن هذه الحقوق بالرضا، لأنها حقوق خصه الله تعالى بها، وأعلنها نبي الله أمام المسلمين، وشاعت هذه الحقوق بينهم، فالكل يعرف مكانة علي بعد النبي، وفضله المتميز على الجميع، وحقه المسلم به من الجميع، بما فيهم معاوية وآل أمية أجمعين. ولكن بطون قريش وعلى رأسهم عمر بن الخطاب وأبو بكر بدرجة أقل ومن شايعهم من الأنصار، يريدون أن يأخذوا هذا الحق من صاحبه، لأكثر من سبب. لكن عملية أخذ الحق من صاحبه أو تجريد صاحب الحق من حقه، تحتاج إلى وسيلة شرعية، وتحتاج إلى مبرر شرعي.

ومبرر التجريد غير وارد شرعا لأن الله تعالى هو الذي تفضل بهذا الحق وأعطاه لعلي، ولأن ولاية علي قد أعلنت بأمر من الله تعالى، ولأن مائة ألف حاج من الأمة شهود على ذلك! لذلك لا بد من البحث عن خطة محكمة!

٣٣ - الطريق الوحيد لتجريد الإمام من الولاية هو القوة والتغلب

لا حل أمام الذين يريدون إلغاء الترتيبات الإلهية، وتجريد الإمام علي من حقه بالولاية وابتزاز هذا الحق، لا حل أمامهم غير استعمال القوة والتغلب، وبالقوة يعزل صاحب الحق عن حقه عمليا، ويعزل عن الأمة التي يمكن أن تدعمه ليحتفظ بحقه!

والتخطيط المحكم والتدبير المتروي لإعداد القوة، والإخراج المتقن، حتى يكون
ابتزاز الحق بأقل كلفة ممكنة، وبدون معارضة تذكر!
وهذا ما تعهد به وأعد له عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، فاستجابت له بطون
قريش، وبدأ
به عمر والنبي بكامل عافيته، ثم أعلن ذلك، ودخل بمواجهة علنية صاحبة حول هذا
الموضوع مع النبي نفسه، ولكن عندما كان على فراش الموت عندما قال النبي لمن
حوله:
قربوا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا، فتصدى عمر للنبي وقال: (حسبنا كتاب
الله) وردد الحاضرون من حزب عمر قائلين: القول ما قاله عمر!!
هل نبتت هذه القناعة في قلوبهم من لحظتها!!
ما المنفر من قول رسول الله: قربوا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا!!
وما هو المقنع في قول عمر: (حسبنا كتاب الله)!!
ثم من الذي جعل عمر بمستوى النبي!!
وما الذي ميزه عن النبي حتى يرجح قوله بقول النبي!! ويتبع ويعصي النبي!!!
إن هذا لأمر عجاب!!!
ولا جواب مقنع على هذه التساؤلات سوى التخطيط المسبق، والتدبير السابق،
والاتفاق المبيت لتجريد الإمام من ولايته، وابتزاز حقه على حد تعبير معاوية،
وطمس فضله والاستيلاء على السلطة بالقوة والتغلب!
وما هذه المواجهة مع النبي إلا مقدمة لما سيأتي، واستعراض للقوة التي تم إعدادها
بالفعل، وتنفيذ للخطة التي رسمها!
وقد وثقنا أكثر من مرة تفاصيل مواجهة عمر بن الخطاب وحزبه للنبي في
الحجرة المباركة.
إذا فإن الوسيلة الوحيدة لإلغاء الترتيبات الإلهية المتعلقة برئاسة الدولة وتجريد
الولي من حقه الشرعي بالولاية، هي القوة والتغلب!

٣٤ - تبرير استعمال القوة وإلغاء الترتيب الإلهي المتعلق برئاسة الدولة
عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الذي جمع القوة، واستعرضها أمام النبي في حجرته
المباركة،

وخطط لتجريد الولي من ولايته، يعلم علم اليقين أن النبي قد أعلن ولاية علي أمام
مائة ألف حاج، ويعلم علم اليقين أنه قد قدم التهاني للولي بالولاية وقال للإمام: بخ
بخ لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، وهو يعلم علم
اليقين أن عليا هو عميد أهل بيت النبوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم
تطهيرا، وأنه سيد بني هاشم بعد النبي بغير منازع، وهو يعلم علم اليقين أيضا أن
منزلة علي من النبي كمنزلة هارون من موسى، وأن لدى الإمام علما لدنيا فهو المخول
ببيان ما تختلف فيه الأمة من بعد النبي!

وقد شاهد عمر بن الخطاب في كل معارك الإيمان الإمام عليا وهو يصل
ويجول ويتنمر في ذات الله، ويستعرض قوة بدنية خارقة، جعلته فارس العرب
والمسلمين قاطبة.

كما يعلم عمر أن عليا داخل في آية المباهلة وهو كنفس النبي.
ولا يخفى على عمر بأن عليا هو زوج فاطمة الزهراء ابنة النبي الغالية، وهو والد
سبطيه الوحيدين.

كما يعلم أنه لا يؤدي عن النبي إلا النبي أو علي، هذا ما قاله النبي لأبي بكر أمام
عمر عندما أخذ منه علي سورة براءة، بناء على أوامر الله تعالى.
هذا معلوم بالكامل من عمر بن الخطاب.... ولكن بالمقابل فإن عمر بن الخطاب
يعتقد أن الرسول بشر يتكلم في الغضب والرضا، مما يعني أن كلام الرسول لا ينبغي
أن يحمل كله على محمل الجد وقد وثقنا ذلك.

ربما كان يعتقد أن إعلان النبي لولاية علي يوم غدِير خم لم تكن تنفيذا لأمر إلهي،
إنما أعلنها الرسول من تلقاء نفسه، وبناء على تقديراته كبشر، أو بتعبير بطون قريش

أنه أعلنها وهو في حالة غضب أو بتعبير علماء شيعتهم فيما بعد أعلنها اجتهادا من عند نفسه، وليس عن وحي!

وهو يعتقد أن معنى قوله تعالى على لسان النبي (إن أتبع إلا ما يوحى إلي) إنما يتعلق ذلك بوحي القرآن، وما تبقى من أقوال النبي وأفعاله وتقريراته فهو موضع مسألة، فهو قابل للاعتراض، وقابل للاحتجاج، وقابل للتقويم، حسب رأي عمر، وسجل احتجاجات عمر واعتراضاته المتلاحقة على رسول الله دليل على ذلك!
٣٥ - مثال من سجل اعتراضات عمر (رضي الله عنه)

لما وقع النبي اتفاقية صلح الحديبية قام عمر بن الخطاب غاضبا وقال: لو أجد أعوانا ما أعطيت الدنيا أبدا، فهو يعتقد - كما يفهم من كلامه - أن رسول الله عندما وقع صلح الحديبية أعطى الدنيا، ولو كان بوسع عمر أن يجد أعوانا لما وافق على الصلح الذي وافق عليه رسول الله، ولألغاه وأبطله بالقوة.

وحاول أن يستميل أبا بكر إلى صفه فقال له: يا أبا بكر، ألم يكن وعدنا أننا سندخل مكة؟ فأين ما وعدنا به؟ (يقصد أن الرسول قد وعد المسلمين بدخول مكة) فقال أبو بكر: أقال لك أنه العام يدخلها؟ قال عمر لا، قال أبو بكر: فسيدخلها.

فقال عمر ما هذه الصحيفة التي كتبت؟ وكيف نعطي الدنيا من أنفسنا؟ فقال أبو بكر: يا هذا الزم غرزه فوالله إنه لرسول الله، وإن الله لا يضيعه!

فلما كان يوم الفتح، وأخذ رسول الله مفتاح الكعبة قال: ادعوا لي عمر، فجاء فقال الرسول: هذا الذي كنت وعدتكم به، راجع شرح النهج لعامة المعتزلة ابن أبي الحديد مجلد ٣ صفحة ٧٩٠ - ٧٩١ شرح حسن تميم.

تلك طبيعة الرجل الذي جمع القوة وجمع بيده كل أسبابها، فهو يعتقد أن الرسول بشر يتكلم في الغضب والرضا، وأن كل ما يقوله أو يفعله أو يقرره ليس بالضرورة صحيحا، ولعله في صلح الحديبية تذكر أهمية الأعوان، وبدء بالإعداد للإكثار من

الأعوان، حتى يقوم كلما يعتقد معوجا، وحتى لا يضطر أن يعطي الدنية على حد تعبيره، فيضطر لقبول ما يقبله الرسول.

٣٦ - هذا الرجل العملاق هو الحاكم الفعلي والحكم في حجرة النبي أبرز عمر (رضي الله عنه) بعض قوته، وبموت الرسول وانشغال آل الكرام

بمصائبهم، خلا الجولة فنجد خطواته خطوة خطوة، وعين الخليفة! كان بإمكان عمر أن يعين أبا عبيدة خليفة بدلا من أبي بكر، لأن أبا بكر كان غائبا عندما مات الرسول، ولأن عمر يرغب بأن يكون أول خليفة هو أبو بكر، شغل الناس بمقولته أن الرسول قد غاب وسيرجع، وتهدد ومن خلفه أعوانه بالويل وتقطيع أيدي وأرجل من يزعم موت النبي!

فلما جاء أبو بكر ترك مقولته وتوجه إلى الأنصار، وقد قدر أن تولية أبي بكر أولا أقوى لحجته، وأدحض للشبهات عنه، وبعد استقرار الأمور يعهد أبو بكر إليه بالخلافة فيأتيه ملكا مستقرا!

وقد فهم الولي ذلك في ما بعد فقال لعمر: إحلب حلبا لك شطره، واشدد له اليوم أمره يردده عليك غدا!

ومن ناحية ثانية حتى في عهد خلافة أبي بكر فإن القول الفصل كان لعمر! ٣٧ - عمر يتفل على قرار الخليفة ويمحوه والخليفة يشهد أن عمر هو الذي عينه الكتاب الذي كتبه أبو بكر لعبيدة بن حصن والأقرع بن حابس، أخذاه لعمر يشهد عليه، فلما قرأ الكتاب أخذه منهما ثم تفل فيه ومحاه... فرجعا إلى أبي بكر وقالاه: والله ما ندري أنت أم عمر؟ فقال أبو بكر بل هو لو شاء كان! فجاء عمر إلى أبي بكر وقرعه على هذا الكتاب، فقال أبو بكر: كنت قلت لك إنك أقوى على هذا الأمر مني، لكنك غلبتني! راجع المجلد ٣ صفحة ٧٨٩ - ٧٩٠ من

شرح النهج لعلامة المعتزلة، تحقيق الشيخ حسن تميم.

٣٨ - عمر القوي يقرر ويرسم مستقبل النظام

قرر عمر أن الإمامة أو الخلافة بحد ذاتها ضرورة من ضرورات الإسلام، وأنه لا غنى للمسلمين عنها. وقرار عمر في هذه الناحية متفق مع الشرعية نصا وروحا ثم قرر عمر أن الولي الذي عينه الله ورسوله ليشغل منصب الإمامة والخلافة ليس مناسبا ولا لمصلحة المسلمين لأكثر من سبب وبالتالي فقد قرر تجريده من حقه بالولاية أو الخلافة!

وحسب الترتيبات الإلهية فإنه إمام الأمة وخليفتها يجب أن يكون من أهل بيت النبوة بوصفهم القاسم المشترك بين كل المسلمين، ولأن الله أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، ولأنهم أهل العلم والذكر.... وجاء عمر (رضي الله عنه) وقرر عدم أهلية أهل

البيت الكرام للإمامة أو الخلافة، وعدم استحقاقهم للزعامة والولاية، لأنهم من بني هاشم، وقد أخذ الهاشميون النبوة فلا ينبغي أن يجمعوا مع النبوة الخلافة، بل يجب أن تكون الإمامة أو الخلافة لبطن قريش تتداولها في ما بينها، ولا مانع لديه من أن تؤول الخلافة إلى الأنصار وإلى الموالي، فسالم مولى أبي حذيفة لو كان حيا لولاه عمر الخلافة، مع أنه لا يعرف لسالم هذا نسب في العرب! ولكن يحظر حضرا تاما أن يتولى أحد من أهل البيت الإمامة، ويحظر أن يولي أي هاشمي أي ولاية حتى لا يدعو لأهل البيت أو لبني هاشم في ما بعد ويخرب ترتيبات عمر (رضي الله عنه) لعهد ما بعد النبوة!

٣٩ - من الذي أعطى عمر (رضي الله عنه) هذه الصلاحيات لإصدار هذه القرارات الخطيرة؟

هل هو وحي على المسلمين؟ هل خولته الشريعة الإلهية رسم مستقبل النظام السياسي أعطته صلاحية لإلغاء الترتيبات الإلهية ووضع ترتيبات وضعية بديلة لها؟ أو بتعبير أدق على ماذا استند عمر (رضي الله عنه) حتى أصدر هذه القرارات الخطيرة؟ سند عمر الوحيد لاتخاذ هذه القرارات هو القوة والتغلب، فقد جمع حوله الأعوان، وأعد للأمر عدته وأصبح مالكا لكل خطوط القوة، وتحت إمرته حزب حقيقي يعمل

وفق توجيهاته، وبالتالي فإنه هو الذي يعين الخليفة، وهو القادر على تقريع الخليفة، وعلى أن يتفل في قراراته ويمحوها إن لم يرها مناسبة!
ثم هو الذي يحدد من يتولى الخلافة من بعده!
ثم إنه وحده الذي يستطيع أن يحظر على المسلمين كتابة ورواية أحاديث النبي ولا يجرؤ أحد أن يعترضه!
ثم إنه بالقوة كون لنفسه مهابة حتى صارت أفعاله وأقواله وتقريراته سنة فعلية لها من المهابة أكثر مما لسنة النبي!!!
فقد يعترض على النبي ويقول للنبي نفسه، أنت تهجر!! ومع هذا لا يندهش أحد، ولا يلومه أحد، ولا يعلق على هذه الحادثة أحد، كأن قول عمر (رضي الله عنه) هو
القول الفصل!!!

قالوا عن النبي إنه كان يسب ويلعن ويشتم من لا يستحقها! وقالوا عن النبي إنه كان يسقط من آيات القرآن! وقالوا عن النبي إنه يتكلم بالغضب والرضا ولا ينبغي أن تحمل كل أقواله على محمل الجد! وقد وثقنا ذلك، وقد نقلوا هذه الأقاويل ببساطة وهي عند الله عظيمة، ومع هذا لم يقل أحد عن عمر شيئا!
إن له مكانة تفوق مكانة الأنبياء في قلوب شيعة الخلفاء، مع أن عمر (رضي الله عنه) لا يمكن أن يقبل ذلك لو كان حيا.

٤٠ - مقاصد عمر (رضي الله عنه) شريفة
كما يبدو واضحا أن عمر (رضي الله عنه) كان يقصد مصلحة الإسلام، ومصلحة المسلمين. ومن المؤكد أنه يؤمن إيمانا كاملا بأن الرسول قد بلغ الناس القرآن الكريم كما أوحى إليه من ربه. ولا شك ولا ريب عند عمر بذلك. فالرسول لا ينطق عن الهوى بما يتعلق بالقرآن.

لكنه كما يبدو يؤمن إيمانا مطلقا أنه ما عدا القرآن الكريم، فإن كل أقوال الرسول وأفعاله وتقريراته تصدر عن الرسول بصفته الشخصية كبشر، وأن ما يصدر عن الرسول يحتمل الخطأ ويحتمل الصواب، وعمر وحده هو القادر على تمييز الخطأ من الصواب!!

قبل رسول الله صلح الحديبية ووقعه، ولكن عمر كان يعتقد أن التوقيع على صلح الحديبية بهذه الشروط دنية، وأنه ما كان ينبغي لرسول الله أن يوقع هذا الاتفاق ولا أن يقبل به، وأنه لو كان لعمر أعوان ما أعطى الدنية أبدا، لماذا لأن عمر اعتقد أن الرسول قد وقع الاتفاقية كبشر، وأن هذه الاتفاقية ليست من مصلحة الإسلام، واكتشف أهمية الأعوان يومها.

وعندما أعلن الرسول ولاية علي أمام مائة ألف حاج، قدم عمر التهاني للإمام، معتقدا أن الرسول قد أعلن هذه الولاية من تلقاء نفسه.

ثم فكر عمر بمصلحة الإسلام والمسلمين، فرأى أنه ليس من المناسب أن يكون النبي من بني هاشم وأن يكون الخليفة من بني هاشم، وأن تحرم بطون قريش كلها من فضل النبوة وفضل الخلافة، وانتظر عمر حتى مرض رسول الله واختار عمر المواجهة بهذه اللحظة، فعندما قال النبي قربوا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا، فتصدى له عمر علي الفور وقال للنبي: لا حاجة لنا بكتابك (حسبنا كتاب الله)! وما أن أتم عمر قوله حتى قال من حضر من حزب عمر وبصوت واحد: القول ما قاله عمر!

ولما كرر الرسول طلبه، قال عمر: إن رسول الله قد هجر، وردد أعوانه: إن رسول الله قد هجر!! وقد وثقنا ذلك.

وقد تصور عمر أن رسول الله يريد أن يصرح باسم علي ثانية فمنعه من التصريح وشوش عليه، إشفاقا على الإسلام!!!

قال عمر مشيرا إلى هذه الحادثة كما ذكر الإمام أحمد بن أبي الطاهر في كتابه تاريخ بغداد مسندا، وكما روى ابن أبي الحديد في شرح النهج مجلد ٣ صفحة ٧٦٩ تحقيق حسن تميم ما نصه بالحرف:

ولقد أراد (أي الرسول) في مرضه أن يصرح باسمه (أي باسم علي) فمنعته من ذلك إشفاقا على الإسلام، لا ورب هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبدا، ولو وليها لانتفضت عليه العرب من أقطارها...!!

عجبا، كأن عمر يعتقد بأنه أشفق على الإسلام من رسول الله!!!
و كأنه يتصور بأنه أدرى بعواقب الأمور من رسول الله!!!
والجدير بالذكر أن عمر بن الخطاب كان أول خارج على الإمام من قريش، وأول معارض لولايته، وهو الذي طمع الخارجين بالإمام وجمع المعارضين له!
قال معاوية بن أبي سفيان في رده على رسالة محمد بن أبي بكر ما نصه بالحرف (فكان أبوك وفاروقه أول من ابتزه وخالفه، وعلى ذلك اتفقا واتسقا). راجع وقعة صفين لنصر بن مزاحم صفحة ١٤٨ و ١٤٩ ومجلد ٣ صفحة ١٤ من مروج الذهب للمسعودي.

لقد صرح عمر في صلح الحديبية بأنه لو كان له أعوان لنسف الصلح الذي قبل به رسول الله، ولأمضى ما يريد، لأن ما يريد عمر هو وحده لمصلحة الإسلام، وهو مضمون العاقبة، أما ما يريد وما يفعله رسول الله فهو موضع شك!!!
ومن ذلك التاريخ بدأ بتجميع الأعوان، فلما مرض رسول الله واجه الرسول بأعوانه، وشرع بتنفيذ الترتيبات التي اعتقد أنها لمصلحة الإسلام، ثم أسس دولة على أساس هذه الترتيبات، وسخر إعلامها ومواردها لإثبات حجة تربيته!!
٤١ - كيف سكت رسول الله على الرجل حتى استفحل أمره

كان عمر بن الخطاب حرا يعيش في مجتمع الحرية، وعمر مؤمن بالله وبالقرآن وبالرسول، ويعارض ويحتج حتى على الرسول نفسه، والرسول لا يضيق صدرا بالاحتجاج أو المعارضة فهو الحليم صاحب الخلق العظيم، وهو الإمام العادل القدوة، وهو عبد مأمور أن يبلغ الناس ويعلمهم ويعاملهم على ما ظهر منهم فقط، فإذا يتعلم أصحابه فذلك كفيلا أن يضع عمر بالمكان الملائم له، لقد سمع الرسول كلما قاله عمر في

صلح الحديبية واتسع قلبه العظيم بما قال، وعندما فتح الرسول مكة قال: ادعوا عمر، فلما جاء عمر قال الرسول (هذا ما وعدتكم به) إنه أبلغ رد على أقوال عمر يوم صلح الحديبية، وأبلغ درس لو وعاه عمر.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن زعيم المنافقين عبد الله بن أبي قال: (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) يقصد أنه هو العزيز وأن رسول الله هو الأذل! ولما اقترح عليه بعض أصحابه أن يقتل عبد الله بن أبي قال (كيف يقال إن محمدا يقتل أصحابه)!!!

تلك هي طبيعة العظمة المحمدية، رجل فهم حقيقة الحياة، واستوعب المنظومة الإلهية، فهو لا يعاقب على النوايا، وهو لا يكتم الأفواه، ولا يصادر حقوق الإنسان، ولا يقع في الظلم، لقد أقام دولته لرفع الظلم، وإشاعة العدل، ورد الحرية للإنسان.

٤٢ - تبريرات عمر لأفعاله

أجمع تبريرات عمر لأفعاله الحديث الذي جرى بينه وبين ابن عباس أثناء خلافة عمر، وأثبت بأدناه النص الحرفي لهذه المحاور، وكما ذكرها علامة المعتزلة بن أبي الحديد.

(قال عمر: يا ابن عباس أتدري ما منع قومكم منكم؟ قال ابن عباس: لا يا أمير المؤمنين، قال عمر: لكنني أدري، قال ابن عباس: ما هو يا أمير المؤمنين؟ قال عمر: كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوة والخلافة فتجحفوا جحفا، فنظرت قريش لنفسها فاختارت ووفقت فأصابت! قال ابن عباس: أيما أمير المؤمنين عني غضبه فيسمع؟ قال عمر: قل ما تشاء، قال ابن عباس فقلت: أما قول أمير المؤمنين إن قريشا كرهت، فإن الله تعالى قال لقوم (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم) وأما قولك إنا كنا نجحف، فلو جحفنا بالخلافة جحفنا بالقرابة، ولكننا قوم أخلاقنا مشتقة من خلق رسول الله الذي قال الله تعالى له (وإنك لعلی خلق عظیم) وقال له (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) وأما قولك فإن قريشا اختارت فإن الله تعالى يقول (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة) ولقد علمت يا أمير المؤمنين أن الله اختار من خلقه لذلك من اختار، فلو نظرت قريش من حيث نظر الله لها لوفقت وأصابت قريش.

قال عمر: على رسلك يا ابن عباس، أبت قلوبكم يا بني هاشم إلا غشا في أمر قريش لا يزول، وحسدا عليها لا يحول فقال ابن عباس: مهلا يا أمير المؤمنين لا تنسب هاشما إلى الغش، فإن قلوبهم من قلب رسول الله الذي طهره الله وزكاه، وهم أهل البيت الذي قال الله تعالى لهم (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم

تطهيرا) وأما قولك وحسدا فكيف لا يحسد من غصب شيئه ويراه في يد غيره؟! فقال عمر: أما أنت يا ابن عباس فقد بلغني عنك كلام أكره أن أخبرك به، فتزول منزلتك عندي؟ قال ابن عباس: وما هو يا أمير المؤمنين، أخبرني به فإن يك باطلا فمثلي أمارط الباطل عن نفسه، وإن يك حقا فإن منزلتي عندك لا تزول به. قال عمر: بلغني أنك لا تزال تقول أخذ هذا الأمر منكم حسدا وظلما. قال ابن عباس: أما قولك يا أمير المؤمنين حسدا، فقد حسد إبليس آدم فأخرجه من الجنة فنحن بنو آدم المحسود، وأما قولك ظلما فأمر المؤمنين يعلم صاحب الحق من هو؟ ثم قال ابن عباس: يا أمير المؤمنين ألم تحتج العرب على العجم بحق رسول الله، واحتجت

قريش على سائر العرب بحق رسول الله، فنحن أحق برسول الله من سائر قريش. فقال عمر: قم الآن فارجع إلى منزلك، فلما قام ابن عباس هتف به عمر: أيها المنصرف إني على ما كان منك لراع حقتك. فالتفت ابن عباس فقال: إن لي عليك يا أمير المؤمنين وعلى كل المسلمين حقا برسول الله، فمن حفظه فحق نفسه حفظ، ومن أضاعه فحق نفسه أضاع، ثم مضى.

فقال عمر لجلسائه: واها لابن عباس ما رأيت له لاص أحدا قط إلا خصمه.

٤٣ - تحليل سريع لهذه المحاور

١ - عمر (رضي الله عنه) يصرح بأن بطون قريش كرهت الترتيب الإلهي الذي جمع لآل محمد

النبوة والخلافة معا.

٢ - إن هذا الترتيب الإلهي مجحف بحق البطون لأنه يعطي الهاشميين النبوة والخلافة وهم بطن من بطون قريش، ويحرم كل البطون الباقية من الفضلين معا.

- ٣ - مع أنه ترتيب إلهي لكن البطون تتذرع بخشيتها من إجحاف البطن الهاشمي إذا جمع الخلافة مع النبوة.
- ٤ - إن الخليفة ترك الترتيب الإلهي القاضي بجمع الخلافة والنبوة لآل محمد، وأوجد ترتيباً بديلاً يجرّد آل محمد من حقهم بالخلافة، ويصف ذلك بأنه توفيق وصواب.
- ٥ - إن الخليفة يحكم بأن آل محمد غشوا بطون قريش وحسدوها، لأنها استردت الخلافة من آل الكرام.
- ٦ - إن الخليفة يعلن نفسه كناطق رسمي باسم البطون، وكمدافع عن مصالح بطون قريش.
- ٧ - إن أول رجل من قريش اخترع هذه التبريرات وتجراً على إعلانها وأقام دولة التاريخ على أساسها، هو عمر بن الخطاب، فهو بحق ابن البطون البار، والمنظر الأول للنظام البديل.
- ٨ - إن الخليفة ينظر نظرة حذر وخوف وريبة إلى كل آل محمد، ويخشى منهم جميعاً أن يستردوا حقهم بالخلافة. وتقريبه لابن عباس هو خطة سياسية المقصود منها تفريق آل الكرام حتى لا يبقوا مجتمعين حول علي وابنيه السبطين، وقد تكررت هذه الخطة مع العباس كما روى ابن قتيبة حيث وعدوه ببعض الأمر له ولعقبه من بعده إن سايرهم وترك علياً وقد وثقنا ذلك.
- ٤٤ - ابن عباس واجه عمر بمجموعة هائلة من الحقائق الشرعية بهذه المحاورة
- ١ - إن بطون قريش وعلى رأسهم عمر كرهوا ما أنزل الله باختيار آل محمد للقيادة السياسية.
- ٢ - إن بطون قريش لم توفق ولم تصب الحقيقة الشرعية عندما اختارت غير الذي اختاره الله.
- ٣ - إن خوف قريش من إجحاف أهل البيت إذا جمعوا الخلافة مع النبوة بالرغم من اختيار الله لهم، ليس له ما يبرره عقلاً وشرعاً.

٤ - إن بطون قريش تبنت بالأمر السياسية مواقف مناقضة تماما للموقف الشرعي، حيث إنها تركت الاختيار الإلهي واختارت لنفسها، ووضعت عملية تركها للخيار الإلهي وعملية اختيارها بأنه صواب وتوفيق، ووصفت بالغش والحسد قوما أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

٥ - لقد أوضح بن عباس لعمر بأن عمر يعلم علم اليقين من هو الولي من بعد النبي ومن هو الخليفة، وأنه علي، ومع هذا أخذوا حقه.

٦ - إن بطون قريش حسدت آل الكرام وظلمتهم عندما جردتهم من حقهم الشرعي بالإمامة.

٧ - إن الذين ضيعوا حق أهل البيت، بالإمامة إنما ضيعوا بالحقيقة أنفسهم!

٤٥ - عمر (رضي الله عنه) يحتاط للمستقبل

لم يكتف عمر بتجريد الإمام علي من حقه بالولاية وأخذ هذا الحق منه، إنما ركز بكل قواه على تجريد أهل البيت الكرام طوال حياة الدولة الإسلامية من هذا الحق، وعزلهم تماما عن القيادة السياسية للأمة.

فحسب تنظير عمر فإن قريشا بوضعهم أقرباء الرسول وعشيرته هم الأولى بسلطانه، راجع كلمة عمر في سقيفة بني ساعدة، ثم طور هذه المقولة فحرم الهاشميين من امتيازات القرابة حرمانا كاملا بدعوى أنهم أخذوا النبوة وحدهم وبالتالي يتوجب أن لا يجمعوا مع النبوة الخلافة، لأن ذلك يؤدي لإجحافهم على الأمة، وهذا التجريد ليس محصورا بزمن أبي بكر وعمر، بل يريده عمر أن يستمر إلى يوم القيامة.

جاء في المجلد الثاني صحيفة ٢٥٣ - ٢٥٤ من مروج الذهب للمسعودي وقائع المحاورة التالية:

ذكر عبد الله بن عباس أن عمر أرسل إليه فقال: يا ابن عباس إن عامل حمص قد هلك وكان من أهل الخير، وأهل الخير قليل، وقد رجوت أن تكون منهم، وفي نفسي منك شيء وأعياني ذلك، فما رأيك في العمل؟

قال ابن عباس: لن أعمل حتى تخبرني بالذي في نفسك. قال عمر: ما تريد إلى ذلك؟ قال ابن عباس: أريده، فإن كان شيء أخاف منه على نفسي خشيت منه عليها الذي خشيت، وإن كنت بريئا من مثله علمت أنني لست من أهله، فقبلت عملك هنالك، فإني قلما رأيتك طلبت شيئا إلا عاجلته.

فقال عمر: يا ابن عباس إني خشيت أن يأتي علي الذي هو آت (يعني الموت) وأنت في عملك فتقول هلم إلينا، ولا هلم إليكم دون غيركم، إني رأيت رسول الله استعمل الناس وترككم.

قال ابن عباس قلت: والله قد رأيت من ذلك فلم تراه فعل ذلك؟ قال عمر: والله ما أدري أضن بكم عن العمل فأهل ذلك أنتم، أم خشى أن تبايعوا بمنزلتكم منه فيقع العتاب ولا بد من عتاب. وقد فرغت لك من ذلك.

٤٦ - خلاصة القصة

إن عمر من فرط حرصه على مصلحة المسلمين وكرهيته لجمع الهاشميين النبوة والخلافة معا يريد حتى بعد موته أن يتأكد بأن الهاشميين لن يحكموا بعده أبدا، وبالتالي

لا بد من إبعادهم عن الولاية والأعمال حتى لا يستغلوا هذه الأعمال والولايات بعد موت عمر فيدعون الناس لمبايعتهم!!! راجع كتابنا نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام صفحة ٢٧٠ وما فوق.

وقد كرست دولة الخلافة كل وسائل إعلامها ومواردها لترسيخ هذه الأفكار في أذهان الناس وتغييرهم من قيادة أهل البيت، ووضعت بديلا لذلك قيادة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم. حتى تلخص الموقف بسؤال وخيار محدد: فإما الثلاثة وإما أهل البيت، فاختار الناس الثلاثة، لأن وسائل إعلام الدولة وكل مواردها قد خصصت لإخفاء الشرعية على الواقع التاريخي، ولترجيح كفة أولئك الذين أسسوا النظام التاريخي على كفة أهل البيت!

٤٧ - تحريف وتمييع النصوص الشرعية الواردة في علي
ذكر ابن عساكر في ترجمة علي من تاريخ دمشق مجلد ٢ صفحة ٣١ الحديث ٩٣٤
وابن حجر في صواعقه صفحة ١٢٥ والسيوطي في تاريخ الخلفاء صفحة ١٧٢ عن ابن
عباس أنه قد نزل في علي ثلاثمائة آية من كتاب الله عز وجل. وقال ابن عباس: ما
أنزل الله (يا أيها الذين آمنوا) إلا علي أميرها وشريفها، ولقد عاتب الله أصحاب
محمد في غير مكان وما ذكر عليا إلا بخير. راجع مجلد ٢ صفحة ٤٣٠ الحديث
٩٣٢ من

تاريخ دمشق و صفحة ١٢٥ من الصواعق المحرقة.
وعلى سبيل المثال فقد نزل قوله تعالى في الآية رقم ٧ من سورة الرعد مخاطبا
النبي (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) وبين النبي هذه الآية فقال: (أنا المنذر وعلي
الهاد،

وبك يا علي يهتدي المهتدون). راجع مجلد ٢ صفحة ٤١٧ الحديث ٩١٦ من تاريخ
دمشق لابن عساكر، وراجع صفحة ١٠٧ من الفصول المهمة للصباغ المالكي
وصفحة ٩٩ من ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ومجلد ٥ صفحة ٣٤ من مسند الإمام
أحمد

منتخب الكنز بالهامش.

وما زالت وسائل إعلام الدولة تركز، حتى أولت الآيات النازلة في علي عن
معانيها، وفكت الصلة بين خصوصية هذه الآيات وبين الإمام علي، فالرجل الهادي
بنص القرآن والشاهد التالي بنص القرآن، والوالي بنص القرآن، والصادق بنص القرآن،
والمطهر بنص القرآن، والسابق بنص القرآن، والمؤمن بنص القرآن، والمتقي بنص
القرآن... إلخ. تنتزع منه كل هذه الصفات بالقوة ويؤخذ منه حقه ويهدد مع هذا
بالقتل، ويضطر أن يبكي ويصيح ويلتحق بقبر رسول الله شاكيا باكيا مرددا (يا ابن أم
إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني) وبعد سويعات من وفاة ابن عمه رسول الله
يجمع الحطب لحرق بيته على الزهراء وعلى فرخي رسول الله!!
ثم حرقت النصوص الشرعية التي أعلنها رسول الله والمتعلقة بالولي، فإذا ذكرت

الناس أن رسول الله قد أعلن ولاية علي أمام مائة ألف مسلم وقال له: أنت وليهم من بعدي، وأنت ولي كل مؤمن ومؤمنة من بعدي) وقال لمن حوله (هذا وليكم بعدي، ومن كنت مولاه فهذا علي مولاه) ضاقوا ذرعا بهذه النصوص، ولأنهم أعجز من أن يطمسوها أخذوا يبتدعون التأويلات الفاسدة للنصوص لإخراجها عن معانيها، فقالوا إن الولي يعني الناصر!! والمعين!!

عجبا للذين عطلوا عقولهم كيف تعني كلمة أبي بكر: إني قد وليت عليكم عمر، وكلمة عمر: لو أن أبا عبيدة حيا لوليته، ولو كان خالد حيا لوليته، ولو كان سالم حيا لوليته، لماذا تعني كلمة الولي من عمر وأبي بكر رضي الله عنهما الخليفة، وتعني الكلمة نفسها من رسول الله الناصر والمعين!!!

وعندما تذكر الناس بقول النبي (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) تسارع شيعة الخلفاء بالقول: إن الرسول قصد بأن عليا هو المسؤول عن البيت!!

شلت أيديهم!! فما هي مصلحتهم بتحريف الكلم عن مواضعه!!!

٤٨ - السر في ذلك التحريف

إن الدولة - أي دولة طوال التاريخ - هي التي تملك السيطرة الكاملة على وسائل الإعلام، وإن لكل الخاضعين لسلطان الدولة يضربون على نفس الدف الذي يضرب عليه الحكام، أو يتظاهرون بالضرب على هذا الدف.

والدولة - أي دولة - تسخر كل مواردها لإثبات سلامة منهجها وإقناع الناس بالرضا وبالتفوه بأنها وحدها صاحبة الأهلية بالحكم، وطمس وتحريف كلما يتعارض مع هذه المقولات!

وبما أن دولة التاريخ السياسي قد قامت بالقوة، واستولت على السلطة الشرعية بالقوة والتغلب، وعزلت الإمام الشرعي، وجردته من حقه بالولاية بالقوة، وعزلت أهل البيت الكرام عن دورهم القيادة بالقوة... لذلك فإن القوة المتغلبة وأعوانها وأهل طاعتهم حرصوا على تحريف كل نص يظهر فضل القيادة الشرعية، أو يؤكد

حقها في الحكم، لتثبت القوة المتغلبة لمن حضر وللأجيال اللاحقة أنها وحدها هي صاحبة الحق بالحكم، أو بتعبير أدق لإضفاء الشرعية على حكمها! وجاء اللاحقون فاندھشوا من عظمة أولئك الذين وحدوا الأمة بالقوة، وقهروا أعداءها، فهاموا بهم، واعتبروا أفعالهم سنة واجبة الاتباع، وخلطوا بين القوة المتغلبة وبين الدين نفسه، فالقوة المتغلبة طوال التاريخ والدين وجهان لعملة واحدة، فهم يسمون النظام السياسي في الإسلام نظام الخلافة، فإذا قلت لهم: الخلافة تعني سياسيا خلافة النبي، فإذا كان نظام الخلافة هو نظام الإسلام فما هو النظام الذي طبقه النبي قبل قيام دولة الخلافة؟ بهتوا ولعنوك واتهموك بالرفض أو التشيع أو بهما معا!! وقد يتهموك بالكفر!!!

٤٩ - الغالب هو المبين وهو الولي وهو الإمام
لقد نجحت القوة المتغلبة بابتزاز حق الإمام بالولاية، وعطلته عن بيان ما تختلف فيه الأمة بعد النبي كما أمر النبي، وحالت بينه وبين تطبيق المنظومة الحقوقية الإلهية على الوجه الأمثل، وحرمت البشرية من علمه وهداه وعدله وآرائه، واستولت القوة المتغلبة على السلطة بالقوة!

فكيف دبرت أمرها؟ ومن الذي قادها؟ زعيم الفئة المتغلبة هو الذي يحكم أمة محمد أو يعين لها من يحكمها، فهو وليها بدل النبي، وبدل الولي، وهو خليفة نبيها وهو

إمامها وهو قدوتها، وهو مرجعها الديني، فقد يجلس مقام النبي رجل صالح كأبي، وكعمر، وقد يجلس مقام النبي فاسد كيزيد، والعبرة هو من يغلب، فمن يغلب فهو القائم مقام النبي!!

غلبت بطون قريش فرأست رجالها الثلاثة الأفذاذ. أبا بكر وعمر وعثمان، وغلب معاوية فترأس، وسلم مفاتيح الغلبة لابنه من بعده فترأس، ثم غلب مروان بن الحكم فترأس، وتناقل أولاده مفاتيح الغلبة، فسادوا وترأسوا، ثم غالبهم العباسيون

فغلبوهم، فسادوا، وغالب العباسيين المماليك وأمراء الأقاليم فقطعوا أشلاء ملكهم،
ثم جاء العثمانيون الأعاجم فغلبوا!
وطوال التاريخ والأمة تقدم واجبات الطاعة لمن غلب، وتتلقى الشياطين من
الغالبين، فالغالب مطاع حتى لو خالف الرسول وانتهك الحرمات، وعطل الحدود،
وصادر الحريات.
وقد لا تصدق هذا، فارجع إلى توثيقاتنا السابقة وقرأ كتب الصحاح!!!!
هذا جزاء وفاق للأمة التي بطرت معيشتها، وتخلت عن وليها، ودحرت أهل بيت
نبيها، ثم ادعت أنها عاجزة عن التغيير!! ولله عاقبة الأمور.
**

الفصل التاسع

فك الارتباط بين المنظومة الحقوقية الإلهية وبين أهل البيت

١ - بدء محن أهل البيت الكرام

بشروق نور النبوة بدأت محن آل الكرام، فقد وقف الهاشميون مع محمد في جهة، ووقفت كل بطون قريش في جهة أخرى!

بطون قريش تريد أن تطفي نور الله، وتريد أن تمنع النبي من تبليغ رسالات ربه، وتريد من الهاشميين أن يتخلوا عن محمد، وأن يخلوا بينه وبين البطون حتى تقتله وتريح الناس من شره!

وقف الهاشميون وقفة رجل واحد بقيادة عبد مناف بن عبد المطلب المكنى بأبي طالب، وأعلنوا للبطون أنها إذا مست شعرة واحدة من محمد فسيقاتل الهاشميون حتى يفنون عن بكرة أبيهم، ولن يسلموا محمدا ما دام تحت السماء هاشمي واحد يتنفس!

وأمام الإصرار الهاشمي قررت بطون قريش بالإجماع مقاطعة بني هاشم، وبني المطلب الذين انضموا إليهم، وحصرت البطون الهاشميين ثلاث سنين في شعاب أبي طالب، وقاطعتهم مقاطعة كاملة حتى اضطر الهاشميون أن يأكلوا ورق الشجر من الجوع، ولم يركعوا ولم ينفضوا من حول رسول الله!!

وتداعت المقاطعة وفشل الحصار، وفاز الرسول وفازت رجولة الهاشميين، واشتد المرض بأبي طالب، وأسلم روحه الطاهرة، وماتت زوجة النبي الصادقة، وترك موت أبي طالب فراغا هائلا، فقرر النبي الهجرة إلى يثرب بعد أن أعد للأمر عدته.

علمت بطون قريش بقرار النبي، فاختارت من كل بطن منها رجلا ليضرب
الرجال معا محمدا ضربة رجل واحد، حتى يضيع دمه بين القبائل، ولا يقوى الآل
الكرام على المطالبة بدمه!

وعاش الهاشميون ساعات عصيبة، فانبرى من بين صفوفهم فتى من أجود فتيانهم
وهو علي بن أبي طالب ونام في فراش الرسول ليوهم المتآمريين أن النائم في الفراش هو
محمد فيقتلون عليا بدلا منه لينجو النبي!!

واكتشفت البطون أن النبي قد نجا ونجح بهجرته، ونجى الله الفتى!
وفي رحاب المدينة وضع آل البيت أنفسهم تحت تصرف النبي ليعطون ولا
يأخذون، يقدمون الأرواح بصمت، ولا يتمتعون بأي امتيازات!
يحملون الأحمال الثقيل ولا يشكون، ويعملون لمجد الإسلام ولا يتكلمون!
يحملون لواء النبي في كل موقع، وتتجلى بطولتهم في كل غزوة، وأتحدى كل شيعة
الحكام: متى فر علي؟! ومتى تقاعس عن نصرته النبي!! وأتمنى لو يدلوني على
هاشمي واحد قد فر أو تقاعس عن نصرته النبي غير أبي لهب؟

وأتحدى شيعة الحكام أن يدلوني على رجل واحد من بطون قريش لم يفر!!!
ونصر الله نبيه، فأقام دولته، وأعز دينه، وأتم نعمته وأكمل هذا الدين، وبين الله
كل شيء لعباده، ورتب النبي بأمر من ربه شؤون قيادة الأمة من بعده، وأعلن بآخر
حجة له أن الولي من بعده هو علي.
وقدم قادة القوم التهاني للولي، وأعلن الرسول أنه سيمرض وسيموت في مرضه.
ولخص لهم الموقف قبل مرضه.

٢ - النبي يلخص الموقف

لطالما تلى آية المودة في القربى، وآية التطهير، وآية المباهلة، وآية الاعتصام، وآية
أولي الأمر، وآية أهل الذكر، وآية الإنذار، وآية الولاية، وآية التبليغ، وآية الإكمال،
وآية السلم، وآية المسألة، وآية الحسد، وذكرهم بأن القرآن قد أنزل عليه وأن مهمته

الأساسية هي أن يبين للناس ما نزل إليهم من ربهم، وأنه أعرف الخلق بكتاب الله، وأقدرهم على بيانه، وأنه ميت لا محالة عندما يمرض، وأن من واجبه أن يلقي إليهم القول معذرة، وأنه لا بد من أن يلخص لهم الموقف حتى يتمكنوا من مواجهة عصر ما بعد النبوة، فالفتن تتربص وتنتظر موته، والمنافقون الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر والفسوق والعصيان ينتظرون موته لينصبوا أحبايلهم وضعاف الإيمان بحاجة لمن يأخذ بأيديهم ويعمق إيمانهم، وأمم من العائلة البشرية ستدخل في دين الله وهي بحاجة إلى أناس موثقين يعلمونها دينها الحقيقي ويبينون لها القرآن بالصورة التي بينها النبي. وهنالك أناس طامعون بالسلطة وينتظرون مرضه حتى ينقضوا على السلطة ويأخذوها بالقوة.

وسط هذه المطاعم والأهوال لا بد من تحديد جهة تكون الفارق بين الحق والباطل، وبين الضلالة والهدى، فلخص النبي الموقف معذرة لأُمَّته.

٣ - التأمين ضد الضلالة والانحراف

احتياطاً من الأخطار الفاعرة أفواها، والتي أشرنا إلى موجات منها، أعلن النبي بأمر من ربه، لأنه لا ينطق عن الهوى، ولأنه يتبع ما يوحى إليه، أعلن بأن الأمة إذا أرادت حقاً أن تبقى ضمن إطار الشرعية وضمن دائرة الهدى، فما عليها إلا أن تتمسك بثقلين: الثقل الأول: هو كتاب الله فيه الهدى والنور. والثقل الثاني: هو أهل بيت نبي الله عترته.

وإذا كانت الأمة جادة بكراهيتها للضلالة والانحراف، فلا شئ في الدنيا يقيها من الضلالة والانحراف إلا الثقلان: كتاب الله وعترته نبيه أهل بيته.

وزيادة في التأكيد قال النبي: إن الله تعالى قد أخبره بأن الاثنين لا يفترقان حتى يوم القيامة!

هكذا لخص النبي الموقف لأُمَّته بعد أن أعلن ولاية علي بوصفه عميد أهل البيت العترة الطاهرة، وبوصفه المعد إليها لقيادة عصر ما بعد النبوة.

٤ - صيغ النصوص الشرعية التي لخص بها النبي
الموقف والمتعلقة بحديث الثقلين

الصيغة الأولى لحديث الثقلين قول الرسول (يا أيها الناس إني تركت فيكم ما
إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي). راجع على سبيل المثال صحيح الترمذي
مجلد ٥ صفحة ٣٢٨ الحديث ٣٨٧٤ وكنز العمال صفحة ١٥٣ وتفسير ابن كثير
مجلد ٤

صفحة ١١٣ والمعجم الكبير للطبراني صفحة ١٣٧، وإحياء الميت للسيوطي بهامش
الإتحاف صفحة ١١٤ والفتح الكبير للنبهاني مجلد ١ صفحة ٥٠٣
الصيغة الثانية قول الرسول (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي،
أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل
بيتي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما). راجع على
سبيل المثال صحيح الترمذي مجلد ٥ صفحة ٣٢٩، والمعجم الصغير للطبراني مجلد
١

صفحة ١٣٥ وأسد الغابة لابن الأثير مجلد ٢ صفحة ١٢ وتفسير ابن كثير مجلد ٤
صفحة ١١٣ وكنز العمال مجلد ١ صفحة ١٥٤...

الصيغة الثالثة قول الرسول (إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله جبل ممدود ما
بين السماء والأرض أو ما بين السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا
حتى يردا علي الحوض). راجع على سبيل المثال الدر المنثور للسيوطي مجلد ٢
صفحة ٦٠

ومجمع الزوائد للهيثمي مجلد ٩ صفحة ١٦٢

الصيغة الرابعة قول الرسول (إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وأهل بيتي وإنهما
لن يفترقا حتى يردا علي الحوض). راجع على سبيل المثال مناقب علي ابن أبي طالب
لابن المغازلي الشافعي صفحة ٢٣٤ الحديث ٢٨١ والمناقب للخوارزمي الحنفي.
الصيغة الخامسة قول الرسول (إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني تارك فيكم
الثقلين كتاب الله وعترتي....). راجع على سبيل المثال كنز العمال مجلد ١

صفحة ١٦٥ الحديث ٩٤٥ والمعجم الصغير للطبراني مجلد ١ صفحة ١٣١ والسيرة النبوية لزيني دحلان بهامش السيرة الحلبية مجلد ٣ صفحة ٣٣١ وإحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف صفحة ١١١ والطبقات الكبرى لابن سعد مجلد ٢ صفحة ١٩٤، وجامع الأحوال لابن الأثير مجلد ٢ صفحة ١٨٧...
الصيغة السادسة قال الرسول (كأنني دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله وعترتي....). راجع على سبيل المثال خصائص أمير المؤمنين للنسائي صفحة ٢١ والمناقب للخوارزمي الحنفي صفحة ٩٣ والصواعق المحرقة لابن حجر صفحة ١٣٦ وكنز العمال مجلد ١ صفحة ١٦٧ و ٩٥٤

ومجلد ١٥ صفحة ٩١...

الصيغة السابعة قول الرسول لأصحابه (ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا بلى يا رسول الله قال فياني سائلكم عن اثنين: القرآن وعترتي). راجع على سبيل المثال مجمع الزوائد للهيثمي مجلد ٥ صفحة ١٩٥ وأسد الغابة لابن الأثير مجلد ٣ صفحة ١٤٧، وإحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف صفحة ١١٥

الصيغة الثامنة قول الرسول (أيها الناس يوشك أن أقبض قبضا سريعا فينطلق بي، وقد قدمت إليكم القبول معذرة إليكم، ألا إني مخلف فيكم كتاب الله (ربي خ. ل) عز وجل، وعترتي أهل بيتي، ثم أخذ بيد علي فرفعها فقال: علي مع القرآن والقرآن مع علي، لا يفترقان حتى يرثي علي الحوض...). راجع على سبيل المثال الصواعق لابن حجر صفحة ١٢٤ وينايع المودة للقندوزي الحنفي صفحة ٢٨٥

٥ - حديث الثقلين بالتلقين

بمعنى أن الهداية لا تدرك إلا باثنين معا:

١ - القرآن

٢ - أهل بيت النبي وعترته.

وأن الضلالة والانحراف لا يمكن تجنبها إلا بالاثنين معا: القرآن وعترة النبي أهل بيته، مما يفيد أن بين الاثنين رابطة عضوية وأنهما لن يفترقا إلى يوم القيامة، فالقرآن كلام الله المنزل والعترة أهل البيت هم الجهة المعنية شرعا لبيان هذا القرآن بيانا قائما على الجزم واليقين.

٦ - رواة هذا الحديث من الصحابة الكرام

روى هذا الحديث ٣٥ صحابيا وصحابة، وهو جمع يمتنع عقلا اجتماعهم على الكذب، وهم الولي علي ابن أبي طالب، والولي من بعده الحسن بن علي، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، وابن عباس، وأبو سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأبو الهيثم بن التيهان، وابن رافع، وحذيفة بن اليمان، وحذيفة بن أسيد الغفاري، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وزيد بن أرقم، وأبو هريرة، وعبد الله بن حنطب، وجبير بن مطعم، والبراء بن عازب، وأنس بن مالك، وطلحة بن عبد الله التيمي، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعمرو بن العاص، وسهل بن سعد الأنصاري، وعدي بن حاتم، وأبو أيوب الأنصاري، وأبو شريح الخزاعي، وعقبة بن عامر، وأبو قدامة الأنصاري، وأبو ليل الأنصاري، وضميرة الأسلمي، وعامر بن ليل بن ضميرة.

ومن النساء: فاطمة الزهراء، وأم سلمة، وأم هاني أخت الولي علي. راجع

رواياتهم في عبقات الأنوار حديث الثقلين مجلد ١

٧ - النص الحرفي لصيغة زيد بن أرقم التاسعة

قام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوما فينا خطيبا بماء يدعى خميا بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى

عليه، ووعظ وذكر، ثم قال:

(أما بعد ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم الثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا

به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي،
أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي!!
راجع على سبيل المثال: صحيح مسلم - كتاب الفضائل - باب فضائل علي ابن
أبي طالب مجلد ٢ صفحة ٣٦٢، وراجع صحيح مسلم بشرح النووي مجلد ١٥
صفحة

١٧٩ - ١٨٠، وراجع السيرة الحلبية الهامش مجلد ٢ صفحة ٣٣٠، وراجع الفتح
الكبير

للنبهاني مجلد ١ صفحة ٢٥٢

٨ - الصيغة العاشرة برواية زيد بن أرقم
قال قال رسول الله (ألا وإني تارك فيكم ثقلين، أحدهما كتاب الله عز وجل، إلى أن
قال الراوي عن زيد فقلنا: من أهل بيته، نساؤه؟ قال: لا وأيم الله، إن المرأة تكون
مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها...)
على سبيل المثال راجع صحيح مسلم - كتاب فضائل علي مجلد ٢ صفحة ٣٦٢
وصحيح مسلم بشرح النووي مجلد ١٥ صفحة ١٨١ والصواعق المحرقة صفحة ١٤٨
لابن حجر.

٩ - روافد حديث الثقلين

حملا على ذات المعنى وتوضيحا له، وتعميما لآثاره، نطق رسول الله (صلى الله عليه
وآله) من

الأحكام الشرعية، لتستوعب الأمة وتعرف المقصود:
الصيغة الأولى لرفد حديث الثقلين قول الرسول عن أهل البيت (فلا تقدموهما
فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم). راجع
على سبيل المثال الصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي صفحة ١٤٨ ومجمع الزوائد
مجلد ٩ صفحة ١٦٣، وكنز العمال مجلد ١ صفحة ١٦٨ الحديث ٩٥٨ والدر
المنثور

للسيوطي مجلد ٢ صفحة ٦٠

الصيغة الثانية قول الرسول (ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من قومه، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق). راجع على سبيل المثال تلخيص المستدرک للذهبي، والصواعق المحرقة لابن حجر صفحة ١٨٤ و ٢٣٤ وتاريخ الخلفاء للسيوطي.

الصيغة الثالثة قول الرسول (إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل، من دخله غفر له). راجع على سبيل المثال الصواعق المحرقة لابن حجر صفحة ٩١ ومجمع الزوائد للهيثمى الشافعي مجلد ٩ صفحة ١٦٨ والمعجم الصغير للطبراني مجلد ٢ صفحة ٢٢ وإحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف صفحة ١١٣، وراجع حلية الأولياء مجلد ٤ صفحة ٣٠٦ والجامع الصغير للسيوطي مجلد ٢ صفحة ١٣٢

ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد مجلد ٥ صفحة ٩٢، ومقتل الحسين للخوارزمي الحنفي مجلد ١ صفحة ١٠٤

الصيغة الرابعة قول الرسول (النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من قبائل العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس). راجع على سبيل المثال الصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي صفحة ٩١ و ١٤٠ وإحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف صفحة ١١٤، ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد مجلد ٥ صفحة ٩٣ وينايع المودة للقندوزي الحنفي صفحة ٢٩٨ الصيغة الخامسة قول الرسول (النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأمتي). راجع على سبيل المثال الجامع الصغير للسيوطي مجلد ٢ صفحة ١٦١ ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد مجلد ٥ صفحة ٩٢ والصواعق المحرقة لابن حجر صفحة ١٨٥

و ٢٣٣، وذخائر العقبي للطبري صفحة ١٧
الصيغة السادسة قيل لرسول الله (صلى الله عليه وسلم): ما بقاء الناس بعدهم؟ (أي بعد أهل البيت)
فقال: بقاء الحمار إذا كسر صلبه!). راجع الصواعق المحرقة لابن حجر صفحة ١٥١

الصيغة السابعة خطب الرسول (صلى الله عليه وسلم) فقال (أيها الناس: إن الفضل والشرف والمنزلة لرسول الله وذريته، فلا تذهبن بكم الأباطيل!). راجع على سبيل المثال الصواعق المحرقة لابن حجر صفحة ١٧٤ وينايع المودة للقندوزي الحنفي صفحة ١٦٩، ونظم درر

السمطين للزرندي الحنفي صفحة ٢٠٧ - ٢٠٨
الصيغة الثامنة قول الرسول (في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي يتقون عن هذا الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين. ألا وإن أئمتكم وفدكم إلى الله، فانظروا من توفدون!). راجع على سبيل المثال الصواعق المحرقة لابن حجر صفحة ١٤٨ وينايع المودة للقندوزي الحنفي صفحة ٢٢٦ و ٣٢٦ - ٣٢٧

وذخائر العقبي للطبري الشافعي.
الصيغة التاسعة (واجعلوا أهل بيتي منكم مكان الرأس من الجسد، ومكان العينين من الرأس، ولا يهتدي الرأس إلا بالعينين). راجع على سبيل المثال مجمع الزوائد للهيثمى الشافعي مجلد ٩ صفحة ١٧٢ والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي صفحة ٨، وإسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار صفحة ١١٠
الصيغة العاشرة قول الرسول (إلزموا مودتنا أهل البيت، فإنه من لقي الله وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده لا ينفع عبد عمله إلا بمعرفة حقنا!). راجع على سبيل المثال إحياء الميت للسيوطي بهامش الإتحاف صفحة ١١١ والصواعق المحرقة لابن حجر صفحة ١٣٨ ومجمع الزوائد مجلد ٩ صفحة ١٧٢
١٠ - صيغة عملية لرفد حديث الثقلين

يقول الشافعي
يا أهل بيت رسول الله حِكْمٌ * فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفخر أنكم * من لم يصل عليكم لا صلاة له

راجع على سبيل المثال الصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي صفحة ١٤٦ وينايع
المودة للقدوزي الحنفي صفحة ٣٥٤ والسيرة الحلبية مجلد ٣ صفحة ٣٣٢ الهامش

السيرة الدحلانية.

١١ - تظافر النصوص الشرعية النبوية مع النصوص الشرعية القرآنية
كقوله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) هذه
الآية نزلت في خمسة وهم: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين. راجع على سبيل
المثال صحيح مسلم - كتاب فضائل أهل البيت مجلد ٢ صفحة ٣٦٨ وصحيح مسلم
بشرح النووي مجلد ١٥ صفحة ١٩٤ وصحيح الترمذي مجلد ٥ صفحة ٣٠ الحديث
٣٢٥٨ والمستدرک على الصحيحين للحاكم مجلد ٣ صفحة ١٣٣ و ١٤٦ و ١٤٧
ومجلد ٢
صفحة ٤١٦ من تلخيص المستدرک للذهبي، والمعجم الصغير للطبراني مجلد ١ صفحة
٦٥ و ١٣٥ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي صفحة ٤ ومجلد ١ صفحة ١٨٥ من
تاريخ

دمشق لابن عساكر ومجلد ٣ صفحة ٢٥٩ و ٢٨٥ من مسند أحمد.
وكقوله تعالى (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى). راجع على سبيل
المثال شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي مجلد ٢ صفحة ١٣٠ والصواعق
المحرقة

لابن حجر صفحة ١٠١ و ١٣٥ و ١٣٦ وتفسير الطبري مجلد ٢٥ صفحة ٢٥
والمستدرک
للحاكم مجلد ٣ صفحة ١٧٢ وتفسير الزمخشري مجلد ٣ صفحة ٤٠٢ وحلية
الأولياء

مجلد ٣ صفحة ٢٠١

وكقوله تعالى (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم
ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) أجمعت الأمة الإسلامية على أن الآية نزلت في
النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين. على سبيل المثال راجع صحيح مسلم - كتاب
الفضائل مجلد ٢ صفحة ٣٦٠ وبشرح النووي مجلد ١٥ صفحة ١٧٦ وصحيح
الترمذي

مجلد ٤ صفحة ٢٩٣ وشواهد التنزيل للحاكم مجلد ١ صفحة ١٢٠ - ١٢٩
والمستدرک

على الصحيحين للحاكم مجلد ٣ صفحة ١٥٠، وتلخيص المستدرک للذهبي بهامش المستدرک، مسند أحمد مجلد ١ صفحة ١٨٥ وتاريخ دمشق لابن عساکر مجلد ١ صفحة ٢١ فضلا عن مئات التفاسير...

و كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين). أي مع علي وحزبه. راجع على سبيل المثال شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي مجلد ١ صفحة ٢٥٩ و ٣٥٠ - ٣٥٦ وتاريخ دمشق لابن عساکر مجلد ٢ صفحة ٤٢١ الحديث

٩٢٣، وروح المعاني للآلوسي، والصواعق المحرقة لابن حجر صفحة ١٥٠ و كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم). راجع على سبيل المثال شواهد التنزيل للحاكم الحنفي مجلد ١ صفحة ١٤٨ وتفسير الرازي مجلد ٣ صفحة ٣٥٧

و كقوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) وهذه الآية نزلت في أهل البيت أيضا. راجع على سبيل المثال شواهد التنزيل مجلد ١ صفحة ٣٣٤ الحديث ٤٥٩

- ٤٦٦ وتفسير القرطبي مجلد ١١ صفحة ٢٧٢ وتفسير الطبري مجلد ١٤ صفحة ١٠٩

وتفسير ابن كثير مجلد ٢ صفحة ٥٧٠ وروح المعاني للآلوسي مجلد ١٤ صفحة ١٣٤

و كقوله تعالى (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) فمحمد هو المنذر وعلي هو الهاد. راجع على سبيل المثال تفسير الفخر الرازي مجلد ٥ صفحة ٢٧١ وتاريخ دمشق لابن عساکر

مجلد ٢ صفحة ٤١٥، والدر المنثور للسيوطي صفحة ٤ صفحة ٤٥ والمستدرک للحاكم

مجلد ٣ صفحة ١٢٩ - ١٣٠ وزاد المسير لابن الجوزي الحنبلي مجلد ٤ صفحة ٣٠٧
* *

الفصل العاشر

رد فعل القوة المتغلبة

١ - صعقت القوة المتغلبة

صعقت القوة المتغلبة التي جمعت القوة وأعدت العدة للخروج على الشرعية وللاستيلاء على السلطة بالقوة بعد وفاة النبي، ذهلت من هذا التكامل والترابط المتين بين النص الشرعي القرآني والنص الشرعي النبوي، وذهلت من قدرة النبي على توضيح مقاصده، والحمل على معانيه بحيث يفهمها العامة والخاصة، وفكرت بطريقة تخرج فيها النبي تماما عن التأثير على مسرح الحدث السياسي، فإذا أخرجته فإنها تحرم على عامة الناس أن يفهموا الحقائق الشرعية، وتفرق بين النبي وبين القرآن، فتحول بين الناس وبين معرفة بيان النبي لهذا القرآن، ثم تتولى هذه القوة المتغلبة بعد ذلك بيان القرآن الكريم بالصورة التي تخدم مطامعها ومصالحها، ويهون عليها بعد ذلك

تجريد الولي من سلطانه والانفراد به، وطرد أهل البيت الكرام عن مكانتهم وسمعتهم، وجعلهم سوقة أذلة بحيث يتحكم بهم الدليل، بعد ابتزاز كافة حقوقهم وطردهم من مكانتهم والحلول محلهم بالقوة.

خطة القوة المتغلبة لتحقيق مقاصدها تمهيدا لسحق أهل البيت

٢ - التشكيك بشخصية الرسول وقدرته وحصر قدراته

قالت القوة المتغلبة إن رسول الله قد بلغ الناس القرآن كما أوحى إليه من ربه حقيقة، وانتهى دوره، وما عدا ذلك فكل ما يصدر عن الرسول هو موضع بحث، لأن

الرسول يتكلم بالغضب والرضا فهو بشر وبالتالي لا ينبغي أن يحمل كل كلامه على محمل الجد!!

والناس بحاجة لمعرفة ما قاله الرسول بغضبه، وما قاله برضاه، ولا أحد يعرف ذلك إلا القوة المتغلبة والطامعة بالسلطة. راجع سنن الدارمي مجلد ١ صفحة ١٢٥ باب

من رخص في الكتابة من المقدمة، وسنن أبي داود مجلد ٢ صفحة ١٢٦ باب كتابة العلم،

ومسند أحمد مجلد ٢ صفحة ١٦٢ و ٢٠٧ و ٢١٦ ومستدرك الحاكم مجلد ١ صفحة ١٠٥ - ١٠٦ وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر مجلد ١ صفحة ٨٥ وقرأ حديث عبد الله بن عمرو، وتساءل معي من هي قریش!!!

وكيف تحمل كل أقوال النبي برأي القوة المتغلبة على محمل الجد وهو الرجل الذي كان يغضب فيلعن ويسب ويشتم من لا يستحقها.... راجع بربك صحيح بخاري - كتاب الدعوات - باب قول النبي من آذيته، وصحيح مسلم - كتاب البر والصلة - باب من لعنه النبي.

وهو النبي الذي رفع عائشة على منكبه لتنظر إلى الحبشة الذين كانوا يلعبون في المسجد فاضطر عمر بن الخطاب أن ينهرهم. راجع صحيح مسلم كتاب صلاة العيدين الحديث ١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢

والشياطين من الجن والإنس كانوا يلهون وفي جلسة مع رسول الله، فعندما جاء عمر بن الخطاب فروا عندما رأوا عمر، ومن قبل كانوا آمنين ويلهون!!! فمعنى ذلك أن لعمر هيبة ورهبة وأهمية عند شياطين الجن والإنس أكثر من النبي! راجع سنن الترمذي - أبواب المناقب، باب مناقب عمر!

بل والأهم من ذلك أن بخاري ومسلم قد روي في الصحيح عن عائشة أن الرسول سمع رجلا يقرأ في المسجد فقال: رحمه الله أذكرني كذا وكذا آية أسقطتها من سورة كذا!!! راجع صحيح بخاري - باب قول الرسول: صل عليهم، وكتاب الشهادات - باب شهادة الأعمى ونكاحه، وصحيح مسلم - كتاب فضائل القرآن - باب الأمر بتعهد القرآن.

تذرعت القوة المتغلبة بكل هذه الأسباب وأمثالها من مختلفاتها وأعلنت أن من مصلحة الإسلام الاعتماد على القرآن وحده، وإهمال كل ما قاله الرسول، لأن أقوال الرسول تؤدي إلى الاختلاف، وهي صادرة في الغضب والرضا، ثم إن القرآن وحده يكفي ولا حاجة لأي شيء آخر سواء أكان نبيا أو غيره.

ثم إن القوة المتغلبة - التي أخذ الله بيدها حتى غلبت هي التي تفسر القرآن وتبينه لمصلحة المسلمين، وهي أدري بمصلحة المسلمين من أي شخص كان، وهي أقدر على

فهم عواقب الأمور من أي شخص كان!!

٣ - الشروع بالتنفيذ

القوة المتغلبة تعلم كما يعلم غيرها بأن الرسول سيموت في مرضه هذا، فأرادت هذه الفئة أن تحيط الرسول علما بأن مقاصدها ستتحقق، وأن السلطة ستنتقل إلى يد أمينة وحريصة على مصلحة الإسلام، وأنها بصدد إجراء ترتيبات ملائمة، وأن الأمر لن يكون كصلح الحديبية أبدا، فأعوان القوة المتغلبة يمكنهم الوصول إلى أي مكان بما فيه حجرة النبي!

قال النبي: قربوا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا فتصدى له عمر بن الخطاب قائلا (حسبنا كتاب الله) أي لا حاجة لنا بكتابك، لأن عندنا القرآن ولا نحتاج لأي شيء، سواء منك أو من غيرك.

وما أن أتم عمر كلامه حتى ردد حزبه وبصوت واحد: القول ما قاله عمر، تعجب النبي والأشخاص المتواجدين من غير حزب عمر، فقالوا: قربوا يكتب لكم رسول الله!

فقال حزب عمر: إن الرسول يهجر، القول ما قاله عمر!!! وقال عمر إن الرسول يهجر، أكرر (حسبنا كتاب الله)!!!

صدم النبي وقال لمن حوله: قوموا عني ما أنا فيه خير مما تدعونني إليه!

لتأكد من صحة ذلك. راجع على سبيل المثال صحيح بخاري - باب قول المريض:
قوموا عني صفحة ٩ مجلد ٧ وصحيح مسلم - آخر كتاب الوصية مجلد ٥ صفحة
٧٥

وبشرح النووي مجلد ١١ صفحة ٩٥ ومسند أحمد مجلد ٤ صفحة ٣٥٦ الحديث
٢٩٩٢

بسند صحيح، وراجع صحيح بخاري - كتاب الجهاد والسير - باب جوائز الوفد
مجلد ٤

صفحة ٣١ وصحيح مسلم - باب ترك الوصية لمن ليس عنده شيء مجلد ٢ صفحة ١٦
ومجلد ٥ صفحة ٧٥ ومجلد ١١ صفحة ٨٩ - ٩٥ بشرح النووي ومسند أحمد
مجلد ١

صفحة ٢٢٢ ومجلد ٣ صفحة ٢٨٦ بسند صحيح ومجلد ٥ صفحة ٤٥ ومجلد ١
صفحة ٣٥٥ وتاريخ الطبري مجلد ٣ صفحة ١٩٣ والكامل لابن الأثير مجلد ٢
صفحة ٣٢٠ وصحيح بخاري - كتاب العلم - باب كتابة العلم مجلد ١ صفحة ٣٧
وصحيح مسلم مجلد ١ صفحة ٢٨ وصحيح بخاري - كتاب النبي إلى كسرى وقيصر
-

باب مرض النبي، وتاريخ الطبري مجلد ٣ صفحة ١٩٢ - ١٩٣ وكتاب الجزية - باب
إخراج اليهود من جزيرة العرب من صحيح بخاري، وصحيح بخاري - كتاب
الإعتصام

بالكتاب والسنة مجلد ٨ صفحة ١٦١ باب كراهية الخلاف.

وراجع قول عمر للرسول إنك تهجر، في كتاب تذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي
الحنفي صفحة ٦٢ و صفحة ٣٦، وراجع سر العالمين، وكشف ما في الدارين لأبي
حامد

الغزالي صفحة ٢١

وراجع رد الرسول على عمر لما كلم النسوة، في الطبقات الكبرى لابن سعد مجلد ٢
صفحة ٢٤٣ - ٢٤٤، وراجع اعتراف عمر بأنه صد النبي عن كتاب الكتاب حتى لا
يجعل الأمر لعلي، في شرح النهج مجلد ٣ صفحة ١١٤ سطر ٢٧ مطبعة مصر ١
ومجلد ١٢

صفحة ٧٩ سطر ٣ بتحقيق محمد أبي الفضل ومجلد ٣ صفحة ٨٠٣ مكتبة الحياة
ومجلد ٣

صفحة ١٦٧ دار الفكر!!

فبأي حديث بعده تؤمنون!!!

٤ - الخطوة الثانية

بعد نجاح القوة المتغلبة واستيلائها على السلطة جمع أبو بكر (رضي الله عنه) الناس بعد وفاة

نبيهم فقال: إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافًا، فلا تحدثوا عن رسول الله! شيئًا! فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه!! راجع على سبيل المثال تذكرة الحفاظ للذهبي مجلد ١

صفحة ٢ - ٣ وهكذا أصبح شعار (حسبنا كتاب الله) والاستغناء عن رسول الله قرارا رسميا تتبناه الدولة!!

٥ - وزيادة في الاحتياط قررت السلطة جمع أحاديث الرسول المكتوبة وحرقتها قالت عائشة: جمع أبي الحديث عن رسول الله فكانت خمسمائة حديث، فبات يتقلب! فلما أصبح قال أبو بكر (رضي الله عنه): أي بنية هلمي بالأحاديث التي عندك فحجته بها

فأحرقها!! راجع كنز العمال مجلد ٥ صفحة ٢١٧ والبداية والنهاية، وراجع تذكرة الحفاظ للذهبي مجلد ١ صفحة ٥

قال ابن سعد في طبقاته مجلد ٥ صفحة ١٤٠ بترجمة محمد بن أبي بكر إن الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب، فأنشد الناس أن يأتوه بها، وظن الناس أنه سيجمعها!! فلما أتوه بها أمر بتحريقها!!!

ثم قررت السلطة مرة ثانية في عهد عمر (رضي الله عنه) أن تمنع كتابة ورواية أحاديث رسول الله!!! راجع تذكرة الحفاظ مجلد ١ صفحة ٤ - ٥، وراجع بيان العلم وفضله لابن عبد البر - باب ذكر ذم الإكثار مجلد ٢ صفحة ١٤٧، وراجع كنز العمال مجلد ٥ صفحة ٢٣٩ ومنتخب الكنز مجلد ٤ صفحة ٦٤، وراجع تذكرة الحفاظ مجلد ١ صفحة ٧ ترجمة عمر.

وجاء عهد عثمان فصعد المنبر وأعلن أنه لا يحل لأحد أن يروي حديثا لم يسمع به في عهد أبي بكر ولا في عهد عمر!!! راجع منتخب الكنز بهامش مسند أحمد.

ولم يرفع قرار الحظر عن كتابة ورواية أحاديث الرسول إلا في عهد عمر بن عبد العزيز!!!

٦ - عندما كتب الحديث رسميا

لما سمحت الدولة بكتابة سنة رسول الله كانت السلطة المتغلبة قد كونت سنة جديدة دأب الناس عليها ٩٥ عاما، فوقفت سنة السلطة جنبا إلى جنب مع سنة الرسول التي دأب الناس عليها ٢٣ سنة ثم حرمت!!

٧ - بهذا المناخ انفردت السلطة بأهل بيت النبوة

لم يعد بوسع أحد أن يذكر بحديث الثقلين، فالقوة المتغلبة له بالمرصاد، ولم يكن بوسع أحد أن يذكر بروافد حديث الثقلين، فالقوة المتغلبة حزمت أمرها، وانحاز الناس إلى جانبها، لأنها المالكة الفعلية للأعمال والأرزاق والحاضر والمستقبل! كل هذا سهل على القوة المتغلبة أن تنفرد بالولي فتبتزه حقه على حد تعبير معاوية، وتنكل به وتهدهه بالقتل، ثم تعمم نقيمتها على أهل بيت النبوة لتجبرهم على الانفضاض من حول الولي، وعلى التخلي عن مكانتهم الشرعية والسكوت على القوة المتغلبة التي حلت بالقوة محلهم!

٨ - لا مجال للتذكير بتلخيص النبي للموقف

قبضت السلطة المتغلبة على مقاليد الأمور، وشككت بشخصية النبي وقوله وفعله إلا في ما ينفعها، ثم استولت على السلطة وأقفلت آذانها أمام أي محاولة لتذكيرها بحق الولي أو بمكانة أهل البيت، أو بتلخيص النبي للموقف، وأصبحت الكلمة العليا للأعوان والقوة التي تم إعدادها وتجميعها وتجهيزها للخروج من الشرعية إلى الاجتهاد، ومن النص إلى الرأي الشخصي لقادة القوة المتغلبة.

- ٩ - الانفراد بالولي وبأهل بيته وبالهاشميين
الولي احتج بحقه، والقراة الطاهرة احتجت بمكانتها، فأغضبوا القوة المتغلبة
واضطروها أن تهددهم بحرق البيت الذي يسكنونه، حتى لا يبقى هنالك شئ اسمه
أهل البيت فيزعجوا أي سلطة جديدة. راجع على سبيل المثال الإمامة والسياسة
لابن قتيبة مجلد ١ صفحة ١٢ والعقد الفريد لابن عبد ربه مجلد ٤ صفحة ٢٥٩ و
٢٦٠،
وراجع شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد مجلد ١ صفحة ١٣٤ ومجلد ٢
صفحة ١٩ مطبعة مصر ومجلد ٦ صفحة ٤٨ تحقيق أبي الفضل ومجلد ١ صفحة
١٥٧
دار الفكر، وراجع هامش الفصل لابن حزم مجلد ١ صفحة ٧٣، وراجع بحار الأنوار
مجلد ٢٨ صفحة ٣٣٨ و ٣٣٩، وراجع الغدير للأميني مجلد ٧ صفحة ٧٧، وراجع
أنساب
الأشراف مجلد ١ صفحة ٢٨٦ للبلاذري، وتاريخ ابن شحنة صفحة ١٦٤ بهامش
الكامل
مجلد ٧، وراجع تاريخ أبي الفداء مجلد ١ صفحة ١٥٦ وأعلام النساء مجلد ٣ صفحة
١٢٠٧
١٠ - عقوبات إضافية إكراما لحديث الثقلين
لأن القوة المتغلبة والتي استولت على السلطة بالقوة تفهم حديث الثقلين وتقدر
صاحبه، ولأنه الولي لم يسلم لها بابتزازها لحقه، ولأن الآل الكرام لم يدخلوا في طاعة
القوة الغالبة، ولأن التهديد بقتل علي لم يثنه عن المطالبة بحقه، والتهديد بحرق البيت
على فاطمة وعلي والحسن والحسين لم يوقف معارضتهم... فلذلك قررت القوة
المتغلبة حقنا لدماء أهل البيت الكرام أن تتخذ ثلاث قرارات اقتصادية بحق أهل بيت
محمد خاصة والهاشميين عامة، وقدرت أن هذه القرارات هي وحدها التي تجبر الآل
الكرام على التسليم.
١١ - مضمون القرارات العنيدة
١ - حرمان أهل البيت من تركة الرسول حرمانا كاملا وإعطائهم حذاء الرسول
وآله ودابته فقط.

٢ - حرمان أهل البيت من المنح التي منحها الرسول لهم أثناء حياته، ومصادرة هذه المنح فوراً.

٣ - حرمان آل محمد من ١ / ٥ الخمس الوارد في آية الأنفال والمخصص لهم، ووقفه فوراً.

٤ - تلتطف القوة الغالبة فتقدم الطعام والمأكل وحده لآل محمد!

١٢ - وقت غضب القوة المتغلبة على أهل البيت الكرام

صببت القوة المتغلبة جام غضبها على أهل بيت محمد فهددت علياً بالقتل، وجمعت الحطب لتحرق البيت على علي وفاطمة والحسن والحسين وأصدرت قرارها بمصادرة تركة النبي وحرمان أهل البيت منها، ومصادرة المنح التي أعطها الرسول لهم أثناء حياته، وحرمان آل محمد من حقهم في ١ / ٥ الخمس كل هذه الإجراءات تمت خلال

الثلاثة أيام التي تلت انتقال الرسول إلى جوار ربه!!

لست أدري هل هي عادة العرب بمواساة أهل الفقيه، أم هو أسلوب القوة المتغلبة!! ربما يتصور القارئ أن هذا إلغاء للكلام على عواهنه، لقد وثقت كل كلمة قلتها في البحوث السابقة، فرجاء الاطلاع على المراجع التي ثبتها عن بحثي لهذا الموضوع خلال

المواضيع السابقة.

١٣ - الإمام علي يشكو بثه وحزنه إلى الله ويبرر موقفه السلمي

قال الإمام علي (فإنه لما قبض الله نبيه (صلى الله عليه وآله) قلنا نحن أهله وورثته وعترته وأولياؤه

من دون الناس، لا ينازعنا سلطانه أحد، ولا يطمع في حقنا طامع، إذ انبرى لنا قومنا، فغصبونا سلطان نبينا، فصار الأمر لغيرنا، وصرنا سوقة، يطمع فينا الضعيف، ويتعزز علينا الدليل، فبكت الأعين منا لذلك وخشيت الصدور، وجزعت النفوس.

وأيم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين، وأن يعود الكفر ويور الدين، لكنا على غير ما كنا عليه! راجع المجلد الأول صفحة ٢٤٨ - ٢٤٩ تحقيق حسن تميم.

وبث علي أحزانه، واشتكى واحتج، وقد أشرنا إلى ذلك في البحوث السابقة، واحتجت الزهراء، واحتج السبطان.

١٤ - أبو جعفر محمد بن علي الباقر يشكو حزنه وبثه إلى الله ما لقينا من ظلم قريش إيانا، وتظاهرهم علينا، وما لقي شيعتنا ومحبونا من الناس، إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبض، وقد أخبر أننا أولى الناس بالناس، فتمالأت علينا قريش حتى

أخرجت الأمر من معدنه، واحتجت على الأنصار بحجتنا، ثم تداولتها قريش، واحدا بعد واحد حتى رجعت إلينا، فنكثت بيعتنا، ونصبت الحرب لنا، ولم يزل صاحب الأمر في صعود كؤود حتى قتل، فبويع الحسن ابنه، وعوهد ثم غدر به وأسلم، ووثب عليه أهل العراق حتى طعن بخنجر في جنبه، ونهبت عسكره، وعولجت خلاخيل أمهات أولاده، فوادع معاوية وحقق دماء أهل بيته وهم قليل جد قليل. ثم بايع الحسين من أهل العراق عشرون ألفا ثم غدروا به، وخرجوا عليه، وبيعته في أعناقهم!

ثم لم نزل أهل البيت نستذل ونستظام، ونقصى ونمتهن، ونحرم، ونقتل ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا!

ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعا يتقربون به إلى أوليائهم وقضاة السوء وعمال السوء في كل بلد، فحدثوا بالأحاديث الموضوعة المكذوبة وزوروا علينا ما لم نقله لبيغضونا إلى الناس!

وكان عظم ذلك وكبره في زمن معاوية بعد موت الحسن فقتلت شيعتنا في كل بلد، وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة، وكان من يذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن، أو نهب ماله أو هدمت داره!

ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد إلى زمان عبید الله بن زياد قاتل الحسين. ثم جاء الحجاج، فقتلهم كل قتلة، وأخذهم بكل ظنة وتهمة، حتى أن الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقال شيعة علي... مجلد ٣ صفحة ٥٩٥ من شرح النهج تحقيق حسن تميم.

- ١٥ - معاوية يرعى حديث الثقلين وروافده
روى المدائني في كتابه الأحداث أن معاوية:
- ١ - كتب نسخة واحدة إلى كل عماله: أن برئت الذمة ممن نقل شيئا من فضل أبي تراب وأهل بيته (يقصد عليا وعترة النبي أهل بيته) فقام الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون عليا ويبرؤون منه!!
- ٢ - وكتب إلى عماله في جميع الآفاق: أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأعوانه ومحبيه وأهل بيته شهادة!!
- ٣ - ثم كتب إلى عماله في جميع البلدان نسخة واحدة: أن انظروا فمن قامت عليه البينة أنه يحب عليا وأهل بيته فامحوه من الديوان، وأسقطوا رزقه وعطاءه!!
- ٤ - ثم شفع ذلك بنسخة أخرى (من اتهمتموه بموالاته هؤلاء القوم) (أي أهل بيت النبي) فنكلوا به واهدموا داره!!
- راجع شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد مجلد ٣ صفحة ٥٩٥ - ٥٩٦
- ١٦ - أهل الطاعة ينفذون أوامر المتغلب
فنفذ الولاة والعمال والجنود وأهل طاعة الخليفة المتغلب أوامره وهم يتلون آية التطهير، ويصلون على النبي وآله في كل تشهد، وهم يتلون آية المباهلة، وآية المودة في القربى. وقد أحيطوا علما بحديث الثقلين وروافده!!!
- ١٧ - أهل الذمة
النصارى واليهود أهل ذمة وصانا رسول الله بهم، فطعامهم (غير الذبائح) مباح للمسلم، ودمائهم مصانة وأموالهم محترمة ومحروسة، وحريرتهم ليست موضع تساؤل لأن الإسلام وضع لهم حقوقا وضمن تلك الحقوق، فالقوة المتغلبة طوال التاريخ كانت رحيمة بأهل الذمة.

١٨ - ليتهم عاملوا أهل بيت النبوة كما عاملوا اليهود والنصارى
لم يرو لنا التاريخ أن القوة المتغلبة قد قتلت حيرا يهوديا أو راهبا نصرانيا أو
شخصية بارزة من شخصيات اليهود والنصارى أو لعنتهم، أو رفضت شهادتهم أو
شهادة محبيهم، أو حرمتهم من أرزاقهم أو هدمت دورهم. فمن أمات فاطمة كمدا؟
ومن قتل عليا، ومن ابتزه حقه؟

ومن قتل سيدي شباب أهل الجنة وريحانتي النبي من هذه الأمة الحسن والحسين؟
من قتل الطيبين في كربلاء؟
من ومن... إلخ.

تلك فضائح في سجل القوى المتغلبة التي صانت دماء اليهود والنصارى وأموالهم،
واستباححت حقوق ودماء وأموال أهل بيت النبوة!!!
فليست تلك القوى المتغلبة قد عاملت أهل بيت النبوة كما عاملت اليهود
والنصارى!!

١٩ - سنة الرسول وسنة القوة الغالبة
قلنا إن سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هي: أقواله وأفعاله وتقاريره، وضعت
موضع شبهة

وأعلنت القوة المتغلبة أن القرآن وحده يكفي ولا حاجة لأي شئ آخر، ووضعها لهذه
الإعلان موضع التنفيذ، أحرق المكتوب من أحاديث رسول الله، ومنعت رواية
أحاديثه مدة ٩٥ سنة، وقد وثقنا ذلك!

وكان القوة المتغلبة لا ترجع إلى أحاديث رسول الله إلا في الأمور التي لا تمس
مصالحها، أو ترزعع سلطانها، أو تشكك العامة في شرعية سلطتها!!
واستطاعت القوة المتغلبة أن تفرق بين كتاب الله وبين نبي الله، وأن تتولى بيان كتاب
الله بدلا من رسوله، وبالصورة التي تخدم مصالح المسلمين، معتمدة بالدرجة الأولى
والأخيرة على رأيها، وعلى رأي أهل طاعتها (الاجتهاد) كما سماه شيعتها في ما بعد!

٢٠ - خلال هذه المدة

خلال مدة الحظر الرسمي المفروض من القوة المتغلبة على كتابة ورواية أحاديث رسول الله، وكتيحة لقيام النظام السياسي البديل، نشأت خلال مدة ٩٥ عاما منظومة حقوقية متكاملة وضعتها القوة المتغلبة في كل فروع الحياة! وعندما رفعت القوة المتغلبة الحظر عن كتابة ورواية أحاديث رسول الله، تكون عمليا في الدولة سنتان:

١ - سنة الرسول التي طبقت خلال عهدي الدعوة والدولة البالغين ٢٣ عاما.

٢ - سنة القوة المتغلبة التي طبقت ٩٥ عاما وهي الفترة التي حرموا فيها رسميا كتابة ورواية أحاديث رسول الله! ونشأ بين المجموعتين نوع من التعايش، وإن سارت كل مجموعة بخط متميز ومواز للآخر!

٢١ - إذا تعارضت السنتان فما هي السنة الواجبة التطبيق؟

إذا تعارضت سنة النبي التي أعيدت مؤخرا مع سنة القوة المتغلبة طوال التاريخ، فإن السنة الواجبة الاتباع والتطبيق هي سنة القوة المتغلبة، القوة المتغلبة مدعومة بالأعوان والقوة، ولأنها سادت ٩٥ سنة، ولأنها من صنع الأقوياء الذين جمعوا الأمة وقهروا الأعداء، ولأن طاعة القوة المتغلبة واجبة!

فإذا قال الغالب للجيش: إهدم الكعبة المشرفة! فإن هدم الكعبة حرمة، وتنفيذ أوامر الغالب طاعة والطاعة مقدمة على الحرمة، فيتوجب هدم الكعبة فوراً!! لقد وثقنا ذلك وأثبتناه في بحوثنا السابقة، ونتحدى الذين يعارضوننا أن ينفوا مرجعنا من المراجع التي ذكرنا.

وسنة القوة المتغلبة دخلت في كل فروع الحياة، وتوغلت حتى في العبادات فللقوة المتغلبة رأي في العبادات.

٢٢ - مثال على ترجيح سنة القوة المتغلبة على سنة رسول الله
جرأة القوة المتغلبة على العبادات أقل من جرأتها في المعاملات، أو في الأمور
السياسة، ومع هذا فإن سنتها مصونة ومقدمة على سنة الرسول نفسه!! سواء
بالمعاملات أو بالعبادات.

٢٣ - صلاة التراويح خير مثال على ذلك
صلاة التراويح لم تكن على عهد رسول الله، ولم تكن على عهد أبي بكر، ولا
شرع الله الاجتماع والجماعة لأداء نافلة من السنن غير صلاة الاستسقاء، وكان الرسول
يقيم ليالي رمضان ويؤدي سننها في غير جماعة، ويحضر على قيامها، فكان الناس
يؤدونها بالصورة التي كان رسول الله يؤديها.

وظل الأمر على هذه الشاكلة طوال عهد أبي بكر وحتى السنة ١٣ من الهجرة.
وفي سنة أربعة عشر من الهجرة دخل عمر المسجد وكان خليفة، فرأى الناس بين
قائم وساجد ومسبح ومحرم، فانزعج ورأى أن هذا خطأ، وأن من واجبه إصلاح هذا
الخطأ، فأصدر قراراً بسن سنة التراويح جماعة، ونصب للناس إمامين في المدينة
يصليان بهم التراويح، إماماً للرجال وآخر للنساء!

ثم عمم قراره على كافة الولايات والأمصار!! راجع الكامل في التاريخ لابن
الأثير مجلد ٣ صفحة ٣١ والطبقات الكبرى لابن سعد مجلد ٣ صفحة ٢٨١، وراجع
الملل والنحل للشهرستاني مجلد ١ صفحة ٢٨

أخرج البخاري في كتاب التراويح عن عبد الرحمن بن عبد القادر قال: خرجت مع
عمر ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون - إلى أن قال - فقال عمر
(إني

أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد كان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب،
ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئ فقال عمر: تمت البدعة!
صحيح بخاري - كتاب التراويح مجلد ٢ صفحة ٢٥٢ وموطأ مالك مجلد ١ صفحة

قال العلامة القسطلاني في أول الصفحة ٤ من مجلد ٥ من إرشاد الساري في شرح صحيح بخاري: سماها عمر بدعة لأن رسول الله لم يسنها لهم، ولا كانت في زمن الصديق (رضي الله عنه)!

وذكر السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء أن عمر أول من سمي أمير المؤمنين، وأول من سن قيام شهر رمضان بالتراويح، وأول من حرم المتعة، وأول من جمع الناس في صلاة الجناز على أربع تكبيرات، راجع تاريخ الخلفاء للسيوطي، والكامل لابن الأثير مجلد ٣ صفحة ٣١

وغني عن البيان أن الله تعالى قد أكمل الدين، وأتم النعمة، وأن رسول الله قد بين للأمة الصواب في كل شيء، في ما فعله، وما قاله وما قرره، وما لم يفعله الرسول، وما لم يقره، أو يقوله فهو سنة لغيره وليست له.

بمعنى أن رسول الله لم يسن صلاة التراويح بالصورة التي أوجدها عمر في عهده، وأن سنة الرسول في هذا الموضوع هي سنه الفعلية التي كانت سائدة في زمانه وفي زمان أبي بكر.

لكن إذا أردت أن ترى ترجيح وأهمية سنة القوة المتغلبة وتفوقها على سنة الرسول، يمكنك مشاهدة المساجد في ليلة من ليالي رمضان!!

هذا يؤكد على أن القوة المتغلبة سخرت كل وسائل إعلامها وموارد الدولة طوال التاريخ لترسيخ قناعات الغالب، وآرائه الشخصية، وخلق حالة من الانبهار بقدرة هذا الغالب، وبعد نظره! فكان الغالب عمليا أولى بالاتباع من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)!

**